عبدالله القصيمي

الإنسان يعصى .. لهذا يصنع الحضارات

انه لولا افراد عباقرة عصاة قليلون يجيئون كولادة الشيء من غير ابويه او كولادة الشيء بلا ابوين او كولادة الشيء نقيضا لابويه ، ليهبوا الحياة جميع قفزاتها الجديدة المتتابعة ، ولكي يكونوا فيها العصاة الهدامين الاتقياء ، لما كان الانسان فقط اردأ الكائنات حظا بل ولكان اكثر الكائنات بلادة وهوانا وتعاسة ..

١٩٧٢

إذا انتصر النبي هزمت نبوته

« .. ان انتصار النبي هزيمة لنبوته . ان نبوته حينئذ لا بد ان تتحول من نبوة مسالمة الى نبوة محاربة ، ومن نبوة واعظة ومتسامحة وغافرة الى نبوة باطشة لاعنة معاقبة . ان النبي اذا انتصر فلا بد ان يتنقل من نبي حزين باك مصل من اجل الخطايا والآلام والصغائر والتفاهات التي يعيشها جميع الناس وجميع الاشياء الى نبي زعيم او الى نبي حاكم باطش غاضب فظ معير بالخطايا والاخطاء والآلام والصغائر بل وبالجوع والعجز . ان المهزوم المهان المولود في الهزيمة والهوان لا بد ان يصبح اقسى الجبارين اذا انتصر .. ان الحيوان الضعيف المقهور الخائف لا بد ان يتحول الى اقسى الوحوش وحشية لو انه تحول الى حيوان قوي غالب ، لو ان اظفارا وانيابا قوية نبتت في جسمه .. ان تغير الذات والوضع تغير في المذهب والتدين والاخلاق والفكر .

« .. انك اذا قلت الحقيقة وهي ليست في حسابانك او ضد حسابانك فلا بد انك تنوي شيئا اخر . لعلك حينئذ تنوي نفيها وهزيمتها ومفاتاتها بقولها وبالثناء عليها . انك قد تجعل اعلانك عن الحقيقة التي لا تريدها سلاحا او سبا او كبدا تطعن او تخيف او تهدد به انسانا او قوما . ان الناس يقاومون الحقيقة بالحقيقة والصدق بالصدق بقدر ما يقاومون الحقيقة والصدق بالباطل والكذب .. »

★ ★ ★

مواقفنا المذهبية والاجتماعية والاخلاقية والفكرية والانسانية والدينية ليست مواقف دينية ولا مذهبية ولا فكرية ولا اخلاقية ولا روحية ولا اجتماعية ولا انسانية .

انها مواقف قبلية وعائلية ومنزلية وجدية . انها مواقف قتال

ومتاجرة ومخامسه ومنافسه ومعاداة . انها هي اللغة العالمية التاريخية الابدية التي يتكلمها كل انسان وكل مجتمع ليعبر بها عن همومه او آلامه او احتياجات او طموح او صفات او مشاكل او ظروف قبيلته او امرته او جسده او شهوته او تاريخه او مخاوفه . ان قبيلتك او امرتك تكيف وتصوغ مذهبك وقوتك والهك ونبيك ومنطقك وتعاليمك .

ان تاريخ جسدك وما فيه من علامات سعيدة او البمة ، قوية او ضعيفة ليتدخل لصياغة مذهبك او دينك او تفكيرك او اخلاقك ، ولصياغة صفات وصور آلهك وانبيائك ، وصياغة شهواتهم واهوائهم وتعاليمهم ، ولصياغة تفاسيرك لهم .

ان اخلاق جدران وابواب البيوت التي نسكن ، واخلاق شوارع وميادين الحي الذي نقيم فيه او نمر به او نواجه ، واخلاق وجوه وطعام وثياب وصحة وجمال او دمامة اطفالنا او اطفال جيراننا ، وان صور آبائنا واجدادنا الحزينة الهزيلة الشاحبة البائسة الناظرة برعب ويأس والمعلقة بلا اتقان او اهتمام فوق فرشنا المكونة بالحشرات وبالهموم وبالاديان وبالتاريخ الحزين .

— نعم ؛ ان كل ذلك ليصوغ مذاهبنا واديانا وافكارنا وارباحنا وانبياءنا وزعمائنا . انه ليصوغ جميع نماذجنا الفكرية والسلوكية والدينية والروحية والنفسية والاجتماعية ؛ بل انه ليصوغ نماذج واخلاق وتفاسير آلهتنا ومعلمنا ؛ بل يصوغ نياتهم ولغاتهم ومثلهم واحاسيسهم وقوتهم وضعفهم ومستوياتهم الجمالية والقاسية والنفسية والتاريخية والابداعية .

ان صفات وجودنا هي التي تفسر هؤلاء وتهبهم قبحهم وعبقرياتهم ، لا صفات وجودهم او ذواتهم هم ..

ان الفقير المحروم والضعيف المقهور قد يجدان للفقر والحرمان والضعف والقهر مزايا دنيئة او مذهبية او انانية او روحية . انهما قد يجدان كل المزايا والمجد والخير والتقوى والنظافة والبراءة وحب الآلهة ورضاها في ذلك ؛ اي في ان يكون المرء ضعيفا مقهورا وفقيرا محرومـا .

انهما قد يذهبان حينئذ بلصان ويكرهان وشنمان الاقوياء والسعداء والاذكياء والمتفوقين والمنتصرين ؛ بل والمدنيين الخلاقين . انهما قد

يذهبان يتديّنان ويمتدحان نفسيهما بالتحدث عن رذائل وفسوق الذكاء والقوة والتفوق والسعادة والانتصارات . ثم يذهبان يتصوران ويعلنان ويريان ان النماذج الانسانية العظيمة والخالدة كانوا جميعا ضعفاء وبؤساء ومغلوبين مقهورين محرومين .

نعم : انهما هكذا سوف يعتقدان ويعلنان ويفخران ويفسران .

لقد كان جميع الانبياء والقديسين والقادة الانسانيين وجميع المؤمنين الاتقياء ـ لقد كانوا جميعا من المحرومين او المعذبين او المشوهين او المحزونين او المظلومين او المقهورين او المعتدى عليهم او الضعفاء ، او من الذين لا يمتلكون اي تفوق عقلي او فني او ذاتي . ان التفوق العقلي والذاتي قد ظل في كل التاريخ يحسب ذنبا او زندقة . لقد ظل هذا التفوق يحسب كفرا بالارباب وبالانبياء وبالزعماء وبالمعلمين وبالمذاهب والاديان .

اننا جميعا انبياء وقديسون وانسانيون وفدائيون ونماذج للقوى والحب والتواضع والسامح والحرية والايمان ، اى حينما نكون فوق الارض مع الانسان المقهور المعذب المهان المحروم المعتدى عليه .

اننا حينما نكون فوق الارض لا بد ان نكون متساوين في معاناتنا او في دعاوانا او في نياتنا او في اماناتنا او في حبنا وتواضعنا وتحايلاتنا . .

. . . اما حينما نقفز فوق الارض وفوق سكانها ، ونرتفع فوق جاذبيتها ونصبح سادة وقادة وسعداء واقوياء وانبياء يتخاطبون مع السماء ويلغة سكان السماء . فان كل شيء فينا حينئذ لا بد ان يصاب بالتغير العظيم .

ان جميع الاشياء لا بد حينئذ ان تصاب في رؤانا وحساباتنا بالمرض المالائم . . .

ان لغاتنا وتياتنا وشهواتنا وتفاسيرنا وافكارنا وتصوراتنا ونبواتنا ، بل وعيوننا وحقات قلوبنا ، بل وصور الاشياء والناس في عيوننا ، بل وقدرة عيوننا على الرؤية ، بل واخلاق ومواهب عيوننا وآذاننا ـ نعم ، ان كل ذلك حينئذ لا بد ان يصاب بالتغير الكبير . ان اخلاق ومرائي ولغات وافكار واديان ومذاهب جميع الاشياء حينئذ لا بد ان تتغير في حواستنا واحاسيسنا وفي تقوانا .

اننا حينئذ لا بد ان نصبح في كل معاناتنا من اعتاب السادة والقسي العلماء الجبارين . اننا حينئذ لا بد ان نكفر عن كينونتنا وآلامنا واوضاعنا القديمة . اننا لا بد ان نعاقبها ونكفر عنها . وان اسارب العقاب لهـــا والتكفير عنها لن يكون الا بالانتقال الى النقيض ؛ بأقسى واقظع اساليب الانتقال ، وايضا بأقسى واقظع مستويات هذا النقيض .

اننا حينئذ لا بد ان ننحاز الى مواكب الارباب الجديدة العاتية الشابة البارعة بجبروت وذوى وتذليل باهظ على بزوغها وعلى انحيازنا الى هذه المواكب .

اننا حينئذ لا بد ان ننحاز الى اخلاق وافكار ومشاعر الصاعدين الجبارين الجائعين جدا الى الصعود والجبروت . اننا لا بد ان ننحاز الى ذلك بلا تدبر كما ننحاز للمنطق من جاذبية الارض الى جاذبية الكوكب او الكون الذي يهبط اليه او يصعد اليه . اليس محتوما ان تقهر اخلاق وافكار واحياجات وليات واحاسيس وحواس من يصعد الى القمـــر ويسكن فيه لاختلاف كل شيء هناك ؟

ان اقبح واوقح انواع الكبرياء والجبروت هما كبرياء وجبـــروت القادرين الذين ينهضون من التراب تصبحوا تيجانا باهظة فوق هامات جميع الهامات ؛ وليتنظروا بحقد وغضب وذعر وتهديد واحتقار الـــى التراب الذي نهضوا منه ؛ وليتحولوا الى اقسى جلادين ومعاقبين للتراب الذي كان سماءهم والذي نهضوا منه . ما اقبح التراب في احاسيس من خلقوا منه ثم ارتفعوا فوقـــه .

اليـــس اكثر الناس خوفا من الشقاء والالم ورفضا ومقاومة لهما هم الذين كانوا يقاسونهما ثم انفصلوا عنهما ؟

ما اقظع اخلاق التراب حينما يتحول الى تيجان ؛ حينما يتحول اي التراب الى قادة وابطال وانبياء . ايها التراب ؛ اني لا ارهب شيئا مثلمـــا ارهبك حينما تتحول الى قادة وابطال وانبياء تتحدث بلغة السماء من فوق هامات النجوم .

اننا حينما نكون ضعفاء ومغلوبين ومعتدى علينا ومناتين نؤمـــن بالاحتجاج والنقد والرفض وبالحرية الشاملة او العادلة او المطلقة . ونؤمن كذلك بالبكاء وبالشكاوى تلقا واستغاثا من الدمعات والتفاهات ومن كل الوان المتكرات . وايضا نؤمن بالغضب الضاج على الظالم والاخطاء والالام، وعلى المذاهب والزعماء والقادة والناس ؛ وعلى الالهة والكون احيانا ؛ تطلعا

الى الافضل او الى الاتقى او الى الاذكى .

انا حينئذ نؤمن بان الانسان كل الحرية في ان يبكي ويتالم ويغضب وفي ان يتحدث عن بكائه وغضبه والامه ، ويشير اليها .

ولكن اذا نظر الواقف واصبحنا نحن الاقوياء والمنتصرين والسـادة القاهرين والصانعين كالضعف والالم والهزيمة للاخرين ، وصرنا نحن المنكوسين والمطالبين والمدودين والمالكين الحرية ، لكل الحرية ، تغيرت اخلاق ومشاعر الاشياء والقوانين والانسانيين المماكنين في ذراتنا ، واصبحنا الشد شراسة ومقاومة لما كنا ندعو اليه ونؤمن به من جميع الطغاة الموتورين طغاة من آباء طغاة . اننا حينئذ لا بد ان نجد في البكاء ، في مجرد البكاء كل معاني الرقة والعصيان والتمرد علينا . ان الحيوان الوديع المطاوع المهزوم المعتدى عليه الخائف الضعيف في كل تاريخ آبائه او انه تحول الى ذئب ومنك كل ادوات وقوة وموقف الذئاب لكان الخير ان نصبح انفسنا ذئبية من جميع الذئاب الوارثة الطبيعية من كل تاريخ آبائها الموروث . ان الحيوان الضعيف المقهور لا بد ان يصبح انفسنا الوحوش وحشية لو انه تحول من موقف الاضعف الى موقف الاقوى .

ان اي نبي لا بد ان تهزم نبوته اذا انتصر . ان نبوته حينئذ لا بد ان تتحول من نبوة مسالمة الى نبوة محاربة ، ومن نبوة واعظة ومسامحة وغافرة الى نبوة باطشة ومعاقبة . انه لا يوجد من يقاوم النبوة ويتحمل عليها في مقاومته ومن يحاول منها مثل النبي اذا انتصر . انه لا احد يقتل الانبياء او يقتل معاني الانبياء منا بقتلهم ويقتلها النبي اذا حكم . ان النبي الحاكم هو اكبر قاتل لدائه . ان النبي ، اي نبي اذا انتصر فلا بد ان ينتقل من نبي حزين وباك ومتحمل من اجل الخطايا والآلام والصغائر التي يعيشها الناس وتعيشها جميع الاشياء الى نبي ناقم او الى اي حاكم باطش سفاك مصر بالخطايا والاخطاء وبالآلام والصغائر .

ان اخلاق ومشاعر ووداعة كل نبي لا بد ان تموت اذا انتصر . انها لا بد ان تتحول الى النقيض ، الى النقيض العنيف جدا . انه لا بد ان يكون حينئذ اقسى من كل القساة ليكفر ويعوض عن وداعته القديمة ، او لينساها وينخطاها ، او ليحاسبها ويعاقبها ، او ليطالبها بتسديد الحساب القديم .

ان المهزوم المهان لا بد ان يصبح اقسى الجبارين جبروتا اذا انتصر .

★ ★ ★

ماذا تقول التجربة الطريفة ؟ ما اقسى ما تقول التجربة . ما اقسى تعابير الاشياء . ان من الرفق بنفسك الا تفسر الاشياء والا تستمع الى من يفسرونها ، الا اذا كانوا مزورين .

ماذا فعل واصبح جميع الضعفاء المقهورين المهانين الذين انطلقوا من مقارات الخمول والهوان لمصبحوا دويا وقمما ؟ ما ليصبحوا نشيدا عاليا في افواه الالام والاحزان ، ليصبحوا صراخ آلام واحزان وهوان ؟

لقد جاءوا انا شيد ملائكية ، وابتهالات واحزانا تبوية ، وبعد ان سطعوا وصعدوا وانتصروا اصبحوا ماذا ؟

نعم : ماذا اصبحوا بعد ان كانوا ؟ كيف اصبحوا بعد ان هربوا من خمولهم وهوانهم وحضيضهم ؟

لقد جاءوا احزانا ودموعا في عيونهم وقلوبهم ، ثم تحولوا الى احزان ودموع في عيون وقلوب من جاءوا لهم ومن اجلهم .

لقد تحولوا الى احزان ودموع في عيون وقلوب الزهور والحقول ، في انصباب الظلام والنور ..

لقد تذكروا باقوى مشاعر المحبة لاحزانهم ودموعهم وابتهالاتهم . لقد خرجوا على جميع ادعاءاتهم الانسانية المتواضعة التي انتصروا بها او التي انتصروا وهم يهتفون باسمها . لقد غدروا بدموعهم واحزانهم وتضرعاتهم .

وهل في البشر من لم يغدروا بدموعهم واحزانهم ؟ هل فيهم من لم يتحولوا الى تكذيب لدموعهم واحزانهم وصلواتهم ؟

لقد راحوا يعاقبون ويقاومون الضعفاء والمقلوبين والمتألمين والباحثين عن الصدق والعدل والنور والحرية والتقوى وعن الالتزام بالمذهب او الدين الذي كان هو نبوة مجيئهم او حجة مجيئهم . لقد راحوا يعاقبون ويقاومون هؤلاء اكثر واعنف مما يفعله اشرس واقسى الحكام والملوك الذين يجيئون الى هذا العالم في مواكب من التاريخ ، يحرسها ويهتف لهما كل ما في الدنيا من منابر ومحاريب وقيم ومذاهب واديان وكتب مقدسة ، ومن مباهج وقوة وضعف وخوف وحب ، ومن طغيان واكاذيب وآلهة واقلام وقرطاس .

ما افتك الاظفار والانياب التي لا تلدها اظفار وانياب بل التي تلدها الدموع والاحزان والصلوات المقهورة ؟

ان المجد المستحدث او المكسوب بالاغتصاب او بالانقضاض لا بد ان يصبح هو اشد وحوش المجد فتكا ووحشية وبذاءة وخوفا وجنوناوعدوانا. انه لا بد ان يجيء بلا اي مستوى من الاخلاق او التقاليد او الوفاء او التهذيب او الحب . انه لا بد ان يكون اظفارا وانيابا فقط . ان جميع الفضائل حينئذ هي فضائل الاظفار والانياب . انه لن يمارس من الاخلاق او المزايا سوى مزايا واخلاق الاظفار والانياب التي لا تقاليد ولا مجد ولا تاريخ لها . وهل توجد وحشية مثل وحشية الاظفار والانياب التي لا تقاليد ولا تاريخ ولا مجد ولا آباء لها ؟

ان من اسروا بالاظفار والانياب لن يحترموا سواها ، او يتعاملوا او يؤمنوا بسواها ، او يعترفوا لسواها . انهم يتحولون الى قديسين في وفائهم لاظفارهم وانيابهم . انه لا مثيل لوفاء اصحاب الاظفار والانياب في تعاملهم مع انيابهم واظفارهم .

ان اكثر الناس اذلالا واحتقارا للطبقات المغلوبة هم اساؤها اذا ارتفعوا فوقها وانفصلوا بانتصارهم وقوتهم عنها .

انه لا احد يقسو على الطبقة المقهورة مثل ابنائها اذا خرجوا منها بان اصبحوا قادرين .

انهم حينئذ لا بد ان يتنفوا في الفتك بالطبقة التي ولدوا فيها وهربوا منها . انهم بذلك كأنما يحاولون ان يعاقبوا ويرهبوا ماضيهم الذي قد كان لئلا يفكر في العودة ، ولئلا يفكر فيهم ، او ينظر اليهم ،او يتحدث عنهم ، او يتذكرهم او يكتب اليهم اية رسالة تشرح ماكان ، او تشير اليه ، او تذكر به .

انهم بفتكهم بالطبقة التي خرجوا منها كأنما يحاولون ان يقنعوا انفسهم بانهم قد انتصروا وتفوقوا عليها ، وبانهم قد اصبحوا كائنات اخرىلا علاقة لها بما كان ، بل لا شيء قد كان غير ما هو كائن الان . انهم اذن لن يعودوا اليها ولن تعود اليهم . انهم يرفضون ويقاتلون العودة حتى ولو بالذكرى او الحديث .

وكأنهم ايضا يريدون بفتكهم هذا الا يبقى بينهم وبين طبقتهم السابقة

ابة علاقة طيبة بل اية علاقة من اي نوع سوى علاقة الافتراس والفتك ، سوى علاقة القوة بالضعف ، او سوى علاقة الغضب والرفض والعداء والتهديد والتخويف والقهر .

انهم هاربون من تاريخهم ، وانهم يريدون توكيد هربهم هذا بالقسوة والتوحش والمعاداة ، انهم لمحتاجون الى التدليل على انهم قد اصبحوا اغرباء وفاء ليؤكدوا فراقهم الابدي لما كان . انه لا بد من نسيان ماكان، وان وسيلة النسيان هي الوحشية البذيئة . اذن لا بد من الفتك والفسوة والجنون .

انهم محتاجون الى ان يدللوا على انهم لم يكونوا الا ما هم كائنون الآن .

ان رذائل الحكام الوارثين للحكم لم تولد معهم ، وانما تعودوها واكتسبوها من ظروفهم ومواجهاتهم ومعاناتهم . وان اقدر الظروف على خلق الرذائل وتعليمها هي ظروف من صعدوا من الحضيض الى القمة ، ومن الصمت والخمول الى الدوي والانتشار والبريق الخاطف للعيون بقفزة من القفزات المنقضة .

انه لاكثر الاماني والظنون استحالة ان يتصور من ارتفع من اعماق الحضيض الى اعالي القمم باحدى الضربات — ان يتصور على الظروف التي لا بد ان تصنع منه وحشا ووغدا ونذلا وانما فاجرا كبيرا .

انه لتوقع للمستحيل ان نتوقع من اي انسان قد اصبح بجرة قيصرا وبقدرة منقضة ان يجيء انسانا غير قاتل او غير وحش او غير عدواني النفس والتفكير والتدبير والسلوك ؛ لانه في يوم من الايام القريبة والبعيدة قد تخلق من مشاعر الترابه ومن تواضع الارض وعذابها ، ولانه كان قد نادى بالحب والرحمة والحرية والتسامح والتواضع وبالانسانة المحرمة لحمل السلاح ضد اي انسان حينما كان انسانا مهزوما . ولانه كان يوما ما قبيا تتنزل عليه الآيات والتعاليم من السماء ويصلي ويبكي في المحاريب رثاء وحزنا وحبا للانسان . . .

ان مثل هذا الحاكم القيصر لا بعد ان يصبح بعد تذوقه للشهوات الجديدة المحرمة ، وبعد صعود قدميه بعيدا ؛ بعيدا فوق التراب والارض،وفي السموات المثيرة المملوءة بالاملاءات والاغراءات وبالانفعالات الخائفة والراضية الحريصة والبهيجة ؛ الآمرة والناهية .

ـ نعم ، ان مثل هذا الحاكم القيصر لا بد أن يتفوق في وحشيته على جميع الوحوش التاريخية ، على جميع الوحوش بالميلاد او حتى بالموهبة.

ان اكثر الانياب والاسلحة والهموم والامجاد والانتصارات فتكا وعدوانية هي احدث الانياب والاسلحة والهموم والامجاد والانتصارات ، واكثرها خوفا وتوترا ، واحدثها انطلاقا من الضعف والهوان والحضيض ، واقواها علاقة وتاريخا بالضعف والهوان والحضيض .

ان مثل هذا الانسان الذي اصبح فجاة وبضربة منقضة قيصرا لا بد ان يكون جادا بلا قياس او نموذج في حتميته التفت والارتداد الى الوراء والتذكر له .

ان الصاعد من اعماق المنحفضات الى اعالي القمم لا بد ان يكسره ويخاف ويقاوم الهبوط والمنحفضات ومسبباتها والتذكير بها بوحشية وحتون لا يقل بمثلهما من ولدوا فوق القمة .

لقد قاست البشرية في كل تاريخها من الالهة والطغاة المحدثين اضعاف ماقاسته من الطغاة والالهة بمولدهم . ان الاله بالمولد قد يكون بلا افكار ولا انياب ، اما الاله بالانتفاض فلا بد ان يكون متفوق الافكار والانياب.

اني لاخاف الاله الذي ولده انسان ضعيف مهان متواضع اضعاف خوفي من اله قد ولده اقوى واقدم اله . ان الالهة ابناء الالهة لن يكونوا في وحشيتهم مثل الالهة ابناء البشر او ابناء الانسان .

ان الالهة بالمولد قد تكون هي اجهل الالهة باخلاق الارباب ،واعجزها عن ممارسة هذه الاخلاق . ان افضل الارباب هي اجهلها باخلاق الارباب واعجزها عنها .

انه اذا كانت الالهة هي دائما طاغية ومعادية للانسان فان اكثرها طغيانا ومعاداة للانسان هي الالهة التي ولدت في الارض ، وليست التي ولدت في السماء . ان الولادة في السماء تعلم التواضع والتسامح والرفق والاحساس بالامان اكثر مما تعلم ذلك الولادة في الارض . ان الارض لتصنع الالهة المتوحشة الحاقدة اكثر مما تصنعهم السماء .

ان الذين يولدون في السماء لا يمكن ان يعيشوا او يعرفوا او يجربوا احقاد ومخاوف وهموم وبغضاء وبذاءات وانياب ومجادات وسفاهات

من يولدون فوق الارض او تحت الارض .

ان كل نضالات البشر لا تعني الا انهم يخافون ويتألمون ويريدون ويجوعون .

ان اقسى القساة او الطغاة او الوحوش هم الذين اخترعوا وتصوروا بخيالهم وتعاليمهم الجحيم واهواله . ان هؤلاء هم الذين تحدثوا عن مثل هذا الجحيم وعن اهواله ، وتوعدوا به وصدقوا انه اي الجحيم موجود بكل اهواله الموصوفة ، وتقبلوا ان يكون موجودا ، وان يكون جزاء ومكانا للبشر .

ان اقسى القساة او الطغاة او الوحوش هم الذين نقلت ضمائرهم واخلاقهم وعقولهم وتعاليمهم كل ذلك ، وتصورته وتحدثت عنه وعلمته ، ثم استطاعوا ان يظلوا احياء ، او ان يمارسوا اي لون من الوان الحياة او يسعدوا به .

كيف استطاعوا ان يظلوا احياء او ان يسعدوا باي شيء وهم يتصورون ان انسانا واحدا ، ان انسانا واحدا فقط قد يعاقب بجحيمهم هذا ؟

كيف امكن ان يعيش في خيالهم مثل هذا الجحيم ؟ كيف يستطيعون الابتسام ؟

ان تصورنا للعقاب وتشريعنا له لن يكونا الا تعبيرا ما عن مستوياتنا النفسية والعقلية والاخلاقية والتاريخية . ان تصور الجحيم وشرعه عقابا للبشر لا يمكن الهبوط الى حضيض مستوياته النفسية والعقلية والاخلاقية .

اذن فان اقسى القساة هم الانبياء الذين استطاعوا ان يخترعوا بخيالهم هذا الجحيم ، والذين تصوروه وشرعوه عقابا للانسان ، والذين استطاعت عقولهم واخلاقهم وضمائرهم تقبله جزاء وعدلا وخلقا ومنطقا للاله . والذين جرؤوا على التحدث عنه والانذار به ، والذين جرؤوا حتى ان يحولوا التحدث عنه والتوعد به الى تعاليم خالدة تتلى من فوق جميع المنابر ويصلى بها في جميع المحاريب . فتاة صغيرة رقيقة تقتلها خبث النسائم ، وشيخة كبيرة فانية تقتلها قبضة اليد المشيرة اليها من بعيد بالتهديد ـ هاتان الفتاة والشيخة سوف تخلدان في جحيمك لانهما ولدتا في مكان غير مكانك فلم تؤمنا بتعاليمك . انت اذن نبي رحيم كريم بعثت رحمة للعالمين ..

اعتذارا الى رحمتك وحنانك ايتها الوحوش الطيبة . اغفري للبشر وحشيتهم ايتها الوحوش .. اغفري لانبيائهم وحشيتهم التي لا تتصورين مثلهـــا .

... انهم يعتذرون من وحشيتهم اليك . ان انبياءهم الكبار جدا يرون ان الجحيم الذي تصوروه وتحدثوا عنه جزاء عادل ورحيم ومعقول للانسان الذي لم يستطع ان يكون اكبر او اعظم او انظف او اذكى او اقوى مما اراده وخلقه الاله ؛ او الذي لم يستطع أن يكون اقوى او اتقى او اذكى من الاله ، او الذي اطاع ونفذ في نفسه وفي سلوكه ونياته ارادة الاله ونيته وشهواتـه وتقديره .

ان البشر يعتذرون الى رحمتك وحنانك ايتها الوحوش من قسوة انبيائهم الرحماء جدا . انهم يعتذرون اليك . ان قسوة انبيائهم ستصدم حنانـــك .

ان انبياءهم يعتقدون ان الخلود في الجحيم الموصوف جزاء عادل بل ورحيم للانسان الذي لم يستطع ان يكون غير ما اراد الله له .

لقد جاء الانبياء قساة هكذا ـ لقد جاءوا قساة على مستوى قسوة الجحيم لانهم قد ولدوا وخلقوا وخرجوا من الام واحزان الارض وعاشوا في جحيمها . لقد عاشوا الاهوال فحولوها الى تعاليم والى عطايا ومواهب الهية لا مثيل لها في العدل والحب والرحمة . هل كان يمكن ان يوجـد الجحيم في تصورات وتعاليم الانبياء لو انهم لم يكونوا يقاسون من الهوان والظلم والمزالم واساليب العذاب الاخرى ؟

اذن هل يصنع القسوة والبغضاء او يتصورهما مثل الذين ينبتون في الشقاء والضعف والهوان ؟ هل يوقع العذاب بالآخرين مثل الذين قاسوا من العذاب أو مثل الذين خرجوا من اصلاب العذاب ؟

★ ★ ★

ايتها الارض ، اني ارتجف من قطعانك الذين يتفجرون علي وتحـت اقدامي من قاعك اكثر مما ارتجف من الطغاة الذين يهبطون علي من فوق هامات النجـوم .

يا طغاة السماء ، اني لا اخافكم مجتمعين مثلما اخاف طاغية واحدا من طغاة الارض .

يا طغاة الارض ، يا اقسى الطغاة ، يا من حول طغيانكم كل طغيان الى محبة وصداقة وتواضع ورحمة وسلاة ، يا من تحول طغيانهم الى اعتدار عن كل طغيان ، والى ثناء على كل غفران ، يا من انسى وغفر طغيانهم كل طغيان .

يا طغاة الارض ، يشر الطغاة ،

ايها الانبياء .

يا انبياء المحبة والرحمة والتعاليم ضد الطغيان والوحشية والبغضاء

ايها الاصدقاء ، ايها الرحماء ، انتم اكثر واشد الاعداء حقدا وبغضا . انتم اقسى الطغاة اذلالا وتحقيرا وارهابا وتحطيما للمقاومين والضعفاء

اذا انتصرتم .. انتم قتلة كل محبة ورحمة وتسامح اذا انتصرتم ،

اذن فلا تنتصروا ايها الانبياء ، انا نضرع اليكم الا تنتصروا ..

يا انبياء المحبة والرحمة والانسانية والتعاليم النبيلة ..

لا تنتصروا ، لا تنتصروا .. انا نضرع اليكم الا تنتصروا ،

لا تنتصروا يا من تصوروا الجحيم للانسان وارادوه له لانهم يحبونه ، يا من طالبوا الاله بان يعد الجحيم للانسان .

* *

التقوى والنظافة في لسان الواعظ وظيفة واستعطاء ، وفي لسان الضعيف عزاء وامن ، وفي لسان الفاجر ذكرى وهجاء ، وفي لسان التقي امنية وافتخار ، اما في لسان النبي فموهبة وعطية وقوة وتاريخية ، واما في لسان الطاغية فسخرية وتهديد ، واما في لسان الشيطان فتذكير للاله وللانسان بهزيمتهما وضياعهما ، وبمن هو اقوى واذكى واكبر مجدا والطف اغراضا ونيات منهما ، اي تذكير لهما بنفسه .

ان التقوى والنظافة هما دائما بلا وعاء ، اي بلا تطبيق ، اي بلا انسان ، ان جميع الناس مهما تفاوتوا وتفاوتت اساليبهم يفعلون التقوى والنظافة على مستوى ما وبتعبير ما ، ولكن كما يفعلون الفجور والتلوث ، اي يفعلونهما بلا اخلاق او تدين ، اي كما يشترون الطعام ويجدون لذة

او راحة في ايتلاعه ومضغه ، وكما يتجنبون مهالك الطريق ويشتهون النساء ، وكما يصابون بالخفقان حين رؤيتهن وبلا رؤية لهن . وكما يتفاوتون في ممارساتهم لهذه كذلك يختلفون ويتفاوتون في ممارساتهم لما يزعمونه تقوى ونظافة .

ان فاعل التقوى والنظافة ليس متدينا ولا فاضلا الا بقدر ما تكون الاصابة بالخفقان ، او اجتناب مهالك الطريق ، او الارتجاف لرؤية المرأة تدينا او تطهرا او استقامة او مزيدا من الالتزام بالمذهب او بالاخلاق .

* *

اننا جميعا ننكر على الاخرين اخطاءهم او كثيرا من مواقفهم وشهواتهم: ولكننا اذا كنا في مثل ظروفهم فعلنا جميع الاشياء التي ننكرها عليهم بنفس الشهوات والنيات والتفاسير والمنطق ، بل وبنفس الاعلان والجراة والافتضاح . اننا تحت الظروف التي يكتسون تحتها اعضاءهم المحرمة لا بد ان نفعل نفس فعلهم بنفس الحماس والوقاحة والتدين . وتحت نفس الظروف التي نذهب تحتها نهتف للطغاة ونصلي للالهة ونمجدهما لانها خلقت لنا المصاصير والقدران يذهبون هم يفعلون نفس الشيء بنفس الحماس والمنطق .

ولكن الظروف ليست جميعا خارجية . انها ايضا ذاتية ونفسية وفكرية وثقافية وتعليمية وتاريخية بل وجسدية . انه اذا تساوت جميع هذه الظروف بين انسان وانسان اصبح الاختلاف بينهما في الموقف او في المنطق او في التفسير او حتى في الرؤية للاشياء مستحيلا ، ان الاختلاف بينهما حينئذ يصبح كالاختلاف في الوزن بين كتلتين من المادة تساوتا في النوع والحجم وفي قوة الجاذبية التي تخضعان لها . ان الاختلاف بينك وبين اي انسان آخر في رؤية كل منكما لجمال الهه او لصدق مذهبه او لصدق دينه يساوي الاختلاف بينكما في هذه الظروف ...

ان الاختلاف بينك وبين اي انسان آخر ليس له الا سبب واحد هو اختلافكما في الظروف الذاتية والخارجية . انه ليس له اي سبب او تفسير من اسباب او تفاسير التقوى او النظافة او السمو الانساني .

انه ليس انسان اتقى او اسمى من انسان الا بقدر ما حجر او نبتة اتقى او اسمى من حجر او من نبتة اخرى .

انك لو فعلت الصواب تحت الظروف ، اي الذاتية والخارجية التي يفعل تحتها غيرك الخطأ لكنت انسانا غير معقول بل انسانا مخطئا ومذنبا ، بل لما كنت انسانا ، بل لكنت انسانا لم يوجد ولا يمكن ان يوجد ، ان الخطأ تحت ظروفه هو الصواب والواجب . وان الصواب تحت ظروف الخطأ هو الخطأ . انه لن يوجد من يؤمن تحت الظروف التي يكفر تحتها الاخرون . ولو وجد من يؤمن تحت مثل هذه الظروف لكان مخطئا ومذنبا وغير مفهوم .

انه لا يمكن تغيير الناس من خبثاء الى فضلاء واتقياء ولا العكس ، وانما يمكن تغيير ظروفهم اى الخارجيه والذاتية ، وتغيير تعبيراتهم واساليبهم ، اي تغيير ازيائهم ولغاتهم واساليبه وصيغ واذواق مواصلاتهم ومعارفهم ومعاملاتهم . ان الفرق بين النبي وداعية المذهب وبين نقيضيهما يساوي الفرق بين معنى واحد يعبر عنه بلغتين او جسد واحد يظهر في زيين مختلفين .

ان الفرق بين النبي وقاتليه هو فرق مستويات او ظروف ذاتية او نفسية او اجتماعية او تاريخية او عقلية ، لا فرق اخلاق او تقوى او طهارة ، ولا فرق محبة او بغضاء للظلام . ان عين النبي ليست اكثر صداقة للنور والجمال ولا اقدر على رؤية الاله او رؤية جماله او جمال مخلوقاته من عيون قاتلي النبي . ان النبي لم ير اكثر او افضل من قاتليه ولكنه احس واراد وقال مخالفا لقاتليه لاختلاف الظروف .

ان الفرق بين النبي وقاتليه ليس فرقا بين من يخاف على عيون الاطفال ان تصاب بالظلام او برؤية العذاب والاهوال ، وبين من يتمنون لها ذلك . انه ليس فرقا بين من يخافون على العيون الجميلة والبريئة من ان تحترق في الجحيم او تشوه بالمرض والموت وبين من يريدون لهذه العيون كل ذلك . .

ان النبي لم يخص بعيون خارقة أو غير معقولة لتستطيع ان ترى في الدمامات والعاهات والآلام والمظالم من جمال الاله ورحمته وعدله وحبه وذكائه ، ومن الخير والنفع للمصابين بذلك اكثر او اعمق مما تستطيع ان ترى عيون قاتليه .

. . انه اي النبي لم يفهم ان الاله محتاج لكي يكون حكيما ومنطقيا وعبقريا الى ان يخلق الدمامات والعاهات والمظالم والآلام اكثر او اصدق

مما فهم ذلك قاتلوه . انه لم يوهب عبقرية هذا الفهم لمطلق الاله حينما اراد ان يمجد الوهيته واخلاقه بخلقه لهذه الآفات الرهيبة .

ان النبي لا يملك تحديقات اقدر على رؤية الاله البعيد الخفي جدا اكثر مما يملك مثل هذه التحديقات قاتلوه . انه ليس عليما بالنيات اكثر من اعدائه وقاتليه لكي يستطيع ان يعرف لغة الاله المتحدثة بواسطة الاشياء والاحداث اكثر مما يستطيع ان يعرفها قاتلوه واعداؤه . انه لم يتعلم هذه اللغة في معهد لم يتعلم فيه اعداؤه ورافضوه .

ان قلب النبي ليس اشد او اعمق عطفا من قلوب خصومه ومخالفيه على احزان الاله وعلى شهواته وعلى جوعه غير المعقول وغير الوقور الى ان يكون معبودا وممدوحا ومهتوفا باسمه ، ومنشدا القصائد والصلوات والضراعات ، والى ان يكون مخوفا مخيفا ، معانيا الاعتراف به .

انه اي النبي ليس اكثر من خصومه والخارجين عليه حماية لمبتي الاله من ان تربا ما قد يعذب ضمير اي ضمير الاله ، او يهين مشاعر الكبرياء والكرامة فيه . انه لا يرجد توافق بين شهوات النبي وشهوات الاله اكثر من التوافق بين شهوات الاله وشهوات اعدائه .

ان الفرق بين النبي واعدائه كالفرق بين ذاته وذواتهم او صحته وصحتهم او مولده ومولدهم او تاريخه وتاريخهم . انه كالفرق بين الصخرة والصخرة او بين النبتة والنبتة . انه فرق وجود وكينونة لا فرق حب او تقوى او ذكاء او طهارة او شموخ .

* *

اذا كنت قويا هابك الناس ولعنوك ، واذا كنت ضعيفا احتقروك وباركوك بل وامتدحوك ، قاصدين ان يذلوك وان يصنوا عن ضعفك وعن استهانة بك ومن تفوقهم عليك ، وقاصدين ايضا ان يدافعوا عن ضعفهم بضعفك . ان ضعفك وضآلتك يتحولان الى كرم والى تمجيد لجبراتك واعدائك . انهما يتحولان الى ثناء سخي على جبرائك ومنافسيك . واذا كنت نافعا للناس حمدوك ولم يحبوك . اما اذا كنت فاضلا او تقيا او نظيفا فقط فانهم لن يهابوك ولن يحمدوك ، وايضا لن يحبوك ، وايضا لن يعاملوك ، وايضا لن يجلدوك او يلتمسوك .

واذا كنت شريرا وطالما ذموك وحسدوك ، ولكنهم لن يحتقروك . واذا

كنت نبيا او قديسا آمنوا بك ومجدوك دون ان يطيعوك او يتبعوك ، او لانهم لن يطيعوك وان يتبعوك ، او لانهم يريدون ان يخالفوك ويعصوك .

ما اعظم مجد الانبياء . ان كل مجدهم ان يمدحوا وان يعصوا ، وان يزعموا كل الفائدة دون ان يوجدوا او حتى يستشاروا في اي موقف من مواقف . انه لا يوجد ممدوح مهزوم منبوذ مثل النبي .

واذا كنت عظيما قرأوا عنك وقصروك دون ان يفهموك ، واحيانا خافوك فصلبوك . اوه . انهم لن يحبوك او لم تكن عظيما او رديئا ، او لو لم يخافوك او يحسدوك ، او لو لم يحبوك او يكرهوك .

واذا كنت غير موجود فانهم لن يحاولوا ان يوجدوك او يجدوك او يبكوك ، وانهم ايضا سوف يتفقون على الا يمدحوك او يذموك . وانك ايضا لن تعذبهم حينئذ ، اي لن تعذب الآخرين حينئذ بالخوف منك او بالحقد عليك او بالاشمئزاز منك ، او بالتناقض والتنافس معك ، او بالتحديق في تفاهاتك وغباواتك وعاهاتك ، وبذنوبك ، وسخافاتك ، وبهمومك وآلامك ، وبكل احتمالاتك وممارساتك الاخرى . او بالتحديق في قوتك وعبقريتك وتفوقك ، وفي مزاياك الاخرى . وانهم ايضا لن يعذبوك . ان التحديق في الآخرين عدوان عليهم ، وايضا عدوان منهم .

انك اذا حدقت في انسان فقد اعتديت عليه واعتدى عليك بتحديقك فيه .

اجل ، ان وجودك عدوان على الآخرين او على بعض الآخرين حتى ولو كنت انت صانع سفنهم للنزول بهم فوق القمر .

وان وجود الآخرين ايضا عدوان عليك .

ان وجودك مهما كان عبقريا لا بد ان يكون عدوانا على احد او على شيء ما .

ان الوجود العبقري قد يكون هو اكثر الاشياء عدوانا على الناس وعلى الاشياء .

وانك ايضا ، اي اذا كنت غير موجود لن تغضب الالهة او ترضيها ، لن تصنع لها السرور والابتسام بايمانك وصلواتك ، ولن تصنع لها الاحزان والبكاء بجحودك وعصيانك وقنوتك — او لن تصنع لها هذا او هذا بآلامك ومراثك . اليس الذي يصنع للالهة السرور والابتسام

يهجوها ويحقرها اكثر من الذي يصنع لها الدموع والاحزان ؟ وهل يحقر الآلهة او يهجوها مثل ان تكون مسرورة تشوى ؟

وانك ايضا ، اي حينما تكون غير موجود لن تجعل السماء باجهزة مخابراتها ومباحثها وبموظفيها ومسئوليها تقاسي وتتعذب بمراقبتك وبالاحصاء عليك ، وبتعديد ذنوبك ، وبالتحديق في آثامك وفضائحك .

نعم ، ان كونك غير موجود يعني اراحة السماء واراحة اجهزتها من الاحصاء عليك ومن الاشتغال بك .

اجل ، ان وجودك يتحول الى تعذيب وتكليف باهظ للسماء ولجميع اجهزة مخابراتها ومباحثها واجهزة الاحصاء فيها ، ولجميع موظفيها ومسئوليها . ان وجودك في كل حالاته وصيغه لن يكون الا عقابا للسماء وخسرانا لها .

انك كيفما كنت عدوان على السماء وارهاق لها .

انك حينئذ اي حين تكون غير موجود لن تصنع مجدا ولا عارا للالهة الواقفة على بابك باهفة وتضرع : تنظر منك وترجوك ببكاء ان تصنع لها المجد وبالا تصنع لها العار . وهل عار الآلهة شيء اتبع من مجدها أوهل مجد الالهة شيء افضل من عارها ؟

اذن فهل الافضل لك او للناس او للحياة او للالهة او لاجهزة السماء المختلفة ولموظفي هذه الاجهزة والمسؤلين عنها ، ان تكون موجودا أم الا تكون ؟ اليس وجودك هو اقسى قسوق بعيون الآلهة وبعيون جميع الاشياء ؟

اذن هل كان وجودك او ايجادك محسوب الخسائر والارباح بذكاء وصدق وامانة ؟ ان انت ربح ! وكيف يمكن ان تكون له ربحا ؟

ما اقساك ايها المؤمن حينما تصنع الاطفال . . ما اشد قسوتك على الآلهة . كيف لا تخشى على الالهة من الاطفال الذين تصنعهم ؟ كيف لا تخشى عليها من زندقتهم وفسوقهم ؟ كيف لا تخشى عليها من احتمالات ذلك ؟

هل يوجد طفل واحد يحمل الامان من ان يكون زنديقا او فسوقا ؟

ما اقساك ايها المؤمن على اجهزة السماء وعلى موظفيها وعلى المسئولين

فيها . ما افتك قسوتك على عيونهم التي لا بد ان تراك محدقة مشتومة ملعونة محتقرة مسخورا منها وبها . هل عيون السماء مزية لها وجمال فيها ام تعذيب وتشويه ؟

اليس من الرحمة بالسماء الا تكون لها عيون ؟

هل قدرت انك بالاطفال الذين تصنعهم قد تصنع غضبا او حزنا لالاه الذي تؤمن به ؟ ان كنت قدرت ذلك ولو احتمالا صغيرا فهل يحتمل ان تكون مؤمنا او محبرما لالاه ؟ وان كنت لم تقدر او تفكر في ذلك فما اعظم ذكاءك واعظم اهتمامك بالهك . انك حينما تصنع طفلا فانت حتما اما غير مؤمن بالاله لهذا لا تخاف له ولا تخاف عليه ، او انك غير مبال به ولا بان يصيبه ما يصيبه من تحقير وشيطنة ومن خروج وعدوان عليه .

ما اقساك ايها الانسان الذي ليس مؤمنا حينما تصنع الاطفال . ما اقساك على الحياة وعلى الآخرين . كيف لا تخشى على الحياة وعلى الآخرين وعلى المذاهب والاخلاق والتعاليم والنظم وعلى الصدق والعدل والذكاء والنظافة من الاطفال الذين تصنعهم ؟ انهم تهديدا لكل ذلك ؟ هل يمكن ان يجيء اي طفل دون ان يتحول الى عدوان على الآخرين او على المذاهب او الاخلاق او التعاليم او النظم او على الصدق او الذكاء او النظافة او العدل ؟

اذن ما اقساك ايها المؤمن .. وما اقساك ايها الانسان الذي ليس مؤمنا .

* *

اذا انت قلت الحقيقة او ما تحسبه الحقيقة وهي في غير حسابانك او وهي اخذ منك او محاكمة لك فلا بد انك تريد وتنوي شيئا اخر غير الحقيقة التي قلت . او لا بد انك بقولك لها تكيد لها ، او انك تعرض نفسك عرضا مزورا او مرضيا ، او انك تحاول ان تخفف من قسوة التناقض بينك وبينها ، او انك تحاول اخفاء هذا التناقض ، او انك تحاول بثمن رخيص وسهل ان تكفر وتعوض عن رفضك لها وخروجك عليها في مواقفك وممارساتك . او لانك تعلم ان قولك لها وثناءك عليها وحديثك المجد عنها لن يسرع بها ، ولن يهبها قوة او انتصارا . او لان فيك شخصين ، شخصا يمدح بالقول وشخصا يرفض ويعادي بالنية

والشهوة والسلوك . وهل يوجد انسان واحد ليس فيه الا شخص واحد ؟ هل يوجد انسان واحد ليس فيه اشخاص عديدون متناقضون له ؟ وايضا متناقضون ؟ او انك تكايد او تغاضب بذلك شخصا آخر او اشخاصا آخرين . ان الانسان ليقاتل بقول الحقيقة التي لا يحترمها كما يقاتل بالسلاح وبقول الباطل الذي يحترمه او الذي لا يحترمه .

انك قد تجعل اعلانك عن الحقيقة التي لا تتوبها او تلتزم بها سلاحا او سبابا او كيدا تقمع او تخيف او تهدد به انسانا او قوما .

ان البشر يقاتلون الحقيقة بالحقيقة والصدق بالصدق ، بقدر ما يقاتلونهما اي الحقيقة والصدق بالباطل والكذب .

اننا قد نقول الحقيقة جدا لاننا نرفضها جدا . اننا قد نقول الحقيقة والصدق بكل الاعلان والجسارة لاننا نرفضهما ونخرج عليهما بكل الاعلان والجسارة .

أيها الملاك .. أنت أبشع جلاد

« .. اني لست واهب اجوبة . اني احول كل جواب الى جنود من الاسئلة التي لا جواب عن واحد منها . اني احول كل جواب قد صاغته وعاشته وبصمت عليه كل الالهة والمعلمين وكل المذاهب والمذهبيين الى اقصى الاسئلة التي يموت كل اله ومعلم ومذهب دون ان يجد عن واحد منها جوابا ..

« .. اني لست نبيا او واعظا او زعيما مذهبيا يضع امام كل سؤال اعدادا هائلة من الاجوبة ، يكون الموت والاتهام بالزندقة او بالخيانة او بالتآمر بعض جزاء وصفات من يشك في واحد منها ، او من لا يصاب بكل تعبيرات ومعاني الجنون حماسا للاقتناع بها كلها ودعوة اليها كلها ودفاعا عنها كلها .

« .. اني لست نبيا او واعظا او زعيما مذهبيا يضع فوق كل تساؤل عن اية دعامة او تفاهة او عبث او غباوة او قسوة او ظلم او بلاهة او الم او جنون او طغيان في الكون او في المجتمعات او في النظم والقوانين ، اعدادا تكبر على الاحصاء من الاجوبة التي تحرسها وتعلنها وتفسرها وتوقعها وتباركها وتقاتل دونها ، اشرس الآلهة واغباها ، او اشرس المذاهب واغباها ، او اشرس المخاوف واغباها ، او اقوى واشرس الجيوش واغباها ..

اني لست نبيا او واعظا او معلما او زعيما مذهبيا يسكت او يرهب او يقتل كل شجاعات كل العقول وكل تساؤلاتها بسطوة الالهة ، او بسطوة المذاهب ، او بسطوة التعاليم والتاريخ ، او بسطوة الجيوش . ما اوقح واقبح سطوة الجيوش .. ما اوقح واقبح الجيوش حينما تذهب تعلم العقول ذكاءها وايمانها .. حينما تذهب تعلم العقول الاقتناع بالالهة او بالمذهب او بالنظام او بالزعيم او بالمعلم .. وحينما تذهب تفسر مزايا الاله او المذهب او النظام او المعلم او الزعيم ، وتدلل على صدقه .. وهل يوجد جيش لا يعلم ذلك ؟ وهل وجد او يوجد جيش لا يتحول الى معلم ومفسر للالهة وللاديان وللمذاهب وللعقول وللنبوات وللانبياء ؟

« ... اني لست نبيا او واعظا او معلما او زعيما مذهبيا يبكت ويرهب ويميت كل ما في العقول والنفوس من احتمالات البسالة و نذكاء. ولكني انسان يحول كل الاشياء الى اسئلة تتصاغر امام اسفرها كل قوى وذكاء وطغيان كل الالهة والمذاهب والزعماء والمعلمين .. انني لا افسر الالام والعاهات والاحزان والمظالم والمفاهات والعبث بتفاسير تتحول الى صلوت للالهه والطبيعة ، والى تكريس للانسان . ولكنني افسر المسرات والملذات تفاسير تتحول الى افتضاح للالهة والطبيعة والى عدوان على الانسان انني لا اضع التفاسير ولكني اعلل ما وضع منها ... انني لا اشيد الهياكل ولكني اهدم ما شيد منها .. انني هادم هياكل .. انني محرض كل المعتقلين في كل الهياكل : ان انطلقوا ، انطلقوا ... »

* *

اي صديقي .. شكرا لك ...

ما اصبر البشر على استعمالهم لانفسهم ، وعلى استعمالهم للعلاقات بينهم ، وعلى استعمالهم للغاتهم ولمخاطباتهم ولمذاهبهم ، وعلى استعمالهم لالهتهم . ما افظع استعمال البشر لالهتهم .

ما افظع تعامل البشر بانفسهم وبالاشياء ، او ما اصبرهم على هذا التعامل ، وما افقرهم لدعاماته .

ما اصبر البشر ، او ما اتفههم واعجبهم وابلدهم واكذبهم ، او ما اكثرهم جمودا في ممارساتهم لكل ذلك ، اي في ممارساتهم لكل معاملاتهم هذه مع انفسهم ومع الآخرين ، ومع اربابهم ومذاهبهم ولغاتهم ، او مع احلامهم وقراءتهم وضياعهم واحزانهم ، او مع محاولاتهم الضائعة لكي يجدوا اوجودهم تفسيرا او تسويغا او منطقا ، او لكي يتحولوا الى امتدار والى دفاع عما لا يمكن الدفاع ولا الاعتذار عنه .

ما اكثر ما يقول البشر ما لا يعنون او يريدون او يفهمون ، او ما لا يعني شيئا ولا يراد به شيء ولا يفهم منه اي شيء . ما اكثر ما يستمعون الى قول من لا يريد ان يقول شيئا او ان يسمع شيئا ، او ان يشير الى شيء ، او ان يثبت شيئا او ان ينفي شيئا ، او ان ينصر شيئا ، او ان يعزم شيئا .. ما اكثر ما ينادون الها لا يعرفونه ولا يعرفون وجوده ولا يعرفون اخلاقه او مذهبه ، ولا يعرفون انه يسمع منهم او انه يستجيب لهم ، بل وهم لا يتوقعون منه شيئا ، ولا يعتبون عليه او يغضبون عليه او يهجرونه اذا لم يفعل شيئا واذا لم يتوقعوا منه ان يفعل شيئا .

ما اكثر ما يتخاطبون مع الله لا يعرفون لغته ولا يعرفون انه يعرف لغة، ولا يعرفون انه يعرف لغتهم . وهل يعرف الاله اية لغة ؟

ما اكثر ما يتعامل البشر بما لا يفهمون ، وبما لا يريدون ، وبما لا يصدقون ، بل بما ينكرون ويرفضون ويكذبون . ما اكثر ما يبدون وكانهم لغة لا يمكن فهمها ولا تفسيرها — كانهم لغة لا يفهمها او يعرفها احد ؛ حتى ولا الذين يتكلمونها . حتى كانهم لغة تنطق فقط دون ان تفهم او تفسر ، ودون ان يريد احد ان يكون لها تفسير او معنى .. حتى الذين يتكلمونها ويتعلمونها ويستمعون اليها لا يفترضون او يفكرون او يريدون او يطالبون ان يكون لها معنى او تفسير . ما اكثر ما يتكلم البشر دون ان يكون في حسابهم ان يتخاطبوا او يتعاملوا او يسمع بعضهم لبعض او يسمع بعضهم بعضا . ما اكثر ما يتكلمون دون ان ينووا الكلام .

حينما قلت ايها الصديق في اول هذه الرسالة : « شكرا لك » هل اردت انا بذلك شيئا ؟ هل اردت حقا ان اهبك شيئا او ان اتقدم اليك بشيء ، هذا الشيء هو الشكر ؟ هل اردت ان اعلمك شيئا او آمرك بشيء او انهاك عن شيء او اخبرك بشيء حينما قلت : « شكرا لك » .

وهل فهمت انت اني اعني شيئا من ذلك بهذه الكلمة المهانة المسحوقة الشرف والكرامة ؟ وهل تاثرت اذن بقولي هذه ؟ هل ارتجفت ، هل تهيأت لفهمها او للاستجابة لها او لتعامل بها وبما تعني ؟ هل تقبلت ، هل رفضت ، هل رضيت ، هل غضبت ، هل حدثت لك اية مشاعر جديدة ؟ هل تغيرت عواطفك او اهواؤك او علاقاتك بي استجابة لهذه الكلمة ؛ لاني وهبتك شكري ، ولانك انت قد فهمت وقومت ما وهبت لك وما قبلت انت ان اهب لك ؟

اليس قولي لك شكرا لا تعني الا : انت تدلني او تخيفني او تحقرني او تجعلني اخجل او احرج او اكذب واتافق او اقول مالا معنى له او مالا يعني شيئا او يعنى به شيء ؟

نعم ، ما معنى الشكر ؟ هل فهمته انت اخذا متقبلا له ؟ هل فهمته انا واهبا له ؟ هل فهم احدنا ما اعطى ، وفهم الآخر ما اخذ ؟ وهل اردت انا ان اخدعك بانني قد اعطيتك شيئا لاخذ ثمنه ، او لاحذ ثمن هذه الخديعة والانخداع ؟

هل اردت انت ان تخدعني بان تاخذ مني شيئا ، او بانك قد تقبلت

مشكورا متفضلا خدعني لك ، او باقناعي بانك قد اقتنعت بأني بارع في صناعة وصياغة الخداع ـ بانك قد اقتنعت باني قادر على ان اخدع الآخرين، قادر على ان اكون خادعا ، او على ان اهب شيئا حتى ولو خديعة الاصدقاء، حتى ولو جعلهم يفتنون بالانخداع او بخدعني لهم ؟

اليس الاقناع ـ حتى ولو خداعا وانخداعا ـ عطاء ما ؟ اليس الخادع معطيا ؟ اليس المخدوع معطى وآخذا ؟ ماهو العطاء ؟ اليس الذي يعطينا خديعة افضل او اقل ايذاء لنا ـ ولو احيانا ـ من الذي يعطينا حقيقة ؟ اليست الخديعة او الانخداع النبل ـ ولو احيانا ـ من الحقيقة ؟

نعم ، اليس الخداع عطاء والانخداع اخذا ؟ اليس ولو احيانا هما افضل ما يعطى وافضل ما يؤخذ ؟

اليس الخيال احيانا افضل واذكى وانظف واشرف من الرؤية ؟ اليس الاحتلام اكثر انسانية ونقوى وبرا بنا من اليقظة ؟ اليست معايشتنا للاحلام خيرا لنا من ممارستنا للواقع ؟ اليس اعطاؤنا الجنة كذبا افضل من اعطائنا النار صدقا ؟ اليس اعطاؤنا النار وعدا افضل من اعطائنا النار تنفيذا ؟ بل اليس اعطاؤنا الجنة وعدا افضل من اعطائنا الجنة تنفيذا ؟ اليس الذي يحدثنا بلا نية ولا تفسير افضل من الذي يحدثنا بنية وبتفسير ؟

هل تقبلت شكري الذي وهبته لك او استقبلته لانك تريد ان تستغلني باخذك مني شيئا هو شكري ، لانك تريد ان تسرق مني شيئا ، او لانك تريد ان ترضيني وتجاملني بتقبلك لما وهبتك وهو شكري ؟ هل في مثل هذا الموقف او في مثل هذه المخاطبات شيء من ذلك ؟

هل نحن ـ انت وانا ـ نتعامل بهذه الكلمة ـ الشكر ـ باي اسلوب او باية نية من اساليب او من نيات التعامل ؟ اذن لماذا نصر على انفاق انفسنا بمثل هذه الاساليب والوسائل العابثة ؟ لماذا ننفق انفسنا دون ان نقصد معنى الانفاق ، ودون ان يكون هناك موضوع او شيء ننفق عليه او فيه ؟ لماذا ننفق انفسنا دون ان نتعامل بانفاقها، ودون ان ننوي التعامل بهذا الانفاق لانفسنا ؟

لماذا نصر على استعمالنا لانفسنا واعضائنا وعلاقات بعضنا ببعض هكذا بلا قصد ولا تفسير ؟ هل نحن عاشون بهذه القسوة ؟ هل نحن موجودون لكي يفرض علينا ان نبدد انفسنا ووجودنا وطاقاتنا فقط كان هذا التبديد هو المنطق العظيم الذي وجدنا من اجله ؟ كأن هناك انها لا يمكن فهمه ،

يحتاج الى ان يعيد ؛ دون ان يوجد اي اسلوب لعبادته سوى ان يبدد التوحيد وجوده بين يديه هكذا ؟

وهل لعبادة اي اله من تفسير غير ان يبدد الموجود وجوده بلا تفسير؟ اليست كل مزايا الاله انه جهاز تبديد ؟

هل منطق وجودنا هو فقط ان نبدد وجودنا ؟ وهل التبديد منطق ؟ هل ارادة التبديد خطة ؟

ولكن هل يوجد اي منطق لاي شيء غير منطق التبديد ؟ هل لاي شيء تفسير او معنى او خطة او وظيفة غير ان يبدد وجوده ، ان يبدد ذاته ، بأي اسلوب ، وبكل اسلوب ، وبلا اسلوب ، وخروجا على كل اسلوب ، وباردا واغبى اسلوب ؟ أليس كل اسلوب وعمل هو تبديدا لان كل وجود ، كل اسلوب وجود هو تبديد ؟

اليست النجوم ، اليست الشمس ، اليست كل الطبيعة بلا منطق ولا تفسير ولا معنى ولا خطة غير ان تبدد وجودها وذواتها بأغبى واقبح اسلوب ، بل بلا اي اسلوب ؟

هل في الكون ما ليس تبديدا او ما يستطيع أن يكون غير تبديد ؟ هل في الكون ماكان خطة او ما كان تمهيدا لخطة او استجابة لاحتياج او لمنطق؟ اذن هل في الوجود ما يستطيع ان يكون غير تبديد ؟

ان اقسى نموذج واضخم نموذج لهذه القضية هو الاله . ان الاله هو اقسى واكبر نموذج للموجود الذي لا منطق ولا تفسير ولا خطة ولا وظيفة لوجوده سوى تبديد وجوده ، سوى تبديد ذاته وطاقاته بكل اسلوب، بلا اي اسلوب ، بأبلد واردأ اسلوب ، بأكثر الاساليب وحشية ، بكل اساليب اقصى اساليب الوحشية ، بكل الاساليب التي هي اكثر وحشية من كل اساليب الوحشية .

ايها الاله . قف ، ماذا تصنع ، ماذا تصنع هنا ؟ لماذا هذا ايها الاله ؟ لماذا تمارس نفسك بهذا الاسلوب ؟ لماذا تبدد طاقاتك هكذا ؟ الا تجد اسلوبا آخر ؟ الا تستطيع الصمت عن العمل ، عن هذا التبديد لذاتك وطاقاتك بمثل هذه الوحشية ، بهذا التفوق على كل وحشية؟

ايها الاله قف وسائل نفسك ، قف وجرب مساءلتك لنفسك قف لتسائلك ايها الاله . ان رغبتنا في مساءلتك تفترسنا . قف لماذا خلقت هذا

الكون ، لماذا خلقتنا ، لماذا خلقت الحشرات؟ ولماذا تقتل هذا الكون وتقتلنا وتقتل الحشرات ؟ لماذا تقتل ما خلقت ، لماذا تخلق لتقتل ؟ لماذا تهدم ما بنيت ، لماذا تبني ثم تهدم ؟

قف ايها الاله . هل رايت نفسك ؟ هل فكرت فيها ؟ هل وضعت عنها ؟ قف واسأل من راوك ايها الاله .

لماذا تخلق ، لماذا تبني ، لماذا تصنع شيئا حتى ولو لم تقتل وتهدم وتفسد ؟ لماذا ؟

هل لك خطة او منطق او هدف او حاجة او رسالة فيما تمارس وتعاني ؟ هل انت تخدم احدا او تطيع احدا ؟

هل يوجد عبث مثل عبثك او في قدرة عبثك ايها الاله العظيم ؟

انت تبدد ذاتك ووجودك وطاقاتك . انت فقط تمارس التبديد حينما تخلق وتبني وتعمل حتى ولو لم تقتل وتهدم وتنقض . ان عملك لا يكون الا تبديدا حتى ولو لم تناقض نفسك ، ان وجودك لا يكون الا اقسى اساليب التبديد حتى ولو قضيت كل وقتك في الصلاة لنفسك وفي الثناء على نفسك .

انت تبدد ذاتك وطاقاتك ووجودك ضدنا وضد الحشرات وضد الطبيعة . الا تستطيع أن تصمت وتكف عن التبديد ؟ ان صمت الالهة لن يكون الا اسلوبا شاملا من أساليب الصمت عن التبديد . هل انت مسخر او موظف او محكوم عليك بان تكون ضد الذكاء وضد المنطق وضد الحكمة والوقار والاحترام للنفس ؟

الا تستطيع أن تبدد نفسك — اذا لم يكن بد من التبديد — باسلوب آخر ، باسلوب لا يتحول الى معاناة أو تعذيب او تشويه لنا او للكون او للحشرات أو الى هجاء لنفسك وتشويه وتعذيب لها بلا ثمن ؟ هل يوجد افضل من ان تتوقف ايها الاله عن التبديد لنفسك ، اي عن ان تعمل اي شيء ؟ ما اثبل صمتك عن العمل ..

قف ايها الاله . ماذا تصنع ؟ لماذا تصنع ؟ لماذا تصنع بهذا الاسلوب؟ لماذا تصنع ضدنا ، ضد الآخرين ؟ جرب ان تصمت ايها الاله ، جرب ان تصمت عن العمل ، عن تبديد ذاتك . جرب وقار ايها الاله . ما اجمل ان يصمت الاله .. ان يصمت عن العمل وعن العطاء وعن الرحمة وعن

التفكير والحب والذكاء ...

ولكن لا تجرب . انت معذور ومغفور لك ايها الاله . انت تبـــدد وجودك ، تبدده ضدنا وضد الاخرين . ولكننا نفهمك ونعذرك ونغفر لك لاننا نحن ايضا نبدد وجودنا ، نبدده ايضا ضد الاخرين ..

اننا نحن وانت متشابهون ـ اننا لسنا افضل منك ، انك لست افضل منا . اننا مستوى واحد وصيغة واحدة .

لهذا نفهمك ونعذرك ونغفر لك ايها الاله . ولكن لا . هل يمكـــن الغفران للاله ؟

اننا نعذرك ـ ونغفر لك اكثر مما نفعل لغيرك او لانفسنا . انـك اكبر ، ان الشيء بقدر ما يكون كبيرا يكون اكثر احتياجا الى تبديد وجوده، ويكون اكبر وايقظ تبديدا . ان الشمس احوج الى تبديد وجودهـا واكثر تبديدا لوجودها من شمعة المعبد . لهذا انت ايها الاله احوج من كـــل شيء ومنا الى تبديد ذاتك ، واكثر منا ومن كل شيء تبديدا لذاتك . ان العبقري احوج الى تبديد ذاته واعلى تبديدا لها من الانسان الصغير . ان العبقري يبدد ذاته ليتحول الى اجهزة تبديد يبدد بها الاخرون ذواتهم .

اننا لهذا نعذرك ونغفر لك ايها الاله اكثر مما نعذر انفسنا او غيـر لنـا ، اكثر مما نعذر اي شيء او نغفر لاي شيء . اننا نعذرك ونغفر لك اكثر مما نعذر العبقري ونغفر له حينما يبدد ذاته ليتحول الى اجهـزة تبديد يبدد بها الاخرون ذواتهم .

ايها الاله افعل ما شئت ، بدد ذاتك بكل اسلوب ، حول تبـديدك لذاتك الى اقـسى تشويه وتعذيب ومعاناة لنا وللطبيعة وللحشرات البريئة . افعل ما شئت ايها الاله فقد غفرنا لك لاننا لا نستطيـع ان نقاومـك او نحاكمك او نعاقبك او نعاتبك باكثر من الغفران لك والاعتذار عنك . ان اردا ما فيك ايها الاله انه لا يمكن محاسبتك او محاكمـك او معاقبتك او معاتبتك باقسى او باقصى من الغفران لك او مـن النـسيان لـك او من التخطي لك او من العجز عن القبض عليك .

ما اقصاك ايها الغافر ، ايها الغافر لالهه . ما اعظم ذنبك ، ما اعظـم واكبر ذنبك ايها الاله ، ايها الاله المغفور له ، ايها الاله المحتاج الى الغفران الاشد احتياجا الى الغفران من كل المحتاجين الى الغفران . هل انت مسرور

أيها الاله بالغفران لك ؟ انه للغفران اقسى منه العقاب . انه غفران من لم يجدوك لكي يحاكموك ويحاسبوك ويعاتبوك . انه اذن ليس غفرانا .

* *

وحينما نقول للاله : « شكرا لك ايها الاله » هل نريد حقا ان نهبه شكرنا ، أن نصنع لقلبه السعادة والابتهاج والرضا بشكرنا ؟ هل في حسابنا ان نحسن الى الاله ، ان نرفع اليه شيئا يسره ؟

وهل في حسابنا ان الاله محتاج الى مجاملات لفظية او عاطفية لاعطائه مسنويات وظروفا نفسية اكثر ابتهاجا وغناء ؟

وهل فهمنا معنى الشكر الذي وهبناه للاله ؟ وهل فكرنا في معناه ، او حاولنا ان نفكر ؟ وهل اردنا معناه ، كل معناه ؟ وهل في حسابنا ان معنى الشكر للاله هو فقط ان نقول له : شكرا ام ان له معنى اخر اكبر واثقل جدا ، يؤدى بوسائل اكبر واثقل جدا ؟ وهل في حسابنا اننا سوف نؤدي له ذلك المعنى الاخر بتلك الوسائل الاخرى ؟ وهل فكرنا في معنى هذا الالتزام للاله او قدرنا حساباته ، او حاسبناه بمحاسبيتنا لقدرتنا عليه ؟ هل وثقنا بان قدرتنا متكافئة مع هذا الالتزام ؟

وهل اقتنعنا بان الاله يريد منا ان نشكره ، او ان شكرنا له يفيده او يرضيه او يسره ، او حتى يسمعه او يدري به ؟ هل اقتنعنا بان الاله مثلنا يعجبه ان يشكر ، ان يشكره الصادقون والكاذبون ، الاذكياء والاغبياء والمتطهرون ، وايضا الاغبياء والضعفاء والعاجزون عن التطهر ؟ هل اقتنعنا بان الاله مثلنا يعجبه ان يشكر ، ان يشكره حتى الذين لا يجدون اي سبب من اسباب الشكر ، حتى الذين يجدون كل اسباب السخط والغضب والانكار ، حتى الذين يتحول شكرهم الى اعنف اساليب الاستهزاء والهجاء لانهم يشكرون حيث يجب ان يرفضوا ويتهموا ويحاكموا من يشكرون .

حتى الذين تنطلق كلمات الشكر من افواههم وكانها افتك الاسلحة واقدرها على القتل ، مسددة الى اخلاق وضمائر ونيات اولئك الذيـن يتلقون منهم الشكر ويستمعون اليه باعجاب وكبرياء وبداوة اخلاق وجلافة نفس ؟

هل اقتنعنا بان الاله سوف يصدق ويفرح حينما يسمع معن اوقع به كل الالام والاحزان والعاهات يقول شكرا لك ايها الاله الطيب وهل عرفنا او وجدنا في الشكر معطى ومقبولا معنى نبيلا او كريما او ذكيا ؟ اليس الشكر دموعا او احزانا او هزيمة او ضعفا او احتجاجا او تورطا او استعطاء

او خداعا او سبابا بلغة اخرى ؟

اليس احيانا فراغا وضياعا وتقليدا وبلادة ومطاردة وسخفا ؟

اليس الارتياح الى الشكر والترحيب به والاستزادة منه والتقبل له والجزاء عليه تفاهة وضآلة وبداوة وطفولة وقسوة واذلالا وصلفا ؟

اليس احيانا اصغر واقل من ذلك ؟ اليس احيانا هو اكبر من كل هجاء وخسة ؟

وهل عرفنا واقتنعنا بالاسلوب الذي يجب ان نصوغ وان نقدم به شكرنا الى الاله ؛ والذي لا بد ان يقبله وان يرضى عنه اسلوبا لشكره او افضل الاساليب لشكره ؟

وهل عرفنا باسلوب جيد ان شكرنا له لن يغيظه او يغضبه او يحرجه او يخجله او يورطه او يسيء اليه ، الى سمعته او الى اخلاقه او الى ذكائه او الى وقاره وانزانه ، او انه ان يزمه بشيء لا يريده او لا يستطيعه او لا يجرؤ عليه ؟

اليس الشكر احيانا الزاما بشيء او مطالبة بشيء ؟ اليس احيانا احراجا ؟ اليس من يشكرنا — كمن يعجب بنا ، او يصلي لنا ، او يعتمد علينا — اليس يسطو على مشاعرنا ويدفها ، — اليس يطارد مشاعرنا ويسقط عليها ؟ بل اليس يهددها بالعقاب والرفض والهجاء ؟ انيس الشكر هو دائما اسلوبا من اساليب الهجوم ؟ اليس الشاكر هو دائما محاربا ؟ اليس الشاكر هو دائما مهددا المشكور ؟

لقد شكرنا بشروط ، بشروطه هو ؛ اذن يجب الخضوع لهذه الشروط والا فانه سيعاقبنا ويرفضنا ويكفر بنا . لقد شكرنا او اعجب بنا او صلى لنا او اعتمد علينا . اذن فقد يفعل بنا النقيض اذا لم نخضع لشروطه او اذا لم نكن عند ظنه ؛ او اذا لم نكن حيث تتجه اهواؤه . ان الشاكر ليس الا شروطا مهددة ، انه شروط يفرضها ويكتبها جانب واحد .

وهل عرفنا ان الاله يعرف كل لغاتنا التي نكلمه بها واننا نخاطبه بها حينما نصلي له وحينما نشكره على ما فعل بنا او على ما فعل ضدنا او على ما فعل دون ان يكون بنا او ضدنا — وايضا حينما نصلي له ونشكره على عالم يفعل وعلى مالا يمكن ان يفعل ، وعلى ما نحاكم وتعاقب به غيره لو فعله ؟

هل عرفنا انه يعرف كل هذه اللغات التي نصلي ونشكر بها ؟ هل عرفنا ذلك ؟ هل عرفناه ؟

لماذا لا توجد في حساباتنا احتمالات اخرى ؟ لماذا لا يوجد في حساباتنا ان للاله لغة اخرى لا يعرف غيرها او لا يريد ان يخاطب بغيرها او ان يسمع غيرها ؟

هل عرفنا انه يعرف اية لغة من اللغات ؟ لعله لا يعرف اية لغة . اليست اللغة تعددا ومجتمعا ؟ هل يمكن ان تصنع الوحدانية اية لغة ؟ هل الوحدانية خالقة لاية لغة ؟ هل الذي يكون وحده ويعيش وحده يحتاج الى اللغات والى تعلمها ؟ اليس تعلم اللغات معاناة ؟ هل الذي لا يحتاج الى المعاناة يحتاج الى تعلم اية لغة ؟ اليس الذي يخاطب الاله بأية لغة يهجوه كالذي يحاول او يريد ان يعلمه اية لغة ؟

اليست اللغات تساؤلا وبحثا عن الفهم ومحاولة من محاولات الحياة في الآخرين ومع الآخرين ومن محاولات افرار اليهم ومشاربتهم ومشاتمتهم ، ومن محاولات الفرار من الذات ومن الوحدة ؟

اذن كيف يمكن ان يكون الاله محتاجا الى اية لغة ؟ ان احتياجه الى اية لغة والى ممارسة اية لغة هجاء انبم له . ان معرفة اللغات والتكلم بها والاستماع اليها وقراءتها ليست اخلاق او مستويات اله .

ان كل الناس في جميع العصور كانوا يصلون للاله ويدعونه بكل لهفة وضراعة واخلاص وايمان ، ويلفون اليه بكل احتياجاتهم وآمالهم وهمومهم بكل اللغات ، وعلى جميع مستويات الصدق والحب والاقناع والشوق والنظافة والتطلع ، لقد كانوا يهبونه كل ثقتهم بلا حدود ، محولين هذه الثقة الى ضراعات والى مطالب لاهثة متلهفة ، مسقطة من نفسها كل كرامة وكبرياء وشجاعة واباء .

لقد كان كل الناس في جميع العصور وفي جميع المجتمعات وتحت كل الظروف وفي كل العابد ، اتباعا ورعايا لكل الانبياء والدعاة ، لكل الكتب المقدسة ـ لقد كانوا يتضرعون ويضرعون ويبكون متقدمين بكل طلباتهم واحتياجاتهم ومناشداتهم واحزانهم وآمالهم وأفتنانهم وحبهم وخوفهم وصدقهم ، الى الاله بكل اللغات ، باساليب ومدلات ترق لها الصخور ، وترق لها الابالسة وتخجل منها وتخجل لها الابالسة . ولكنه ـ سبحانه

وتعالى ـ لم يكن يستجيب لاحد ، او يرق لاحد ، او يخجل لاحد ، او يخجل من احد . لقد كانت جميع دعوات البشر ومطالبهم الضارعةالباكية تسقط تحت قدميه ، ودون اذنيه وبعيدا عن اذنيه ، لا تجرحهما ، ولا تؤلمهما . لقد كانت جميع تضرعات البشر ودعواتهم ومطالباتهم تموت تحت قدمي الاله وصمته دون رثاء .

لقد كان محتوما ان تموت الوحوش وتفتت الصخور حزنا ورثاء لدعوات ومطالب البشر ولضراعاتهم وصلواتهم المتهاوية تحت اقدام الاله وبعيدا عن اذنيه ، مهزومة ذليلة مرفوضة فلو كانت الوحوش والصخور تعرف اللغات التي كان البشر يدعون ويتضرعون ويصلون بها الى الههم الذي لا يستجيب ولا يطالبهم ان يكفوا ولا يقنعهم بأن يكفوا . انه لم يكن يستجيب لتضرعاتهم . اذن لماذا لم يفهمهم ذلك ، ويطالبهم او يقنعهم بالا يدعوا ويتضرعوا ؟

ان اساليب القسوة وصور الدمامة في هذا الكون لا تسيطر لهما ولا رحمة فيها . ولكن اليس اقسى هذه الاساليب قسوة واكثر هذه الصور الدميمة دمامة هي العلاقات بين البشر المؤمنين والاله .. هذه الدعوات والتضرعات والصلوات والمناشدات الهاتفة المنادية الباكية ابدا ، والمؤملة ابدا ، والمكررة المؤمنة المنتظرة ابدا ، والمرفوضة ابدا .

هذه الدعوات والتضرعات التي لا تجد من يرثي لها او يخجل لها ولا تكره نفسها ، ولا تخجل من نفسها ، ولا تغضب لنفسها من كثرةوطول الابتذال والتكرار والرفض .

هذه الدعوات والتضرعات التي لا تجد من يرثي لها او يخجل لها او يغضب لها او ينتصر لها .

وهذا الاله الصامت ابدا ، والرافض ابدا ، والغائب ابدا ، والمشغول بنفسه ابدا ، والقاسي ابدا ، والمعرض ابدا ـ هذا الاله الذي لا يمل ان يصمت ، ويرفض ويعرض ويقسو ويهزأ .

هل توجد قسوة او دمامة اكبر من ذلك ، اكبر او ابشع من هذه العلاقات بين هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ويتضرعون ويصلون ويطلون ابدا مرفوضين ، يلحون ويؤملون وينتظرون ويؤمنون ، وبين هذا الاله الصامت الرافض الغائب اللاهي القاسي المعرض ابدا ، ابدا ؟

هل توجد وحشية او دمامة اقطع من هذه العلاقات بين الاله والمؤمنين،

من انتظارهم واخلافه ، ومن صراخهم وصمته ، ومن ايمانهم ورفضه ، ومن حضورهم وغيبته ، ومن انهيارهم الدائم وصلابته الدائمة ، من دموعهم الدائمة ومن قدرته الهائلة على القسوة في مواجهة هذه الدموع ؟

لماذا هذا ؟ لماذا لا يرق الاله او يسمع او يستجيب لهذه الدعوات والتضرعات ؟ لماذا لا يفعل شيئا من ذلك ؟ لماذا لا يرق ويستجيب ولو لبعض هذه الدعوات والطلبات ولو حياء او تهذبا او قرارا من قسوة المناشدة وديمومتها ومضايقاتها ؟ لماذا لا يسمع ؟ لماذا لا يتعذب سمعه ؟

هل توجد مناشدة منتظرة مثابرة كمناشدة المؤمنين ، وهل يوجد رفض مثابر مقنط كرفض الاله ؟

هل يمكن ان يوجد اي احتمال لموقف الاله هذا سوى احتمال واحد ، سوى احتمال واحد فيه كل الدفاع عنه والتكريم له ، فيه تنزيهه والارتفاع به عن الاحتمالات الاخرى الفظيعة ؟

هل يمكن أن يكون تهدأ اي تفسير او منطق غير الافتراض بالاقتناع بان الاله لا يعرف اية لغة من اللغات ، انه لا يدري بالطلبات الضارعة الدائمة التي تقدم اليه . ان المؤمنين يخاطبونه بلغة لا يعرفها . وهل يوجد تفسير للدفاع عن الاله مثل هذا التفسير ؟ بل هل يوجد تفسير غير هذا التفسير الدفاع عن صمت الاله امام مواكب البشر الراكعين تحت قدميه يدعون ويؤملون دون ان يقول ولو مرة واحدة لواحد منهم : انهض فقد قبلت دعوتك .

... والمشكلة الدائمة ان المؤمنين لن يعرفوا هذه الحقيقة ولن يحولوها ولو الى شك . انهم سيظلون ابدا يعتقدون بانه يعرف كل لغاتهم ، حتى لغاتهم التي يجب ان يتنزه ويتقدس عن معرفتها وعن الاستماع اليها وعن مخاطبته بها . وهل يمكن ان يفهم المؤمنون — ولو احيانا — انه ليس شرفا او مجدا للاله دائما ان يعرف لغاتهم ، وانه ليس تقصانا فيه ولا الا له الا يعرف لغاتهم أو كثيرا من لغاتهم ؟

والمشكلة الدائمة الاخرى انهم اي المؤمنين لو عرفوا هذه الحقيقة ، لو عرفوا ان الاله لا يعرف أية لغة من لغاتهم لما وجدوا او عرفوا وسيلة اخرى يخاطبونه ويرفعون اليه طلباتهم ومناشداتهم بها . وحينئذ فقد

يصمتون البتة عن مناشدة الاله والتضرع اليه ومطالبته بأي شيء . وهذا قد تكون فيه راحة ووقار لهم ، أي ان فعلوه أو لو فعلوه .

وفي احتمال اخر قد يحاولون ان يخترعوا لغة جديدة ، ثم يحاولون أن يحولوها الى لغة عالمية يتكلمها كل البشر ، ثم يصنعون وسيلة ما ، لكي يعلموا الاله هذه اللغة التي يتكلمونها جميعا ، لكي يخاطبوه ويتقدموا بطلباتهم وضراعاتهم اليه بها .

وقد يكون في القضية احتمالات اخرى قد تكون افضل ، او اقل بشاعة وارهاقا وسخفا . وهل يوجد في جميع الاحتمالات الرديئة والمخيفة احتمال اكثر قبحا وقسوة وبلادة مما هو حادث ؟ هل يوجد في جميع الاحتمالات اكثر سوءا من ان يظل المؤمنون يدعون ويتضرعون وينتظرون ، بينما يظل الاله صامتا راقصا اما لانه لا يعرف ما يقولون لانه لا يعرف اللغات ، واما لانه لا يريد أن يستجيب ولا ان يبالي بما يقولون ؟ ايهما افظع : أن تكون الاله لا يعرف اللغات التي يخاطب بها او لا يريد ان يجيب او لا يستطيع ان يجيب ؟ أليس كل اله لا بد ان تكون مصابا باحدى الآفات الثلاث : لا يعرف اللغات أو لا يريد ان يستجيب او لا يستطيع ذلك ؟

* * *

وحينما دعوتك « بصديقي » ، هل كنت انا مقتنعا حقا بانك صديقي ؟ وهل اردت ذلك ، واردت اعلانه والاعتراف به ؟ هل اردت تقرير هذه الصداقة وتثبيت معالمها وقوتها وديمومتها ؟

هل فهمت تفاسير الصداقة وقررت الالتزام بهذه التفاسير سلوكا واعتقادا مهما كانت تكاليفها وهمومها وذنوبها وتوريطاتها ؟

وماذا قصدت او اردت من اعلانها اي من اعلان الصداقة ؟ ولماذا اخبرتك ؟ هل اردت ان اؤدي رسالة كونية او انسانية ؟ وهل عرفت انك تقبل ان تكون صديقي أو ان اكون انا صديقك ، وان اعلن عن ذلك ؟ او هل عرفت انك قد صدقتني حينما زعمتك ودعوتك صديقي ؟

وكيف جرؤت على ان اجعلك صديقي بلا تعاقد .. دون موافقتك بل دون استئذانك او سماع رايك ؟

أليست الصداقة عقدا او تعاملا بين اثنين او اكثر ؟ أليس محتوما او مطلوبا ان يرضى الطرفان بهذا العقد والتعامل به ، ويوافقا عليه . والا كان اسلوبا من اساليب العدوان او المطاردة او الاضطهاد او السخف او

المذالة ؟ الا يمكن ان يكون في الصداقة ولو احيانا كل معاني وتفاسير واساليب وحوافز ونيات المعتدي والمطارد والمضطهد والسخيف والمذل ؟

واذا لم يكن الصديق هو كل هذه الصفات والمعاني او بعضها فما هو اذن ؟ ان الصداقة ليست بحثا عن اله يراد منه الا يكون موجودا .

كيف نفرض على انسان صداقتك دون استئذانه ورضاه وموافقته ، ودون ان تعلم بملاءمة صداقتك له ؟ اليس مثل هذه الصداقة اسلوبا فظيعا من اساليب السقوط على الآخرين ؟

اليس في الصداقة ، في كثير من الصداقات كل معاني السقوط على مشاعر الاخرين وعلى اخلاقهم وافكارهم وعيوبهم ، بل على ذواتهم وعلى مثلهم وقيمهم وعلى حدودهم الاجتماعية والتاريخية والانسانية ؟ ولكن اليس سقوط الشيء على الشيء معنى من معاني الوجود ؟ اليس سقوط الانسان على الانسان احتياجا في الساقط والمسقوط عليه ؟ اليس تداويا من تفاهة وجودهما وتسويفا لما لا يمكن تسويفه ؟

وحينما دعوتك بصديقي هل عرفت انا انك تعرف معاني الصداقة ، او انك قد تستجيب لها او تلتزم بها ، او انك قد تراها — اي قد ترى الصداقة — عقدا رابحا في حساباتك ، او عقدا ملائما لك ؟ الا يحتمل ان يكون في هذا فرض للصداقة من جانب واحد ؟ اليس مثل هذا الفرض ظلما وعدوانا وسخفا ووقاحة وبلادة ومخاطرة ؟

ولكن اليست الحياة بدون هذا الظلم والسخف والعدوان والوقاحة والبلادة والمخاطرة شيئا اكثر قبحا وعدوانا وسوءا ؟

وهل عرفنا انت وانا اننا متشابهان او متكافئان او متلائمان او قادران على ان نكونا صديقين ، وان نسعد بهذه الكينونة او ان نرضى عنها ؟ هل عرفنا ان خصائصنا او امزجتنا او مستوياتنا او اخلاقنا لا ترفض ذلك ، او انها تأذن به وتباركه ، وتجعل منه شيئا طيبا او مفيدا او حتى مقبولا ؟ اليس التلاؤم والتوافق ، او حتى التقارب والتشابه بين الصديقين او الاصدقاء في المستويات والاهواء والاخلاق والخصائص والظروف والذكاء مطلوبا ان لم يكن مفروضا ومشروطا ؟

ولكن اليس التنافر والتفاوت والتناقض والتصادم ايضا شيئا مطلوبا ومريحا ان لم يكن مطلوبا ومريحا اكثر ؟

* * *

اذن ما اصبر البشر ، او ما اعجبهم ، او ما اشد تفاهتهم وغباءهم واكثر اكاذيبهم ؛ او ما اجمد جمودهم في ممارساتهم لانفسهم وللغالبهم ولمخاطبات بعضهم لبعض ولعلاقات بعضهم ببعض ، ولممارساتهم لاربابهم ومذاهبهم وافكارهم ونظرياتهم وعواطفهم ولجميع مواقفهم المماثلة ، بل ولممارساتهم لاعضائهم ولاحرائهم ولمبراتهم .

ما اصبر البشر وما اعجبهم وتفههم واكذبهم واشيعهم وابلدهم واكثرهم جمودا وسخفا وضياعا وتبددا وتبديدا لوجودهم . ولكن هل يكونون اكثر سعادة وذكاء ومجدا لو لم يكونوا كذلك ؟ وهل يكون حينئذ اعجاب الشمس بهم وحبها لهم ، او اعجاب الاله بهم وحبه لهم اعظم او اقل ؟

ما اقطع هذا . اني انقد وارفض ؛ ثم افعل باصرار وحماس واعلان وشهوة كل هذا الذي انقده وارفضه . ما اقطع هذا ، ما اقطع ممارسة الانسان لنفسه ، لوجوده . ما اقطع ممارسة كل موجود لوجوده . اننا لا نرى هذه اتقطاعة لانها هي التي تصوغ عيوننا ، وهي التي تصنع مشاعرنا بها ونحوها . انها هي الناقدة لنفسها والمحامية لها المدافعة عنها ، انا نحن المرآة ونحن الوجه . ما اسخف هذا . ولكن اليست اصدق مرآة يرى بها اي وجه وجهه هي نفس ذلك الوجه ؟ اليست مرآة كل شيء هي وجهه ؟

هل يوجد من يرى وجهه بغير وجهه ؟ هل يوجد من يستطيع ان يرى المرآة الا بوجهه ؟

* *

لقد اردت ايها الصديق ان تالع في مجاملتي وفي اثنائك علي ، وثنائك لالامي وتعويضا عليها ، فوصفتني بما ظننته كل التمجيد والتعزية والتعويض والعطف على احزاني المعلنة والعاطفة والتاريخية والذاتية .
لقد وصفتني ايها الصديق بالملاك . وحتما قد وضعت في خيالك وحساباتك

ـ حينما القيت علي بهذا الوصف ـ كل ما في خيالك وحساباتك عن السماء من نظافة ومجد وارتفاع وتقوى . انك حينما تقمصت بوصفي بالملاك كنت حينما ترثي لي اشفاقا علي من هول شعوري وتقواي ونظافتي ومجادي التي تعيش في السماء والتي تعيش كل فضائل والتزامات السماء لانك تعرف حتما ان معاناة اخلاق السماء ومعاناة مستوياتها تعذيب وليس مزية . ان كونك شمسا ارهاق لك لا تفضيل .

ولكن هل عرفت حقا انك قد جاملتني او انك قد انبت علي حينما وهبتني هذا الثناء او هذا الهجاء ؟ الا يقع في تصورك احتمال اخر ؟ الا يقع في تصورك ـ ولو احتمالا ـ انك قد بالغت جدا في تحقيري وذمي حينما اطلقت علي كلمة « الملاك » ؟ انت حتما كنت في نيتك تمجدني جدا بهذا الوصف كما كنت حتما ترحمني من قسوة فضائلي علي لانها فضائل ملاك . وهل يوجد من هو احق بالرحمة ممن يعيش فضائل الملاك ؟

هل استاذنتني في اطلاق هذه الكلمة علي قبل اطلاقها ؟ هل عرفت انها امتداح ؟ هل عرفت انها ليست اقسى اساليب الهجاء ؟ هل عرفت ان ذلك سيوقف يرضيني ؟ لماذا لم تقدر النقيض ؟ لماذا ؟ هل اردت هجائي ؟ لماذا ؟ لا اظن انك قد اردت ذلك . اذن لماذا فعلت ؟

نعم ، ان هذا الثناء ثناء تاريخي . لقد مضى كل الناس في كل التاريخ يثنون على من يريدون المبالغة في الثناء عليه بان يصفوه بالملائكية . لقد مضى الناس يقلد بعضهم بعضا في هذا الثناء . وقد كانت ضمائر كثيرين منهم تعتذر الى الملائكة . لقد كان اصحاب هذه الضمائر يعتقدون انهم يحقرون الملائكة ويصنعون لهم الغضب والشعور بالحقارة والمرارة حينما يمتدحون احدا بانه شبيه لهم في شيء من مزاياهم .

ان احدا لم يعتقد انه يحقر من يجعلهم اشباها للملائكة . لقد كان الملائكة نماذج خرافية لتصورات طفولتنا والتزام آذاننا .

لقد مضى الناس ـ رافضين لاحتجاج ضمائرهم ـ يقلد بعضهم بعضا في امتداحهم لمن يريدون ان يبالغوا في امتداحه بأن يصفوه بالملاك ، دون ان تجعلهم ضمائرهم المحتجة يهابون هذا التحقير البالغ فيه جدا للملائكة . ان الرغبة في التصورات الضخمة تنتصر دائما على وقار الانسان وعلى ذكائه وعلى تقواه وضميره . ان التصورات الضخمة نوع من التمويض عن

انفقدان الضخم الاليم وعن كل انواع العجز .

حتى الاديان والكتب المقدسة لقد فعلت ذلك ـ لقد تلدت في هذا الشاء . لعل الاديان والكتب المقدسة هي دائما تقليد واتباع مهما بدلت او ظنت ابتكارا وتجديدا .

ولكن هل الاديان والكتب المنزلة تقلد ؟ لعلها هي المقلدة . لعلها هي التي صنعت هذا التقليد ، او هذا الشاء الذي تحول الى تقليد ؟ لعل الاديان والكتب المقدسة هي البادئة بتصور الملائكية شاء ومجدا .

ولكن هل يحتمل ان يكون ذلك افتراضا مقبولا ؟ هل يحتمل ان الاديان والكتب المنزلة هي التي تبتكر للناس تقاليدهم وتعاليمهم بل او اخلاقهم او مشاعرهم او لغاتهم ، او حتى تقواهم وصفات اربابهم ؟

هل النبي او الدين او الكتاب المنزل يبتكر نفسه او يصوغها او يجدها داخل ذاته ؟ هل يجدها موضوعة تنتظره داخل المغارات والكهوف المهجورة ، او يقرؤها مكتوبة على النجوم في تطلعاته اليها ؟

هل النبي او الدين او الكتاب المنزل يخلق نفسه ام يجدها في السوق ـ هل يجد نفسه في السوق ، في المدنة ونيات وامالي وجوع واحلام الجماهير الضعيفة المتخلفة البدوية جدا ، ام يجدها فوق المجرات ؟

هل الانبياء والاديان والكتب المقدسة تعطي المجتمعات ام تأخذ منها ، هل تعلمها ام تتعلم منها ؟

هل تتعلم منها وتعلمها ومن يعلم المعلم ؟ وكيف يتعلم ؟ وكيف يصبح معلما ؟ واذا كانت الاديان والانبياء والكتب المقدسة تعطي المجتمعات وتعلمها فهل تعطيها وتعلمها عطايا وتعاليم مستوردة من السماء ومصنوعة في السماء وعلى مقاسات السماء ، ام تعطيها وتعلمها ما اخذت وما تعلمت منها ؟

هل تعطيها وتعلمها كبرياء وذكاء وضخامة السماء ، ام تعطيها وتعلمها اتضاع البشر وتلونها واوهامها وغباءها وبلاءاتها وحماقاتها وصغائرها الاليمة ؟

هل الانبياء قوم يقدمون من السماء ليعلموا منطق من يعيشون في السماء ام يخرجون من الارض ليعلموا منطق من يعيشون الام وضعف الارض ؟

هل الانبياء معلمون ام متعلمون ؟ هل هم انبياء ام اتباع ؟ هل الانبياء قادة ام رعايا قد تحولوا الى قادة لانهم اكثر الرعايا تعبيرا عن مستويات واخلاق الرعايا ؟ لانهم اكثر الرعايا استيعابا لمعاني ومنطق الرعايا أهل الانبياء يعلمون الجماهير ذواتهم ام الجماهير تعلم الانبياء مستوياتها ومزاجاتها واخلاقهـــا ؟

هل الانبياء قوم يعلمون السوق المنطق ام هم قوم يعلمون مـــن السوق الخروج على المنطق وضعف المنطق ؟

ايهم الانبياء ، وايهم الجماهير ؟ هل الانبياء هم انبياء الجماهير ، ام الجماهير هي انبياء الانبياء ؟ هل الانبياء اكبر من الجماهـــير او فوق الجماهير ؟ هل هم اذكى ام اعلى صراخا ؟

هل الانبياء والاديان والكتب المنزلة ابتداع من الفراغ ، ام هي تجميع وتركيز وتوكيد وتكرار والحاح وطرق دائم عنيف على الباب القديم الذي كان موجودا بالايدي القديمة التي كانت موجودة ؟

هل الاديان والنبوات والكتب المقدســة الا قراءة للناس على انفسهم ، والا تعليمهم مافي انفسهم وتعليمهم لانفسهم ؟ اليست هي ماكان ، موعوما بصراخ انه ما لم يكن ؟ اليس النبي هو الذي يعلم الناس بكاء وعـذاب وتطلع الى النجوم مما تعلم منهم ؟ اليس الفرق بين النبي وجماهيره فرقا في الاسلوب لا في المـــتوى ؟ اليـس مستوى النبي هو مستوى السوق فـد جاء صارخا وباكيا وحزينا وضارعا ومنحا ومتجمعا ومتكررا ؟

اليس النبي هو الذي يحدث الناس عن احزانهم وتفاهاتهم واحتلاماتهم التي سمعهم يتحدثون عنها ، والتي تعلمها ذاته واعضاؤه من اعضاء الناس ومن ذواتهم ، لان ذاته واعضاءه ليست الا ابتكار ذواتهم واعضائهم ، ولان احزانه وتفاهاته واحتلاماته ليست الا تلقين وتوزيع احزانهم وتفاهاتهـم واحتلاماتهم ؟ اليس النبي انسانا تتجمع فيه الجماهير باسلوب عنيف : تتجمع فيه اخلاق الجماهير وعواطفها وضياعها وحيرتها وصراخها ولغاتها النفسية والفكرية والتعبيرية ؟ اليس هو الجماهير باسلوب اشمل واعنف ؟

ان كان النبي هو الذي يعلم الناس فمن يعلمه هو ، وان كان يتعلـم من الناس فمن يعلم الناس ؟ اليس معلم النبي ومعلم الناس هو معلمـا واحدا ؟ اليـس معلم الحشرات : معلم قادتها واتباعها او صغارها وكبارها معلما واحدا ؟ اليس معلمنا الصلاة والحب هو معلمنا البـــاب والبغض ؟

ولكن هل النبوة تعليم ام جوع ؟ أليست جوعا قد تحول الى تعليم والى تعاليم ؛ قد تحول الى نبوة ؟ هل النبي يعرف تعاليم اكثر ام يعاني آلاما واحاسيس وظروفا اقسى ، ويعبر باسلوب اكثر بكاء واذلالا للذكاء والكبرياء ؟

هل الانبياء هم الذين يعرفون اكثر ام هم الذين يعيشون في السوق ويطاردونها ويصرخون فيها اكثر واقوى ؟

* *

هل عرفت او تصورت ايها الصديق ما هي اخلاق الملائكة التي اردت ان تمجدني بها ؟ هل فكرت فيها ؟ هل قرأت عنها ؟ هل جربتها ، هل رأيتها ؟ هل رأيت من رآها او من جربها ؟ هل عرفت اخلاقهم ، وبأية وسيلة عرفتها ؟ هل حدثك عنها المحدثون ؟ هل حدثوك عنها بعد ان جربوها ، بعد ان زاروا الملائكة او زارتهم الملائكة ، وبعد ان تعاملوا معهم كل اساليب المعاملات وتحت كل الظروف التي تمتحن الاخلاق والتي تقاسي منها الاخلاق ؟

ما عمل الملائكة وما اخلاقهم وما نياتهم ؟ هل هم انسانيون ، هل هم اتقياء ، هل هم اصدقاء ؟

هل هم ديمقراطيون ؛ هل هم ثوار وفداليون ضد الطغاة والطغيان ؟ هل هم اعوان للطغاة ومستشارون جيدون جدا لهم ؟ هل لهم ضمائر واحاسيس ترفض او تغضب او تقاوم ؟ هل هم منطق او تفكير يحاسب وينقد ويحتج ام هم آلات وادوات كالاعاصير والزلازل والاوبئة والموت والخراب والقحط ؟

هل الادوات والآلات ــ في قبضة الطغيان وتحكمه ــ ذات اخلاق وتقوى ؟ هل الزلازل والبراكين والاوبئة والقحط والموت والخراب نماذج للفضيلة والامتداح والتدين ؟

أليس الملائكة زلازل وبراكين وخرابا وموتا وقحطا واوبئة ؟ أليسوا كائنات تنفذ الاوامر الالهية الرهيبة في هذا الكون وفي الحياة وفي الناس ــ تنفذ الاوامر الشريرة بطاعة وتدين واخلاص وحماس ضد الكون والحياة والناس ؛ دون ان تعصى او تقاوم او تراجع او تتألم او تحزن او تبكي او تغضب او تتخاطب مع ضمائرها او مع اخلاقها ؟

اليست اخلاق الملائكة وضمائرها هي ان تطيع الاوامر الكتيبية العدوانية : اوامر القتل والتعذيب والتشويه والتدمير والانتقام بلا ذنوب؟

... ان تطيع هذه الاوامر الموجهة اليها من اطغى وحشية في هذا الكون ؟

هل طاعة الاوامر المتوحشة وانفاذها فضيلة او تقوى ؟ اذن ماهي الرذيلة والفسوق والفجور ؟

اليست كل تقوى الملائكة وصلواتهم وفضائلهم وايمانهم ان ينكروا الاله ويقدسوه وينزهوه كلما قتل او فتك او عذب او اهان او افقر ، او فعل شيئا رهيبا اليما ؟

... كلما عقب او شوه او امرض او اذل او اماب شيخا او طفلا او حيوانا بريئا او حشرة مؤمنة تمضي كل وقتها في تسبيح الاله والصلاة له وفي الثناء عليه وفي التحدث عن مجده وحبه ورحمته ؟

اليس كل عمل الملائكة ان يقتلوا هذا ، او يمرضوا هذا ، او يفقروا هذا ، او يشوهوا هذا ، او يهزموا هذا ، او يذلوا هذا ، او يفرقوا هذا ، او يصيبوا هذا او هذا ، او كل هؤلاء بالآفات والعاهات والتشوهات وبكل المظالم والاحزان والثكل واليتم والفقد ؟

اليس كل عملهم ان يقاوا ، ويضعفوا ، ويكيدوا ، وان ينفذوا الى العقول والضمائر والرغبات والشهوات والى الاعضاء والنباتليضعوا فيها ويحببوا اليها كل الوان وجنسيات الفساد والغواية والشرور ؟

اليس كل عملهم ان يعدوا الجحيم وكل ادوات التعذيب والانتقام والعقاب للبشر البائسين ، وان يضربوا الحراسة عليهم في الجحيم لئلا يهربوا او يخرجوا منها ، وان يضربوا الحراسة على الجحيم لئلا تطفىء او تسرق او تهدم او تزال بقرار دولي او بقرار صحي او بثورة عالمية ؟ اليس افضل واتقى اعمالهم اي اعمال الملائكة ان يحموا الجحيم من كل القرارات او الثورات العالمية او الكونية التي قد تغلقه او تهدمه او تحوله الى شيء افضل ؟

اليس الملائكة هم صناع النار ومسعريها وسدنتها وحراسها وبوابيها وحجابها وجامعي الوقود لها ؟ اليس الملائكة كائنات نارية : يشيدون النار ،

ويوقدونها ، ويحرسونها ، ويدلون عليها ، ويدخلون فيها ، ويتحدثون منها ، ويحرصون عليها ، ويعيشونها باخلاقهم ومشاعرهم ومنطقهم ومكانهم ، دون ان يقاوموها او يستفظعوها ويرفضوها او يرفضوا العمل فيها او يتهيبوا النظر الى وجه من يعاقب بها ؟

اليس عمل الملائكة ان يحرسوا ضمير الاله واخلاقه وعقله وعواطفه ودموعه لئلا تصاب بالرقة او بالرحمة او بالعطف — لئلا تستجيب او تضعف او تنهار امام الالام والويلات التي يعاني منها البشر في دار العقاب والانتقام التي اعدها واعد كل ما فيها من فنون الشر والتشويه والغضب الملائكة انفسهم ؟ لقد كان اعظم ثناء صاغه الكتاب المنزل للملائكة قوله : « عليها — اي على النار — ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون » . وهل يوجد هجاء اقسى من هذا الثناء ؟ انهم غلاظ شداد في طاعتهم لطاغيتهم .

اليس كل عمل الملائكة ان يحرضوا قسوة الاله وغضبه وعذابه وقوته الباطشة على البشر المقهورين ؟ انهم هم قسوة الاله وغضبه وعذابه وبطشه . انهم هم آلة ذلك واجهزته وادواته .

هل الف الملائكة وفودا او مجالس او مظاهرات او اضرابات او اية تجمعات او تحركات ليطالبوا الاله بان يكون ارحم او اعظم نخوة او نبلا او عفوا او تسامحا او ديمقراطية او نقدا للذات او مراجعة للذات ؟ هل خالفوا الاوامر ؟ هل طالبوا بابطالها او بتعديلها او بتصحيحها ؟

هل هربوا ؟ هل مرضوا ؟ هل انتحروا استفظاعا او رفضا او اشمئزازا مما يؤمرون ويعاقبون ويشاهدون ويعجون ؟ هل بكوا ؟ هل صرخوا ؟ هل تفجرت عيونهم ؟ هل هابوا الرؤية هل عافوها ؟

اليس الملائكة هم ابشع واشهر جلادين لاشهر وابشع طغيان في الكون ؟

اليس الملائكة هم وحدهم القائمين على اجهزة المباحث والمخابرات والجاسوسية لهذا الطغيان الذي هو ابشع واشهر طغيان في الكون — الذي هو طغيان اشهر وابشع طغاة في الكون ؟

بل اليس قيام الملائكة على هذه الاجهزة للمخابرات والمباحث والجاسوسية هو كل عملهم ؟ وكل قيامهم وصيامهم وكل تقواهم وايمانهم ؟

هل توجد عيون او قلوب في قسوة عيون وقلوب الملائكة ؟ هل توجد ممارسات في وحشية ممارسات الملائكة ؟

ما هي الفروق بين اعوان الطغاة من البشر وبين الملائكة الذين هم اعوان اشهر وابشع طغيان في الكون ؟ هل يقبل اعوان اي طغيان في التاريخ ان يسأل عن الفروق بينهم وبين الملائكة الذين هم اعوان اشهر وابشع طغيان في هذا الكون ؟ هل من العدل ان تقام مقارنة بين الملائكة وبين اعوان أي طغيان ؟

ان اعوان طغاة البشر يأخذون الثمن ، ويحولون الثمن الذي يأخذونه الى اساليب مختلفة من الاستمتاع واللذات والمسرات والاشياء الاخرى الكثيرة القوية الاغراء والاعواء والتحريض ، الكثيرة العشاق والمريدين . انهم يأخذون ثمنا قد يغري وقد يلهب الشهية والرغبة ، وقد يرى انه اكبر مما يعطون ، وقد يرى انه متكافىء مع ما يعطون ، او انه دونه قليلا . انه مهما كان التقدير ثمن ، انه ثمن يختلف عليه المختلفون ، ويقبل التساوم عليه المساومون ، ويسقط تحت اغرائه واغوائه الكثيرون ، بل الكثيرون من الاقوياء والاشامخين ، ويصبح الاخرون العاجزون — وهم ينظرون ليسمعه ويتلصصون مواقعه وضرباته داخل حدود ضمائرهم واخلاقهم : اللهم لا تدخلنا في تجربة مع ضمائرنا واخلاقنا .. اللهم لا تدخلنا في مثل هذه التجربة . اللهم لا تجعل ضمائرنا او اخلاقنا تجرب نفسها على نفسها ..

... اللهم لا تضعنا في خيار بين ان نكون هذا او هذا — بين ان نكون اعوانا لطغيان الرهيب لنأخذ الثمن والامان منه ، وبين ان نعصي هذا الطغيان لنلقى اخطاره وغضبه .

... اللهم احمنا بالعجز لا بالفضيلة ، اللهم اعصمنا بقبضتك لا بخشيتك او محبتك .

.. اللهم اجعلنا رافضين لاننا عاجزون ، لا لاننا عاصون ، لا لاننا رافضون .

.. اللهم احمنا مما لا تريد بجيوشك لا بانبيائك ، بقوة جيوشك لا بتعاليم انبيائك .

... اللهم لا تجعلنا نجرب ضمائرنا او اخلاقنا على ضمائرنا واخلاقنا .

ان افضل الاخلاق والضمائر هي التي لم توضع في مثل هذه التجربة

ـ هي التي لم توضع في خيار بين أن تكون هذا أو نقيضه . ان افضل الضمائر والاخلاق هي التي لم تجد نفسها في موقف المساومة مع الشيء ونقيضه . ان مواقف المساومة وظروفها هي دائما مزيفة للضمير والاخلاق ، او تعذيب واحراج لضمير والاخلاق . ان الاله الذي يضع عباده واعوانه في ظروف ومواقف المساومة والخيار هو اله يدعو الى ان يكون معصيا .

هل كان محتوما ان تكون الشمس هي الشمس ، او الزهرة هي الزهرة لو كانت مخيرة بين ان تكون هي ذاتها وبين الا تكون . ان مواقفنا مثل كينونتنا ، انها ليست خيارا بين الشيء ونقيضه .

ان اي موقف واي شيء لم يكن كما كان تحت الخيار بين الشيء ونقيضه . حتى الاله لم يكن ذاته كما كانها بالخيار .

ولكن ما هو الثمن او الاجر الذي يأخذه الملائكة لكونهم اعوانا لاشهر وابشع طغيان في هذا الكون ؟ هل يأخذون ثمنا او اجرا ؟ أليس الثمن هو الثمن ؟ أليس الاجر الذي يأخذه الملائكة هو نفس العمل ، هو ان يستمروا في العمل الذي اجره هو العمل ، هو الاستمرار في العمل ؟

أليس الملائكة يمارسون التنفيذ للطغيان والوحشية ليكون كل اجرهم الاستمرار في تنفيذ المزيد من الوحشية والطغيان ؟

هل يوجد عمل اجره ليس شيئا سوى تكراره والاستمرار فيه ؟ هل يوجد من يعملون ليكون اجرهم ان يستمروا يعملون ؟ أليس هؤلاء هم الملائكة وحدهم ؟

هل يوجد من يعملون اعوانا للطغيان دون ثمن ؟ هل يوجد من يشتهون معاونة الطغيان اشتهاء لا ثمن له سوى الاشتهاء ؟

أليس كل الثمن الذي يقبضه الملائكة اجرا لكونهم اعوانا لاشهر وابشع طغيان في الكون هو أن يستمروا يعملون اعوانا لهذا الطغيان الذي هو طغيان اشهر وابشع طاغية في هذا الكون ؟ لعل بعض اعوان الطغاة يكون او يرتزق او يقاسون من عملهم . اما الملائكة فيمارسون عملهم بشهوة ونشوة وتسبيح وهتاف .

انهم يمارسون عملهم الفظيع هذا بلا اعياء او تعويض . انهم يمارسون الفظاعة لنفس الفظاعة . انهم يقتلون ويشوهون ويمرضون ويعذبون لكي يستمروا يقتلون ويشوهون ويمرضون ويعذبون . ان الملائكة يمارسون وظيفة

الجلادين لانهم عاشقون لا لانهم خالقون او مدفوع لهم الاجر ، انهم عاشقون لا اتاتيون .

اذن هل يوجد في اعوان الطغاة من يشبههم ؟ هل يقبل انسان اي طغيان ان يكونوا ملائكة ، ان يكونوا اشباها الملائكة او ان تكون مستوياتهم الاخلاقية او النفسية او الفكرية ، او حظوظهم مثل مستويات الملائكة او مثل حظوظهم ؟ هل يوجد انسس عملا وحظوظ من الملائكة ؟

هل تقبل ان تكون ملاكا او انك حدقت في اعمال الملائكه وفي اخلاقهم وفي حظوظهم ؟

كم هو شيء فظيع ان يؤدي الكائن الحي الشاعر المفكر الذي يملك احساسا ورؤية ، والذي يأمر وينهي ويطيع — كم هو شيء فظيع ان يؤدي هذا الكائن عمله بالاسلوب الذي تؤدي به البراكين والزلازل والاوبئة والقحط والعاهات والموت والآفات عملها ؟

اليس الملائكة هم الكائنات الحية الشاعرة التي تملك الرؤية والاحساس والتفكير والعقل ، والتي تؤمر وتنهي وتطيع ، ومع هذا تمارس اعمالها بالاسلوب الذي تمارس به البراكين والزلازل والقحط والموت والامراض والآفات وانعاهات اعمالها ؟ بل اليست هذه هي الاعمال الرسمية والدينية للملائكة بل وللالهة ؟ اليست هذه الاعمال والممارسات هي اتقى سنوات الملائكة واذكى تخطيطات الالهة ؟

اذن هل يوجد ارذل وجودا او اخلاقا او حظوظا من الملائكة ؟ واذن هل يوجد من يقبلون ان يكونوا ملائكة او ان يكونوا في مستويات الملائكه ، او ان تكون لهم اخلاقهم او حظوظهم ؟

اذن هل الملائكة كائنات تستحق الغضب والعقاب والكره ، ام هم كائنات تستحق الرثاء والاشفاق والتعزية ؟ انه لاعزاء للملائكه في حظوظهم وفي بشاعة ممارساتهم الا الالهة ، وانه لا عزاء للالهة في حظوظها وفي بشاعة ممارساتها الا الملائكة . ان الالهة والملائكه ليتناقسون في رداءة الحظوظ والاعمال والاخلاق .

... ما هو الشيء الطيب او الجميل او الذكي او الحر او الاخلاقي او الشجاع او السعيد في حياة الملائكة او في عواطفهم او في قلوبهم او في

عقولهم او في سلوكهم او في ضمائرهم او في تاريخهم ، او حتى في عيونهم ونظراتهم ؟

ان افسى واخبر جزء لافسى وافجر طاغية لهو اكثر « مدنية » من الملائكة ، وانه لاقل ابليسية او شيطانيه من الملائكة . ان الملائكة يصنعون الالام والشرور ويوقعونها بالانسان . اما الشيطان فانه يدعوه — اي يدعو الانسان — فقط الى ذلك دون ان يوقعه به . ولعل هذا الفرق هو الذي جعل الملائكة اقرب الى الله من الشيطان .

.. اي خلق في الملائكة ، او اي موقف لهم يمكن ان يسمناه اى كائن لنفسه ، او يمكن ان يسعد او يفخر اي كائن بانه خدمه او موقفه ؟ اي شيء فيهم يمكن ان تسمناه انت لنفسك او اسمناه انا لنفسي ؟ اي شيء فيهم لا ترفض انت ان تكونه او يكونك ، او لا ارفض انا ان اكونه او يكونني ؟

اي شيء ، اي شيء في الملائكة ؟ اى شيء فيهم يمكن ان يصبح امتداحا او مجدا او امنيه لاي كائن ؟ اي شيء فيهم لا يعد افسى واقسى اساليب ومستويات انغار والوحشية والدناءة ؟ اي طاغية لا يتمنى ان يكون له اعوان ومنفذون مثل الملائكة ؟ بل اي طاغية يتحمل طغيانه ان يكون له منفذون واعوان مثلهم ؟

ان اردا كائن لن يقبل ان يكون ربنا كابيل ملاك .

ان التاريخ في كل مسوياته لم يعرف طاغية كان له اعوان يمكون من الرداءة ومن القدرة على تنفيذها مثل الملائكة .

.. انه ليس في الكون ولا في العالم من يحابي القوة والقسوة ويطيعهما ليبطش بالضعفاء والمظلومين مثل الملائكة . انه ليس في العالم او الكون عميل للقوة والقسوة البانشتين المتوحشتين ، او منفذ لهما ، او مبارك لهما ، او معين عليهما ، او مشاهد لهما ، او شهيد عليهما ، او متبند امامهما ، كالملائكة . انه لن يوجد في البشر من يستطيع ان يتعلم من الملائكة كل قدرتهم على الاخلاص والطاعة والولاء والحب في تنفيذهم لاوامر وشهوات القوة والقسوة ضد الضعفاء والمقهورين المظلومين .

حتما انت لم تقصد هجائي او الاساءة الي حينما وصفتني بالملاك . لهذا انا عاذر بل واحيانا شاكر . ولكن عذري وشكري ان يمنعاني من

الانسان يعصي .. لهذا يصنع الحضارات — ٤

محاولة التغلب لهذه الفجوة بهذا الصدق الصادم الاليم ، وبهذه الجسارة التي قد تعد اسلوبا غير مألوف من الوقاحة او من الجنون .

كيف اجمع البشر كل البشر في كل تاريخهم على هذه الغفلة الكبرى ، على الاقتناع بان الملائكة هم كل التفاسير وكل النماذج لكل الاخلاق العظيمة والمدهشة والمطلوبة والمطموح اليها ؟

ان احدا في كل التاريخ — تاريخ الالهة والملائكة والسماء والمؤمنين — لم يفطن الى هذا الوهم العجيب في تصور اخلاق الملائكة ، وفي افتراض اخلاقهم هي النموذج الاسمى لاسمى الكائنات اخلاقا . ان البشر قد يعجزون عن رؤية اكثر الاشياء تجريحا للعيون .

انه لا مثيل للانسان في العجز عن الرؤية وفي القدرة على الرؤية ، في التقبل وفي الرفض .

لقد ظل البشر يحاكون الملائكة في تصوراتهم لمزاياهم بالاسلوب الذي ظلوا به يحاكون الالهة . لقد ظل البشر عاجزين عن امتلاك اي مستوى من مستويات التقدم لسكان السماء ، لكل سكان السماء . لقد كان سكان السماء دائما عدوانا باهظا على ذكاء الانسان وتفكيره وتصوره ، بقدر ما كانوا عدوانا على وجوده وحياته واخلاقه ، وعلى جسده ايضا .

وهل يوجد او وجد مثل سكان السماء في عدوانيتهم وفي براءتهم ؟ هل عرف مثلهم معتدين على الانسان وحامين له من العدوان ؟ هل جاءمثلهم مهاجمين ومدافعين ، موجودين ومفقودين ؟

والآن هل تقبل ان تكون رديئا او وحشا او جلادا او عميلا للطغيان الرهيب كالملائكة ؟

هل تستطيع ان تمارس من البذاءة والذم والهجاء الظالم ما يجعلك تجرؤ على ان تصف اي كائن بانه ملاك مهما كان رديئا او وحشا او جلادا او عميلا للطغيان والقبح ؟

.. الآن هل تقبل او تجرؤ على ذلك ؟

.. الآن ، هل يقبل اي انسان مهما كانت رداءته وذنوبه ان يمدح بانه ملاك ، او بان يهجى ؟

.. الآن هل يجرؤ الاله على ان يبقي على الملائكة اعوانا وجنودا ومستشارين له ؟

* *

ثم ماذا ايها الصديق ؟ لقد اخذتني الى رحلة بعيدة ، اني رحلة قد اصبحت بعيدة جدا في تاريخي وفي خطواتي مهما طالت قوية ، قوية في ذكرياتي وفي احاسيسي . لقد رجعت بي الى ماض بعيد بعيد جدا . انه بعيد ، بعيد مهما ظل قريبا ، قريبا .

لقد اخذتني اني رحلة كنت اظن انك تحسبني قد اصبحت ميتوتا عنها ومفارقا لها بلا عزاء او ذكرى او معاودة . لقد رجعت بي الى تاريخ قديم ، قديم ، كان قويا ، قويا جدا في حياتي . لقد رجعت بي الى ذكرى كانت حياة ، كانت حياة زاخرة بالانفعالات الزاخرة بالرهبة والرهيانية والضياع الرهيب . اجل ، لقد رجعت بي دون ان تسأل او تستأذن ، وحتى ترفق .

لقد رجعت بي ايها الصديق الى عالم لم يكن له مثيل في رهبته وفي قوته ، ولم يكن له كذلك مثيل في احتراقه وفي جنونه وفي عذابه وفي كبريائه ، كما لم يكن له مثيل في تفاهته ولا في ضياعه ولا في عقمه . اني عالم لم يكن له مثيل له في صدقه ولا مثيل له في كذبه ، ولا مثيل له في حبه ولا مثيل له في عدوانه .. الى عالم كان هو كل شيء ، وكان ليس شيئا ، كان يهبني كل شيء دون ان يملك هو شيئا .

الى عالم كان يعلمني كل شيء بكل صدق وحماس وتعذيب ودوعة دون ان يجعلني اعرفه شيئا ودون ان يعرف هو شيئا ... الى عالم كان يفترسني بكل ادوات واساليب الافتراس والعدوان ، وكان يتراءى لي كأجمل واضخم الامال التي تغفر كل افتراس وعدوان ، بل التي تحول كل افتراس وعدوان الى ابتسامات توزعها علي وتحييني بها كل ادوات واساليب الافتراس والعدوان — يوزعها علي ويحييني بها كل شيء حتى كل ادوات الافتراس والعدوان ، حتى كل اساليبهما كانت تحييني بهذه الابتسامات وكانت توزعها علي ، آواه . هل كان ذلك الماضي سعيدا او كان شقيا ؟ هل كان شقيا سعيدا وسعيدا شقيا ؟

ولكن ما هي الحدود بين الشقاء والسعادة ؟ وهل توجد حدود بينهما ؟ من وضعها ، ومن يعرفها ؟

لقد رجعت بي بلا شوق او نشوة ولكن بانبهار . لقد رجعت بي الى تاريخ كان عاصفا ، عاصفا ، ولكنه لم يكن مجيدا او عظيما او عزيزا . لقد كان تاريخا فيه كل المعاناة دون ان يكون فيه شيء من الابداع . كان تاريخا فيه كل معاني الرهبة دون ان يكون فيه شيء من معاني الروعة .

لقد رجعت بي ايها الصديق الى تاريخ كنت اعيشه هناك ، بعيدا ، بعيدا ، كنت اعيشه مع الالهة ، في السماء ، في مجاعل وثابات السماء ، مع الانبياء ، مع الايات والاحاديث ، مع تفاسير الايات والاحاديث ، بين تهاويل واهوال النحنة والتيحيم ، بين صورهما وتصوراتهما واوصافهما ، بين من يعيشون فيهما . وهل جربت ان تعيش هناك ، هل جربت ؟ اني اعتقد جازما ان تكون قد جربت ذلك .

لقد رجعت بي الى تاريخ كنت اعيشه هناك هناك ، بعيدا ، بعيدا ، بكل الاهوال والتهاويل كنت اعيشه بكل الصدق والتقوى . وهل جربت اهوال الصدق والتقوى ؟ هل جربت عذاب الايمان الصادق ؟

هل كنت تعنى شيئا اذ فعلت بي ذلك ، هل كنت تدبر ؟ هل كنت تنوي تعذيبي ؟ هل كنت تنوي ان تثير في معنى من معاني السرور ؟ هل كنت تقسو ام تاسو ام تمزح ام تمارس نفسك بلا تدبير او تفسير او منطق ؟ هل كنت تعرف ماتصنع بي حينما ارتحلت بي هذه الرحلة في اعماق العذاب الرهيب المهيب : بين كآبة الالهة وكآبة الانبياء والقديسين ، وبين شتائم وتهديدات الايات والاحاديث ، وبين اهوال وتهاويل الجنة والجحيم ؟ هل كنت تعرف ماذا تصنع او تنويه ؟

انك تسألني عن تفسير قصة دينية ، عن تفسير لقصة قد قدمها الكتاب المقدس .

نقول ان القرآن قد حكى في سورة الكهف ان نبي الله موسى قد اصطحب في رحلة دينية روحية غيبية عجيبة غامضة جدا اصطحب رجلا غامضا غريبا قد امتدحه امتداحا قويا . وقد انطلقا موسى وذلك الرجل الغامض الغيبي في رحلتهما الدينية الغيبية الروحية العجيبة الغامضة بعد ان اخذ ذلك الرجل على موسى شروطا مسكتة لحرية عقله وتفكيره ولسانه حتى الانبياء يقبلون ان تعرض شروط على حرياتهم ، على حريات تفكيرهم ومشاعرهم وعلى حريات الكلمة فيهم ، حتى الانبياء يقبلون ان يفقدوا كل حرية ويتواطئون على فقدها . وفي بعض اشواط رحلتهما هذه وجدا سفينة

تعمل في البحر . ولم يذكر اي بحر هذا البحر . فاحدث ذلك الرجل الغريب في السفينة خرقا . ولم يذكر بأية وسيلة او الة احدث ذلك الخرق ، ولا ماذا صنع اصحاب السفينة حينما فعل ذلك بسفينتهم . وهل راوه . وعلى دبر ما فعل بالاتفاق معهم .

وقد ركبا السفينة بعد ذلك . وقد كان استغراب موسى واستنكاره اقوى من الشروط التي قد وافق عليها وبوقعها باملاء ذلك الرجل الغامض الذي اصطحب وكانت هذه الشروط او كان منها الا يسأل عن اي شيء يصنعه ذلك الرجل مهما كان قبيحه او ظلمه او جنونه او سخفه . حتى الانبياء يوقعون على قيد حرياتهم .

لقد قال موسى للرجل ـ ناسيا او رافضا الشروط المأخوذة عليه ـ كيف فعلت ؟ لقد فعلت شيئا منكرا . انك تريد اغراق السفينة واهلها لقد قصدت ذلك . انك كائن لا يمكن فهمه ولا تفسيره ولا الاطمئنان اليه .

فذهب ذلك الرجل يفسر لموسى ما حدث . وكأنه كان يريد ان يظهر تفوقه ومواهبه واسراره الخارقة المرهبة . كأنه كان يريد ان يثبت استعلاءه وانتصاره على موسى . كأنه كان يقصد ان يجعد نفسه لا ان يعلم موسى ما لم يعلم . ولكن كيف ينكر النبي موسى على ذلك الرجل ان يفعل ما فعل وهو اتي موسى لا ينكر على الاله ان يفعل شيئا مما تفعل ؟ اليس من يغفر للاله انعامه لا بد ان يغفر لكل احد كل شيء ؟ انه لا مثيل لانباء من يغفر للاله ولا يغفر للانسان .

قال ان السفينة تقوم من المساكين يعملون في البحر ، وان وراءهم او امامهم ملكا ظالما لكل سفينة ، وانه يغتصب كل سفينة حتى مثل هذه السفينة التي يملكها ويعمل عليها مثل هؤلاء المساكين يعدل هذا الاسلوب المواضع من العمل . وقد دبرت لحماية هذه السفينة من الاغتصاب الذي كان ينتظرها ، فكان هذا التدبير ان احدثت فيها خرقا . لقد خرقتها لانقاذها

ولم يذكر هذا ما هي العقدة الفنية او الفكرية او التساوكية العجيبة التي تجعل احداث خرق في السفينة يتحول الى حماية لها من اغتصاب ملك لعين يغتصب كل السفن . ان كان خرق السفينة يعني اعدامها او اغراقها او

تعجيزها عن العمل فهل في هذا اي اسلوب من اساليب الانقاذ للسفينة او لاصحابها الساكين الذين كان يراد انقاذهم ؟ أليس هذا يساوي اغراق السفينة خوفا عليها من الغرق ؛ او اعدام المال او الاثاث خوفا عليه من اللصوص ؛ او قتل المريض خوفا عليه من الموت ؟

اما اذا لم يكن خرق السفينة يعني هذا ، اذا لم يكن يعني غرقها ولا موتها ولا عجزها عن العمل فكيف يكون في خرقها انقاذ لها من الملك المغتصب؟ فاية عقدة روحية سماوية دينية في هذه القضية ؟ وهل يمكن ان تفهم العقد النفسية او الفكرية او السلوكية في تفكير الالهة او في تأليفها او في تصرفها ؛ او في تأليف او تفكير او في تصرف الرجال الغيبيين ؟

ثم استمرا اي النبي موسى وذلك الرجل الغامض منطلقين في رحلتهما الدينية الروحية العجيبة الغامضة ، فوجدا في طريقهما غلاما يلعب مع غلمان في مثل سنه ، فهوى عليه ذلك الرجل الغيبي فقتله . فكان ذعر موسى واشمئزازه وتعجبه بلا حدود . انه لن يستطيع ان يسكت او ان يلتزم بالشروط التي وقعها على نفسه ؛ اي التي وقعها على عقله ومشاعره واخلاقه وعلى عبثه ، بألا يرى ما يحدثه ، وبألا يفكر فيه ؛ وبألا يشمئز منه او ان ينكره ، بل او ان يتعجب منه .

حتى الانبياء يفاوضون على فقد حرياتهم ويوقعون على فقدها وعلى شروط فقدها .. حتى الانبياء يفقدون حرياتهم . لقد رأى موسى جريمة قتل متعمدة لا يمكن الدفاع او الاعتذار عنها ؛ ولا يمكن تفسيرها بغير القتل المتوحش المتعمد . بل انه اكثر اساليب القتل المتعمد وحشية ونذالة وجبنا انه قتل بدون اي حافز او سبب من حوافز او اسباب القتل . انه لو لم يقبل ان يوجد من يقتل بدون ان تحركه حوافز واهداف القتل . ولكنه يعلم ان الله يقتل ويقتل دائما ويقتل كل الاحياء دون ان يكون محكوما باي حافز او هدف او سبب من حوافز او اسباب او اهداف القتل . انه لو وجد كل من يقتلون مسوغا لان يقتلوا ليبقى قاتل واحد لا يجد هذا المسوغ للقتل ولكان هذا الواحد هو الله .

ان كل الناس يغفرون للاله ما لا يغفرون لانفسهم او لاي كائن غيره ، حتى الانبياء ؛ انهم يغفرون للاله ويتقبلون منه ويفسرون له ما لا يستطيعون ان يغفروه او يتقبلوه او يفسروه لاحد سواه .

لقد عجز النبي موسى ان يغفر قتلة واحدة لذلك الرجل الفيبسي الغامض الذي وقع عليه الشروط مع انه اي النبي موسى يغفر للاله ان يقتل كل احد وان يفعل كل الالام والمصائب والذنوب المشهودة .

ان كل الناس حتى الانبياء يفرضون على انفسهم وعلى كل احد من الاخلاق والذكاء والوقار والعدل والاحترام للنفس ما لا يفرضون على الاله . انهم يغفرون للالهة ويعفون منها ما لا يغفرون او يعفون من سواها . انهم بهذا يقصدون تمجيد الالهة والارتفاع بمستوياتها الاخلاقية والمنطقيـــــه والنفســـية . ان تمجيد الالهة لا يكون الا بأن تكون معفاة من جميع الشروط والالتزامات الفكرية والاخلاقية والفنية . ان الثناء عليهـــا لا يكـــون الا باعتقادها بلا اي مـــنوى . لقد رفض موسى ان يغفر لذلك الرجل قتله لذلك الغلام ، ورفض الالتزام بشروط الصمت والتـــليم التي وقعها على منطقه وعلى اخلاقه وعلى عواطفه وعلى عينيه . لقد انكر عليه ان يقتل هذه النفس البريئة . عجبا ! كيف لم يقل له ذلك الرجل القاتل : اتنكر علي ان اقتل نفسا واحدة وتتقبل ان يقتل الاله كل النفوس البريئة حتى نفســك وتفسي حتى نفوس جميع الانبياء والقديسين ؟

ولكن ذلك الرجل الغامض القاتل راح يدافع عن جريمته ويفسرهـــا لموسى . قال في دفاعه وتفسيره : ان ذلك الغلام ابن لابوين مؤمنين ، وقـــد خشينا ان يرهقهما بطغيانه وكفره . لقد قتلته لذلك ، واني اريد ان يبدل الله ابويه به خيرا منـــه وازكـــى .

ثم تقول ايها الصديق انك لم تستطع ان تفهم ، كما انك لم تستطع ان تصمت .

تقول ان اصابة الســفينة خيفة ان يأخذها ذلك الملك الذي يأخذ كل سفينة غصبا يشبه ان يكون هناك وجه جميل لامرأة جميلة . وان يكون هناك رجل وحشي يريد اغتصابها والاعتداء عليها — او ان يكون هناك رجل قوي يغتصب كل امرأة جميلة ليعتدي عليها ، فيكون العلاج ان يشوه وجه تلك المرأة او وجه كل امرأة جميلة ، لكي يحميها تشويهها من الاعتداء عليها . وقد يكون في منطق الانســان او في منطق الطبيعة ان الجمال هو المعتدي على من يعتدي عليه . وقد يرى هذا المنطق ان يعاقب الجمال لانه جمال — او ان يكـــون هناك رجل عبقري ، وان يكون هناك حاسدون واعداء له يريدون قتله ، او

يحتمل ان يقلوه حسدا ، او ان يكون هناك من يحسدون ويعادون كل عبقري ، فيكون العلاج لهذا الموقف ان يصاب ذلك العبقري ، او ان يصاب كل عبقري بما يجعله فاقدا عبقريته ، لكيلا يعتدي عليه حساده واعداؤه او حساد واعداء كل عبقري . وقد تكون العقوبة هي المسئولة عن العدوان الذي يحبها ، قد تكون العبقرية هي المعتدية على من يعتدون عليها ، قد تكون هي ضالة العدوان الذي يقع عليها .

ومع هذا هل يمكن ان يوجد من يعالج هذا او هذا بمثل هذا الاسلوب ؟ هل يمكن ان يصاب احد بجنون يجعله يرى او يتقبل او يمارس مثل هذا العلاج في مثل هذه الحالات ؟ هل يمكن ان تجن السماء لتبعث رجالها الروحانيين القديسين ليعالجوا الشرور والآلام بمثل هذا الذكاء ؟ اليست الارض حينئذ خليقة بان تعلم السماء الذكاء وعبقرية السلوك ؟ اليس حينئذ تعلم السماء من الارض فيما تعيش وتضبط به سلوكها واخلاقها ، ايكون ذلك افضل لها — اى للسماء — من أن تعيش وتمارس سلوكها واخلاقها بذكائها هي ، أو بذكاء الالوهة المقيمين فيها ؟

نعم ، اليس هذا هو الذي يحدث دائما اى ان السماء هي التي تتعلم من الارض كل ذكائها وكل اخلاقها ؟

اليس العلاج الذي يجب ان تتعلمه السماء وسكانها من الارض ومن اهلها — نعم ، اليس العلاج في الحالة الاولى ان يقتل ذلك الرجل الذي يعتدي على النساء الجميلات او يغتال او يعاقب أو يصاب بعاهة تجعله عاجزا أو يمنع من عدوانه بأية وسيلة من وسائل المنع ولو بالاسلوب الخارق الغيبي الذي يتصرف به ذلك الرجل الطاهر الناضج المرسل من السماء ؟ اليس تشويه من يريد أن يعتدي ليكون عاجزا عن الاعتداء اذكى منطقيا واعدل سلوكا من تشويه من يراد الاعتداء عليه لئلا يكون معتدى عليه؟ ولكن اليس في سلوك الانسان والطبيعة — ولو احيانا — ان يشوها الوجه الجميل بدل ان يعاقبا او اكثر مما يعاقبان العدوان الذي يقع عليه ؟

اليس العلاج في الحالة الثانية ان يعاقب او يمنع او يعجز اولئك الحساد والاعداء الذين يحتمل ان يقتلوا ذلك العبقري او ان يقتلوا كل عبقري بأي اسلوب من اساليب المنع والعقاب والتعجيز ؛ او ان يجعلوا غير راغبين في جريمتهم — لا ان يجعل ذلك العبقري او كل عبقري يفقد عبقريته ؟ ولكن

اليس قتل العبقرية او تعجيزها او عقابها او ارهابها او محاولة جعلهـــا مفقودة او كالمفقودة اسلوبا تمارسه الطبيعة ولو احيانا ، ويمارسه البشر اكثر ، يمارسونه كثيرا بدل ان يفعلوا ذلك بمن يعتدون عليها ؟ أليس البشر احيانا او دائما يعاقبون العبقرية اكثر مما يعاقبون اعداءها او بدل معاقبتهم؟

أليس هذا هو العلاج البسيط الغريب الذي لا يحتاج الى ذكاء السماء ولا الى خوارق واسرار ومعجزات رجالها الغيبيين الروحانيين ؟

اليس هذا هو العلاج الذي يجب ان تتعلمه السماء ويتعلمه سكان السماء الاذكياء ، ان يتعاموه من الارض ومن اهل الارض الاغبياء جدا مهما عتوا اي سكان الارض نقيض ذلك احيانا .. ان ذلك الرجل القبيي قادر ان يقتل او يعاقب او يمنع او يهدد او ينذر ذلك الملك السارق المغتصب ليجعله عاجزا او غير راغب فيما يمارس ان ذلك الرجل كائن قبيي يتصرف باسلوب غبيي ، انه كائن خارق مرسل من السماء ليفعل باسلوب خارق ، انه يستطيع ان يمنع ذلك الملك بالاسلوب الخارق الذي يؤدي به اعمالـــه ، انه يستطيع ان يفعل ذلك بكل الاساليب المعروفة وغير المعروفة ..

فلماذا عاقب السفينة واصحابها المسالمين بدل ان يعاقب ذلك الظالم؟ لماذا اساء الى من قد يظلم بدل ان يحميه ، وبدل ان يؤدب او يمنع الظالم؟ عن العدل والذكاء ان يحبس الطارق او من يراد قتله او من يمكن ظلمه ، ام العدل والذكاء ان يحبس الظالم او من يريد ان يكون ظالما او من يمكن ان يصبح ظالما ؟ لماذا لا تتعلم السماء واهلها هذا الذكاء البسيط او هذا السلوك البسيط من الارض ومن اهلها ؟ ان هذا هو ذكاء الارض مهما كان سلوكها ، ان اقل ما تطالب به السماء ان تتعلم من الارض ذكاءها ، ان السماء لتسم تستطع ان تكون ذكية السماوات ، ان اقل الاشياء اذن ان تكون ذكية الذكاء او ذكية الذكاء .

لماذا لم يعاقب هذا الرجل الغيبي السماوي من اصحاب السفينة الا يسافروا الى البلد الذي يحكمه ذلك الملك السارق ؟ لماذا لم يخرهم بقصة هذا الملك ؟ او لماذا لم يحبب السفينة بشيء من سحره واسراره ليجعلها غير مرئية او غير مرغوب فيها بدل ان يصيبها بالعيب ؟ كيف يحصنها بعاهة وهو يستطيع تحصينها بلا عاهة ، بسر روحاني يمنحها البركة والتقوى والجمال والحماية والحظ الجيد ؟

ثم تقول ايها الصديق : كيف ؟ ان خرق السفينة لن يجعل ذلك المالك الذي يأخذ كل سفينة اغتصابا يكف عن اخذها . انه يأخذها لانها سفينة تعمل لا لانها سفينة غير مخروقة . وهل الذين يغتصبون السفن والاشياء يكفون عن اغتصابها اذا كان فيها عيب او خرق ؟ هل الاشياء او الحياة تمارس بهذا الاسلوب أو تفهم بهذا الاسلوب ؟ هل الناس مشترطون او متاقون او متطهرون او متكرون في املاكهم او في ممارساتهم الى هذا المدى الجيد الذي يرفض ما اصابه خرق او عيب ؟

ان الذين يعفون عن اخذ السفينة او يتكبرون على اخذها او كان فيها ثقب لم يكونوا لصوصا ؛ ان مثل هؤلاء لن يأخذوا شيئا . ان في كل الاشياء كما في كل الناس عيوبا وخروقا . ان من يرفض ما فيه او من فيه خرق أو عيب فان يقبل شيئا ولا احدا . ان من يرفض الاشياء المخروقة لم يوجد ولن يوجد . انه لم يوجد ولن يوجد من لا يصابون بالخروق ومن لا يعيش الخروق وبالاشياء المصابة بالخروق .

ان العيوب والعاهات والتشوهات والذنوب في السفن وفي الاشياء وفي الحياة والناس اعظم جدا واكبر جدا واكثر جدا من الاصابة بالخروق والثقوب ؛ فاذا كان اقل ما في الاشياء والسفن والحياة والناس — وهو الاصابة بالخرق — يجعل المصاب بذلك مرفوضا ومردودا ؛ لا يغتصب ولا يراد ولا يقتنى ولا يمارس فلن تجد من يقبل شيئا او من يمارس شيئا او من يمارس شيئا او من يقتني شيئا .

ان اشتراط البراءة في الاشياء من كل العيوب والذنوب والخروق لم يوجد ولن يوجد .

ان جميع الناس المعاصرين لذلك المالك اللص العاجز جدا سوف يعرفون حينئذ بالتجربة ان لصهم هذا الطيب المتعفف جدا يكف عن اغتصاب الاشياء التي فيها عيب ، اي عيب ، حتى ولو كان هذا العيب خرقا في السفينة، حتى ولو كان العيب خرقا في السفينة لا يمنعها من ان تعمل . انهم حينئذ سيجعلون لصهم هذا عاجزا وراغبا عن اخذ اي شيء ؛ انهم حينئذ سيجعلون منه ملكا سفيقا نظيفا تقيا ، لا يأخذ اي شيء ولا يهم بأخذ شيء . انهم حينئذ لا بد ان يحدثوا في كل اشيائهم وسفنهم العيوب والعاهات والخروق

والقانون لتكون معصومة من الاخطاء ، من ذلك الملك الغبي البليد الشاذ المغفل جدا ، او المشترط لنفسه ولاشيائه شروطا لا يشترطها كائن سواه .

ما اروعها قصة . قصة ملك لص ياخذ كل السفن غصبا حتى سفينة هؤلاء المساكين ولكنه يعفو عن اخذ السفينة التي بها خرق ولو مدبرا ، ونقول ايها الصديق : ان عقلك قد رفض ان يتقبل او ان يفهم او ان يفسر هذا الذكاء السماوي وقد جاءت لهجتك وكان فيها شيئا غير قليل من ارادة التهكم بذكاء السماء .

لم تقول ايها الصديق عن الحادثة الاخرى : انه اذا كان جائزا او واجبا قتل الغلام لاحتمال ان يجيء شريرا او كافرا او عاقا او صائعا للملاذي او لفجور فان الواجب او الجائز حينئذ قتل جميع الغلمان ، بل قتل جميع الكائنات وتدمير جميع الاشياء ، حتى المصانع والبيوت والمدن وكل شيء ، لان كل الاشياء وكل الناس يحملون في وجودهم احتمالات مضادة ، احتمالات رديئة او مؤدية او غير سارة ، احتمالات احيانا قاتلة .

ان ذلك الرجل الروحاني الغامض القادم من السماء ليعلم اهل الارض الغاز السماء وفنون عبقرياتها يقول انه قتل ذلك الغلام لانه خشي على ابويه من كفره وطغيانه . انه يقتل غلاما بريئا لانه فيما بعد يخشى ان يكون مؤذيا او رديئا او كافرا . انه يقتل بالخشية ، وان الخشية من الكفر او الضلال او الفجور او الطغيان توجب القتل او تجعله شيئا جائزا او طيبا او عملا صالحا .

اسمع اذن . ان لك ان تقتل كل احد وان تدمر كل شيء لانك قد تخشى ان يكون كل احد كافرا او مؤذيا او رديئا او طاغية ، ولانك قد تخشى ان يكون كل شيء ضارا او متعبا او غير ملائم او غير عادل . اسمع : انك اذن ان تقتل كل احد وان تدمر كل شيء كلما خشيت منه الضرر والفساد .

ان لكل احد ان يقتلك لانه قد يخشى ان تكون كافرا او فاسدا او طاغية او رديئا . ان لكل انسان ان يقتل كل انسان ، ان يقتل اي انسان ، لان كل انسان قد يظن او يخشى ان اي انسان آخر ، او ان كل انسان آخر قد يكفر او يفسد او يطغى او يكون اي شيء رديء .

ان لكل الناس اذن ان يقتلوا كل الناس لان كل الناس قد يخشون من

كل الناس ، ويخشون على كل الناس ان يكفروا او يضلوا او يطغوا ، او يكونوا اي اسلوب من اساليب العصاة . اذن فليكن كل احد قاتلا او مقتولا قاتلا !

لقد قتل ذلك الرجل الغامض الغلام لانه خشي منه اذن لقد كان لذلك الغلام ان يقتل ذلك الرجل بنفس المنطق والتفسير . . . اسمع . انك حينما تخشى ان يصبح اي غلام كافرا او ضالا او طاغيا او منحرفا او مؤذيا لابويه او للناس فان لك او فان واجبا عليك ان تقتله . اذن ما اقواك وأتقاك . انك تقتل بالخشية . ما اقوى اذن خشيتك ، ما اتقاها والهاها .

اذن كم انت مخيف لنا ولغلماننا ، وكم نحن مخيفون انت ولغلمانك ، متى تشعر او تشعر باننا يجب ان نقتل ؟

اسمع . ان هذه هي اوامر وارادة السماء التي يتقيها ويخدمها جنودها العاملون ليعاملوا الانبياء ذكاء السماء — التي يتقيها وينفذها جنود السماء الذين يجيئون لكي يصبحوا انبياء للانبياء . لقد كان ذلك الرجل الغامض نبيا للانبياء . وايهم اذكى او اتقى او اقوى تعاليم وتبوات : الانبياء ام انبياء الانبياء ؟ اجل ، ان للانبياء انبياء . اجل ، ان لكل نبي عديدا من الانبياء .

ثم تقول ايها الصديق : ان كان هذا الرجل الغامض انما يتبع اوامر الله ومشيئته في قتله لهذا الغلام — وهذا هو المفروض والمسلم به — فالتفسير اذن لهذا ان الله يأمر بقتل الغلام ويريد موته لانه اي الغلام سيكون بالقدر شريرا وهو يرفض ان يعيش الاشرار .

اذن لماذا خلقه الله ؟ لماذا اذن يدبر خلقه ان كان ذلك كذلك ؟

ان كان الله يدبر ويريد قتل من سيكون كافرا ويأمر بقتله ويرفض ان يحيا فلماذا اذن خلقه ودبر خلقه ؟

ان الله يعلم ان الغلام سيكون شرا على ابويه وعلى الله نفسه لانه سيكون كافرا طاغيا ، والله يرفض له ان يعيش لانه لو عاش لصنع هذا الشر والكفر ، والله يرفض أن يعيش من يصنعون الشر والكفر ، لهذا كان محتوما قتله ، كان محتوما او مطلوبا ان يدبر الله له وان يكلف من يقتله .

اذن اليس الاسلوب الاذكى والافضل والاكثر رحمة ونخوة وشهامة الا يخلقه؟ كيف لم تفطن السماء بكل ما فيها ومن فيها من ذكاء ورحمة وعلم وسكان وانبياء وملائكة ان هذا الاسلوب اي الا يخلق هو الاسلوب الاذكى والافضل والامثل والاجمل والاقل تكاليف وتعقيدات ومخاطر ؟ انه ليس ذكاء ولا سلوكا لاى عاقل بل ولا لاي كائن غير عاقل ان يشيد معتقا وهو يعلم انه لا بد ان يهدم بالناس وعلى الناس ، ثم يذهب يهدمه قبل العمل فيه لانه لا يريد له ان يهدم بالناس او على الناس .

ان المنطق ، ان كل منطق حينئذ الا يشيد ذلك المصنع لئلا يحتاج الى هدمه والى تحمل ما في هدمه من انفجارات ومعاناة وسفه اليم . ان المنطق الا يقيم ذلك المصنع ، او ان يجعله قويا سويا لا يتهدم على الناس ، امما ان يقيمه معدا للانهدام على الناس ثم يهدمه قبل ان يتهدم او لئلا يتهدم بهذا منطق انبياء الانبياء وجدهم .

اذا كانت ارادة الله ان يؤدي ذلك الغلام دوره فلماذا قتل ؟ واذا كانت ارادته الا يؤدي دوره لانه دور شرير فلماذا خلق ؟ اذا كانت الارادة ان يعمل ذلك المصنع فلماذا هدم ؟ واذا كانت الارادة الا يعمل فلماذا اقيم ؟ يقيم المصنع الذي يعلم انه لا بد ان يتهدم على من يعملون فيه قبل ان يعملوا ثم يهدمه بعد اقامته قبل ان يتهدم عليهم لانه لا يريد ذلك ، اهذا منطق الله وانبياء وانبياء الانبياء ؟

انه سؤال يسد على المنطق كل الطرق ، انه سؤال يجعل المنطق عاجزا عن اي اسلوب من اساليب التعبير او التسويغ او الدفاع ، انه سؤال يسقط كل احتمالات المقاومة والهرب على المنطق .

لم يقتل ؟ اذا كانت مشيئة الله واوامره النفذة ان يقتل جميع الغلمان الذين سوف يصيحون كفرا او طغيانا فان المحتوم والواجب حينئذ الا يعيش اي وليد محكوم عليه او مقدر عليه ان يكون كافرا او شرا ، ان المعنى حينئذ ليهذا الا يوجد في الحياة او في التاريخ او في الغيب المقبل انسان واحد شرير او كافر او ضال او طاغية ؛ لان مشيئة الله واوامره النفذة ان يقتل جميع من يحملون في ذواتهم واقدارهم احتمالات الكفر والشر والضلال والطغيان كما قتل ذلك الغلام .

وهل يمكن ان يكون هناك اي منطق او حكمة او تفسير لقتل هذا الغلام وحده ابقاء لاحتمالاته الشريرة دون جميع الغلمان الذين تعيش فيهم كل الاحتمالات المماثلة لاحتمالات ذلك الغلام ، بل الذين تعيش فيهم احتمالات هي اخبث واقسى واشد هولا ونذالة وجنونا ؟

ان التاريخ والحياة يعرفان بارتياع وبكل مشاعر الافتضاح والعار والاذلال اطول وافخم مواكب الطغاة والكفرة والفاسدين والقتلة واللصوص والمجانين العالميين الذين صنعوا ابشع الحروب والجماقات والخراب والموت والطغيان والزندقات العالمية . ان تعاقب هؤلاء على اخلاق وضمير الحياة والتاريخ ، وانتصارهم الخالد عليهما لم يبق لهما اي مستوى من الكرامة او الشرف او الشجاعة او القوى ، بل او الايمان . ان تعاقب وتزاحم هؤلاء على ضمير التاريخ والحياة وعلى اخلاقهما يجعل التحدث باي صوت او لغة عن القوى او الايمان او عن الشجاعة او عن الرفض او عن الشرف او عن الكرامة اسلوبا مخيفا ومرهقا من اساليب الوقاحة . انه لم يوجد في اي وقت اي حارس للتاريخ او للحياة او للانسان من اي عار او فجور او نذالة او زندقة لقد كان الانسان في كل تاريخه وحياته بلا اية حراسة .

فلماذا لم يوجد ، او لماذا لا يوجد انه طيب غيور رحيم يقتل هؤلاء او يبعث لهم من يقتلونهم وهم غلمان كما فعل هذا الاله الطيب الغيور الرحيم بهذا الغلام ؟ لقد كان هؤلاء يوما ما غلمانا ، كانوا يوما ما احتمالات احتمالات شريرة ، فلماذا لم يقتلوا حينما كانوا احتمالات ، حينما كانوا غلمانا للاسباب التي قتل لها هذا الغلام ؟ لماذا لم يكن الله طيبا ورحيما وغيورا الا في تعامله مع هذا الغلام او ضد هذا الغلام ؟ لماذا لم يكن قاتلا لانه رحيم وغيور وطيب بهذا الاسلوب الا لهذا الغلام ؟ لماذا هذا الغلام وحده قد منح الاله منطقا جديدا وسلوكا جديدا واخلاقا جديدة وصيغة جديدة ووقارا جديدا ؟ لماذا خلق له مذهبا جديدا يعامل به نفسه ويعامل به الاشياء حوله ؟

لماذا كان الله غيورا وتقيا وحارسا للايمان والاخلاق والقوى في معاملته لهذا الغلام وحده ؟

ما هي العلاقات النفسية الخاصة بين الاله وبين هذا الغلام ؟ لقد عامل الله هذا الغلام معاملة لم يعامل احدا بمثلها ، وحاسبه على احتمالاته المقبلة محاسبة لم يحاسب احدا على احتمالاته المقبلة مثلها . فلماذا ؟ انه

لا بد ان تكون هنالك علاقات خاصة غير مستعملة من قبل بين الله وبين هذا الغلام . فما هذه العلاقات، ولماذا هي؟ او لا بد ان تكون هنالك علاقات ممتازة وغير مجربة بين الاله وبين والدي هذا الغلام . فما هذه العلاقات ، ولماذا ؟

كم هم المؤمنون جدا في التاريخ ؛ بل كم هم الانبياء والقديسون في التاريخ ؛ الذين ترك لهم ابناؤهم او آباؤهم او ازواجهم او اقاربهم الاشرار والطغاة والزنادقة والفجرة جدا ؛ ليعقوهم وينتقموا بالطغيان والفجور والزندقة والعنف وبكل الوان الفساد والضلال ، دون اية محاولة لانقاذ هؤلاء الانبياء والمقدسين والمؤمنين جدا من هؤلاء الاشرار بقتلهم بالنية وبالاسلوب الذي قتل بهما ذلك الغلام ؛ بل دون اي رغبة لهؤلاء الانبياء والقديسين والمؤمنين جدا . لماذا لم يرق قلب الاله لهؤلاء الانبياء والمقدسين كما رق قلبه لوالدي هذا الغلام ؟ كيف تحول الاله الى قاتل بل الى مغتال ليحمي والدي هذا الغلام ولم يتحول الى مثل ذلك ليحمي الانبياء والقديسين؟

لماذا خصت اخلاق الاله هذين الابوين بحمايتهما من ابنهما الشرير ؛ من احتمالات ابنهما هذا ؟ او لماذا خصت غيرة الله هذا الابن وحده دون جميع الابناء المماثلين بالغضب والعقاب والقتل ؟ هل في هذه القضية محاباة لوالدي هذا الغلام وحدهما ؛ ام فيها غيرة وغضب واخلاقية وبقض اكثر واعمق من المعروف عن غيرة الاله وغضبه واخلاقيته وبعضه ضد هذا الغلام ؟

هل في هذه القضية حب خرج بالاله عن وقاره ؛ ام فيها حقد افقد الاله اتزانه ؟ ان هذه القضية قد خرجت بالاله عن كل تاريخه . هل الاله هنا محاب ام متحامل ؟ هل هو محاب لهذين الوالدين ؛ ام هو متحامل على ابنهما ؛ ام هو محاب ومتحامل ؟ هل في القضية تفسير اخر لا تمكن معرفته ؟ هل نحن عاجزون ان نفهم ام ان الذين يجيئون الينا ليعلمونا ذكاء السماء لا يقوون او يفعلون شيئا يمكن ان يفهم ؟ وهل في الاشياء ما يفهم وما لا يفهم ؟ اليست كلها منطقا واحدا ؟ ان الكتب المقدسة تذكر انبياء عظاما قد اشقاهم ابناؤهم او آباؤهم او زوجاتهم او آخرون من اقاربهم بخياناتهم او بعصيانهم او بكفرهم العظيم . ان هؤلاء الابناء والاباء والازواج والاقارب لم يقتلوا وهم غلمان حماية لابنائهم او لابائهم او لازواجهم او لاقاربهم .

نعم ، حتى الانبياء والقديسون لم يحموا هذه الحماية التي خص بها هذان الوالدان لهذا الغلام . فلماذا هذان الوالدان المؤمنان فقط دون كل

العالم من المؤمنين، دون كل الانبياء وكل القديسين ؟ او لماذا هذا المولد الشرير وحده دون كل الاشرار في كل العالم وفي كل التاريخ ؟

لماذا لم يمارس الاله نبله ورحمته الا من اجل هذين الابوين ؟ او لماذا لم يمارس غضبه وغيرته وحمايته وانتقامه الا مع هذا الغلام ؟

لماذا هذان الابوان فقط ؟ او لماذا هذا الغلام الابن فقط ؟ او لماذا هذان الابوان لهذا الابن فقط ؟ هل يمكن ان يوجد اي تفسير لذلك هنا او اي دفاع عنه ؟

بل هل يمكن ان يوجد اي تفسير لذلك او اي دفاع عنه في اي موقف من مواقفه او في اي خلق من اخلاقه ؟

لماذا ايها الاله ، ايها القدر ، ايها الرجال الاتون من السماء ، من عند الالهة لتعلمونا ذكاء واخلاق السماء والالهة ؟ لماذا لم توجد الحماية الا لهذين الوالدين ؟ لماذا لم تطلب الحماية الا من هذا الغلام ؟ لماذا ايها الاله، ايها القدر ، ايها الرجال الاتون من فوق السماء ؟

لماذا ايها المفكرون عن السماء ، ايها المبلغون للارض ذكاء السماء ؟

لماذا ايها المفكرون عن السماء تفضحون السماء ، تفضحون ذكاء السماء ، بكل هذه القسوة ؟

لماذا ايها المبلغون عن السماء لا ترتفعون في ذكائكم الى مستويات السماء ؟

لماذا لا ترتفع السماء في ذكائها واخلاقها الى مستويات الارض في ذكائها واخلاقها ؟

لماذا تقل الارض دائما افضل ذكاء واخلاق من السماء ، وتظل الواضعة لاخلاق وذكاء السماء والمقياس لذكائها واخلاقها والكاشفة عن اخطائها ؟ ايها المفكرون عن السماء ، ايها المبلغون عنها . لقد علمتمونا ان الاله قد منح الشيطان الخلود لكي يستطيع أن يعمد وان يقوي وان يشوه وان يهدي الى الزندقة والضلال كل البشر في كل التاريخ .

لقد علمتمونا ايها المبلغون المفكرون عن السماء ان الله قد وهب الشيطان الخلود ووهبه كل احتمالات ومزايا القدرة على جعل الناس جميعا ، في كل اجيالهم زنادقة ومفسادا وطغاة ولصوصا وملوثين .

لقد علمتمونا ايها المعلمون ان الشيطان لم يوهب الخلود الا لكي يظل قدرة دائمة على ان يعنم الزندقة والفسوق والثلوث والطغيان والعقوق وازهاق الآباء والابناء والازواج وكل الاقارب وكل الناس بكل الاحزان والآلام والشرور الكبرى العالمية الدائمة . لقد علمتمونا انه قد اريد للشيطان ان يكون اضخم عبقرية في قدرته على ان يفسد ويغوي بلا حدود. لقد وضع الله كل عبقريته في عبقرية الشيطان ليكون اغراؤه بلا حدود

لقد علمتمونا ان الحكمة في تخليد الشيطان في منطق الاله وارادته هي محاولة تخليد الكفر والضلال والاثام وكل الرذائل والذنوب والعدوان على الآباء والابناء والازواج والاقارب وعلى كل البشر .

لقد علمتمونا ان الشيطان ليس الا موظفا عبقريا كبيرا جدا ، جدا عند الاله لكي يعلم الكفر والضلال والاثام والخبث تعليما عالميا ابديا ، ولقد علمتمونا انه اكبر موظف عند الله ، انه اكبر من الملائكة والانبياء وكل القديسين ، وان وظيفته تلك هي اعظم واكبر واقوى الوظائف في الارض وفي السماء .

لقد علمتمونا ايها المفكرون المبلغون عن السماء كل هذا ، فكيف تجيئون لتعلموا قصة هذا الغلام ؟ كيف تعلموننا قصة الشيطان وان الله قد خلده لانه يستطيع ان يحول كل البشر الى كفرة وفساق وطفيلية ملعونين ، وان الله قد وظفه لذلك ، ثم تعلموننا ان الله قد عبث برجاله الروحانيين الغيبيين الى هذا الغلام ليغتالوه لانه يحمل احتمالات شريرة واليمة لوالديه وللآخرين ؟

ان سلوك الله مع الشيطان وتوظيفه له في وظيفته المعروفة والمنقولة المروية كما كان معناهما ان يفرح الله اقوى الفرح بوجود مثل هذا الغلام ذي الاحتمالات الاثيمة ، وان يبعث اليه حيا سماويا ليحميه ويحافظ على حياته ويبارك وجوده واحتمالاته الشريرة . ان وجوده حينئذ مساعدة للشيطان ، انه قوة في وظيفة الشيطان التي هي اكبر واجل واعلى وظيفة عند الله . ان وجود مثل هذا الغلام الشرير لا بد ان يكون حينئذ مجاملة ضخمة واستجابة ضخمة لحكمة الاله ولمنطقه اللذين بهما خلق الشيطان ووهبه الخلود والمواهب الغوية المنتصرة على كل شيء حتى على الله نفسه وعلى انبيائه وعلى كل ما عاني من تعاليم ومواعظ وكتب مقدسة . ان

الانسان يعصي .. لهذا يصنع الحضارات ـ ه

تخليد الشيطان ليفسد البشر ، وان تركيب الشهوات والضعف والغباء فيهم ووضع كل اسباب الغواية امامهم لادلة على ان الله محارب للانسان ومعاد له ، وليس مساعدا مهما بعث اليه بالتعاليم والنبوات المفهورة . ان الله يعلم ان الانبياء والمفكرين الذين يبعث بهم مهزومون امام الشيطان. فارسالهم استهزاء بالانسان لا مساعدة له . ايها المفكرون عن السماء ، المبلغون عنها ، لماذا تفضحون اخلاق وذكاء سكان السماء بكل هذه الغوغاء!

وفي ختام رسالتك المفعمة بالتساؤل والحيرة والحماس النفسي والفكري ، تطلب مني ايها الصديق التفسير والهداية . لقد كانت تساؤلاتك تساؤلات جادة وصادقة ومحاصرة ومعاقبة للفكر بقسوة وشمول . لقد كانت اسئلة فيها كل معاني وطاقات الافتراس .

ولكني امرؤ لا يفاجأ بالتساؤلات ولا يهدى اليه جديد منها . ان كل التساؤلات وكل المتسائلين يعيشون داخلي ، انهم بعضي ، بعض وجودي وبعض تساؤلاتي الباهظة الآلام والاحزان . ان كل التساؤلات وكل المتسائلين يعيشون في ذاتي ، في عقلي ومشاعري وتحديقاتي وفي اعصابي واخلاقي وكلماتي وفي كل آفاقي واتجاهاتي وفي كل تفاسيري وقراءاتي .

انني لست انسانا يسأل او انسانا مريضا بالسؤال، ولكني سؤال يسكن انسانا ويعذب انسانا . اني لست سؤالا عاليا او كونيا ، اني اكثر من ذلك ، اكثر معاناة وعذابا من ذلك . انه ليس العالم او الكون هو وحده الذي يتحول الى اسئلة لتعاقبني وتعيش بوحشية في كل وجودي ، في كل افكاري وتحديقاتي وآمالي واحلامي واخلاقي وفي كل الاسى .

انه ليس الوجود وحده هو الذي يعتدي علي متحولا الى اسئلة عدوانية مقاتلة لمنطقي واخلاقي وتعاديجي وآمالي .

ان غير الوجود ايضا ، ان غير العالم وغير الكون يتحول في وجودي الى اسئلة فيها كل معاني القتال وادواته الضاربة ، الضاربة بكل عنف . ان غير الموجود يتحول الى اسلحة تقاتلني ، انه يتحول اتي اسئلة فيها كل معاني وجنون وقسوة الاسلحة . انه لعذاب فوق الاحتمال ان تواجه الموجود ، متحولا الى اسئلة ، فكيف تواجه الموجود وغير الموجود متحولين الى اسئلة ؟ ان غير الموجود يتحول مثل الموجود الى اسئلة

مقاتلة . ان ذاتي جهاز عامل لصناعة الاسئلة ولصياغتها ولافرازها بالتجمع فيها ولدعوتها اليها وللترحيب بها وللبحث عنها ولاطلاقها على كل الانجاهات والاشياء ، وبكل الاساليب وعلى جميع المستويات . اني امارس ذاتا هي اعظم مصنع في الكون للاسئلة ، واكبر مكان تتجمع فيه الاسئلة ، واكبر جهاز لاطلاق الاسئلة . انها اعجب جهاز لتحويل كل شيء لي مذاب ، الى تصادم ومناقضة باعظة التعذيب .

ان كل شيء ، وان اي شيء ، وان ما ليس شيئا ايضا ليحول الى سؤال ، الى كل صيغ واساليب الاسئلة . انه لا شيء لا ولا بعد ان يتحول الى اسئلة ، الى اعداد هائلة من الاسئلة تتقاتل في ذاتي . ان كل ما ليس شيئا يتحول في ذاتي الى اسئلة مقاتلة ـ حتى ما ليس شيئا .

حتى اكتئاول ، انه يتحول في وجودي الى تساؤل . اني اسأل واحول كل شيء بل وكل ما ليس شيئا الى اسئلة ، ثم احول الاسئلة والتساؤلات الى اسئلة وتساؤلات . اني اسأل ثم اسأل :

لماذا اسأل ، من فرض علي ان اسأل ، من يلقي داخل ذاتي الاسئلة، ولماذا ، وماذا اريد حين اسأل . وهل انا اسأل ، وماذا يعني ان اسأل ومادا يعني ان يكون الانسان سائلا ، وماذا يعني ان تكون الاشياء مسئولة او مسؤولا عنها ، ولماذا تجيء كذلك . لماذا لا تجيء صامتة مصمونا عنهما . لماذا انا سائل والاخرون صامتون .

وهكذا بلا توقف ولا راحة ولا اقتناع ولا جواب . ان الجواب ، ان اي جواب يتحول هو نفسه الى مسيرة لا نهاية لها من الاسئلة . ان اطول مسيرة واطول طريق في حياة الانسان هما تساؤلاته . ان التساؤل طريق لم توضع له نهايات .

ان التفسير يحتاج الى تفسير ، وان الاقتناع يحتاج الى اقتناع ، وان رؤية الشيء تحتاج الى اقناع لماذا هو ذاته ، ولماذا ذاته هي ذاته ، ولماذا هذا الشيء ، ولماذا اي شيء . وان رؤية الله لتتحول الى اسئلة اكثر واصعب واحد من اسئلة : اين هو الله ، كيف اقتنع بالله .

ان رؤية الله تصبح سؤالا اضخم واعصى من العجز عن رؤيته . ان رؤية الله تطلق الاسئلة ولا تسكتها .

ان اصطدامي بالله حين اواجهه ـ لو واجهته ـ اقسى واقوى من اصطدامي به وانا لا اراه ولا اواجهه ولا اقنع به . انه لا شيء يرجح من عذاب السؤال حتى ولا اصدق واقوى جواب .

ان الشمس تظل سؤالا حزينا ضائعا ، ظالمة وغالبة ، متعالية ومتعاوية .

ان هذا هو العذاب ، فهل هو عذاب نبيل أم عذاب رديء ، هل هو عذاب لذيذ أم عذاب اليم ؟

هل هو عذاب ام هو محاولة للتخلص من العذاب ، او للفرار من العذاب او لتخفيف العذاب ام لخداع العذاب ؟

هل هو عذاب ام تداو من العذاب دون امل في الشفاء ؟

هل السؤال موهبة ام نعلم ؟ هل موهبة التساؤل مرية ام تشويه ؟

لماذا نجيء متساؤلين او عاجزين عن اي تساؤل مع ان مواجهاتنا واحدة وعبوننا متشابهة ؟

ان التساؤل اسلوب من اساليب مقاومة العدوان ، وانه ايضا اسلوب من اساليب العدوان . البت حينما تتساءل انما انت انسان يقاوم العدوان او يوقع العدوان ؟ انت حينما تتساءل انما تحاول ان ترفض او ترد عدوانا قد وقع عليك ، او تحاول ان توقع عدوانا يأخذ او يشيء ما .

هل يمكن ان تسأل لو لم تكن تريد ان ترفض عدوانا او تصنع عدوانا ؟ هل يسأل من لم يرد عدوانا او يواجه عدوانا ؟

لقد اعتدى عليك الكون والطبيعة والحياة والاخرون والحيران والمعلمون والمذاهب والنظم . لقد اعتدوا على عينيك وعلى اخلاقك وعلى تفكيرك وامانيك ونماذجك واحلامك وعواطفك وعلى احتياجاتك ووجودك بكل اساليب ومستويات العدوان وبكل تعبيراته . لقد اعتدوا عليك حتما ، انهم دائما عدوان عليك ، لانهم دائما تناقض معك ورفض

الك واستخدام بك وتحد بن واذلال وقهر اك . ان هذا هو الذي يحدث دائما ، ويمارسه دائما كل شيء وكل احد حتى انبل واتقى واعدل الناس ، حتى الانبياء والقديسون . ان هذا هو الذي يحدث دائما ويمارسه كل احد وكل شيء دائما وان كان ذلك بلا تدبير او قصد بل او علم .

ان اي شيء وان اي انسان لن يستطيع ان يكون غير معتدى عليه ، ان الوجود عدوان معطى وعدوان ماخوذ .

ونحن في الاكثر لا نرى هذا العدوان ولا نفطن له ولا نقف ضده باساليب المقاومة المعلنة المباشرة لكونه عدوانا شاملا ودائما ، لكونه عدوانا عاليا كونيا ابديا ازليا ؛ ولكونه احيانا يبدو كالاحتياج والضرورة والحماية والتدبير .

اذن نانت حينما تسأل عن الكون او عن الحياة او عن الناس والمذاهب او عن اي شيء : لماذا ؟ او ما هذا ؟ او من اين ؟ او الى اين ؟ او متى ؟ او كيف .. انما تحاول — باسلوب غير معروف — ان تقاوم العدوان الذي يوقعه بك الكون والحياة والناس والمذاهب والنظم والانبياء والمعلمون — الذي يوقعونه بعينيك وتفكيرك وباخلاقك وبامانيك ونماذجك وباحتياجاتك وبكل حياتك ووجودك .

ان منطقك واخلاقيك وتحديقاتك ونماذجك ومثلك واحتياجاتك وحتى آلهتك واقعة دائما تحت كل اساليب العدوان .. ان سؤالك عن الشيء يعني في نفسك ان ذلك الشيء الذي تسأل عنه شيء غير معقول او غير ملائم او غير عادل ؛ او انه بلا هدف او معنى او منطق . اي انه شيء تستنكره ؛ وترفضه وتخافه وتعاني منه اخلاقك ونظراتك . انك اذن تقاومه باسلوب ما من اساليب المقاومة . انها مقاومة فكرية واخلاقية ونفسية ؛ انها قتال بلا سلاح . ان القتال بلا سلاح هو اشمل اساليب القتال .

ان كل العلاقات والمواجهات والنظرات اساليب قتالية مختلفة ولكنها لم تحسب قتالا لانها كانت قتالا بلا سلاح .

هل يوجد انسان لا يقاتل هذا القتال ؟ هل يوجد انسان واحد — مهما كان عدوا للحروب والقتال ، ومهما كان جبانا او ضعيفا — لا يقاتل

هذا القتال الذي هو قتال بلا سلاح ، وبلا احداث جراح ؟

بل هل يوجد شيء ما لا يقاتل هذا القتال بكل اساليب القتال وبكل غضبه وحماسه وشهواته ؟

هل يوجد انسان واحد لا يقاتل الكون او الحياة او النـاس او الحشرات او الآلهـة بأخلاقه او بتحديثاته او بافكـاره او باشمئزازه او بشبابه او بأي اسلوب من مشاعره ؟

هل يوجد انسان واحد لا يعبـر عن قتاله هـذا بتساؤلاته ؛ بأي مستوى من مستويات تساؤلاته ؟ وهل يمكن ان يوجد من يسـائل دون ان يكـون مقاتـلا ؟

او هل يمكن ان يقاتـل من لا يسـائل ؟ اليس السـلاح هـو اعنف اساليب التـاؤل والمساءلة ؟

ان القديس او النبـي الـذي يهتف بكـل قوة الايمـان والتقوى والخشوع قائلا : يا الهي ، مـا حكمتك ؛ ما اسرارك في كل ما ارى وتفعل ـ ما حكمتك البارعـة البالغة في تعذيب هـذا الحيوان الاعجـم ؛ او في تشويه هذا الطفل البريء ؟.. انني لم افهم يا الهي ما حكمتك ولا مـا اسرارك فيما تفعل وارى .

هبني يـا الهي العظيـم القـدرة على الفهـم ، عـلى فهـم اسرارك وحكمتك . هبني القدرة على الفهم يا الهي الذي اسالـه ولا اجادله او احاسبه ، والذي اعجز عن فهمه دون ان اعجز عن الايمان بـه او عـن الاقتناع بحكمته ، والذي ابكي من ضرباته دون ان اشك في عدالـته او في جماله او في رحمته ، والذي ارفض افعاله دون ان ارفض اي شيء من تدبيره او من ذكائه او من منطقه ، والـذي اخافـه واخاف مفاجآتـه ونزواته دون ان اكرهه ـ والذي اكرهه دون ان اعتقد اني اكرهه .

نعم ، ان القديس او النبي الذي يهتف هذا الهتاف انمـا يعنـي ان يقـول :

انت يا الهي معتد علي ، انت معتد على رؤاي وعلى منطقي وعـلى اخلاقي وعلى احتياجاتي ، وعلى كل تعاليجي وآمالي وصوري النفسية ، وعلى كل مشاعري الانسانية . وانا لهذا اقاومك ، واقاومك ، واقاتلك ،

اقاومك و قاتلك دون ان احمل عليك سلاحا ـ اقاومك واقاتلك بتساؤلاتي .

اني اتساءل ، اني اذن اقاتل ، اقاتل ، قتالا شاملا ولكن دون ان احمل سلاحا .. والقتال بدون سلاح هو اقسى واشمل وادوم اساليب القتال . ان القتال بالسلاح هو بعض هذا القتال .

وهل تعلم الآلهة ان الذين يتساءلون عنها او عن حكمتها واسرارها او يسألونها الفهم والرؤية انما هم قوم يقاتلونها ويتكرونها ؟ او هل تعلم ان الذين يحزنون او يئنون او يتألمون او يشكون مما يعانون او يرون او يجدون او يعرفون انما هم قوم يحتجون عليها وينقدونها بصراخ واعلان .. يحتجون على تدبيرها ومنطقها وعلى اخلاقها ، وينقدون كل ذلك منها ؟

هل تعلم الآلهة ان الاشياء والبشر لا يقاتلون شيئا مثلما يقاتلون الآلهة ؟ هل تعلم ان الصلاة لها من اقوى اساليب متاتلتها ؟

انك اذن حينما تسأل انما تحاول ان تقاوم عدوانا قد اصابك .

وكذلك انت حينما تسأل انما تصنع عدوانا تصب به احدا او شيئا .

لهذا فان جميع الآلهة والطغاة والانبياء والمعلمين يحرمون عليك ان تكون سائلا او متسائلا .. انك اذا تساءلت عن شيء او عن احد ، او ساءلته فلا بد انك قد حدقت فيه ، او انكرته ، او فكرت او شعرت ضده ، او تناقضت معه ، او كرهته ، او عجزت عن فهمه وعن تسويغه ، او اشمأززت منه ، او حسدته ، او نافسته . انك اذن قد اعتديت عليه بأسلوب ما من اساليب العدوان . انك حينما تحدق بنظراتك انما انت محدق بنفسك ، والتحديق النفسي هو اشمل اساليب العدوان . ان اطلاق السلاح ليس الا بعض التعبير عن التحديق النفسي . ان السلاح بعض ممارسة النفس لتحديقاتها .

ان تحديقاتك في الآخرين ، وان افكارك ومشاعرك المحددة اليهم ، المطلقة عليهم ، وان تساؤلاتك عنهم ، وان مشاعرك بالتناقض معهم وبالاشمئزاز منهم وبالحسد لهم وبالعجز عن فهمهم وتسويغهم ـ ان ذلك كله ليس الا اسلحة قتالية تطلقها على قلوب الآخرين وعقولهم ، وعلى مشاعرهم ونظراتهم ، بل وعلى خطاهم وايديهم ، وعلى توازنهم ووقارهم ، وعلى كل وجودهم ، دون ان تشعر بالذنب ، بل ودون ان تعلم انك

فعلت ذلك ، ودون ان تريد فعله .

انك سلاح منطلق دائما على الاشياء وعلى الآخرين ، وان الاشياء والآخرين لاسلحة مطلقة دائما عليك . وان التساؤلات عنك وفيك ومنك واليك لهي اسلوب الاطلاق لهذه الاسلحة ، وجهاز الاطلاق ، ولغة الاطلاق .

انك لن تتساءل دون ان تحسدق او ترفض او تبكر او تناقض او تشمئز او تبغض او تعجز عن الفهم او التسويغ او الاحتمال او التقبل ، او دون ان تخاف او تشك او تغضب . وهل يمكن ان تكون كل هذا او بعضه دون ان تكون ممارسا لكل اساليب العدوان او لبعض اساليبه ؟

اذن فانت اذا كنت هذا او بعضه فانت معتد . وحينذا تكون معتديا فهناك حتما معتدى عليه . اذن فالتساؤل ليس الا عدوانا تمارسه ضد الاشياء وضد الآخرين ، او عدوانا يمارسه الآخرون ضدك او ضد الاشياء . اذن هل يوجد من ليس معتديا ومعتدى عليه ؟

هل يمكن ان يوجد اي تشريع او اية حماية ضد هذا الاعتداء ماخوذا ومعطى ؟

★ ★

ايها الصديق . لقد كنت عنيفا ، انه لم يكن فيك شيء من الرفق . لقد اطلقت في احتشادا تاريخيا اليما . فهل دريت لهذه القسوة على من لا يحتاج الى اي مزيد من القسوة ؟

ولكن دعني اتساءل عما تساءلت منه . غير ان عليك الا تنتظر مني اي جواب . انك قد اخطأت خطأ غير مغفور ان كنت قد قدرت ان تتلقى اي جواب .

اني ايها الصديق لست واهب اجوبة . انني اجهل كل جواب قد يصمت عليه كل الالهة وكل العلمين وكل المذاهب والمذهبيين الى اقصى الاسئلة التي لا جواب من واحد منها .

اني لست نبيا او معلما يضع امام كل سؤال جوابا يكون المنون والاتهام بالزندقة او الخيانة هما بعض جزاء من يشك فيه او من لا يحسن للاقتناع به والدعوة اليه .

ان الاقتناع بالاجوبة المصنوعة اسلوب تاريخي عالي من اساليب

البحث عن السلامة والامن .

اني ايها الصديق لست نبيا او معلما يضع على كل تساؤل من اية دمامة او غباء او عبث او تفاهة او قسوة او ظلم او قذارة او اثم او جنون في الكون او في المجتمع اعدادا هائلة من الاجوبة ، تحرسها و تسرها وتوقع عليها وتقاتل دونها اشرس الآلهة واغباها او اشرس المذاهب واغباها ، او اشرس المخاوف واغباها ، او اقوى الحيوش واغباها ، او اشرس التاريخ واغباه . اني لا احرس الاجوبة المحروسة ولكني احاول ان ارفع الحراسة عنها وان القي بها الى اعنف المعارك .

انني لست نبيا ولا معلما يمتلك كل التساؤلات بسطوة الالهة والمذاهب ، ولكنني انسان يحول كل شيء الى تساؤلات تتصاغر امامها اصغرها اشرس الآلهة والمذاهب . انني لست نبيا ولا معلما يمتلك كل تساؤل بسطوة الآلهة والمذاهب وبسطوة السلاح ..

انني لا اقسر الآلام والاحزان تفاسير تحولها الى صلوات للآلهة والطبيعة والى محاباة للانسان ، ولكنني اقسر المسرات والملذات تفاسير تحولها الى اقتضاح للالهة وللطبيعة والى عدوان على الانسان واذلال له .

انني لا اضع القاسير ، ولكنني ابطل ما وضع منها .

انني لا اشيد الهياكل ولكنني اهدم ما شيد منها .

انني لست حارسا ولكنني مناوئ لجميع الحراسات . انني لست حارسا للآلهة او للنبوات او لازعامات او للمقدسات او للتعاليم او للتاريخ من العقل او من الانسان او من غضبه وتمرده ولكني حارس للانسان من كل حراسة .

انني لا اخشى لن وهبني الظلام شكرا له لانه واهب : اي لانه قد وهبني شيئا هو الظلام .

وكم هم الذين يصلون لمن وهبهم الظلام لانه في حسابهم واهب . والواهب والو الظلام تجب له الصلاة .

ولكنني احاسب من وهبني الشمس لانه واهب مايث ، لانه قد وهبني الظلام والعبث . اليس من وهبك الشمس فقد وهبك حتما الظلام والعبث ؟

ليس من وعيك الحياة فقد وعيك حتما للموت والامراض والاحزان والتلونات !

اني لا اشكر من اوجدني ، لانه لم يوجدني لانه يحبني ، او لانه يختار لي ، او لانه يستجيب لما اريد . ولكنه اوجدني لانه يتعزى ويتداوى من آلامه وفراغه بايجادي .

انه لم يوجدني بحثا عني او عن احتياجاتي لقد كان ايجاده لي نجوما علي . انه لم يوجدني وانما اوجد نفسه .

اني لا اشكر من اوجدني ، لانه لم يوجدني بالتدبير ، وانما اوجدني لانه لا يستطيع ان يصمت عن ايجادي ، لانه لا يستطيع ان يصمت يوقار عن صناعة العبيث .

انه يوجدني لانه عابث ، ولانه مدفوع من داخله ، لانه هارب الى ايجادي ، وهارب بي والي . انه لا يوجدني لانه طيب . لانه يصنع السرور او المجد لاحد او لشيء .

انه يوجدني كما يعبث المتعب بلعبته او كما ينظم اطافره ، ولا يوجدني كما يضع المهندس خطوطه وارقامه . انه يوجدني بالمنطق وبالنيات وبالاخلاق التي بها يعرضني ويشوهني ويقتلني .

انه لا يوجدني كما اريد او كما ينبغي . انه لا يختار لي ، ولكنه يوجدني بالاسلوب وبالحافز الذين بهما يصنع لي الدموع والاحزان والالام والعار والدمامة دون ان يبكي او يخاصمه ضميره . هل شكر البشر كائنا يستحق كل غضبهم ورفضهم مثلما شكروا من اوجدهم او من حسبوا انه قد اوجدهم ؟

يكذبون لكي يروا الإله جميلا

« .. ألست حينما تقول : الكون جميل أو رحيم أو صديق أو معقول او اخلاقي انما تدافع عن الاله وتغفر وتستغفر له وتستر عليه ؛ اذا كنت تؤمن به ــ او تدافع عن الطبيعة وتغفر وتستغفر لها وتستر عليها ؛ اذا كنت تؤمن بها ؟ أليس في الكذب كل معاني المحاباة للاله كما ان في الصدق كل معاني الهجوم والقسوة عليه ؟ أليست هذه المحاباة للاله مثل المحاباة للأبناء حينما يوصفون او يمدحون بنقيض ما فيهم ؟ أليست مثل المحاباة للسلطان الرديء او للوجه الدميم حينما يقال لهما او فيهما ما يريدان او ما يجب ان يكوناه لا ما يوجد فيهما ؟ هل يمكن ان يطلق الاله او ان يغفر له لو عومل بالصدق او فسر او فهم بالصدق ؟ هل يمكن ان يطلق اي شيء او يغفر له لولا الكذب ــ لولا الكذب المنطقي والنفسي والديني والمذهبي والعلمي والاخلاقي ؟ أليس الكذب هو اذكى واتقع اختراعات الانسان في مواجهته للطبيعة ولنفسه وللآخرين ولاربابه وانبيائه وزعمائه ــ في معاملته لواقع لا يمكن غفرانه او فهمه او تفسيره او تسويغه ؛ كما لا يمكن الفرار منه ؟

« .. اننا لمحتاجون الى ان نكون مكذوبا علينا مثل احتياجنا او اكثر من احتياجنا الى ان نكون كاذبين ..

« .. ايهما الكاذب او المذنب : الوجه الدميم ام الذي يقول عن مثل هذا الوجه : انه جميل ؛ رحمة او حبا او تهذيبا او مجاملة او تحرجا او تهيبا ؟ .. وهل فيهما كاذب او مذنب ؟ . »

★ ★

يجيء الانسان ليظل يواجه ويعايش ويمارس كونا رهيبا من التصادم والتناقض والمخالفة والمقاومة والرفض . انه يجيء ليجد كل

شيء يصادم ويناقض ويخالف ويقاوم كل شيء فيه — ليجد كل شيء فيه يصادم ويناقض ويخالف ويرفض ويستنكر كل شيء يجده ويواجهه ويتعامل به او معه .

انه لا يجد شيئا كما يريده او يتمناه او مسالما لمنطقه او لاخلاقه او لاحتياجاته .

انه يجيء ليظل يصادم بكل شيء حتى بذاته ، وليظل كل شيء يتصادم به حتى ذاته . حتى ذاته لتظل تتصادم به ، لتظل ذاته تتصادم بذاته .

ان الانسان يجيء ليظل يمارس حربا دائمة ، مختلفة المستويات والاساليب والمعاني والجبهات والاعداء .

ان منطقه واخلاقه وامانيه واحتياجاته وتوقعاته وضميره وحبه وبغضه وتعاليمه واديانه ومذاهبه وتجاربه ورؤاه — ان كل ذلك فيه ليتناقض ويتصادم بكل شيء ، وان كل شيء ليتناقض ويتصادم بكل ذلك فيه . انه لتناقض وتصادم يتحولان الى حروب وعداوات ، بكل معاني الحروب والعداوات ، وبكل اسبابها وشمولها ونهايتها واحقادها ومخاوفها ، وبكل اساحتها .

بل ان كل ذلك ليتناقض ويتصادم به هو ، وانه هو ليتناقض ويتصادم بكل ذلك . حتى آلهته وانبياؤه وقديسوه ومعلموه ، انهم ليناقضونه ويصدمونه . انهم ليصدمون عينيه واخلاقه وذكاءه وايمانه وامانيه وجميع معانيه وتطلعاته . ان اربابه وانبياءه ومعلميه ليناقضونه ويصدمونه اكثر مما يناقضه ويصدمه اقوى اعدائه ، او شر اعدائه . ان معابد الانسان وكتبه المقدسة لتناقضه وتتصادم به اكثر مما تناقضه وتتصادم به ملاهيه وآثامه بل وخصومه واعداؤه .

هل يناقض منطق الانسان واخلاقه ، او يصدمه في منطقه وفي اخلاقه متلما يفعل له ذلك اربابه ؟ هل يصدم ايمان الانسان شيء متلما تصدمه اربابه ؟

انه لا شيء يصدم ايماننا متلما يصدمه ما نؤمن به ، وانه لا شيء يجرح عيوننا كالذي تريد التطلع اليه عيوننا . . ان الانسان ليجيء ليعيش في عالم موحش مخيف من الاعداء والاضداد ، ومن الخارجين عليه ،

ومن الرافضين والمخيفين والمفاتلين له ، ومن الشاتمين لخلقه ولاخلاقه ولعينيه ، ولكل معاني الانسان فيه . اما عيناه فوالسفاه لهما . انه لا شيء يواجه من العدوان عليه ومن الاساءة المقاتلة له النافذة فيه مثل عيني الانسان . ان عيني الانسان هما اشهر معتدي عليه . ان كل شيء خروج عليه ، خروج على منطقه وعلى اخلاقه وامانيه وتفاسيره واحتياجاته ، وعلى ارادته وفهمه وسروره ، وعلى حبه وصداقته ، وعلى مثله ونماذجه ، وعلى اديانه ومذاهبه ، وعلى جميع مقاييسه المادية والادبية والروحية والانسانية . ان كل شيء يواجهه ويراه ويعلمه ويعامله خروج على ايمانه وعلى كل شيء طيب وجميل فيه ، بل وعلى كل شيء رديء ودميم فيه ! ان كل شيء يتحول الى خصم له وعدوان عليه .

اجل ، حتى عيناه .. اواه .. ما اقسى ما تصنع به وتعامله وتشاتمه وتناقضه عيناه . ان عينيه لاضخم جهاز تفجير واشعال حرائق دائمة باهظة داخل ذاته ، وداخل تفكيره . ان عينيه لاقسى ظالم له ، ان كل شيء لظالم له وظالم لعينيه . ان شيئا لم يظلم الانسان مثلما ظلمته عيناه ، وان شيئا لم يظلم مثلما ظلمت عينا الانسان . انه مظلوم بعينيه ومظلومة عيناه .

ان الواقع او الموجود هو دائما اقل او اضيق او اردأ او اغبى مما يريده ويتوقعه ويتمناه ويحتاج اليه الكائن الحي المعايش له والعائش فيه . ان الكائن الحي يجد الواقع او الموجود الذي فرضت عليه معايشته والعيش فيه — انه ليجد الواقع او ليجد الموجود كل ذلك ، اي كل هذه المناقضة والمخالفة والعجز عن التكافؤ والملاءمة .

انه لا يجد شيئا واحدا فقط جاء او يجيء مساويا او مشابها او مقاربا ومجاملا لشيء من مثله او من نماذجه المختلفة — النفسية او الفكرية او الاخلاقية او الدينية او المذهبية او الذاتية . ان كل شيء يتحول الى مشاتمة والى مهاجاة له . انه لا شيء يجيء مساويا لاحتياجاته او لامانيه او لمثله ، تحت اي ظرف ولا باي تفسير ولا باي مقياس او منطق .

انه ليوجد دائما فجوة او مسافة او خصومة واسعة وحادة بيننا وبين ما نجد — بين كينونتنا ومنطقنا وكينونة ومنطق جميع الاشياء

وجميع الكائنات التي فرضت علينا مواجهتها ومعايشتها ومصادقتها ، بل التي فرض علينا الخضوع لها والتعامل معها والتحديق فيها والدفاع عنها والتعري امامها ، وتعريها امامنا . انه ليوجد دائما بيننا وبين جميع الاشياء والكائنات خلاف وغضب وعداء وعجز عن التفاهم والتوافق والثقة والحب والاحترام ، وعن التشابه في الاهواء او في الاشواق او في النيات او في الاحتياجات او في الالام والمصير ، او في النطق او في التفاسير ، او في الاحزان والمسرات . اننا دائما غرباء ، تواجه ونعايش غرباء ، بل لا نعايش او نواجه الا غرباء .

ان هذا يعني ان الانسان لابد ان يكون باسلوب ما وعلى مستوى ما بل لا بد ان يكون بكل الاساليب وعلى كل المستويات ، خارجا على نفسه ونقيضا لها بل وخصما ، وخارجا على ظروفه ، ومناقضا مخاصما لها ، وخارجا على الاخرين ومخاصما مناقضا لهم . انه لا يستطيع ان يتعامل بكل ذاته ومعانيه مع الاشياء والكائنات التي حوله او مع الاخرين تعاملا حرا وملائما وصادقا ، او تعامل اصدقاء او متوافقين .

اذن كيف يواجه هذا الموقف ؟ او كيف تغطى او تملأ هذه الفجوة او هذه المسافة ، او تعالج هذه الخصومة او المناقضة ؟ كيف يكون العلاج او كيف ينبغي ان يكون ؟ ان هذه هي القضية الصعبة . انه لا بد من العلاج ولو علاجا كاذبا او زائفا . انه لا بد من محاولة العلاج . ان الانسان لا يستطيع ان يواجه ما لا يقبل او يريد بدون محاولة ما ابيدو وكانه قد انتصر .. ان الناس احيانا يحاولون ان يواجهوا هذه الحالة المحتومة الصعبة بالقوة وبالمقاومة وبان يفعلوا شيئا . وقد يستطيعون ان يفعلوا او يظلون يحاولون . وقد يواجهونها ايضا بالصدق والنقد والرفض المنطقي والاخلاقي والنفسي . اي انهم قد يعرفون هذه الحقيقة ويعلنون اعترافهم بها ، ويرفضونها رفضا فكريا وتعليميا ونفسيا ، ولا يذهبون في مواجهتهم لها الى الكذب ليخفوها ، وليحولوا الكذب بها ولها الى تعاليم واديان ومذاهب والى مستويات انسانية .

وانهم اي الناس ليذهبون احيانا ليواجهوا ويعالجوا هذه الحالة باسلوب آخر ، باسلوب متناقض . انهم احيانا اخرى ليذهبون يواجهون ويعالجون هذه الحالة بالفرار والانخداع والخداع . ولكن هذا ايضا اسلوب من اساليب المقاومة . اليس الفرار من الموقف او من الرؤية او من الفهم او من المقاومة اسلوبا من اساليب المقاومة النفسية او الفكرية او الاخلاقية ؟

انهم احيانا ليلهبون يكذبون ويبحثون عمن يكذبون لهم ويكذبون عليهم ليواجهوا ويعالجوا هذا الموقف الاليم المتصادم بين الانسان وبين وجوده ، وبينه وبين ظروفه ، وبينه وبين الاخرين . انهم حينئذ ليلهبون ويشترون الكذب ويشترون انبياء الكذب ومعلميه بكل شيء ، دون وقار او ذكاء او تأثم من دفع اي ثمن ، لكي يغطوا او يخفوا هذا التناقض والتصادم . لقد وجدوا في الكذب جهاز اخفاء وتغطية جيدا . ان الكذب هنا ليس هو اخفاء الواقع بل الاقتناع ضده وكذا التعليم ضده . انه الكذب العقلي . وليس في الناس من يمارسون احد الاسلوبين فقط ودائما دون النقيض . انهم جميعا يمارسون هذا وهذا على مستويات متفاوتة . حتى الاقوياء والاذكياء جدا لا بد وان يمارسوا ولو احيانا اسلوب الفرار والانخداع والخداع مهما مارسوا اسلوب القوة والمقاومة . كما ان الضعفاء والاغبياء لابد ان يمارسوا ولو احيانا قليلة اسلوب المقاومة والقوة . انهم لا يستطيعون ان يختاروا دائما الفرار والانخداع والخداع . ان القوي لا يستطيع ان يكون دائما مقاوما وقويا ، وان الضعيف لا يستطيع ان يكون دائما هاربا ورافضا للمقاومة

اننا لا نستطيع دائما ان نكون جبناء وهاربين . ان الجبن احيانا ، وكذا الفرار يصبح امنية صعبة ، لا يستطيع الظفر بها كل فارس مقدام . ان الجبن ليصبح احيانا بطولة لا يستطيعها احد ممن صناعتهم البطولات . انه اي الجبن قد يصبح شجاعة لا يجرؤ على اقتحامها اشجع الشجعان . ان الجبن قد يصبح مستوى او اسلوبا من اساليب الشجاعة والكبرياء التي لا يستطيع الاقدام عليها او الالتزام بها احد . نعم ، ان احدا لا يستطيع ان يكون دائما جبانا وهاربا .

لقد كان محتوما ان يصبح البارعون في الكذب الاجراء عليه زعماء وقادة وانبياء ومعلمين ، كما كان محتوما ان يصبح الزعماء والانبياء والقادة والمعلمون كذبة باسلوب ما وعلى مستوى ما ، او كذبة بكل الاساليب وعلى كل المستويات . ان البارعين في الكذب والاجراء عليه ، اي الكاذبين جدا يصبحون اكبر الزعماء والقادة والانبياء والمعلمين ، كما ان اكبر الزعماء والانبياء والقادة والمعلمين لا بد ان يصبحوا اكبر الكذابين ولا بد ان تصبح اكاذيبهم هي اكبر الاكاذيب . لقد كان مستحيلا ان يكون هؤلاء بلا اكاذيب كبيرة بقدر ما يستحيل الا يتناقض الانسان مع وجوده ومع عقله واخلاقه وآلهته .

أن هؤلاء يجيئون كالاعتذار عن هذا التناقض او التصادم بين الانسان وبين مواجهاته وممارساته ، او كالتغطية او الستر او الاخفاء لهذا التناقض والتصادم . انهم يجيئون كالملاج الكاذب المخلف ، او كالملاج الزائف المقبول المربح . انهم يجيئون كالطبيب الذي يعالج بالسحر وبالتحدث الى النجوم والى الأرقام والاسماء التي لا تمارس الحياة ولا تمارسها الحياة . بل انهم ليجيئون اعتذارا وعلاجا ، لا كالاعتذار وكالملاج فقط ، واطباء لا كالاطباء فقط .

ان الطبيب هو اصعب الكاذبين على الاكتشاف . انه لا احد يصعب اكتشاف زيفه وكذبه وجهله اكثر من الطبيب او مثل الطبيب . انه لا يوجد جاهل او كذاب او زائف يوثق به ويؤتمن زيفه وجهله وكذبه على اعظم الاشياء واغلى الاشياء قيمة ، كالطبيب . ان الالهة مع ضخامة المحاباة التي يهبها اياها اعتقاد المؤمنين بها لتذهب تحسد الاطباء على ضخامة المحاباة التي يهبهم اياها ضعف الناس واحتياجهم وعجزهم وجهلهم .

انه لا يوجد جاهل عاجز كاذب يظن به العلم والقدرة والصدق ويطلب منه المستحيل ويرجى منه المستحيل ، مثل الطبيب . انه لا يوجد من نحتاج الى الاقتناع به والى ان ننتظر منه ان يصنع لنا ما لا يستطيع كالطبيب. ان الطبيب هو النبي الذي لا يحتاج الى اية معجزة .

ان جميع الزعماء والانبياء والقيادة والمعلمين والوعاظ ، في جميع العصور والمجتمعات لا يساوون اكثر من المسافة التي تفصل بين ما يريده الانسان وما يجده ، او لا يساوون اكثر من التناقض او التصادم بين الانسان وبين وجوده ، او بين احتياجاته وآمانيه وتطلعاته وبين واقعه . وان الكذب تحت جميع ظروفه ، ومفسرا بجميع اسبابه وتفاسيره لا يساوي او لا يعني اكثر من هذه المسافة الفاصلة بين ما يريده الانسان وبين ما يجده ، او من هذا التناقض والتصادم بين منطق الانسان وجوعه واشواقه وضروراته ، وبين ظروفه وما يستطيعه .

هل يمكن ان تؤمن باي زعيم او نبي او واعظ او باي اله او باي دين او مذهب لولا التصادم والتناقض والتعادي بيننا وبين مواجهاتنا واحتياجاتنا ومعايشاتنا اي بيننا وبين ما نريد ونشاهد ونعامل ونجد ؟ انه لهذا لا بد ان يصبح الكذب الزعماء والدعاة والقادة والانبياء هم اعظمهم حظوظا واعلاهم صوتا ومكانة وقوة وسلطانا وسحرا وتاثيرا على ذكاء السوق وفي حيازات

السوق . ان اي زعيم او واعظ ديني ، لو دخل اية سوق بلا ابة اكاذيب ، لما وجد من يشتريه بأي ثمن .

ان الكذب الذي تطالب به السوق وتريده وتحتاج اليه من هؤلاء ، ومن جميع المتعاملين معها وعليها ، ليس هو فقط الكذب الاخلاقي ، وليس كذلك هو فقط الكذب الفكري والنفسي والتعليمي ؛ بل هو كل ذلك . ان البشر لمحتاجون الى ان يعيشوا كل انواع الكذب والى ان يتعاملوا بكل انواعه ويعلموا كل انواعه . انه الكذب الفكري والنفسي والتعليمي والاخلاقي .

وانه لهذا لا بد ان يصبح الصادقون من الزعماء والانبياء والدعاة والقادة ، وكذا المحتاطون والمشترطون والمتوقفون والمتودعون في كذبهم ، اي لو وجدوا ، ان هؤلاء لو امكن ان يوجدوا لا بد ان يصبحوا شذوذا وقلقا وتعذيبا وتشويها في السوق وللسوق . انهم لن يصبحوا انبياء ولا زعماء في حسابات السوق او التاريخ .. انهم لو وجدوا فلن يجدوا منبرا ولا محرابا ولا انسانا يصعدون فوقه او يتوجهون اليه او يتخاطبون ويتفاهمون معه . انهم حينئذ لن يجدوا عيونا او آذانا او عقولا او ارواحا يستقطون فيها ليفسدوا قدرتها على الرؤية والسماع وعلى الفهم والتقبل والرفض ، او ليفجروا فيها صدقهم . ان من يصدقون ومن يحتاطون او يتودعون او يتوقفون في كذبهم ، ان هؤلاء لو امكن ان يوجدوا لا بد ان يوصموا بانهم من المفسدين والمعوقين ، بل من الخونة والمرجفين ودعاة الهزيمة والتشاؤم ، بل من المتآمرين والاعداء ، بل من الهدامين الضالين المشوهين لجمال الالهة ولجمال الطبيعة والاشياء ، ومزايا المذاهب والايمان والاتباع ، ولعبقريات الزعماء والقادة والمعلمين والانبياء .

ان كل عبقرية الالهة والانبياء والزعماء وكل نظافتهم لا تساوي اكثر من الكذب لهم ، ومن كذبهم لانفسهم ؛ ومن الكذب باسمهم . ان هؤلاء — لو وجدوا — لا بد ان يتهموا بانهم من اعداء القيم الثابتة ، ومن المخربين للثقة بالنفس وبالتاريخ وبالآباء وبما هو موجود ، ومن الملقين بكل ذلك تحت انياب الشكوك المفترسة . انهم هدامون معادون للمجتمعات . انهم اسلوب من اساليب الوباء . انهم صانعون لوباء ومعبرون عن وباء وحاملون لوباء .

ان من يشكون محسوبون دائما من اخطر المخربين والمتآمرين

والأعداء . ان الفلك كيفما كانت اسبابه وموضوعاته لا بد ان تحاسبه المجتمعات والمسيطرون عليها اي على المجتمعات مثل قوة معادية او مخربة او متآمرة او كل ذلك او اكثر من كل ذلك .

ان الصادقين لا بد ان يعدوا في كل الاسواق والمجتمعات وفي كل التاريخ مخربين واعداء .

★ ★

ايتها الآلهة والنبوات والزعامات والمذاهب والعقائد والتعاليم .. ايتها الاشياء والكائنات — كل الاشياء وكل الكائنات .. ما اقل جمالك واردأ حظوظك لولا الاكاذيب التي تهبك كل جمالك وكل حظوظك — لولا الاكاذيب العقلية والتعليمية والنفسية والاخلاقية . لولا الاكاذيب التي تهبنها والاكاذيب التي توهبينها . لولا الاكاذيب التي نتحدثين بها وعنها والتي تتحدث منك وبك . ان هذه الاكاذيب هي غطاؤك العالي الرهيب التأثير . ان تعليم التفاؤل هو احد اكاذيبك ، او هو احد الاكاذيب التي هي كل غطائك . انه احد الاكاذيب لك بقدر ما هو احد اكاذيبك . انه كذب منك وكذب لك وكذب بك .

ان التفاؤل ليس الا سلاحا يحمله الاقوياء والاذكياء والقناصة والقناصون والذين يجدون ويملكون ويحكمون — يحمله كل هؤلاء ليطلقوه كسلاح ورصاص على الاغبياء والضعفاء والمهزومين ، وعلى الذين لا يجدون ولا يملكون ، ويراد لهم الا يجدوا والا يملكوا . ان هؤلاء يحتاجون الى ان يقاتلوا هؤلاء بالتفاؤل بقدر ما هم محتاجون الى مقاتلتهم بالسلاح والسجون والمعتقلات وبكل اساليب الارهاب .

ان الكذب والتفاؤل ليسا منطقا ، ليسا ذكاء او غباء او حبا او اخلاقا ، ولكنهما ابدا سلاح ، سلاح للضرب والقتال لا للزينة او الاستعراض .

ان السلاح قد يكون اسلوب زينة او استعراض . اما التفاؤل والكذب فهما ابدا اساليب قتالية ان الذي يحمل السلاح فوق المنبر ليس حتما مقاتلا ، اما الذي يقول الكذب والتفاؤل فوق المنبر فهو حتما مقاتل .

★ ★

ان الصدق لا بد ان يقتل ، او ان يكلف ما لا يطاق ، او ما يرهق ، او ما لا يرضي ، او ما لا يريح ، او ما لا يصنع شيئا التفاؤل ، او ما لا

يحولنا الى اعجاب وروعة وكمال في عيون الآخرين وتقديراتهم ، وفي معاملاتهم لنا واحساسهم بنا . ان الصدق لن يكون جمالا نحياه به ولا جمالا نرى به . انه لن يكون جمالا في تفاسيرنا ولا جمالا في ذواتنا او كينوناتنا .

ان الصدق يشوه صورنا ونماذجنا المعروضة في الاسواق والتي نريد عرضها فيها . انه يفسد رضا السوق عنا ويفسد رؤيتها لنا .

ان الصدق عدوان على آلهتنا وعلى ابطالنا وعلى اوهامنا وتفاهاتنا الجميلة . انه عدوان على رؤيتنا وعلى تفاسيرنا لآلهتنا ولابطالنا ولاوهامنا. انه عدوان على آبائنا . عدوان على رواياتنا عنهم وعلى تصوراتنا لهم وعلى اعجابنا بهم وعلى انتمائنا اليهم . ان الصدق الحاد وزندقة وفسوق عقلي واخلاقي وعاطفي ولغوي بالالهة وبالابطال وبالمعلمين وبالقديسين وبالاباء ، بل وبالتاريخ وبالطبيعة وبجميع الاشياء .

ان الصدق بذاءة ودمامة وقسوة وعدوان على الآخرين وعلى جميع الاشياء . حتى الشمس . ان الصدق عدوان وبذاءة وقسوة عليها . انه يحولها الى دمامة ، الى دمامة عقلية واخلاقية ودينية ونفسية وذاتية .

ان الصدق همجية كهمجية الطبيعة . انه تعبير عن همجية الطبيعة ، وتحدث عنها ، وابراز لها ، وتذكير بها . ان الصدق هو رؤية الطبيعة والتحدث عنها كما هي بكل ذنوبها وبشاعاتها . وهل توجد همجية اقسى من ذلك او مثل ذلك ؟ هل يوجد من يستطيع رؤية الطبيعة والاشياء والتحدث عنها كما هي ؟ ان الصادق يتحول الى طبيعة همجية بذيئة ، ولكنه يتفوق عليها بالتعبير . ان الفرق بينهما ان الطبيعة تفعل وتمارس همجيتها وبذاءاتها دون تحديث او تعبير عنها باللغة والتفكير والنطق ، اما الصادق فانه يتحول الى تعبير والى حديث عن هذه الهمجية وهذه البذاءات ، والى تذكير بها ، باللغة والنطق والتفكير ، بل وبالرؤية وبالتعليم ، ان الصادق لا يعيش ويواجه فقط الدمامات والبذاءات ، بل انه يعلن عن ذلك ويشير اليه بقسوة وضجيج وباسلوب كانه التعبد ..

ايها الصادق .. انك لتستحق الرثاء والمجاملة لما تعاني من بذاءة وهمجية كم انت معذب ومزعج ومشوه ومخيف وشاذ وغير معقول .. كم

انت كائن غريب وفريد .. كم انت ايها الصادق كذلك لانك ترى الاشياء وتفهمها وتتحدث عنها كما هي . انك تستطيع ان تراها وتفهمها وتعبر عنها كما هي . انك لتجرؤ على ذلك وعلى ممارسته ، انه لامثيل الهول لعقلك ولعينيك ولاخلاقك ، بل ولنواتك وايمانك ان ترى الاشياء وتفهمها وتفسرها وتتعامل بها كما هي بكل الصدق والحقيقة .

اذن كم انت بذيء وهمجي وعدواني ومتوحش ايها الصادق ؟ انت ايها الصادق عدوان وخطر وتشويه وهجاء للآلهة وللانبياء وللآباء وللزعماء وللقديسين . انه تكذيب لهم وتهديد لمجدهم ولسلطانهم . انت ايها الصادق العدو الدائم والعالي لكل الاشياء ولكل الناس ولكل الآلهة ولكل الجمال والتفاؤل .

اما انت ايها الكذب .. ايها الصديق ، ايها المهذب ، ايها العادي ثم وللدماثتنا وتفاهاتنا ولآلامنا ، ودفاعنا عن آلهتنا وتجميلا لدماماتها وأخطائها ، ولعيشها وتضياعها وغبائها وعن آبائنا الصغار جدا وعن تاريخهم الكبير والعظيم جدا .

ـ اما انت ايها الكذب ، ايها الكاذب ، فما اجملك وارحمك وانبلك . ما اسمى واتفى اخلاقك وروحك . انك لا تكلفنا شيئا ، ولا تهددنا بشيء ولا تعيرنا بشيء ، ولا تفسد علينا شيئا . انه لا يوجد عميل او صديق او رحيم مثلك . ان اي شيء واي انسان واي كائن لا يستطيع ان يستغني عن صداقتك او عن رحمتك ايها الكذب .

انك ايها الكذب ، ايها الصديق النبيل ، لا تفرض علينا ان نكون شيئا ، ولا ان نعمل شيئا ، ولا ان نترك شيئا ، ولا ان نتنازل عن شيء من ذنوبنا او من اخطائنا او من قبحنا وصغائرنا ، او من اكاذيبنا وبلاداتنا ، او ان نفقد او نخفي شيئا من تزويرنا وتلويثنا لانفسنا ومن اساطيرنا عن آبائنا الصغار الفاوين جدا .. والكبار المتطهرين جدا .. الغزاة القهارين .. والغزوين المقهورين

ـ نعم ، انك ايها الكذب النبيل لا تفرض علينا شيئا من ذلك لكي نرضى عنا ونعجب بنا ، ولكي نعلن عن رضاك عنا وعن اعجابك بنا ، بل ولكي تعلمنا الاعجاب بانفسنا والرضا عنها ، وتعلمنا ان نعلن عن اعجابنا

وعن رضانا بل وان نحول اعجابنا ورضانا الى مذاهب وادیان .

انك لا تشترط علينا اي شرط لكي نهبنا كل ما نريد وكل ما لا نريد ، وكل ما لا نستحق . وهل لنا واهب سواك ايها الكذب ؟ هل لاي شيء واهب سواك ؟ ان كل ما نعده ونراه ونجده جمالا او مزية او ذكاء او منطقا ثم يصبح او نجده كذلك الا بك .

انك لا تطالبنا بان ندفن الجثة المخيفة البشعة والدمامة ، ولا ان نحرقها ، بل ولا ان نلقي بها بعيدا من بيوتنا او عن معابدنا او عن انفسنا.

بل انك لا تطالبنا حتى ولا باخفاء هذه الجثة . ولكنك تطالبنا فقط بانكارها ، بانكار وجودها ، او بانكار انها جثة ، او بانكار انها دميمة . انك لا تطالبنا بان نغفا عيوننا ، بل انك لتطالبنا بان نفترض عيوننا غير موجودة .

انك لا تكلفنا بان ننظف ملابسنا من الاوساخ ، بل ان نلبسها من الداخل ، بل ان نلبسها بكل اتساخها من الخارج ، ولكن مع تعليق بطاقة فوقها تتحدث عن روعتها وروعة نظافتها . انك لا تشترط علينا شيئا من النظافة او حتى اخفاء القذارة لكي نتحدث عن نظافتنا . انك لا تشترك الحديث عن نظافتنا حتى حينما نرفض اخفاء قذارتنا او نعجز عن اخفائها . حتى الصمت ، انت لا تصمت عن الثناء علينا بما لا تجد الا نقيضه . ولعل كل تعليم للنفس بان تكون فاضلة ونظيفة لا يعني الا لبس الملابس المتسخة من الداخل ، او لبسها من الخارج مع وضع رقعة فوقها تشيد بنظافتها ، او منقولة وساختها من وجهها الخارجي الى وجهها الداخلي . لعل كل التقوى لا تعني الا ان تكون مطيعا بحركاتك وصلواتك عاصيا بنياتك وشهواتك واحتياجاتك .

انك ايها الكذب لانت افضل وانبل خالق ، لانك تحاول ان تخلق ما ينبغي وما يراد ، ولست تخلق فقط كما تفعل الالهة والطبيعة . انك تحاول ان تكمل وتحمل ما خلقته الطبيعة او الالهة ناقصا او دميما . لهذا انت ايها الكذب افضل وارحم خالق .

ما اقبح واقسى وانذل كل الاشياء لولاك ايها الكذب .. ايها المتناقل لتستر عار الالهة ودمامتها ، ولتستر عار الطبيعة ودمامتها ، ولتستر عار الانسان وضآلاته وقضائحه وآلامه .

انك ايها الكذب لاضخم محاولة عالمية للتكفير وللاعتذار عن ذنوب الاشياء واخطائها وعاهاتها ، واليها من ذنوبها واخطائها ودماماتها .

انك لست فقط اعتذارا عن عيوب الاشياء بل واعتذار الى الاشياء عن عيوبها .

انك ايها الكذب لانت اعظم مجاملة عالمية يجامل بها العالم نفسه . اذن لماذا يشتمك كل العالم ايها الصديق لكل العالم ؟ ايها الكذب ؟ لقد كان شتم العالم لك اسلوبا جيدا من اساليب التحية لك بل من اساليب المبايعة لك انك اعظم صديق عالمي للآلهة وللناس وللطبيعة ولجميع الاشياء . انك اعتذار الى كل شيء عن دماماته وتفاهاته . انك محاولة اعتذار عن كل شيء والى كل شيء . انه لم توجد وسيلة يعتذر بها كل شيء الى كل شيء مثل الكذب او غير الكذب . انه لا يوجد شيء يغفر لكل شيء اخطاءه وعيوبه بكرم ونبل مثلك او غيرك ايها الكذب .

ان كل ذلك هو بعض مزاياك ايها الكذب انك لا تطالب بشيء ولا تكلف او تشترط شيئا ، ولا تحتاج الى شيء ولا تحوج الى شيء .

انك لا تطالب لنفسك باي شرط لكي تمارس كل نفسك ضد نفسك لمصلحة الارباب والزعماء والمعلمين بل ولمصلحة الانسان .

انك ايها الكذب تحتاج فقط الى جمهور شديد الغباء وشديد الرغبة في الايمان والاتباع . بل انك احيانا تحتاج الى جمهور شديد الذكاء . ان شدة الذكاء قد تعني شدة الرغبة في التصديق والاتباع ، او قد تقترن شدة الذكاء بشدة الرغبة في التصديق ، او انه ليس محتوما ان تنافي احداهما الاخرى .

ان موهبة الذكاء لا تستطيع ان تعصم من احتياجات الغباء او من ممارساته او من ضعفه او من اخلاقه .

ان الاذكياء والاغبياء يساوون او يشتركون في تصديق الاكاذيب ؛ بل قد يتفوق الاذكياء في هذا التصديق ، لان سلوكهم الذهني يكون اكثر واقوى حماسا واستقبالا وتلمسا ، واكثر حركة ، واقدر على الحركة . وتصديق الاكاذيب المعروضة قد يكون تعبيرا عن قوة الحماس والاستقبال والتلمس ، وعن سرعة الاستجابة والحركة ، وعن قوتهما ، وعن القدرة على ممارستهما . ان الاذكى قد يكون هو الاسرع الى الوقوع في الغباء وفي الاكاذيب الغبية . انه قد يكون هو الاجرا على ذلك والاكثر وقوعا في

طريقه .

ان تصديق الكذب ليس مستوى من مستويات الذكاء او الغباء او من مستويات التقوى او الفجور . ولكنه اي تصديق الكذب مستوى من مستويات الانسان ، او تعبير من تعبيراته . ان الانسان يصدق ويخدع ويتقبل لانه انسان لا لانه ذكي او غبي ، لا لانه طيب او شرير . انه يصدق ويخدع ويتقبل بالاسلوب الذي به يجوع ويخاف ويموت ويمرض .

ولعله اي تصديق الاكاذيب ليس مستوى من مستويات الانسان ، وانما هو تعبير من تعبيرات رفضه واحتجاجه وغضبه واشمئزازه ، ومن تعبيرات تناقضه وتصادمه بتفكيره وبرؤاه ، وبأمانيه واحتياجاته ، وبتطلعه الدائم الحاد المصدوم المردود دائما . لعل تصديق الاكاذيب هو اقسى وانفى اساليب الاحتجاج والغضب على كل ما هو كائن وعلى كل ما يمكن ان يكون . على منطق كل شيء وعلى اخلاق كل شيء وعلى احتمالات كل شيء .

ان الكذب الديني او الوطني او القومي او المذهبي او التعليمي لاعظم واسخى واتفع هدية يهديها الانبياء والزعماء والقادة الكاذبون الماكرون القتلة لجماهيرهم ومجتمعاتهم . ان هذا الكذب يهب هذه الجماهير والمجتمعات التفاؤل والراحة والاستقرار والتفاسير الذكية لتحالف البلية . انه احيانا يخلصها من المعاناة الشاقة ، ومن الرؤى الاليمة الشديدة الدمامة ، ومن الرفض والاشمئزاز الراهبين كل العذاب ، ومن التفكير ضد كل شيء ، وخروجا على كل شيء . اننا لا بد ان نكون خارجين على كل شيء لولا هذا الكذب الديني او الوطني او القومي والمذهبي او التعليمي . اننا بدون هذا الايمان لا بد ان نخرج على كل شيء احد اساليب الخروج .

ان الزعيم او القائد او النبي او المعلم الذي يذهب يتحدث بكل الصراح والافتضاح عن انتصاراته العسكرية او السياسية او المذهبية ، او الدينية او الاخلاقية او الدعائية التي لا يتسع لها الكون ولا منطق الكون او ضميره او اخلاقه ، بل التي لا يتسع لها او يقدر عليها ذكاء الآلهة او قدرتها او دهاؤها

ـ نعم ، ان ذلك الزعيم او القائد او النبي الذي يذهب يتحدث كذلك او يكذب بهذا الاسلوب عن جماهيره الصابرة الطيبة المطمئنة

الشديدة الاخلاص والغباء والولاء ، منتزعا لها هذه الانتصارات المتفوقة على ذكاء الالهة وعلى كرمها ورحمتها وقدرتها وعلى كل تاريخها .

ـ نعم ، انه بذلك يهب جماهيره ويصنع لها اعظم الاشياء ، وانها لتباركه بكل مواهب الطاعة والاستسلام والايمان والشكر والخصب والاعتراف فيها . انها لتذهب تهبه وتشكره وتباركه وتصدقه بلا حساب، ان الجماهير لا تصدق او تشكر او تحب بقدر ما يصنع لها او بقدر ما ترى ، بل في الاكثر بقدر ما يقال لها ويكذب عليها .

انه لممكن دائما اخفاء الاكاذيب ، او التقبل او الغفران لها مهما كان افتضاحها وتعريها . ان الناس قد يعجزون عن رؤية الاكاذيب مهما كانت ضخامتها ، او عن استقباحها مهما كانت دمامتها ، او عن رفضها مهما كانت بلادتها ، او عن محاكمتها او محاسبتها مهما كانت ذنوبها ، او عن الاشمئزاز منها مهما كانت وقاحتها . ان الكذب شيء لا يمكن كما لا يراد اكتشافه . واذا اكتشف او بدا انه قد اكتشف فالامر لا يمكن ان يكون كذلك . ان الذي اكتشف هو ان ارادتنا لا تريد هذا الكذب الذي اكتشف ، او الذي بدا انه قد اكتشف ، ولا تتلاءم معه ، وانما تريد كذبا آخر وتتلاءم مع هذا الكذب الاخير الذي ذهب يطارد ويرفض وينافس ذلك الكذب الذي بدا وكأنه قد اكتشف . ودائما الاكاذيب تتناقى وتتنافس وتتشائم وتتقاتل ويقتل او يهزم او يطرد بعضها بعضا . لقد كانت كل المجتمعات في كل التاريخ ولا بد ان تستمر تخوض كل المعارك باكاذيبها لمقاتلة الاكاذيب الاخرى .

ان القضية دائما هي ان كذبا يطارد ويهزم كذبا . وليست القضية ان كذبا ما قد اكتشف او انه قد يكتشف ، او انه قد يراد اكتشافه او يستطاع اكتشافه ، او يحاول اكتشافه ، او ان الكذب يكتشف الكذب .

ان الكذب قد يقتل الكذب او ينتصر عليه ولكنه لا يكتشفه كما تقتل الحشرة الحشرة دون ان تكتشفها .

ان ترك اي شيء او تخطيه ليس اكتشافا له ، او ليس اكتشافا لكذبه ، ولكنه استبدال به ، او قدرة على الاستبدال به ، او ارادة لهذا الاستبدال . ان ترك اله او زعيم او دين او مذهب للانتقال الى آخر ليس اكتشافا بل استبدال وانتقال .

انه لا توجد لغة او علامات او شعارات او اخلاق خاصة بالكذب واخرى خاصة بالصدق ، كما لا يوجد آلهة او انبياء او زعماء او قادة للصدق واخرون للكذب . انه لا يمكن فهم هؤلاء او تمييزهم من هؤلاء ، اي لو انهم كانوا موجودين ، اي او انه كان الصدق آلهة وانبياء وزعماء وقادة ، وكان للكذب مثلهم اي نقيضهم من الالهة والانبياء والقادة والزعماء . ان آلهة وانبياء وزعماء اي مذهب او دين يستطيعون ان يكونوا آلهة وانبياء وزعماء الدين او للمذهب المناقض تحت الظروف الاخرى .

اننا مهما علمنا الكذب او عانينا منه فقد نظل نظنه الصدق الصدق . لقد عاشت البشرية اضخم الاكاذيب وكل الاكاذيب ، اطول الدهور وكل الدهور ، ولا زالت تفعل ذلك ، دون ان ترفض نفسها او تنكرها او تنقدها او تكتشفها . ان معاناة الكذب لا تتحول الى نقد له او الى غضب عليه . ولكن هل نكذب او نقبل الكذب او تحول الى معاناة ؟ الينا نتقبل الكذب ونكذب هربا من المعاناة ؟

ان كل شيء يكذب هذه الاكاذيب السماوية الخالدة ، ويسخر منها ، ويفضح ضعفها ، ويعري بكل قسوة سخفها واستحالتها .

ان اضخم الاكاذيب واكثرها بشاعة واقتضاحا قد تكون هي اقوى الاكاذيب في كل اسواق التاريخ . لان اضخمها هي اكثرها اغراء للسوق واستجابة لاحتياجاتها وتوافقا مع اخلاقها وشهواتها .

ان البشر عاجزون عن ان يجدوا او يبصروا حدودا بين ما هو صدق وحقيقة وما هو كذب وباطل . انهم عاجزون عن ان يفهموا الفرق بين لغة هذا وشعاراته ومذاهبه وزعمائه وانبيائه ، ولغة نقيضه وشعاراته ومذاهبه وزعمائه وانبيائه . ان البشر لم يجتمعوا او يتوقفوا في اي وقت ليسألوا عن الحدود والفروق بين النبي الصادق والنبي الكاذب .

ان هذه الحدود والفروق غير موجودة او غير مفهومة . انها حتما غير معروفة وغير مستطاع ان تكون معروفة . ولكن هل هي موجودة ؟ انها مخاطرة عقلية واخلاقية وانانية الزعم بانها موجودة .

ان المعلم او النبي او الزعيم الذي يقتنع بوجود هذه الفروق او بمعرفتها ليستحق كل الرثاء .

ولعل حياة الانسان غير محتاجة الى معرفة هذه الحدود والفروق، بل لعل حياته غير محتاجة الى ان تكون هذه الحدود والفروق موجودة .

ولعل منطقه واخلاقه غير محتاجة كذلك الى شيء من ذلك .

لعل مذاهب الانسان واخلاقه وافكاره وتبوانه غير محتاجة الى وجود هذه الحدود والفروق ، او الى معرفتها الا بقدر احتياج غريزته الجنسية الى ذلك .

لعل اي شيء في الانسان ليس محتاجا الى وجود هذه الحدود والفروق والى معرفتها الا بقدر احتياج منطق الحشرات وحياتها واخلاقها ورضاها عن نفسها وعن شرفها وذكائها الى ذلك .

ان الصدق هو واقع الطبيعة ، وان الكذب هو واقع الانسان ـ انه واقعه النفسي والفكري والمثالي والنموذجي والديني والمذهبي والاخلاقي. اي حينما نفترض ان الصدق والكذب شيئان ، او حينما نفترض انه يوجد صدق على اي معنى من معانيه .

اذن فالصدق والكذب كلاهما واقع ، اي حين افتراضهما شيئين او نقيضين . وحينئذ اليس الانسان احوج الى واقعه من احتياجه الى واقع الطبيعة ؟ اي اليس الانسان احوج الى ان يكون انسانا منه ان يكون طبيعة ؟ اي احوج الى ان يكذب والى ان يعشق الكذب ويتعامل به ويتعامله من ان يصدق ويعشق الصدق ويتعامل به ويتعامله ؟ ان الانسان يكون انسانا اي يكون شيئا غير الطبيعة او فوقها او اكثر منها بقدر ما يكذب ، بقدر ما يكذب كذبا مذهبيا ودينيا وتعليميا واخلاقيا .

ان الزعيم او القائد او النبي او المعلم الذي يريد ان يكون صادقا ويستطيع ان يكون صادقا ويصدق ـ ان مثل هذا الزعيم او القائد او النبي او المعلم ـ لو وجد ؛ لو كان ممكنا ان يوجد ـ لا بد ان يخسر كل صدقه واخلاقه وكل قدرته على الاقناع . انه يصبح كائنا كريها وثقيلا وذميما وذميما وجلفا وقحا مرفوضا . انه لا بد ان يحرض على نفسه كره الجماهير ورفضها ومشاعرها الجبانة الانانية بلا ذكاء او وقار . انه لا بد ان يحرض ضد نفسه احتياجات الجماهير وتقاليدها البليد الكسول ـ هذه الجماهير التي لا تستطيع ان تعرف الصدق او تحترمه او تريده او تبحث عنه ، او يكون شوقا او املا من اشواقها او آمالها .

ولماذا تريد الجماهير الصدق او تحترمه ؟ ولماذا يصبح احد آمالها او اشواقها او همومها ؟

انه اي الصدق لا يمكن ان ينفع الجماهير او يصلحها او يتلاءم معها او يرضيها عن نفسها ؛ او عن اربابها وسببائها وزعمائها وقادتها ؛ او عن ماضيها او مستقبلها ؛ او عن آبائها وابنائها ؛ او عما في مجيئها وبقائها وذهابها من منطق وكبرياء ومجد واهداف عظمى ؛ ومن تدبير بعيد الاعماق والذكاء والاخلاقية .

انه للعذاب الشامل والقبح الشامل والتشويه الشامل ان تعجز الجماهير عن تصديق الاكاذيب او عن قبول التفاسير الكاذبة لمعنى وجودها . كيف تريد الجماهير الصدق ؟ ولماذا تريده ؟ وماذا يعني الصدق عندها ؟ ماذا يساوي ؟ ولماذا يساوي ؟ وهل يساوي ؟ اعني لو كان ممكنا ان تعرفه او تجده ان الجماهير حينما تقبل الصدق وتقتنع به او تو قبلته واقتنعت به ؛ لا تفعل ذلك لانه صدق بل لانه يتلاءم معها او لانها لم تجد سواه . ان الصدق لن يكون الا تحريضا للجماهير ضد رضاها عن نفسها وعن آلهتها وعن تاريخها وعن مستقبلها وعن اسلافها وعن انبيائها ومعلميها ؛ وعن اي شيء من واقعها واحتمالاتها وآمالها وتطلعاتها . ان الصدق يحولها الى حرب ضد كل ذلك . انه يصدمها في تفاؤلها وايمانها وتقبلها واعجابها . . انه يصدمها بنذالة ووحشية . ان التفاؤل اعظم وانفع في حياة الجماهير وتحياتهم من كل شيء ؛ من كل الحقائق والمواهب الاخرى .

ان الصدق يرمي الجماهير نفسها كما يرمي الانسان بوقاحة وقظاظة وجلافة .

ان الصدق كائن كالح متوحش بذيء عدواني . ان في الصدق كل منطق الهمجية واخلاقها . ان البشر لم يكونوا اغبياء او مخطئين او ظالمين او اذلالا حينما اجمعوا في كل عصورهم ومجتمعاتهم على مقاومة الصدق وعلى رفض التعامل به او معه .

ان اضعف الزعماء والقادة والمعلمين اخلاقا ؛ واقلهم ضمائر ونيات ؛ واكثرهم سخفا وبلادة ؛ واقلهم شهامة وحبا وذكاء ؛ هم اكثرهم صدقا . ان هؤلاء ـ اي اكثر الزعماء والقادة والمعلمين صدقا ـ يتحولون الى اكثر الوحوش والاعداء والاجلاف وحشية وعداوة وجلافة . ان الوحوش والاعداء والاجلاف هم الزعماء والقادة والمعلمون الذين يصدقون او

يريدون الصدق لانفسهم او للاخرين .

ولكن هل وجد في كل تاريخ الانسانية واحد من هؤلاء الوحوش والاعداء والاجلاف ؟ لقد كان هؤلاء يوجدون دائما في كل التاريخ والمجتمعات بالتعابير الاخرى الكثيرة . ولكن واحدا منهم لم يوجد بهذا التفسير . اي لم يوجد واحد ، واحد فقط يصدق او يريد الصدق لنفسه او للاخرين . لقد كان الزعماء والانبياء والقادة يرفضون دائما ان يكونوا اجلافا او اعداء او وحوشا بهذا التفسير . لقد كانوا عاجزين عن ان يكونوا اجلافا ، او وحوشا او اعداء على هذا المستوى ، لهذا كانوا ابدا عاجزين عن ان يكونوا صادقين .

ان الجماهير لا بد ان تأخذ او ان تؤمل ، بل انها لا بد ان تؤمل مهما اخذت . ان التأميل في الجماهير ليس بديل الاخذ او تعويضا عنه . ان التأميل فيها حاجة .

ان التأميل في الجماعات حالة من حالات الجوع . انه سفر روحي. انه شعر وغناء وفن من فنونها . ان الانسان مهما كان بلا اسفار او عاجزا عن الاسفار او ممنوعا منها فلا بد ان يظل مسافرا سفرا واحدا . لا بد ان يظل مسافرا بروحه . لا بد ان يتجاوز بروحه وامانيه .

ان الجماهير لو اسرت الاله وحولته بكل قوته وعبقريته الى مصمم وصانع ومنتج لاحتياجاتها وشهواتها وتجميع شروطها ومطالبها ، لظلت ايضا مؤملة . ان التأميل في حياتها ليس الا اسلوبا من اساليب الهرب من كينونتها والرفض لها مهما كانت صيغها اي صيغ كينونتها .

انها لهذا ابدا مؤملة . انها لا تكون الا كذلك مهما اخذت او اعطيت ، حتى ولو اخذت او اعطيت الاله ليكون اسيرا ومملوكا يصنع لها ما تشاء. ان كل اخذ وعطاء لن يكون شفاء من التأميل .

ان الآمال حتى ولو كانت كاذبة او مستحيلة او شريرة وعدوانية هي أنبل وافضل واصدق واشمل واخلد انبهاء الانسان . انه لمستحيل ان يعرف بالعلم او بالتفكير او بالاخلاق الفرق بين الآمال الطيبة والمقبولة والآمال الاخرى المضادة .

ان الأمان لا تساوي صدقها وكذبها بل تساوي قدرتها على أن تهب الحماس والروعة والنشوة وعجزها عن ذلك .

ان موهبة التأمين هذه في البشر لتصنع وتهيىء دائما أفضل وأقوى الاحتمالات والفرص لكي توجد وتعيش وتنتصر ابشع وأضخم الاكاذيب والبلادات ، وأغبى وأكذب الزعماء والقادة والمخمن وسائر المحدثين عما لا يرى او يوجد . لقد كانت هذه الموهبة هي دائما الدليل او المعجزة الخارقة الدالة على صدق نبوة الزعماء والانبياء والمعلمين وجميع المدعين، وعلى صدق زعاماتهم وتعاليمهم .

واذا كان من المشكوك فيه ان ترضي الجماهير عمن يعطونها فانه لمحتوم ولو أحيانا ان ترضى عمن يغنون ويخطبون لها بالآمال الضالة التي لن تصبح عطاء ولا وجودا . نعم ، وفعل الآمال التي لا تصدق ولا تعطي هي أروع الآمال مذاقة وسحرا واطولها بقاء .

ما أجملك وأروعك ايتها الآمال الضالة . ما اقسى واتفه الحياة والوجود وجميع الاشياء لولاك ايتها الآمال الضالة . ألست أقوى وأفضل الآمال ايتها الآمال الضالة ؟ هل يوجد من يستطيعون ان يواجهوا الاشياء او الحياة او انفسهم بدونك ؟ حتى الالهة : لقد عاشت ومارست نفسها ووجودها تحت رحمتك وفضلك وعزائك وخداعك وانرائك ايتها الآمال الضالة .

لقد عاشت الالهة الآمال الضالة وتعاملت بها اكثر مما عاشها الانسان واكثر مما تعامل بها .

هل استطاعت الالهة ان تتعزى او تسعد او ان تتحمل كينونتها الرهيبة الحزينة الا مؤملة ان يكون الانسان لها وحدها ، بل ان يكون كل المجد والامر والقوة والصلاة لها دون اى ند او منافس آخر ؟ ماذا يبقى للالهة من عزاء او من ثمن او من تعويض او من اسباب السرور لولا آمالها الضالة في ان تكون لها وحدها كل الانسان بلا تقسيم ؟

ان ضلالك ايتها الآمال لشدة اغراء فيك . انه اي ضلالك الشديد لمستوى جمال توهيمه وتهييمه . ان ضلال الآمال هو أقوى وأعظم

مواهبها ومزاياها . ان ضلال الامال لم يكن في اي يوم ضعفا او عيبا او عارا قبيحا او هزيمة لها .

ان الزعماء والقادة والانبياء والمعلمين الاغبياء والمرضين والذين لا ينتهيهم احد ليسموا هم الذين لا يهتمون الجماهير احتياجاتها او لا يقودونها اليها ، بل هم الذين لا يفرقونها في الامال الضالة — هم الذين لا يستطيعون ان يحولوا احتياجاتهم الى اناشيد واديان ومذاهب وصلوات ونبوات والى كتب مقدسة ، دون ان تستطيع التحول الى واقع . ماذا يكون لو ان الحياة لم تبتكر الامال الضالة ، او انها لم تهب سوى الامال الصادقة ؟ هل تستطيع الامال الصادقة ان تمحي او تخفف فضيع التشوهات او البشاعات التي تغطيها او تخفف قبحها الامال الكاذبة ؟ ان الامال حينما تتحول الى واقع تصبح شيئا رديئا او دميما او صغيرا او شيئا لا سحر ولا اغراء ولا اعجاز ولا جمال ولا اقناع فيه . ان تحول الامال الى واقع نوع من الهزيمة والفضح والتشويه والهجاء لها . ان صدق الامال عدوان عليها وتشويه لجمالها . اذن فالامال الضالة الكاذبة التي لا تصدق هي اضخم واشهر هدية يقدمها الانسان الى نفسه .. ان الواعدين الكاذبين ليبدون احيانا اكثر عزاء وعطاء ومجاملة للجماهير من الواعدين لها ، او من الصادقين الفاعلين ، او من المحولين لامالها المطلقة الضالة الى واقع محدد متفيد مفتضح بكونه قد اصبح واقعا ، او من الذين يهجرونها ويحددون ويضيقون او يضعفون امالها الضالة المطلقة بلا تاه او زاجر او مروض ، او يحولونها الى ارتياب في هذه الامال الضالة المتمردة على جميع حدود وقيود الذكاء والوقار والترويض . ان اروع واثبل ما في الامال الضالة الكاذبة انها بلا قيود من الذكاء او الوقار .. ان الفردوس الذي نوعد به ولا نجده او قبل ان نجده لا بد ان يكون اكثر سحرا وجمالا من الفردوس الذي نوعد به ونجده او بعد ان نجده . ان دخولك الجنة التي يعدك بها انبياؤك ومعلموك لهو اعظم عدوان عليك وعليها . ما اعظم الهلك الذي لن تراه ونبيك الذي لم تستمع اليه او تلقه .

ان الجماهير قد تحس في اوقات جوعها وعجزها وبجنونها الحزينة الاليمة ان الواقع الموجود او المنتظر بكل حدوده ومستوياته واحتمالاته الطبيعية — اي قد تدرك ان الصدق بكل اشواطه وطاقاته عذاب لا يطاق ،

ودمامة لا يستطاع التحديق فيها ، وتفاهة لا تحمل شيئا من الاثارة او المزاء ، وضآلة لا تتراكض فيها الامال . وحينئذ لا بد ان تفزع الى الكذب والى الكاذبين لتنجو من عذاب الصدق ودمامته وتفاهته وضآلته ومن برده وخموده وخموله ومن كل فنون الكآبات فيه .

ما ابشع كآبات الصدق وضآلاته ودمامته ،ما اقبح ظلمته ان لم يستتر بالزور ، بالاكاذيب الضخمة المنوعة .

ان الجماهير حينئذ لا بد ان تفزع الى الكذابين الذين يخدعونها بلا اي قيد او اشتراط او اية وصاية من الذكاء او الحياء او الاخلاق او التقوى او المحاسبة او الاحترام للنفس او الخوف من التجهيل او التأثيم . نعم ، ان هؤلاء الكذابين يجيئون كتجربة واغاثة مهما جاءوا كاعداء وكعدوان ولصوص .

انها حينئذ قد تجد كل عزائها في هؤلاء الذين يجيئون متعاقبين عليها ، بل متواصلين عليها ، ليموهوا الاكاذيب الدينية والمذهبية والقومية والتاريخية والوطنية والاخلاقية والاكاذيب من كل نوع وتحت اي اسم . وانها حينئذ لن تتسامح في تشريد او سلب كل من قد يجيئون ليصححوا لها كذابيها هؤلاء او ليضعفوا من الحماس لاكاذيبهم . هل تعادي المجتمعات احدا مثل معادتها لمن يحاولون ان يصححوا او يفسروا لها بصدق انباءها ومعاليمها الخالدين ؟

ان الناس لا يكذبون او يريدون الكذب لانهم اغبياء او اشرار يريدون ايذاء الاخرين ، او افساد ذكائهم ، او خديعتهم ، او يريدون تهديم العلاقات الطيبة بين الشيطان وصديقه الانسان ، او بين الاله وانبيائه او بين السلطان ورعاياه . ولكنهم يفعلون ذلك او يريدون ذلك او يتقبلونه لانهم يحاولون الهرب من شيء ، او امتلاك او بلوغ شيء ، او لانهم يكرهون شيئا او يخافون شيئا .

هل يمكن ان يكذب من لا يكون محكوما بشيء من ذلك . ان الكذب ليس موهبة او شهوة ذاتية بل تعبير عن تصادم .

ان الكذب ليس هو الاخبار بغير الواقع كما يقول الانبياء والمعلمون والمدرسون والواعظون . ان هذا هو الكذب في منطق الحشرة وسلوكها واحاسيسها . ان هذا هو الكذب في اخلاق الطبيعة واخلاق الاشياء .

لقد كان هؤلاء يعرفون الكذب ويفسرونه بمنطق ليس منطق الانسان وباخلاق ليست اخلاقه ..

ولكن الكذب هو الاخبار عن الواقع او عما في النفس تحت ظروف غير ملائمة . ان الكذب هو الاخبار عن الواقع باسلوب محتج ناقد رافض.

ان الكذب ليس هو الاخبار بغير الواقع كما تقول التعاليم ، وانما الكذب في جميع تفاسيره هو الرفض للواقع ، والاحتجاج عليه ، والنقد له، والخجل او الاشمئزاز منه . ان الكذب هو الاسلوب الاليم الحزين لرفض الواقع وللاحتجاج عليه والخجل والاشمئزاز والهرب والغضب منه .

ان الاخبار بغير الواقع لا يعني او لا يساوي الا الرفض او الاحتجاج او النقد او الخجل والاشمئزاز من ذلك الواقع او من ذلك الواقع ومن كل واقع آخر . ان الاخبار بغير الواقع ليس اخبارا بغير الواقع وانما هو اعلان التناقض مع ذلك الواقع .

ان الكاذب مهما حكمنا عليه وضده يستحق منا الرثاء ، واحيانا يستحق الاعجاب ، اكثر مما يستحق ذلك الصادق . ان الكاذب ليس الا انسانا يقول : انا لا اطيق هذا الواقع ، لا اطيق رؤيته ولا الصبر عليه بل ولا التصديق بوجوده بل ولا الحديث عنه كما هو ، كما اراه واعلمه .

ان اللوم ان كان يوجد من يستحق اللام ليس هو الكاذب ، بل هو الكون ، بل هو الكون الذي جاء ويجيء متناقضا صادما للانسان ، خارجا بلا اي قدر من التهذيب او الشهامة على جميع نماذجه ومستوياته الفكرية والنفسية والاخلاقية والمذهبية والدينية . انه حينما يكذب ليس الا مدافعا عن نماذجه ومستوياته هذه . انه ليس الا غاضبا لها ، رافضا الخروج عليها ، او رافضا الخروج عليها دون بكاء او مقاومة ، او معلنا ان خروجه عليها ليس الا خروجا مكرها عليه محكوما به من الخارج .

ان الكذب ليس الا اسلوبا من اساليب البكاء والانين والتمزق والصراخ من هول المشاهدة والممارسة والافتضاح . انه نوع من اعلان التمرد والعصيان باسلوب ما .

ولكن الكون نفسه اليس ايضا يستحق الرثاء لانه قد جاء ويجيء دائما متناقضا ومصادما لنفسه وللانسان ولجميع الكائنات التي تعيش

فيه وتتعامل معه ، ولانه قد جاء ويجيء محكوما عليه كما جاء وكما يجيء دون ان يستشار او يختار ـ لانه قد جاء ويجيء محكوما عليه بمجيله وبمصيره وبجميع تماذجه ومستوياته واخلاقه ؟ اليست الحشرة التي تجوع فتاكل الحشرة الاخرى تستحق اثناء التي تستحقه الحشرة الماكولة ؟ أليس الحجر الساقط محكوما بسقوطه منذ الحجر الآخر محكوم بالسقوط عليه ؟

ان جميع التعاليم والفنون والآداب والاخلاق في جميع مستوياتها وتحت جميع ظروفها واسبابها وتفاسيرها ليست الا اساليب والوانا مختلفة من اساليب والوان الكذب ، لانها جميعا ليست سوى تعبيرات عن الانسان وعن همومه وآلامه واحتياجاته تحت ظروف غير ملائمة . انها ليست سوى الانسان واقعا تحت ظروف متناقضة له ، معبرا عن هذه الظروف باسلوب ما .

ان هذا هو الكذب في كل معانيه وتفاسيره واساليبه .

هل يمكن ان يكذب الانسان ؟او هل محتوم ان يكذب او كان وحده بلا آخرين ؟

ان المفروض ان الجواب لا بد ان يكون : كلا ، انه لن يكذب حينئذ . ولكني اظنه قد يكذب او لا بد ان يكذب باسلوب ما ، على نفسه او تحت حافز ما او ضرورة ما . انه حينئذ قد يتوهم وجود كائن آخر لكي يكذب به او يكذب عليه او يتعامل معه بالكذب .

ان الكذب ـ كما قد فسر ـ ليس سببه فقط هو التناقض مع الآخرين ، او الاستقطاع والرفض لما يعانون ويواجهون ويمارسون . ان السبب الاكبر والاقوى للكذب هو التناقض والتصادم مع الكون وبه ، والاستنكار والاستهجاج لاخلاقه ومنطقه وتفاسيره . ان سبب الكذب هو التناقض والاستهجاج . وهل يمكن ان يكذب الانسان لو جاء متناقضا متصادما دون ان يكون مستقبحا مستنكرا رافضا ؟

وهل التناقض والتصادم بالآخرين الا تعبير عن التناقض والتصادم بالكون ؟ حتى التناقض او التصادم الفكري او الاخلاقي بالآخرين هل يكون لولا التناقض والتصادم بالكون ؟

أليست كل اخطاء الانسان وآلامه ونقائصه هي التعبير الحاد او

التعبير الانساني عن أحطاء الكون وعن الامه ونقائصه ، او عن عنف امتلاء الكون على الانسان ؟ هل يمكن ان يكون الكذب الا تعبيرا عن امتلاء ما ؟ وهل يوجد اي امتلاء خارج امتلاء الكون ؟ وهل يوجد اي كائن الا وهو يكن تعاذجه واخلاقه أحد صيغ الامتلاء الكوني ؟

لقد احتاج الناس مجتمعين الى ان يكذبوا على انفسهم ، او لانفسهم ، او ضد انفسهم وكأنهم كائن واحد يكذب لنفسه او على نفسه او ضد نفسه امام الاخرين او في تعامله مع الاخرين او لخداع الاخرين او لارضائهم .

لقد كانوا يفعلون ذلك لانهم كانوا يواجهون جميعا الكون متناقضين معه . انهم لم يكذبوا دائما كأفراد متناقضين او متنافسين او متحاربين ، بل لقد كذبوا ايضا كفرد واحد يناقض او يتنافس او يقاتل كائنات اخرى او كائنا آخر .

ان البشر يقاتل ويخاف بعضهم بعضا ، ويقاتلون ويخافون ايضا مجتمعين . وبنفس الاسلوبين ايضا يكذبون .

انه لا يكذب بعضهم على بعض فقط ، بل ويكذبون مجتمعين على انفسهم في مواجهتهم للكون المواجه لهم بتحد وعدوان ووقاحة وعجز دائم وكامل عن التفاهم والتوافق بل حتى عن التهادن معه . ان البشر اذن يواجهون ويمارسون نوعين من الكذب : كذب بعضهم على بعض ، وكذبهم مجتمعين على انفسهم او لانفسهم في مواجهتهم للكون المتحدي المناقض لهم . انه اذن لو وجد انسان واحد بدون اي آخرين او احتمال آخرين لجاء هذا الانسان الواحد ، ونظل ايضا متناقضا مع الكون كل اساليب ومستويات وتعبيرات التناقض . ولكان محتوما حينئذ ان يحتاج النفس الكذب على نفسه ، لكي يقاوم او يخفف او يتعلى او يغالط او يتافق هذا التناقض بينه وبين الطبيعة التي تناقضه وتخاصمه وتخرج عليه وتسخر منه وتقاتله اقوى وافظع واكثر لؤما مما يفعل جميع الاخرين ، بل جميع الاعداء . لعله حينئذ يذهب يتصور آخرين حوله ليكذب عليهم ويكذبوا عليه ويكذب معهم ويكذب بهم .

نعم ، ان كذب هذا الانسان الواحد سيكون حينئذ بلا لغة او بلغة اخرى . ان الكذب ليس لغة ولكن اللغة هي احدى صيغ الاعلان عنه .

ان اللغة هي آخر واضعف اساليب الاعلان عن الكذب . بل ان الكذب باللغة قد يكون اسلوبا من اساليب مقاومة الكذب وابطاله . لان الكذب باللغة اسلوب من اساليب التضح للكذب ، والتشويه له ، والدعاية ضده، والاخبار عنه .

ان الكذب باللغة اسلوب من اساليب التحدث عن الخطة الشريرة المدبرة . ان الكاذبين جدا لا يكذبون باللغة ، وان الكاذبين باللغة ليسوا كاذبين جدا .

ان من كذب باللغة فقد طعن كذبه بالخطة او بالتدبير او بالنية او بالواقع .

ان الذي يكذب باللغة هو انسان يقاوم كذبه باسلوب من اساليب المقاومة وان لم يكن يدري او يريد .

ان الطبيعة بلا لغة هي اكذب الكاذبين ، بل هي كل الكاذبين ، وصانعة جميع الكاذبين ، ومعلمتهم جميعا ، بل وآمرتهم وملزمتهم . ان الطبيعة تصنع في الناس وتهب الكذب بالاسلوب والالزام الذين تصنع بهما لهم وفيهم المخاوف والهموم والمجاعات والرؤية والسمع والمرض والمسون والشيخوخة .. ان اضعف واسذج واطيب الكاذبين هم الكاذبون باللغة . ان هؤلاء في النفس للاشياء ، وفي منطق ونبات الاشياء ، ليسوا كاذبين ، ولكنهم مقاومون للكذب ، او رافضون له ، او محتجون عليه ، او واقعون في قبضته ، محكومون به .

ان هؤلاء مكذوب بهم انهم مجعولون كذبا وموقع بهم الكذب . انهم توقيع الكذب لا موقعوه .

ومع ان الطبيعة عاجزة عن ان تكذب كذبا دينيا او مذهبيا او اخلاقيا او قوميا او وطنيا او سياسيا كما يكذب الزعماء والانبياء والمعلمون والسياسيون وكل البشر فانها اي الطبيعة هي كل الكذب ، وكل من يعلمه ويحرض عليه ويامر به ويجعله التزاما ، بل يجعله منطقا عالميا ، بل اخلاقا عالمية .

ان كل الفنون والاداب والتعاليم والاديان والنظريات هي دائما بحث بوسيلة ما عن حالة او عن مستوى ما من مستويات الجمال او الكمال

او التلازم المفقود المطلوب مع اشياء لا يمكن التلازم معهـا ؛ ولا يمكن ان تكون جميلة او كاملة . والكذب ايضا هو بحث عـن ذلـك ؛ هو بحـث باسلوب ما عن تلازم او عن جمال او كمال لا وجود له . ليس الكذب في كل حالاته رفضا لما وجد ؛ وبحثا عما لم يوجـد ؛ او ادعـاء لذلـك ؛ او تظاهرا به او تمنيا له ؛ او تحويله الى امنية ؛ أليس الكذب هو دائمـا محاولة فرار مما لا يراد او ينبغي او يطاق ؟ انه لهذا قد يكون اكـذب الناس هو اكثرهم واقواهم بحثا عن هذه الحالة او عن هـذا المستوى من حالات او من مستويات الجمال او الكمال او التلازم المفقـود المطلـوب ، واكثرهم واقواهم احتياجا الى ذلك واحساسا به وبفقده . كما قد يكـون اي اكذب الناس هو اقواهم واكثرهم استفزازا للتناقض والتنافر والدمامات ، واحتجاجا عليهـا ، واشمئزازا منهـا واحساسا بقبحهـا ووقاحتها وبتحديها له ولكل نماذجه ومستوياته وتطلعاته .

اذن قد يكون اكذب الناس هو انقى الناس وانبلهم نفسا ومنطقا ونبله وشوقا ورفضا للدمامات .

ان الكاذب هو كائن يريد ثم لا يستطيع ، ويرى ما يرفض او ينكر ، ثم لا يستطيع ان يزيل او يقاوم او يغير ويبدل . وحينئذ ماذا يصنع ؟ انه لا يستطيع ان يتقبل او يتفسر او ينسى او يعمى عن الرؤيـة ، كمـا لا يستطيع ان يقهر . انها ورطة . فكيف يواجهها ؟

الصدق وقاحة وعدوان وتشويه وياس وجحيم وقيد وعبوديـة وتحديد . اما الكذب فادب وتهذيب ورحمة وشعور واحتلام وخيـال واطلاق وانطلاق وحرية وجمال واختيار .. وان لم يكن الكذب كذلـك فانه على كل حال فرار او محاولة فرار من الوقاحة والقسوة والتشويه والجحيم والقيد والعبودية والبذاءة ولو بالكلام والتعبير .

أليس محتوما ، او أليس الافضل حينئذ ان يكون كاذبا لا صادقا ؟ اذن أليس الذي يحاول ان يكذب هـو انسان يحاول ان يكـون متحضرا وطيبـا ، وان الذي يحـاول ان يصـدق هـو انسان يحـاول ان يكون عجيبا شريـرا ؟

ان الكاذب كالمخترع او المكتشف او العالم كلاهما يرفض ويتجاوز ولكن باسلوبين مختلفين .

ان الكاذب هو انسان يتحدث عما يريد ويتمنى ويحب وبما يشترط للاشياء وعلى الاشياء ولنفسه وعلى نفسه .. انه لا يتحدث عما يجد او يرى او يعلم او يكون . ان الكاذب يتحدث عما في نفسه اي عن واقع في نفسه او عن واقع نفسه . انه حينما يقول : هذا الشيء موجود وهو غير موجود ، او يقول : هذا الشيء جميل ، وهو دميم ، فانه يريد في الحالتين أن يقول : اتمنى ان تكون ذلك الشيء كذلك ، او اشتهي او اريد ان اتحدث عنه بانه كذلك . انه حينما يتحدث عن نفسه لا عن الواقع الذي يراه او يعلمه او يجده . انك حينما تكذب لانسان او على انسان لا يمكن ان تكون معزولا عما في نفسه . اذن فهل انت كاذب لا حتى سامعك ، انه يعرف انك تتحدث عما في نفسك لا عن واقع خارجها . ان اي انسان لا يستطيع ان يتحدث عن غير واقع وعن غير حالة نفسية ان اي حديث لا بد ان يكون تعبيرا عن واقع ما بأسلوب ما ، او ان يكون تعبيرا ما عن حالة ما نفسية باسلوب ما . ان كل حديث لا بد ان يكون عن واقع ما اما داخل النفس وخارجها ، واما داخلها فقط . اذن كيف يمكن ان يكون اي حديث كذبا ؟

ان الكاذب اذن ليس كاذبا مهما كان ما يتحدث عنه غير واقع في الخارج ، لانه حتما لا بد ان يكون حينئذ واقعا في الداخل اي في داخل النفس . ان من قال للدمامة او مشيرا الى الدمامة : هذا جمال فهو حتما يعني انفي نفسه شيئا اي رفضا او احتجاجا او استبشاعا او خوفا او تمنيا او محاولة ما .

ايها الكاذب .. كم انت خليق بالرثاء والاحترام . كم يستحق موقفك وبيانك من التمجيد والعطف الصادق . انك اسلوب فداء وعزاء . انك صيغة مثيرة من صيغ الطموح . انك انسان يعشق نجما عاليا . انك تعشق نجما لا تستطيع الصعود اليه ، وحينئذ تحاول الصعود اليه بالمغازلة والتمني ، وبالنظر وبالاعجاب .

ان الكاذب مغازلة للاشياء البعيدة او غير الموجودة بالاماني والتحديق وبالحب المتأهب المصدوم .

انك ايها الكاذب كأنك تضع شروطا للاشياء ولنفسه ، وعلى الاشياء وعلى نفسه . انك لا تتقبل الاشياء او تتقبل نفسك كما هي بل بشروط . وانت لا تجد هذه الشروط . وحينئذ لا بد تصبح الكاذب الذي تدعوه

كاذبا لانك تحاول ان تفترض او ان تدعي او ان تجد شروطا لما لا شروط فيه او له .

ان من لا يشترط اية شروط لنفسه او للاشياء او للاخرين لا يمكن ان يكذب او ان يحتاج الى الكذب .

انك تحاول ان ترضي عن نفسك وعن الاشياء وعن الاخرين ، وان ترضي نفسك وترضي الاشياء وترضي الآخرين . فلا تجد هذا الذي تحاول او تريد .. لا تجد ما ترضاه او ما ترضي عنه او ما ترضى به من تريد ارضاءهم . وانك وهاب لا يجد ما يهبه ، ونبي لا نجيبة الاله الذي يرضى عنه ليقدمه الى المسرق .

انك حينئذ تذهب تقول حيث لا تستطيع ان تفعل او ان تجد . انك حينئذ تذهب تتعذب لتجد هذا الرضا او هذا الارضاء بالتعذيب والمعاناة .

انك تتعذب عذابا نبيلا . انك تتعذب عذابا لا يتعذبه سوى الانسان . انه عذاب الانسان الاسمى .

انك تذهب تقول ما يرضي او ما يراد او ما يجب او ما هو الافضل او الاتقى او الاذكى او الاعدل ، حيث لا تستطيع ان تفعل ذلك او ان تجده .

انك حينئذ تذهب تتحدث عن الشروط التي تمناها لا عن الشروط التي تجدها او تحياها . انك الكائن الذي يريد للاشياء وللناس من الشروط الجيدة ما لم ترد لهم او لها الالهة او الطبيعة ، ويرفض لهم ولها من السوء ما لم ترفض لهم او لها الالهة او الطبيعة .

انك حينئذ انسان نصفه كامل بدل ان تكون انسانا كله رديء . انك حينئذ انسان لغته ونياته وتمنياته فاضلة ومهذبة وملائمة ، بينما حقيقته رديئة ، او بينما الحقيقة الموجودة رديئة ، بدل ان تكون انسانا لغته ونياته وتمنياته غير مهذبة وغير فاضلة ولا ملائمة ، بينما حقيقته رديئة ، او بينما الحقيقة الموجودة كذلك ايضا رديئة .

انك حينئذ كائن شروطه جيدة بينما واقعه وقدرته غير ذلك بدل ان يكون واقعه وشروطه غير ذلك .

انك حينئذ تتحول الى اعتذار ، او الى استغفار ، او الى تخفيف

من القبح الذي لا تستطيع ازالته ، او لا يستطيع احد ازالته . انك تحاول ان تكون ذلك . انك تحاول ان تكون كفارة عن ذنوب الالهة وعن ذنوب الطبيعة وعن ذنوب الانسان .

ان الشيء الرديء او الذميم او المنكر ليس هو الكذب او الكاذب ، بل هو الذي يجعل الكذب ضرورة او مزية او مجدا او انتصارا او تفوقا او نجاة — او يجعله زعامة او نبوة او دينا او اخلاقا وتقوى . ان الذنب ليس هو ان تنكر او تشمئز او تستقبح ، ولكن الذنب هو ان يوجد ما يصنع الانكار والاستقباح والاشمئزاز .

انك حينما تقول عن الدمامة او الظلم انهما جمال وعدل فالسوء او فالذنب في ذلك هو وجود الدمامة والظلم ، ووجود الظروف التي اوجدتهما ، وايضا وجود الظروف التي جعلتك تقول ذلك ، او حكمت عليك بقوله ، او جعلتك تستفيد من قوله ، او تستريح او تامن به اي بقوله . ولا يمكن ان يكون السوء او الذنب في قوله . انك حينما تقول انا خائف اوجبان او منافق او ضعيف وانت كذلك فان ذنبك ان كان لك ذنب لن يكون في قولك بل في كونك كذلك او فيمن جعلك كذلك او في الظروف والطبيعة التي جعلتك كذلك .

ان الزعيم او النبي او المعلم الذي يكذب تحت الظروف التي جعلته يفعل ذلك نرثي له ونقاومه ، كما نرثي للحيوان المفترس وللحشرة السامة البذيئة مع مقاومتنا لهما — اعني او كنا نقاوم او نرفض الكذب او الكاذب .

ان الزعيم او النبي او المعلم الذي يكذب تحت ظروف الكذب ليس الا كالذي يبكي تحت ظروف البكاء .

ان الظروف او الحوافز او الاسباب التي تجعل مصدق الكذب يصدقه ليست اقبل او انقى او ازكى من الظروف او الاسباب او الحوافز التي تجعل قائل الكذب يقوله .

ايهما الكاذب ، او ايهما اكثر كذبا ؟ الذي يكذب ام الذي يصدقه .

ايهما اكثر خديعة للاخر وعدوانا عليه ؟ ايهما اكثر فجورا وجريرة ؟ ايهما الكاذب او المذنب : الوجه الدميم ام الذي يقول عن هذا الوجه : انه جميل ، رحمة او مجاملة او تحرجا او تمنيا ؟ وهل المذنب او

كذب واحد منهما ؟

ايهما الخاسر او المتعذب او المتشوه اكثر : النبي او الزعيم الذي يكذب للمجتمع وعليه ام المجتمع الذي يستغل ذلك ويرحب به ويهتف له ويل ويحتاج اليه ويحيا به ؟

ايهما اكثر برا بالاخر واحسانا اليه واعطاء له ؟ ايهما اكثر دعوة للاخر ؟ ايهما النبي او الزعيم ؟ ايهما التابع ؟

ايهما الملقي للخطبة : الصاعد فوق المنبر يلهث ويعرق ويكذب ويهرج ويتشوه ام الجالسون تحته ، يوحون اليه بالمزيد من الكذب والتهريج واللهاث والتشوه والغواية والسقوط والافتضاح .. يهتفون ويصفون ويصرخون ويبكون ويطالبون ويجنون اعجابا وحبا وايمانا وشكرا وثناء ؟

ايهما اكثر افسادا للاخر : تعاليم النبي او الزعيم او الخطيب واكاذيبه ام ايمان الجماهير وهتافها وضعفها وبلادتها ؟ اليس المستمع الى القصيدة المافقة والجاري عليها مشاركا في صنعها او هو صانعها ؟ اليس مقبل المديح هو الخالق لاخلاق المادح والمفسد له ؟

هل الجماهير ماكرة ام بليدة ؟ هل هي مخدوعة ام خادعة ؟ هل كانت واتبعت بلادة والخداعا ام خبثا ونفعية ؟ هل يوجد هنا خبث او خداع او بلادة ؟

هل هي ضحية ام قاتلة ؟ هل هي صانعة الكذب ام واقعة فيه ؟

ايهما الماشق للاخر : السوط ام الظهر ؟ ايهما التاعس وايهما المستجيب : الجسم ام المرض ؟

هل الكذب غواية ام ضرورة ؟ هل هو عدوان وذنب وخطيئة وسقوط ام هو مقاومة او مواجهة العدوان والخطيئات والذنوب والسقوط ؟

هل الكذب هجوم ام دفاع ؟ هل هو تجبر ام تقوى ؟ هل هو تمجيد للاله او للسلطان ام هجاء له ؟

وهل يوجد صدق وكذب ، ام يوجد واقع لئيم كريه يشتبك معه وحده المواجهون له والمحكوم عليهم به بكل اساليب الاشتباك المختلفة المتناقضة ، وبكل الاسلحة التي قد يسمي بعضها صدقا وقد يسمي بعضها كذبا ؟

اليس الاختلاف بين ما يدعى صدقا وما يدعى كذبا لا يساوي اكثر من الاختلاف بين سلاح وسلاح ، او بين اسلوب قتال واسلوب آخر في معركة واحدة او في معارك مختلفة ومتعددة ؟

اليس الصادق والكاذب ، او من يحسب صادقا ومن يحسب كاذبا ـ اليسا يقاتلان في معركة واحدة ، بنية واحدة ، ضد عدو واحد ، لاهداف واحدة ، بسلاحين مختلفين ، او يبدوان مختلفين ، او يظنان كذلك ؟ اليس الصادق والكاذب كلاهما صادق او كلاهما كاذب او كلاهما صادق وكاذب او كلاهما لا صادق ولا كاذب او صادق وكاذب ؟

★

اجل ، ان في الكذب كل معاني الدفاع عن الاله بقدر ما فيه من معاني الدفاع عن السلطان او عن الوجه الذميم ، او فيه اي في الكذب كل نيات هذا الدفاع ، او محاولاته ، او صيغه واساليبه ونتائجه ونفاسيره ، وهل يوجد كائن يحتاج الى ان يدافع واني ان يعتذر عنه مثل الاله ؟ ولكن هل يمكن ان يجدي او يقبل اي دفاع او اعتذار عنه ؟

ان الكاذب قد يكون انسانا يحاول ان يغفر للاله ، او يستغفر له ، او ان يستر عليه ، او ان يرفق به ، انه حينما يكذب قد يقصد ، او قد يعني ذلك دون ان يقصد التغطية على ما في منطق الاله وعلى ما في اخلاقه وشئونه وشهواته واعماله من ضعف واخطاء وعبث ودمامات وقسوة .

وهل الكاذب حينما يكذب لهذا الغرض يقصد ان يرحم الاله ويرفق به ام ان يرحم نفسه ويرفق بها بالقسوة على الاله ؟

وكم هي صعبة ، او كم هي مستحيلة الانتصار هذه المحاولة ـ محاولة التغطية على وجه الاله ، او على يديه ، او على ضميره ، او على اخلاقه ، او على بصماته .. كم هي صعبة او كم هي مستحيلة الاقناع هذه المحاولة ؟

لعل التفسير الكامل لقضية الكذب : ان الانسان قد رأى الله ، رآه في الاشياء ، فوجده شيئا لا يطاق رؤيه او تفسيرا او اخلاقا او منطقا او موهبة ، وجده شيئا لايطاق الجسامة وشمول ذنوبه وعاهاته ودماماته ، فذهب يكذب له . لقد ذهب يكذب للاله ليجعله شيئا يطاق . لقد ذهب يستغفر ويغفر للاله . ذهب يرفق به ويستر عليه ، بأن يدعي الجمال

والكمال والذكاء والرحمة والمنطق والضخامة والحب والصدق والتدبير والفاؤل حيث لا شيء من ذلك . كما ذهب ينفي وجود النقيض حيث يوجد كل هذا النقيض . لقد ذهب يفعل ذلك لكي يستطيع ان يرى الاله جميلا لكي يستطيع ان يرى الآلام والبرهات والمظالم التي يوقعها به جميلة بل رحيمة بل ذكية بل عبقرية .

الست حينما تقول : الكون جميل او منطقي او رحيم او صديق ، تدافع عن الاله ، وتغفر وتستغفر له وتستر عليه ، اذا كنت تؤمن به — او تدافع عن الطبيعة ، وتغفر وتستغفر لها وتستر عليها ، اذا كنت تؤمن بها ؟ لقد كان الانسان في كل التاريخ قصة دفاع شامل عن الارباب والسلاطين والآباء والأديان والمذاهب .. عن كل الدمامات والتشوهات والآلام والنقائص ..

ان في الكذب اذن كل معاني المحاباة للاله ، كما ان في الصدق كل معاني الهجوم والقسوة عليه . انهما كالمحاباة للابناء حينما يمدحون او يوصفون بنقيض ما فيهم . انها كالمحاباة للسلطان . وهل كان الاله بهذه المحاباة يحابي ام يحقر ويهان ويشوه ويظلم ؟ هل كان يحابي ام يحابى عليه ؟

هل يمكن ان يطاق الاله او ان يغفر له مع الصدق ؟

هل يمكن ان يطاق اي شيء او ان يغفر له لولا الكذب — لولا الكذب بكل انواعه ؟

وهل استطاع الكذب أن يصوغ اي جمال في وجوه الدمامات الشاملة ؟

كل هذا السلاح لقتل الشيطان

٥ .. ان المواهب الانسانية لا ترحم دموع الالهة . انها لا تتخلى عن تفجراتها وتحليقاتها اشفاقا على ضعف الالهة او رثاء لاحزانها او استجابة لمراثيها . ان دموع الالهة لا تجد من يرثي لها . انها اضيع دموع في هذا الكون . ان هزائم ومصارع الالهة هي اعظم ما يهب المقتول المتفجرة المتحدية المقاتلة النشوة والسرور والرغبة في المزيد من التفجر والتحدي والقتال . ان المواهب لا تحترم او تهاب شيئا غير قدرتها على ان تكون او لاتكون . انها فقط تستطيع او لا تستطيع . ان هذا هو كل تاريخها وكل اخلاقها ..

٥ .. ان المواهب الميتة هي ميتة وليست مقتولة . ان الالهة لم تقتلها ولا تستطيع قتلها ، وان اي شيء لا يستطيع قتلها . ان المواهب الميتة هي مواهب لم توجد . انها لم تمت ولم تقتل بل لم توجد . ان المواهب اما موجودة واما غير موجودة . انها ليست مقتولة او غير مقتولة ، وليست ماذوتا بها او ممنوعة . ان الالهة هي اضعف اعداء الانسان . انها لم تستطع ان تصيبه في كل تاريخها وتاريخه باي ضرر او الم . انها عاجزة عن ذلك . انها اعجز اعدائه . انها في كل تاريخه وتاريخها لم تستطع ان تفعل له او به افضل او اردأ من ان تتحول الى تفاسير وتسويفات وشعارات لما يريد ويستطيع ويكون او لما لا يريد ولا يستطيع ولا يكون . انها لم تعطه ولم تأخذ منه غير ان فسر نفسه بها . ان كل احاديثه عن الالهة ورؤاه وتفاسيره لها ليست الا تفاسير لنفسه ، لما يريد او لما يرفض .

٥ .. ان كل عبقرية الالهة ، كل ذنوبها وحسناتها ان تصبح متهمة .. ان تتحول الى تفاسير وتسويغات وشعارات دون ان تريد او تدري ، ودون ان تقبل او ترفض ، ان تحزن او تسر ، ودون ان تقاتل لتهزم

الظلم والعدوان عليها والكذب باسمها والاتهام لها . . »

« . . ان الالهة والاديان هي اثيل اعداء الانسان لانها اضعف اعدائه . . »

★ ★

انه مستحيل ان نستعيد الماضي بكل رذائله ومزاياه ؛ او بكل قوته وضعفه ؛ او بكل آلهته وطغاته وأباليسته ومعلميه ؛ او بكل غفلته واستقامته غير التقية او الذكية . بل انه لمستحيل ان نستعيد اي شيء من الماضي بكل صفاته ؛ او بكل حماسه ومعانيه ؛ او بكل قوته او بكل ضعفه ؛ او بكل ذكائه ؛ او بكل غبائه ؛ او بكل سحره وغوايائه .

انه لمستحيل ان نستطيع ذلك مهما حاولنا واردنا ورغبنا واشتقنا وصدقنا واخلصنا . ان ذلك ليستحيل مثلما يستحيل ان يستعيد الاله تفاؤله او وقاره او براءته او اخلاقه او قواه او اشواقه او مجده او انتصاراته القديمة ؛ او ان يستعيد شيئا من سلطانه الذي قد كان او الذي كان الحديث عنه ؛ دون ان يكون الحديث عنه جادا او صدقا .

— او مثلما يستحيل ان يستعيد الاله تصديقه القديم لمن يتحدثون عنه واليه وباسمه ؛ او يستعيد اعجابه وسروره بمن يصلون له ويقرؤون عليه وبين يديه كلماته وآياته ؛ او بمن يتعلمون ويحفظون اوامره ونواهيه وتحليله وتحريمه وتمنياته وشهواته وانشيده لاحزانه .

— او مثلما يستحيل ان تستعيد الطبيعة بداوتها وبراءتها القديمتين ، او ان تتساوى حيوانان اختلفت ظروفهما ؛ او ان يتساوى انسانان اختلفت ذاتاهما ؛ او ان تتساوى ذاتان مهما تساوت ظروفهما الخارجية ؛ او ان تتساوى ظروفهما مهما توحد زمانهما او تساوى ؛ او ان تتساوى عينان في تحديقهما الى الشمس او في رؤيتهما للماضي ذاتها واخلاقها وذكائها من غباء ومن ذنوب وعاهات .

— او مثلما يستحيل ان تكون مشاعرنا واستعداداتنا واستجاباتنا واهواؤنا وافكارنا وظروفنا الذاتية والخارجية ثابتة ومتساوية مع حركة

وتغير وتناقض وتبدل الكون والحياة والمجتمع الذي نحن اجزاء واشياء منه ومن صنعه — بل مع حركة وتغير وتناقض وتبدل ذواتنا وحياتنا ووجودنا ، وهل يمكن ان يتبدل ويتناقض الكائن دون ان تتبدل كيوناته؟

— او مثلما يستحيل ان تتساوى آلهة الناس المختلفين ، او ان تتساوى اديانهم او مذاهبهم او افكارهم ، او ان تتساوى تفاسيرهم ورؤاهم لالهتهم ولمذاهبهم ولاديانهم ولرئياتهم ، اي حينما نفترضهم هم مختلفين ، او ان تتساوى احاسيس هؤلاء الناس المختلفين ، او ان تتساوى امانيهم او مخاوفهم او احقادهم او همومهم او ذنوبهم واخطاؤهم . هل يمكن ان تتساوى رؤى الاقوياء والضعفاء ؟

— او مثلما يستحيل ان يكون لالهك صورة واحدة او ارادة واحدة او اخلاق واحدة او شهوة واحدة او تفسير واحد في كل حياتك وحالاتك ومستوياتك وامانيك المختلفة المتناقضة المتفاوتة . هل يمكن ان ترى الله او اي شيء في حجم واحد وعلى بعد واحد في كل حياتك وتحديقاتك ؟

ان صور الهك واحجامه واخلاقه تتبدل وتتغير وتتناقض بقدر ما يحدث من ذلك في ذاتك ولذاتك وحولك .

— او مثلما يستحيل ان يتكلم الاله الى كل شعوبه ورعاياه ، بل او الى ذاته واحلامه ، في كل حياته وظروفه وتحت كل انفعالاته وكل انتصاراته وهزائمه — ان يتكلم بلغة واحدة او باخلاق واحدة او بمستوى واحد ، او بنموذج واحد من الجهر او الغضب او الحب او البغض او الرفق او العنف . هل يمكن ان يرى الله دائما ذاته في صورة واحدة او ان يمارس دائما نفسه باسلوب واحد ؟

ان الله ليرى نفسه ويحسها ويريدها باشتات الصور والاحجام والاساليب والمستويات كما نفعل نحن .

— او مثلما يستحيل ان نتعصب لاهواء الاخرين ولمصالحهم ولاربابهم ومذاهبهم وعقباتهم وبلاهتهم مثلما نتعصب لاهوائنا ولمصالحنا ولاربابنا ولمذاهبنا ولتفاهاتنا وابلاهاتنا .

— او مثلما يستحيل ان نرى كل قبحنا ووقاحتنا حينما نتعصب

لاوثانا ضد اوثان جيراننا ليفعل جيراننا مثل فعلنا .

ـ او مثلما يستحيل ان نعيش اربابنا ومذاهبنا واديانا وتعاليمنا ومزاعمنا لانفسنا وعن انفسنا بكل قدرتنا واخلاصنا واهوائنا .

ـ او مثلما يستحيل ان تكون ملتزما بالهك او مذهبك او بدينك او بتعاليمك او بشرفك وكرامتك ثم تستطيع ان تكون انسانيا . حتى الشرف والكرامة . ان الالتزام بهما يجعلنا غير انسانيين

ـ او مثلما يستحيل ان يكون الهك او دينك او مذهبك او ضميرك او تفكيرك اخلاقيا .

ـ او مثلما يستحيل ان يكون لوجود الاشياء كما وجدت وبالنموذج الذي به وجدت ، او لونها بالاسلوب الذي به تموت ، او باي اسلوب اخر ، منطق او تفسير او حافز او هدف اخلاقي ، او اي هدف آخر ـ مثلما يستحيل ان يتقبل اي منطق وجود الاله لكي يذهب يقاسي في خلق الكون وفي ارادته وتدبيره وفي خلق الانسان لكي يذهب يقاسي ويقاسي في انتظار عبادته له وايمانه به .

ـ او مثلما يستحيل ان يكون مدبر هذا الكون وخالقه ومسيره ومالكه سعيدا او مسرورا او محظوظا او ممجدا بمخلوقيته او باخلاقه ، او راضيا عن مستوياته او عن وجوده او عما فعل ـ بل مثلما يستحيل الا يكون خالق هذا الكون ومدبره ومالكه هو اردأ الكائنات حظا ومسرورا وعبقرية وراضيا عن نفسه .

ـ او مثلما يستحيل ان تكون زعيما او نبيا او قائدا او معلما ثم تكون نظيفا أو عفيفا او مهذبا او محبا او كبيرا في نيابك ، او في شهواتك ، او في انجاهاتك ، او في لسانك ـ بل ثم لا تكون اقل الناس نظافة وعفة وشرفا وتهذيبا وحبا وشهامة وطهارة في النيات وفي الكلمات وفي الاتجاهات .

ـ او مثلما يستحيل ان تحب نبيك او زعيمك او مذهبك او وطنك ، او ان تتعصب له ، او ان تغضب له بقدر ما تفعل كل ذلك من اجل اطفالك الاشقياء الاغبياء المشوهين المتوحشين ـ او ان تغفر تعدوك او لخصمك

ذنوبه واخطاءه وبلاداته مثلما تغفر لنفسك او مثلما تريد ان يغفرها هو لك .

ـ او مثلما يستحيل ان يكون الهك او نبيك او زعيمك او كاهن مذهبك مثلما تتحدث وتحدث عنه ، او مثلما تتصوره او تتمناه او تفسره او تريد وتنتظر منه .

ـ او مثلما يستحيل ان تكون صادقا أو شريفا او بطيفا او ابيا او شجاعا او حرا حينما يكون النقيض هو النافع المتقدم المريح الملائم لك،وهو المطلوب المنتظر منك ، وهو كذلك الاعلان عن مجدك وسعودك ، وهو ايضا الواهب لك السرور والرضا عن النفس والانتصار على الاعداء والاعداء

ـ او مثلما يستحيل ان تكون في كل حياتك او في كل مواقفك نموذجا واحدا ، بل او حتى نماذج عديدة متقاربة ، من الشجاعة او النظافة او الشهامة او الصدق او الكرم او القوة او الرفض .. مثلما يستحيل ان تكون كما ينتظر منك او كما يراد منك او كما يجب عليك او كما ترى نفسك في المرآة او ان يكون وجهك كما تراه في المرآة ، او مثلما يستحيل ان يكون الهك او زعيمك او نبيك او دينك او مذهبك كما تراه او تعتقد فيه اوتريد منه او تطلب منه او تتحدث عنه . . .

انه يستحيل ان يستعيد اي شيء نفسه بكل حدوده وتقاسيره ، او ان يظل نفسه ابدا . ان ذلك لايستحيل بقدر ما يستحيل ان يستعيد الكون احدى صيغه التي كانت ، او أن يظل ابدا صيغة واحدة . او ان نظل نحن انفسنا ابدا .

ان اي نبي او معلم او زعيم من اولئك الانبياء او المصلحين او الزعماء الذين كانوا في التاريخ ومن الذين لا تزال قلوبنا ومحاريبنا وافواهنا تعبدهم ـ لو عاد الى الحياة اليوم لكان مستحيلا ان يستعيد نفسه ، بل لكان محتوما ان يرفض نفسه ، بل لكان محتوما ان يخاف من نفسه وان يهرب ويحجل منها ، بل لكان محتوما ان يجد العار في ان يكون هو ذلك الذي قد كان . بل لكان محتوما ان يفعل كل شيء يستطيع فعله ليشفي نفسه ، وليثبت انه لم يكن هو ذلك النبي او المعلم او الزعيم الذي قد كان ، والذي لا تزال تعبده القلوب والمحاريب والكلمات ، وتتمنى عودته .

ان أي نبي او معلم لو عاد اليوم لكان مستحيلا ان يكون صيغة كاملة لوجوده القديم ، انه لن يريد ذلك ولن يستطيعه .

انه مهما بدت قاومنا او مشاعرنا او افكارنا او اديانا او تعاليمنا او اغانينا واشعارنا او امانينا او كتبنا المقدسة — اننا مهما عبدنا ماضيا ما بكل ذلك فاننا لن نستطيع ان نجعل ذلك الماضي يحيا او يعود او ممكنا ان يحيا او ان يعود . بل اننا مهما فعلنا ذلك فاننا لن نستطيع ان نتقبله او ان نفقر له لو عاد ، او ان نعاون في مقاومته ومطاردته ، اي لو عاد .

نعم ، اننا نتغنى الماضي ونتصلى له ونتمناه ونتعبده ونقاتل من اجله ومن اجل عودته . ولكننا نفعل ذلك بشرط واحد لا يمكن ان نتراجع عنه اي عن هذا الشرط الواحد . هذا الشرط الواحد هو الا يعود ذلك الماضي الذي نقاتل ونحارب من اجله ومن اجل استعادته .

اننا لن نكون اقل رفضا لذلك الماضي الذي نصلي ونهتف كل اجهزتنا له ، او اقل تناقضا معه او اكثر عقوا عنه ، من اشد خصومه ، اي لو عاد الينا . اننا لن نكون حينئذ اقل عجزا عن التوافق معه بسلوكنا او بشهواتنا او حتى بافكارنا . كما اننا لن نكون اقدر على طاعته او على التسامح في مقاومته ، اي من اشد اعدائه . اجل ، ان شرطنا الدائم على الماضي الذي نطالب بعودته ونتنظر عودته ونبكي شوقا الى عودته — ان شرطنا الدائم ان تكون مستحيلة عودته .

انه لو عاد الينا واحد من اولئك الانبياء لو عاد الينا من نراه اعظم واكبر اولئك الانبياء الذين لو جنت الشمس وبالغت في توقحها وزندقتها وجنونها فزعمت انها استطيع ضوءا او اكبر حجما او انظف جسدا او قلبا او اخلاقا من اقلهم واضالهم ضوءا وحجما وقلبا واخلاقا وجسدا ، لكان محتوما ان نفتي بقتلها اي بقتل الشمس معلوبة لقحتها في كفرها .

— نعم ، انه لو عاد الينا من نعتقده اعظم واكبر واخر اولئك الانبياء ليفرض تعاليمه واخلاقه ومنطقه وعصره وظروفه وكل فضائله وتقواه على حياتنا واخلاقنا ونباتنا وشهواتنا وعلى عصرنا بالالزام التكامل ملا الملائكة او المسامح ، بجيش تقوده الملائكة او وحدانه كلها من الملائكة ، لكانت ارغق واوق كراهتنا فيه ، اي في ذلك النبي ان تصيح :

مجنون ، مجنون .. انه اكبر واسخف مجنون ..

او ان نصيح :

انه زنديق ، زنديق .. انه افظع زنديق قد جاء الينا ، قد هجم علينا ليحملنا على ان نكون زنادقة ، على ان نكفر بنبينا العظيم ، بنبينا الذي هو نفسه ، اي على ان نكفر به .

اني احذرك يا نبينا العظيم الطيب من الحضور الينا . من الانخداع بشوقنا اليك وبانتظارنا لمجيئك .

انه لمحتوم حينئذ ان نصيح ونصيح لو استجبت لشوقنا وحضرت:

احذروا ، احذروا . لقد جاء اليكم هذا الزنديق ليدعوكم الى الزندقة، اي الكفر به .

انه لمحتوم حينئذ ان نصيح من جميع المنابر وبكل الافواه :

ان نبينا هذا هو عدو نبينا هذا . انه كافر بنفسه ومشوه لتعاليمه ، وانه يريد منكم ان تكفروا به وان تشوهوا تعاليمه .. لقد جاء ليكون ضد نفسه .

لقد جاء نبينا ليعلمنا الكفر بنبينا ، اي ليعلمنا الكفر به .

اذن اقتلوه ، اقتلوه ..

ان جميع الناس قتلة انبياء ومعلمين . ان الانبياء والمعلمين لم يدنهم قوم دون قوم او عصر دون عصر او تاريخ دون تاريخ ، او تفكير دون تفكير او طغيان دون طغيان . ان كل الطغيان وكل الناس وكل التاريخ وكل العصور والافكار قد قتلت كل الانبياء والمعلمين في كل العصور والمجتمعات . ان كل الناس قاتلون لكل الانبياء ولكل المعلمين . انه ليس في الناس انسان واحد لم يقتل جميع الانبياء وجميع المعلمين .

ان جميع الناس قاتلون لانبيائهم ومعلميهم ، حتى المجانين جدا في ايمانهم وتفوههم واخلاصهم لمذاهبهم . انهم جميعا قاتلون لتعاليم انبيائهم ومعلميهم ، وقاتلون لشرائعهم وتكتيبهم ولمذاهبهم . انهم قاتلون لها في حياتهم واهوائهم وتمائهم . انهم قاتلون لوجود انبيائهم من وجودهم .

انه لا يوجد من الانبياء او من المعلمين عند المؤمنين بهم او المتبعين لهم سوى مقابرهم وكتبهم وذكرياتهم وسوى الاحاديث عنهم وباسمهم . ان جميع الانبياء والمعلمين مقتولون ومنفيون من جميع المجتمعات في جميع العصور . بل ان جميع الانبياء والمعلمين قاتلون وناقون لجميع الانبياء والمعلمين . انهم قاتلون لانفسهم ووجودهم وناقون لانفسهم ووجودهم . انهم لا يعيشون انفسهم ولا يوجدون فيها .

ان الانبياء لم يوجدوا في اي مجتمع . لقد كانت المجتمعات تؤمن بهم وتحتفل بقدومهم وتصنع الاستقبالات الضخمة لمجيئهم على شرط الا يجيئوا اليها ، بل على شرط الا يوجدوا . كما انهم اي الانبياء لم يوجدوا في وجودهم . لقد كان جميع الانبياء ضد وجودهم اي ضد وجودهم انبياء . ان نبيا واحدا لم يعش نفسه او نبوته .

لقد كان يوجد دائما وفي كل العصور من ينادون باستعادة الماضي ، بل من يهتفون لعودته وينتظرونها ويؤمنون باحتمال هذه العودة ، بل بكونها حتما احيانا .

والماضي المهتوف له والمنتظرة عودته قد يكون دينا ، وقد يكون اخلاقا وقد يكون نيات وطهارة نفسيه مفروغة ومكتوبة ومسماة . وقد يكون حبا انسانيا قد ضخمه التصور الجامع . كما قد يكون ذلك الماضي مذهبا من المذاهب ، او زعيما او نبيا او معلما .

ولكن لقد ظل كل الماضي ثابتا في مكانه ، لم يحاول ان يتقدم او ان يدنو ولو خطوة واحدة آتي المناجين له ، الهاتفين به ، المتضارعين اليه ليجيء والمفنين له كل اناشيد الشوق والحنين والبكاء ، والملحين عليه بكل الاساليب واللغات والاضراعات ليسرع ويسرع في مجيئه .

وانه ليس في نيته ولن يكون في نيته ان يتحرك من مكانه ، ولا ان يخطو ولو خطوة واحدة ليكون ادنى الى من يوشكون ان يقتلهم الشوق والحنين اليه والانتظار له .

ولعله رفض المجيء خوفا ممن يضرعون اليه ليجيء ، لعله قد عرف كيف سيستقبلونه ويعاملونه لو جاء ، لعل معرفته هذه زجرته عن المجيء .

وهل يوجد اقسى من الماضي على الخارجين اليه والمؤمنين به والطالبين له بالعودة ؟ هل يوجد اظلم منه لهم ؟ هل يوجد اكثر منه جفاء في معاملتهم وفي هجره حتى للاستماع الى ضراعتهم وحنوائهم ؟

هل يوجد اقسى او اظلم من الانبياء والمصلحين الذين تهتف لهم كل هذه المدن والحناجر والقلوب والشفاه ضارعة اليهم ان يجيئوا فلا يجيئون بل ولا يفكرون في المجيء ، بل ولا يحولون مجيئهم او طلب مجيئهم الى قضية من قضاياهم تستحق اهتمامهم او تفكيرهم او تحرك احزانهم او تخاطب مع دموعهم ؟ وهل كانت هذه قسوة او خوفا ام ذكاء وبهديا ورفعا بالمنادين الهاتفين ونفاهما معهم على الا يكون المجيء مهما كانت الطالبة به والاشواق اليه ؟ انهم مهما دعوا هذا الماضي طالبين اليه المجيء فانه لن يجيء بل ولن يدنو منهم ولا خطوة واحدة . اذن فهل يزداد عنهم ابتعادا ؟ بل ولا هذه. انه لا يزداد عنهم ابعادا لانه لا يستطيع ان يكون اقرب ولا ابعد . ان بعده لا يقبل التغير،لا يقبل ان يكون اكثر قربا واكثر بعدا،لانه في موقف المحال ، والمحال لا يقبل ان يكون اقوى او اضعف . انه لا يقبل ان يكون اكثر او اقل استحالة . ان المحال ليس درجات . انه درجة واحدة وبعد واحد . ان التعدد والتفاوت لا يوجدان في المحال ، لا يوجدان فيما ليس موجودا.

انه لتعبير خاطيء ان نقول : هذا اكثر استحالة من هذا او من ذاك . ان هذا القول يساوي ان نقول : هذا فان او ميت او مفقود اكثر من ذاك.

انه ليس في الفناء او الموت او في العدم او في الفقدان اي تفاوت ، ليس فيه اكثر او اقل ، ولا اضعف او اقوى . ان هذه التعبيرات اذن تعبيرات خاطئة الا اذا كانت الكلمات والالفاظ مرادا بها غير معناها الدقيق . نعم ، اليست الكلمات دائما او غالبا يراد بها غير معانيها الدقيقة!

ان الماضي لا يعود ولا يستعاد ، وانه لا يقرب ولا يبعد من المؤمنين به او من المنادين له او من المحاولين الزحف اليه . انه ثابت في مكان واحد لا يتحرك منه او فيه .

بل ان الماضي ليس في مكان ، لهذا فهو ليس قريبا ولا بعيدا

ان الخطر او الضرر اذن ليس في اعادة الماضي ، فلا شيء يستطيع

ان يجعله يعود ، ولكن الخطر او الضرر في الشوق والحنين اليه وفي الانعتاق عليه ، وفي فخامة الاكاذيب والغوايات والمراءاة التي لا بد ان تملأ وان تغطي كل الشوق باسمه اي باسم الماضي وباسم اجهاد لاستعادته .

ما اعظم اذن الاحتمالات الشريرة تحت مزاعم النضال لاحياء الماضي . ما أعظم الاحتمالات الشريرة تحت مزاعم النضال لاعادة أحد الانبياء او احد المعلمين او احدى العقائد .

كم سرق الناس وضللوا وخدعوا وشفوا وسرق ذكاؤهم وكرامتهم وحريتهم وسرقت اشواقهم وتهفاتهم وتطلعاتهم تحت زعم من هذه المزاعم .

كم شعل الناس وسرقهم واخذ منهم وخلب ذكاءهم واشواقهم وتطلعاتهم انبياؤهم ومعلموهم ووعاظهم وقادتهم الذين يزعمون بهم انهم يجاهدون لكي يتنبيا الشيطان ويعلموه الصلاة والدين والايمان ، ويطلبوه العوده الى ماضيه ، الى الله ، والى مالف تفواد . ما اكثر الانبياء والمعلمين والوعاظ الذين يجيئون الى الناس لكي يحولوا كل دنياهم الى مدابر لكي يعلموا من فوقها الشيطان كيف يتوب ويسعيد تفواد القديمة .

كم كان الحديث عن الماضي والشوق اليه سارقا وخادعا واخذا وشاغلا ومسوغا للطغيان والاكاذيب والاستغفال ، وصانعا للطغاة والمخادعين والمنافقين والمتصوفين والقافزين على ذكاء الانسان وعلى مجده وعلى كرامته وعلى تاريخه .

كم كان الحديث عن اعادة الماضي عدوانا على الانسان . ما اكثر اعداء الانسان الذين يحاربونه اشرس وادوم واشمل الحروب باسلوب الاعادة لماضيه ، باسلوب الاحياء لالهته التي قد ماتت .

ان الاصدقاء حقا الماضي باشواقهم وتمنياتهم وتطلعاتهم وتعاليمهم قد يكونون من ارذا الناس حظا ومن اسوئهم حالا واكثرهم تمزقا وضياعا — اعني ان كانوا صادقين في ايمانهم بالماضي وفي اشواقهم وحنينهم اليه ، ذلك لانهم لا يستطيعون ان يبلغوا اشواقهم او ان يقربوا منها تماما يستطيعون ان يتخلوا عنها ، او ان يدوسوا او حتى تضعف لهفاتهم اليها اي الى اشواقهم . وانهم كذلك لا يستطيعون ان يتلافوا هم واشواقهم وافكارهم وحياتهم

وضروراتهم في مكان . انهم اناس مقيدون ممزقون مفرقون . ان اشواقهم وتحديقاتهم في مكان وزمان ، وان حياتهم ووجودهم وافكارهم وضروراتهم في زمان آخر ومكان آخر . وانه لا يمكن الالتقاء بين الزمان والزمان ، ولا بين المكان والمكان . انه مؤمن صادق الايمان . انه يتطلع الى الافق البعيد والغارب بلهفة وحنان . انه ينتظر عودة مسيحه الديني او المذهبي او الاخلاقي او الانساني . اذن ما اشد عذابه وتمزقه وضياعه .

ان بين حياة هؤلاء المفتونين بالماضي وبين اشواقهم وتطلعاتهم لمسافة تموت فيها كل الاشواط والمهدات والاحداث . وان بين حياتهم وضروراتهم وبين اشواقهم وتطلعاتهم لتناقضا لا ينتهي الى نصر ولا الى هزيمة ولا الى اتفاق او صلح .

وفي هذا التناقض وفي هذه المسافة يستطيع ان يتحمى ويتجمع ويتحرك ويعمل ويألق ويسعد ابشع واخبث النفوس والتافهين والاغبياء والاغبياء ، يسرقون ويكذبون ويزعمون ويفسدون ويصيحون ويضللون ويستمرون . ما اقدر اللصوص والاغبياء والاعداء على التجمع في المسافة الممتدة بين اشواقنا وواقعنا ليقتلوا ويسرقوا ويكذبوا ويدعوا ويسودوا .

ما ابشع ما حدث وما يحدث وما سوف يستمر يحدث تحت شعارات الاستعادة للماضي . ما ابشع العدوان مسبوقا باستعادة هذا المحال . ما اضخم الانفاق على هذا المستحيل .

ان كل هذا يعني انه ليس ابعاد الماضي عن صيغنا الرسمية او الحكومية او القانونية هو الذي يعصمنا من الخداع والعدوان والسرقة والطغيان باسمه . ولكن الذي يعصمنا من ذلك هو تحررنا الداخلي او الذاتي منه — اي تحرر افكارنا واشواقنا وامانينا وتطلعاتنا وانتظارنا منه .

انه اذا تحررت نفوسنا من عبوديه الماضي ومن غبائه وسلطانه والتطلع اليه والانتظار له — اي اذا تحررت نفوسي انا وانا — فانه لن يضيرنا او ياخذ منا شيئا ان تكون لنا حكومة او اجهزة تعدس ذلك الماضي وتنشد فيه اكثر الاناشيد تهيجا وسخفا ، وتقيم له احفل الاعياد ، وتصوغ كل شعاراتها باسمه في صحيح مصاب بكل اساليب ولغات ومعاني الغوايه .

ولكن اليس في ذلك اخذ متنا ايضا على نحو ما او بأسلوب ، بل باساليب عديدة ؟

اما اذا لم نتحرر افكارنا واشواقنا وامانينا وانتظارنا من قصة ورهبة وسحر ذلك الماضي فانه لن ينفعنا اي نفع ، او لن ينفعنا كثيرا ، او نفعا كاملا ، ان تكون لنا حكومة او اجهزة محايدة بين الله والشيطان ، او منحازة الى الشيطان ، او ملحدة ، او علمانية ، او اي شيء ما لم نفعل اي تلك الحكومة او الاجهزة شيئا لتحرير نفوسنا واشواقنا وتطلعاتنا .

ان البشر لا يعيشون حكوماتهم ولا احتفالاتها ولا اعيادها ولا شعاراتها ولا اجهزتها ، ولكنهم يعيشون اشواقهم ونياتهم وقدراتهم وجرعهم . انهم لا يعيشون حكوماتهم او دعاية حكوماتهم او اجهزة حكوماتهم او اعداد حكوماتهم الا باشواقهم ونياتهم ومشاعرهم وقدراتهم . ان البشر لا يعيشون ولا يطيعون الا ذواتهم مهما اطاعوا وعاشوا حكوماتهم . انهم لا يحترمون حكوماتهم او يخافونها الا من خلال احترامهم لذواتهم وخوفهم منها . ان البشر يخافون حكوماتهم ويطيعون اوامرها بذواتهم وباخلاق ذواتهم وباوامر ذواتهم لا بذوات حكوماتهم ولا باوامرها .

ان البشر لا يفهمون اية لغة ولا اي منطق غير لغة ذواتهم وغير منطقها مهما تكلموا كل اللغات ، ومهما وضعوا كل الافكار وتحدثوا عن كل الافكار وقاتلوا باسم كل الافكار .

اذن ما اكبر خطأ اولئك الذين يقولون نريد مجتمعات متدينة وحكاما متدينين ، ولا نريد حكومات دينية . ان هذا يشبه ان يقولوا :

نريد مجتمعات متعلمة وذكية وحكاما اذكياء تقدميين ، ولا نريد حكومة تقدمية او ذكية ـ او نريد مجتمعات متعصبة جاهلة وحكاما متعصبين جاهلين ، دون ان نريد حكومة متعصبة جاهلة . والحكم هنا يختلف لاختلاف النظر الى الدين .

وهذا القول يشبه ايضا ان يقال نريد مجتمعات مذهبية وحكاما مذهبيين ، ولا نريد حكما مذهبيا .

ان هذا القول يعني اقتناعا لم يتطق بأن التزام الدين بالاخلاق او بالتفكير أو بالسلوك او بالتعامل او بالاعتقاد او بالشاعر شيء لا يستطيع ان يعيشه الانسان او المجتمع ، ولا ان يتحمله او يتقدم به الحياة — بل شيء لا ينبغي ان يحدث ، ان حدوثه لو كان ممكنا حدوثه شيء فاضح واليم كريه . وهذا الشيء الفاضح الاليم الكريه لن يكون بشاعته واضراره في سلوك الافراد وفي حياتهم مثل بشاعته واضراره في سلوك وحياة الدولة او في سلوك وحياة الحكم . انه في سلوك وحياه الدولة والحكم اضخم واوسع في مستويات دمامه وحشيه وتشويهه للاشياء وللانسان .

ولانهم هكذا يفهمون القضية قالوا بالمجتمع المتدين او بالأحادالمتدينين لا بالدولة الدينية . لقد اصبحوا بالتزام اقل الاسلوبين او اقل المستويين قبحا وسخافة وتخلفا وضررا .

حتى المجتمعات التي لا يوجد فيها من ينادون بذلك اي بالمجتمع المتدين لا بالدولة الدينيةهي تفعل ونحيا ما يعني هذه الفكرة التي لا تقولها ولا تنادي بها .

ذلك ان هذه المجتمعات تحتشد وتطلق كل طاقتها دعوة الى العقائد القديمة لتحويلها الى سلوك وحياة واقتناع لكل الناس بينما تتصرف وتفكر وتتعامل كدولة بأساليب اخرى بعيدة جدا عن الاستمساك بما تدعو اليه ، بل بعيدة عن الاحترام له او المبالاة به .

ان رفض الدولة الدينية يعني في معناه وتفسيره رفض المجتمع المتدين ورفض الحكام المتدينين . كما ان تأييد المجتمع المتدين او الحكام المتدينين يعني في منطقه تأييد الدولة الدينية .

ان القضية حسما نعرف تصوغ نفسها هكذا :

ان كانت المعتقدات القديمة او الدينية خيرا او نافعة او مصلحة للناس او سالمة للحب والسلام والنخوة والشهامة بينهم فلماذا لا يريدونها للدولة او للحكم ؟ اما ان كانت غير ذلك او نقيضه فلماذا يريدونها للمجتمعات او للافراد ؟ قد يكون المعنى المضمر : ان التدين او المعتقدات الدينية شيء رديء ومفسد للعلاقات بين البشر ولكن لا يصح منع الافراد من ذلك

لان حرية التعامل بالذات يجب الا يعتدى عليها .

ان الدولة التي ترفض او لا تستطيع او لا تجرؤ ان تكون دينيسة لواجب عليها الا تدعو جماهيرها الى ان تكون متدينة ، والا تريد لها ذلك، بل انه لواجب عليها اي على هذه الدولة ان ترفض وتقاوم تدين جماهيرها. ان عليها ان تقيم اضخم واقوى الاجهزة لمنع الناس من التدين ، اي لاقناع الناس بالتخلي عن التدين وبرفض المعتقدات الدينية لا لتعميم بالقانون او بالقوة ....

ان مثل هذه الدولة حينما تكون سياستها تحريض مجتمعها على التدين وتسليط كل الاجهزة وكل اساليب الاغراء والاغواء والتخويف عليه ليكون متدينا ، ليكون مدينا بلا حدود وبلا وقار او اتزان فالمعنى هنا هو كالمعنى او هو نفس المعنى حينما يريد حاكم ما ان تكون جماهيره ضعيفة ومهزومة ومقهورة ومستعبدة وبليدة ليكون هو نعيض كل ذلك . انه يدعو الى نعيض ما يفعل ونقيض ما يريد لنفسه . انه يختار لنفسه نقيض ما يختار لجماهيره . ان الحاكم حينئذ ليس داعية ، ولكنه معاد ومحارب باسلوب الداعية. نعم ان جميع الحكام الذين يريدون من شعوبهم ان تتدين وان تؤمن بالعقائد ليسوا الا محاربين لها . انهم ليسوا دعاة في حوافزهم او نياتهم. ما أعظم وانبل ايثار الحكام والاغنياء في المجتمعات المتدينة . انهم يؤثرون على انفسهم باسلوب هو فوق جميع نماذج النهامة والورع والفداء والايثار .

ان اردا ما في هذه القضية ان رعايا هؤلاء الحكام في هذه المجتمعات لا تفطن الى هذا الايثار والى معانيه الكبرة .

ان الاغنياء والحكام في المجتمعات المتدينة يذهبون يتنازلون عن الله وعن الايمان به ، وعن التقوى ، وعن جميع الاخلاق والالتزامات الدينية — انهم يذهبون يتنازلون عن كل ذلك بكل اساليب ومستويات الكرم ، ليكون ذلك كله لرعاياهم وليكون لهم هم شيء آخر .

وهل يوجد سخاء في نبل سخاء من يتنازل عن الاله وعن امتلاكه ليكون اى الاله املاكا لانسان آخر ، ايثارا وشهامة ؟

ان هؤلاء الحكام والاقوياء لا يتنازلون عن شيء لرعاياهم بكل معاني الكرم وتعاسيره وصيغه مثل تنازلهم لهذه الرعايا عن الله وعن الخوف منه وعن التأميل فيما عنده ؛ وعن انتظار هذا الذي عنده ؛ وعن الاحترام له، وعن الاستماع اليه ؛ متحدثا عن احزانه وعن مسائله ومن مطالبه الكبيرة الباهظة الدائمة . هل وهب الحكام والاقوياء في المجتمعات المتدينة مجتمعاتهم شيئا مثلما وهبهم الله ؟ هل وهب شيء في العالم أكثر او ارخص مما وهب الله ؟ هل تنازل الاقوياء لضعفاء عن شيء مثل تنازلهم لهم عن الله وعن الاستقامة ؟

كيف يريد مجتمع من المجتمعات ان يلتزم بمعتقداته وتعاليمه القديمة كاحاد ؛ ثم يرفض ذلك لنفسه كدولة او كحكم او كحكومة ؟ اليس المطلوب من كل حكم او المفروض فيه ان يكون استجابة لاكبر ما يمكن من احتياجات الافراد ومن آمالهم وجوعهم ومن نماذجهم الذهنية والنفسية والاخلاقية المختارة بأسلوب جماعي الزامي ؟ اليس المطلوب من كل حكومة او المفروض في كل حكومة ان تكون نموذجا كبيرا ومثيرا وقويا لنماذج الافراد ولمستوياتهم الفكرية والنفسية والاخلاقية، ولاحتياجاتهم وطموحهم، ولما يريدون ولما يراد منهم؟ اليس المطلوب والمفروض ان تكون كل حكومة تعبيرا قويا وشاملا عن كل ذلك ؟ هل يوجد من يحاول او يريد ان يكون الوجه جميلا ونظيفا ويكون باقي الجسم دميما قذرا ؛ وان تكون الجسم نظيفا وجميلا ويكون الوجه قذرا ودميما؟ اي ان يكون احدهما نقيضا للاخر في الجمال والدمامة والنظافة ؟

ان نظم واخلاق وافكار وامالي حكمنا هي التعبير عن امانينا ورغباتنا وعن افكارنا واخلاقنا ومصالحنا ان كان الحكم صالحا وطيبا ، والا فهي التعبير عن مصالح واهواء وحسابات طائفة او فرد منا ان كان الحكم رديئا ومستبدا وظالما وجاهلا .

انه لا انفصال او لا تناقض بين سلوك ومنطق وطموح ونظم حكمنا وشرائعنا وبين امانينا او امالي طائفة منا .

اذن كيف نذهب نتمنى الشيء ثم نرفض تمنيه في حالة واحدة ؟

كيف نذهب نتمنى ان يعيش الله بكل جبروته وبكل ممارساته

لنفسه وللاشياء ونكون مع الحاكم في بيته بكل هذا الجبروت والرهبوت وبكل هذه الممارسات للنفس وللكون وللاشياء ؛ ثم نرفض ان يعيش الله معه اي مع الحاكم فوق عرشه ؟ كيف نذهب نتمنى ان يجلس الله فوق كل كرسي ليمارس كل ارادته وشهواته ثم نرفض ان يجلس فوق فخم واعلى كرسي ؟

كيف نتمنى ان يوجد وان يعيش وان يجلس الله في كل مكان وفوق كل شيء ثم نرفض ان يوجد او ان يعيش او يجلس فوق العرش ؟ كيف نريد ان يكون الله في غرفنا ومتاجرنا واسواقنا ثم لا نريد ان يكون في دور ومكاتب حكمنا ؟ كيف يكون الله جمالا وتهذيبا في مكان وغير ذلك في مكان آخر ؟

كيف يكون الله طيبا ومعقولا ومقبولا وخيرا مع كل انسان وداخل ذات كل انسان وفي فم كل انسان ، ثم يكون نقيض ذلك مع الحاكم وداخل ذاته وعلى لسانه ؟ اليس التعامل بالاله شيئا جيدا في كل الاوقات وتحت كل الظروف ومع كل الناس ، كل اصناف المعاملات ؟

اليس من افظع اساليب الهجاء للاله والدين الزعم بانه يجب اخفاؤهما او ابعادهما حين التعامل مع الاخرين ، او حين لقاء الاخرين ، او حين التحدث الى الاخرين ؟

ماذا لو قيل نتمنى شعبا حرا مفكرا شجاعا ذكيا نظيفا ، ونرفض حكومة لها هذه المزايا ، او لها هذه الرذائل او نتمنى حكومة لها كل هذه المزايا او الرذائل وشعبا نقيض ذلك ؟ اليست القضية يجب ان تكون هكذا :

ان ما ينفي او يطلب ان يفعله الانسان او يكونه بمعنى الانسان فيه ينبغي ويطلب ان يفعله وان يكونه بمعنى الحاكم فيه ، وما لا ينفي او يطلب ان يفعله او يكونه بأحد معنييه لا ينبغي ولا يطلب ان يفعله او يكونه بمعناه الآخر ؟ ان الدعوة اذن الى الماضي ليست خيرا ولا شرا ؛ انها ليست شيئا ، لانها لا تصنع او تهب اي شيء ، انها لا تمنع اي قدر من الخطر او الضرر ؛ لانها لن تعيد او حتى تقرب ذلك الماضي .

ان الدعوة الى استعادة الماضي ليست الا اسلوبا كبيرا شهيرا مثيرا

من اساليبه العبث الذي لا جمال ولا فن فيه . ان هذه الدعوة مثل الدعوة الى كراهة الذات او الى حب الاخرين اكثر من حب النفس ، او الى حب الموت شوقا الى رؤية الله ، والى دخول ملكوته الاعلى ، والى مصاحبة الانبياء والقديسين هناك . انها كالدعوة الى ان نخاف ونحافظ على عيون اطفال جيراننا واعدائنا لئلا تصاب بالبغض او بالحقد او بالوقاحة اكثر من خوفنا على عيون اطفالنا ومحافظتنا عليها لئلا تصاب بعاهة البلاهة او القسوة او البلادة او بعاهة العدوان او الهمجية . ان مرض العيون العقلي والاخلاقي اخطر من اقسى الامراض .

ان هذه الدعوات دعوات لا تعني شيئا . انها ليست الا عبثا ولغوا ولهوا ليس مسليا .

ولكن لا . انها ليست لغوا وعبثا فقط . انها اكثر واردأ من ذلك .

ان في الدعوة الى الماضي والى استعادته سرقة للانسان . ان في ذلك سرقة للتاريخ ، سرقة لعيون التاريخ ، ولاذنيه ، ولاعصابه ، ولوقاره ، وتفوقه ، ولحماسه ، ولاشواقه وحبه وصداقاته وتهذيبه ، ولمحاربيه ومثايره ، ولصداقاته وفصاحته ، ولانبيائه ومعلميه واذكيائه واغبيائه .

ان الدعوة الى استعادة الماضي والجهاد لاستعادته سرقة للحياة وللتاريخ . واهل البشر لم يسرقوا سرقة اضخم او اشمل او اشهر من هذه السرقة .

وان في هذه الدعوة لاخطارا واضرارا تصعب وتروع وتخجل حساباتها .

انها تمكين رائع وممتاز وشرير لكل اعداء الانسان ولصوصه لكي يوجدوا ويتصرفوا ويسودوا .

انها دعوة ملحة ومفتوحة لجميع الكاذبين والمخادعين والماكرين والنصابين والاغبياء والعاجزين والخاملين الكسالى ولكل اللصوص ولكل من لا يحملون او يعيشون او يعرفون اية مزية انسانية اخلاقية او عقلية او شعورية .

ـ انها دعوة ملحة وشاملة ومفتوحة موجهة الى كل هؤلاء لكي يخلقوا ويتكاثروا ويقدموا وينطوا ويتألقوا ويصعدوا ويكبروا ويعظموا ويعبدوا ويخلدوا ويأخذوا ويعبثوا وينكبروا وينسخوا التاريخ ويكتبوه كيف شاءوا واستطاعوا ؛ بل ويبصقوا على التاريخ ؛ بل وعلى الحياة ، بل وعلى المنابر والمحاريب ، وليبصقوا فوق النار والمحاريب ..

ان الاغبياء والكاذبين والمنافقين والقتلة ليكتبون التاريخ كما يكتبه العباقرة والمقدسون والعظماء ؛ او اكثر وانصل واقسى .

انها دعوة لكل هؤلاء ليجيئوا وليكونوا كل ذلك ؛ ثم ليحسبوا انبياء وابطالا وشهداء وقديسين وفدائيين وقتلى في سبيل الانسان ـ بل ثم ليصبحوا معاصل وأنهارا كونية مقدسة ، تغتسل بها الشموس والنجوم والانهار والبحار من آثامها وادرانها ورذائلها .

ان التاريخ لينحرف ويتلمس طريقه بارتجاف ويبطء ويتلفت وبضراعة فوق طوابير طويلة وهائلة من هؤلاء الانبياء القتلة الكذبة الذين تفجروا فوقه واقتحموه وامتلكوه واذلوه كشهداء وابطال قد حلت بهم السماء ليصنعوا للانسان ماضيه العظيم ، او ليعبدوا له ذلك الماضي الذي قد اصبح عظيما ، ولكي يتوبوا الشيطان ويعبدوه الى نقواه القديمة .

لقد اصبح حظ الانسان والحياة من هؤلاء الانبياء القتلة الكذبة الذين حبلت بهم وولدتهم السماء حقا عظيما . ما اقسى حظوظ الحياة وحظوظ الانسان بمن تحبل بهم السماء وبمن تلدهم السماء . ان كل حبل السماء وكل ولاداتها ليست الا نشوبها للحياة وللانسان . انها حبل بالعاهات وولادة لها .

ان كثيرا من المجتمعات تتفق على الدعوة لعودة هذا المجال الذي لن يعود ، وعلى اجهزة ووسائل التحدث عنه والتبشير به اكثر جدا مما يمكن ان تتفق على استضافة الاله وعلى اطعامه وعلى الاحتفال به ، وعلى تمجيده وتكريمه وحشد كل اسباب الراحة له ، وعلى اقامة الاستعراضات والمهرجانات له ولتحيته ولجمع كل معاني السرور والرضا في قلبه وعينيه ، اي لو انه هبط الى الارض في اضخم واكبر مواكبه السماوية ، لينزل ضيفا عليها اي على هذه المجتمعات ـ لينزل ضيفا عليها هو وجميع

مستشاريه واعوانه وجنوده من مكان السماء .

ـ لينزل ضيفا جائعا جوع اله ، حزين حزن اله ، محتاجا الى التمجيد والتكريم والاستقبال والتحية والى الاحتفالات والاستعراضات والمواكب والدوي احتياج اله ، مستغيثا طالبا استغاثة وطلب اله ، نائبا بؤس اله ، مشترطا لنفسه وان معه اشتراط اله . ولكن أليس الاله ضيفا دائما جائعا ، يقام له ضخم الموائد والاحتفالات والمهرجانات في جميع المجتمعات المؤمنة المدينة بأشمل وابهى أساليب السرقة ؟

كم انفق الانسان ، وكم سرقت حياته ، وكم كذب على التاريخ ويسخر وشوه وأهين وهزم وافتيد الى الفضائح والحماقات والتفاهات ، وكم قيدت خطواته وتحيقاته ، وكم ماتت وزاغت تحديقاته ، وفضح شرفه وذكاؤه .

ـ نعم ، كم حدث كل هذا ، او كم اريد كل هذا منفقة عليه ايقظ المحاولات واضخمها سرقة للانسان وللتاريخ وللحياة ـ كم حدث او كم اريد كل هذا تحت شعارات الاحياء للاله الذي لم ير قط في اي مكان ولا في اي عصر حيا ، او ممارسا لنفسه وشؤونه مثل حي ـ اوتحت شعارات الاستعادة لذات الله الى الارض التي قد هرب منها او التي قد طرد منها ، او التي لم يره قط احد فيها ، كما لا يريده ابدا احد فيها ـ او تحت شعارات الانقاذ لمجد الاله واشرفه وسلطانه من قبضة الشيطان ومن سلطانه المتفوق النهار . ان نضال الانسان الطويل العاجز المهزوم لانقاذ مجد الاله من طغيان وتفوق الشيطان لهو اعجب نضال باس حزين في هذا الكون . ان الكون لم يشهد مأساة مثلما شهد هزيمة الاله والانسان امام جبروت الشيطان .

انه قصة حزينة ومثيرة قد عاشت طويلا فوق هذه الارض ، ولا تزال تعيش بقوة وبدوي احيانا فوقها . تلك هي قصة محاولات الانسان الدائبة البائسة بالتبشير وبالصراخ وبالتمني وبالانتظار وبالانفاق الباهظ المخيف لكي يجعل الاله الهارب المطرود من هذه الارض يعود اليها ـ لكي يجعل الاله يعود ويعيش في هذه الارض التي لم يجده احد قط فيها ، بل التي لم يعش يوما ما فيها .

— لكي يجعل الشيطان يموت او يهرب او يهزم او يخذل او يتوب .

— لكي يجعل الصدق والحب والنظافة والاستقامة والتقوى تستعيد مجدها القديم او تصنع لها مجداً جديداً ، او تحكم وحدها العالم او تعيش وحدها فوق هذه الارض — او ليزعم انه يريد ذلك ويجاهد له . ان جميع البشر اشتركوا في طرد الاله من الارض بل في منعه من المجيء اليها . حتى المؤمنون جداً الذين يتفقون على استضافته اي على استضافة الاله أضخم النفقات قد كانوا اول الطاردين له بل المانعين له من المجيء . انه المستحيل الذي لا يتحول الى مستحيل ، ولا يعرف انه مستحيل ، ولا يترك كما يترك المستحيل . انه المستحيل الذي لا يعلن . انه المستحيل الذي يمارسه كل الناس ، كل الاذكياء وكل الاغبياء . كل التقدميين والثوار والاحرار ، وكل الرجعيين والمستعبدين والمحافظين ، بل وكل الاتقياء والصادقين المؤمنين وكل الفجار والكذبة والزنادقة . هل كل الناس يمارسون المستحيل ؟ هل يوجد فرق بين الاذكياء والاغبياء في ممارسة المستحيل ؟ هل الاذكياء والاقوياء اكثر ممارسة للمستحيل من الاغبياء والضعفاء ؟

انه المستحيل الذي يتحول الى افخم السرقات واتى اضخم اساليب التضليل والعبث البليد . انه العبث الذي يمارس ويعلن عنه ويمجد كأعظم وأقوى الجد .

انها الاكذوبة او الخديعة العالمية العظمى التي لم تستطع ان تموت، ولم تستطع كذلك ان تحيا ، بل ولن تستطيع .

انه الاتفاق الباهظ على ما لا امل فيه . انه الانفاق بلا وقف او حدود على ما لا يراد ، على ما لا يراد ان يكون ، بل على ما يرفض ان يكون ، بل على ما يقاوم ويحارب لئلا يكون .

ان جميع الناس لم يرفضوا ان يكون هذا الذي يتفقون عليه كل شيء ليكون ، بل ان جميع الناس ليقاتلون لئلا يكون هذا الذي يتفقون عليه كل هذا الانفاق لانهم يزعمون انهم يريدونه ان يكون . ان كل الناس مستعدون ان يقاتلوا بكل اسلحتهم وبكل دمائهم لئلا يجيء الاله الذي

يتفقون على استضافته وعلى الاحتفال به وعلى الاعلان عنه والدعاية له كل هذه الاتفاقات . .

انه التبديد . وهل الكون والحياة والناس وكل شيء الا تبديد ؟ أليس التبديد بلا تفسير هو التفسير الشامل لكل شيء ؟ أليس هذا التبديد هو اعراء لكل شيء ؟

أليس تبديد الوجود او تبديد الحياة او تبديد الذات هو الصلاح لكل موجود ولكل كائن حي من ورطة وجوده او ورطة حياته ؟

أليس التبديد بلا تفسير هو التفسير الشامل لكل ممارسة ولكل نية ، بل ولكل تدبير وتفكير ؟ أليس التفكير والتدبير أسوأين من أساليب التبديد ايضا ؟

أليس التفكير والتدبير أسوأين من أساليب البحث عن صيغ وتسويغات لتبديد ؟ أليس كل ما يحدث وكل ما يصنع وكل ما يقال ويدوى لا يعني الا التعبير الشامل عن التبديد الشامل ؟

أليست ممارسات المسرات والضحك والملذات أساليب مختلفة من عمليات التبديد مثل ممارسات الاحزان والبكاء والآلام ؟

الك ليست الا مبددا لشيء ما حينما تمارس مسرة او لذة وحينما تنفرق ضاحكا . وانك لكذلك حينما تحزن وتبكي بتعبير ما ، وحينما تمارس ألما من الآلام باعلان وصراخ . ان البكاء بصراخ لاسلوب من أساليب التبديد كالصلاة ببكاء ، وكالتحدث بتوتر جاهر غاضب شاتم .

اواه . . ما اقسى العذاب لو ان البشر لم يعرفوا ويبتكروا كل أساليب التبديد لكل شيء حتى لعبقرياتهم ومسراتهم .

★

لقد كان دائما يوجد عبث كبير . لقد كان يوجد دائما عبث كان يغطي كل التاريخ . انه لعبث لا يزال حتى اليوم يغطي كل العالم كما كان يغطيه في كل التاريخ ، في كل المجتمعات ، تحت كل المعتقدات والنظريات والمذاهب والقيادات .

لقد كان كل من كان في العالم ، وانهم لا يزالون ، يتحدثون عن النيات الطيبة . انهم يريدون ، بل ويحاولون أن يعالجوا كل اخلاق الانسان ومشاكله واخطائه وقوياته المدمرة والفكرية والاعتقادية — بل وان يعالجوا كل مشاكل الحياة وتعقيداتها والامها بالنيات الطيبة وبالارادة الطيبة المخلصة الصادقة . انهم ليريدون ويحاولون أن يعالجوا علاقات الانسان بالشمس والقمر وبكل الكون ، وعلاقاته بأعماله أيضا ، بالنيات . وهم لم يعرفوا أو يسألوا من أين تجيء النيات ولا لماذا تجيء ولا من يصوغها ولا لماذا بهذا الاسلوب وبهذه الصيغة دون النقيض .

ان البشر في جميع عصورهم وتحت جميع مذاهبهم ومعتقداتهم ونظمهم ومستوياتهم الحضارية المختلفة يقسمون النيات الى صالحة وطيبة وصادقة وانسانية والى نقيض ذلك . وانهم ليقسمون انفسهم الى ذوي نيات من هذا النوع والمستوى او من النقيض . انهم يختلفون في سلوكهم وتصرفاتهم للاختلاف في النيات بين الشيء ونقيضه فيه ، يرون ويزعمون ويعلمون ويتعلمون .

انهم ليحاولون ، او يبدون وكأنهم يريدون ان يعالجوا كل شيء بعلاج النيات ، انهم ليتصرفون وكأنهم يرون ان كل الآلام والفشائل والاخطاء والتناقضات وكل الشرور والعداوات والخصومات والحروب لا تعني الا رداءة النيات وشرورها .

ان كل الناس يعبثون كما كان كل التاريخ عبث .

ان العبث خلق عالمي . ان العبث مستوى انساني وليس مستوى حضاريا او مذهبيا او اخلاقيا او فكريا . انه مستوى الانسان وليس مستوى حضارته او مذهبه او آلهته او اديانه .

ان العبث مستوى وخلق كونيان ، وليسا فقط مستوى وخلقا انسانيين .

ان الشمس ، وكذا الانهار والبحار والحقول والنجوم وكل الاشياء لتعبث اكثر واشمل مما يعبث اعبث انسان لا يمارس الا اعبث العبث .

انه لا شيء في الكون أو في الانسان لا يعبث . ان اصابع الانسان

وعينيه ومشاعره وشعرات جسده وكل اعضائه وغدده ووظائفها وممارساتها وكذا مسراته واحزانه وابتساماته ودموعه — ان كل ذلك في الانسان لبعيث كما يعيث منطقه واخلاقه وعلاقاته ، كما تعيث اديانه ومذاهبه وكتبه وصاواته ، وكما تعيث محاريبه ومنابره وفصاحاته وتعاليمه ومواعظه .

* *

ولكن كيف ، هل يوجد جد وعبث ؟ اليس كل الاشياء عبثا ؟ اليست اكثر الاشياء جدا هي اكثر الاشياء عبثا ؟ اليس الجد في كل صيغه هو العبث في كل تفاسيره ؟ اليست الحياة اكثر عبثا من الموت ؟ اليس الموت بعض عبثها ؟ هل الانسان او الطبيعة او الاشياء نيات وارادات ، ام وجود وضرورات وقوانين وقدرة وعجز ؟ هل تختلف نيات البشر ، او هل يختلفون في نياتهم ؟ هل الفروق بين البشر فروق نيات ؟ هل الفروق بين الحشرات او الوحوش او الاشياء او حتى بين الاعضاء هي فروق في النيات ؟ هل الفرق بين كبد او غدد هذا وبين كبد وغدد ذاك فرق في النيات ؟

هل تختلف الاعضاء في ادائها لوظائفها لاختلافها في نياتها ؟ هل الانسان الا اعضاء جاءت بلغة انسان او بصيغة انسان او بمشاكل انسان ، او بتلوث انسان ؟ هل الانسان الا اعضاء جاءت بأسلوب ما ؟ هل لبعض البشر نيات من مذهب او من دين او من طبيعة او من مادة او من جنسية او من مستويات اخلاقية وانسانية ، بينما للآخرين من البشر نيات من النقيض ؟ هل تختلف مذاهب او اديان او طبائع او مواد او جنسيات او اخلاق الذات — او هل تختلف النيات اذا اختلفت مذاهبها او اديانها او جنسياتها او ظروفها او مواعظها وتعاليمها — هل تختلف الى نظيفة والى مصابة بكل الادران ؟ هل اختلاف النيات او الاهواء اختلاف في نظافتها وقذارتها ؟ هل الاختلاف بين الاعضاء في سلوكها اختلاف في نظافة نياتها ؟

هل اختلاف البشر واختلاف سلوكهم وكينوناتهم ومستوياتهم يساوي اختلاف نياتهم وارادتهم ؟ هل اختلافهم في ذلك او في شيء آخر يساوي رداءة نياتهم وفضيلة نياتهم ؟

هل اختلاف مذاهبهم او ذكائهم وغبائهم او حضاراتهم او قوتهم وضعفهم او اتباعهم للشيطان او للاله يعني اختلاف نياتهم ؟ هل ذلك يعني انه توجد نيات نظيفة او بريئة واخرى مذنبة وملوثة ؟ وما معنى نظافة

النبات وبرائها ؟ وما معنى كونها مذنبة وملوثة ؟ وهل الاحساس بالجوع ينقسم الى مذنب وبريء ؟ هل يمكن اصلاح الناس وتغييرهم ونقلهم من كينونة ومستويات الى كينونات ومستويات اخرى باصلاح نياتهم وتغييرها ؟ وهل يمكن اصلاح نياتهم او تغييرها بوعظها وتعليمها ، او بنقلهم الى مذهب او الى دين آخر او الى زعامة أخرى ؟

* *

ومرة اخرى : ما هي النيات ؟ اجعل ما هي ؟ هل عرفنا او سألنا ما هي ؟ مادا تعني طيبة ورديئة ، مذنبة وبريئة ؟ هل نيات الانه والنبي اطهر او انقى من نيات قاتلهما ؟ من يحكم ، وما المنطق الذي يحكم به ؟ كيف تحدث او تجيء هذه او هذه ؟ وكيف ، او لماذا ، او متى يصاب هذا الانسان او هذا المجتمع بالنيات او بالارادة الطيبة ؟ وكيف ، أو لماذا ، او متى يصاب الانسان الآخر او المجتمع الاخر بالتقيض ؟ كيف تجيء النيات المختلفة ، وكيف توزع على الناس ، او كيف يختار هذا النوع من النيات هذا الفريق من الناس ليختار النوع الآخر من النيات الفريق الاخر من الناس ؟

* *

ان كلمات طهارة النيات وخبثها ، او نظافة النفوس ودنسها كلمات في اللغة لا في التفسير او التفكير . ان بين كل كلمة واخرى فروقا لغوية دون ان تكون بينها فروق انسانية او طبيعية او تفسيرية . انها فروق توجد في قواميس اللغة دون ان توجد في سلوك او في اخلاق او منطق واضعي هذه القواميس . ان واضعي القواميس اللغوية ومفسري اللغات لا يعرفون اية فروق منطقية او اخلاقية او ذاتية بين النيات .

نعم ، هل الزعيم او القائد او العالم او المفكر او الفنان او القديس العظيم انظف نيات من السارق او القاتل او من اي انسان صغير جدا ؟ هل اعضاؤه اطهر او اشرف او اصدق جوعا او اقبل جوعا او احتياجا من اعضاء السارق او القاتل او من اعضاء الانسان الصغير جدا ؟

. . هل اعضاء الانبياء والقديسين والرجال العظام والكبار جدا اقوى على رفض الجوع او التعب او الالم او الاعياء او الانهيار او الارتجاف او التلوث من اعضاء اي برغوث يعيش في التراب والاوحال والشقوق ؟ هل اعضاء

الانبياء والقديسين والقادة والكبار والعظماء تتحول في وظائفها واحتياجاتها ونياتها الى انبياء وقديسين وقادة وكبراء وعظماء ؟ هل تختلف الاعضاء في نياتهـا ؟

هل الانسان اكثر نظافة او رفضا او صعودا في اعضائه او في نياته من اية حشرة ليس لها كتب مقدسة ، وليس لها كذلك محاريب او منابر او انبياء او تعاليم زاخرة يفنون البلاغة والارهاب والكبرياء ؟ هل ايـة حشرة اكثر صدقا او شرفا او طهارة او شموخا في نياتها مـن ايـه حشرة اخـرى ؟ هل استطاعت جميع محاريب الانسان ومنابره وانبيائه وتعاليمه وكتبـه المقدسة ان تصنع له اعضاء اكثر نيات او اكبر على الجوع من اعضاء اي صرصار يتغذى بالهوان ؟

هل الاله في نياته او في جوائزه او في اهـدافه او في اي تفسير مـن تفاسيره انظف او اشرف او اكثر اباء من اية ذبابة قد عانى اي الاله معاناة باهظة في خلقها وفي التفكير والتدبير والتخطيط لصياغة وجودها في اذكى واعظم وابرع النماذج والصيغ ؟

هل يمكن ان يباهي الاله اية ذبابة بطهارة نياته او جوائزه او اهدافه ؟

* *

ان الناس جميعا لا يستطيعون او لا يريدون او لا ينوون ان يفعلوا او ان يكونوا الا ما يقدرون عليه ، او الا ما يصنع لهم الطموح او الكبريـاء والشهوة او الراحة او الاعجاب بالنفس ، او الا ما يرونه ملائما لهـم ، او صانعا لقلوبهم ولاعضائهم وتنفاعاتهم ولجـوعهم للسرة والتعري والتـزق واللذات المحرمة او البديئة او المخجلة او العدوانية او الفضائحة او المدنسة ، اي ما لم يضطروا الى نفيض ذلك اضطرارا . هل نيـات الاله او النبي او المبقري تتكون او تتحرك بمنطق او باخلاق او باسلوب غير المنطق والاسلوب والاخلاق التي تتكون وتتحرك بها نيات الحشرات ؟

ان البشر جميعا في جميع ممارساتهم ونياتهم وتدبيرهم وتفكيرهم انما يحاولون الفرار من شعور الى شعور آخر ، او من حالة الى حالة ، او من موقف الى موقف ، او من اي شيء الى نفيضه . انهم جميعا ودائمـا انما يحاولون الانتقال من الالم الى اللذة ، واحيانا من اللذة الى الالـم ، او من الالم الى الالم ، او من اللذة الى اللذة ، او مـن العبث الى العبث ،

او ممن اي شيء الى نفسه بصيغة اخرى او بمعاناة اخرى ؛ او تحت زعم ما او عقيدة ما او مذهب ما او اكذوبة ما .

ان الشيء الواحد يصبح اشياء مختلفة متعددة تحت المذاهب او المزاعم او الشعارات المختلفة او المتعددة . اي الشيء ليصبح نقيض نفسه او عدو نفسه اذا اختلف المذهب او الزعيم او الدين او الانسان الذي ينادي به او الذي يمارسه .

ان الشيء قد يعطي السعور ونقيضه . ان الشيء الواحد قد يعطي اللذة كما قد يعطي الالم . ان ما يصنع لنا الابتهاج والاعجاب والكبرياء والايمان هو ما يصنع ثنا الكآبة والاشمئزاز والغضب والرفض . ان الالم قد يعطي اللذة ؛ كما قد يعطي اللذة الالم . وان الانتقال من الجلوس الى الوقوف ، او من الوقوف الى الجلوس ، او من الصمت الى الكلام او من الكلام الى الصمت ، او من الحركة والارتجاف الى السكون والهدوء او من السكون والهدوء الى الحركة والارتجاف ؛ او من الخوف الى الامان ؛ او من الامان الى الخوف ؛ او من الرضا الى الغضب ؛ او من الغضب الى الرضا ؛ او من اي شيء الى نقيضه ؛ او حتى من الذكاء والرصانة والتهذيب الى السفه والبلادة والافتضاح .

ـ نعم ، ان الانتقال من هذا الى هذا قد يصنع اللذة ؛ وقد يصنع الحالة النفسية التي يصنعها الانتقال من مذهب او دين او من تفكير او من شعار او من زعيم الى آخر . وان البشر جميعا في جميع ممارساتهم وسلوكهم وتفكيرهم وتدبيرهم انما يريدون هذا الانتقال ويبحثون عنه . ان القيمة ليست دائما لمستوى او لنوع ما يمارس ؛ بل لنفس الممارسة . ان حاجتنا الى الممارسات والى اساليبها اكبر من حاجتنا الى الشيء الذي نمارسه . اننا لا بد ان نمارس وان نغني حتى ولو لم نجد شيئا نمارسه ونغني له .

انه ليست للبشر نيات لا نظيفة ولا ملوثة اكثر او اقل من بحثهم عن انفسهم وعن محاولات الانتقال او الهرب بها من شيء آخر ؛ او من الشيء الى نفسه بشعور آخر ، او بزعم اخر ؛ او بأسلوب اخر ؛ او تحت مذهب او دين او نظام اخر .

اليس كل انتقال قد وقع او سوف يقع ما هو الا انتقال من الشيء الى نفسه او الى معناه وتفسيره تحت دعوى اخرى او شعارات اخرى او اكاذيب اخرى ؟

ان شعور الانسان دائما متحرك ؛ انه دائما يطلب التغيير حتى ولو بلا هدف او خطة او غرض معروف او مقصود . وقد يطلب الانزعاج والمغامرة والمخاطرة . انه قد يطلب التغيير رغبة في التغيير لا فيما يعطيه او يصنعه التغيير . انما لو لم نجد اي اسلوب من التغيير نمارسه الا بان نقاوم ونعادي انفسنا لكان محتوما ان نقاوم ونعادي انفسنا .

* *

ان المغامرة او المخاطرة الخيرة معنى كبير من معاني الحياة . انها شوق من اشواقها ونشوة من نشواتها . ان المخاطرة الحمقاء هي احدى رقصات الحياة بل احدى رقصات الكون السعيدة .

ان المخاطرات الباهظة هي احد اساليب الحياة في مغازلاتها لنفسها، انها احد اساليبها في تسويغها وتفسيرها لنفاهاتها وآلامها وسخافاتها . انها بالمخاطرات تهرب بنفسها من التحديق في نفسها وعن القراءة لنفسها وعن محاسبة نفسها . ان الحياة قد تخاطر لتهرب من مواجهة نفسها . انها قد تخاطر لتهرب من قراءتها لنفسها او من محاسبتها لنفسها .

ان المغامرة او المخاطرة لنفس المغامرة او المخاطرة ، فرارا من الامان او الصمت او الاستقرار ، مطلب من مطالب الحياة ؛ وتفسير من تفاسيرها . ان الامان والاستقرار لعذاب وموت احيانا .

ان العاصفة المدمرة قصيدة رائعة وخالدة من قصائد الكون ؛ ومن اغانيه وانشاداته لنفسه . ان العاصفة لنشد رائع ؛ نعزى وتحيى وتجامل ونغازل به الطبيعة نفسها ؛ او نعالط به احزانها وآلامها وضياعها ونفاهاتها او تغطيها به .

ان الامان والاستقرار الدائمين لهما اقسى عذاب تعاقب به الحياة نفسها وتعاقب به الانسان .

.. ان الخطر والخوف المتحركين المتجددين لهما اعظم وأنبل هدايا الحياة الى الحياة والى الانسان ايضا .

* *

اذن من هم نطاف النبات ، ومن هم ماوثوها ، ومن هم متطهرو النفوس ومن هم مدنسوها ؟ هل يوجد هؤلاء وهؤلاء ؟ وهل هؤلاء غير هؤلاء ؟ هل يمكن معرفة هؤلاء ومعرفة هؤلاء ؟ هل توجد حدود فاصلة او صفات مميزة بين الفريقين ؟ ما هي الحدود الفاصلة ؟ ما هي الصفات او العلامات المميزة بين النقيضين ؟

ان كل الناس لا بد ان يكونوا هؤلاء فقط ، او هؤلاء فقط . انهم جميعا لا بد ان يكونوا كلهم من ذوي النيات النظيفة او ان يكونوا كلهم ممن ذوي النيات الاخرى . انه لا يمكن ان يكونوا هؤلاء وهؤلاء . انهم مهما انغمسوا في لغاتهم او في تعبيراتهم او في مذاهبهم او في ادبانهم او في حضاراتهم او في اخلاقهم ومستوياتهم او في تفواهم او في نظافة اجسادهم وثيابهم ، فانهم لا يستطيعون ان ينغمسوا في نياتهم ، اي في نظافتها وقلوتها ، في ورعها او في فسوقها .

ان النيات كالاحساس بالالم او بالتعب او بالجوع الذي لا يقبل الانقسام الى نظيف وملوث او الى ورع وفاسق .

ان الشمس والقمر لا بد ان يكونا رديئين جدا او فاضلين جدا . انهما اي الشمس والقمر لن يكونا هذا وهذا ، بل لا بد ان يكونا مع هذا او هذا . لن يكون احدهما رديئا والاخر فاضلا ، بل محتوم ان يكون كلاهما رديئا او كلاهما فاضلا .

ان البشر مثل الشمس والقمر في هذه القضية .

* *

ان جميع البشر ليطلبون الراحة واللذة ولو الراحة واللذة اللتين يهيمها التعب والالم ، كما انهم جميعا يرفضون الالم والتعب ويهربون منهما ، ولو الالم والتعب اللذين تصنعهما الراحة واللذة . انه ليس فيهم من ينوي نقيض ما ينوي الاخر ، مهما وجد فيهم من يريد ويفعل ما لا يريد وما لا

يعمل الاخر . ان نياتهم لا تختلف في طبيعتها مهما اختلفت في تعبيراتها ، وان اعضاءهم لا تختلف في وظائفها مهما اختلفت في ممارساتها وفي تعبيراتها .

ان البشر جميعا لا يطلبون ولا يفعلون الا شهواتهم كيف كانت ومتى كانت ، مهما كانت الاساليب ، او مهما اختلفت او تعددت الاساليب والممارسات والتعبيرات .

ان المعنى الخير او المعنى الشرير الجامع لكل البشر في كل مستوياتهم الدينية او المذهبية او الحضارية او الانسانية او حتى المتقدمة هو الشهوانية . انهم جميعا شهوانيون . انهم لا يختلفون في انهم جميعا شهوانيون مهما اختلفت مواقع شهواتهم او اصنافها او اساليبها . انهم جميعا مفترسون مهما اختلفت او تعددت انيابهم او فرائسهم او هجماتهم ، ومهما كانوا بلا انياب او فرائس او هجمات ، او انهم جميعا غير مفترسين وغير نابين مهما كانت فرائسهم وانيابهم .

اذن هل هم طيبون ام رديئون ؟ هل الشهوانية هجاء ام ثناء ؟ انهم اذن جميعا طيبون او جميعا رديئون . ان البشر مهما انقسموا الى ارانب ووحوش فانهم جميعا في نياتهم اما ارانب فقط او وحوش فقط . ان التفاوت والخلاف بينهم في الاسلوب او في التعبير او في التقدير او في القدرة لا في الشهوانية . ان الارانب ليست اقل شهوانية او انظف او اتقى شهوانية من الذئب .

ان الحمائم ليست اكثر تدينا او روعا في شهواتها او نياتها من الصقور او من الافاعي .

ان صانع السلام ليس اتقى او اقل شهوانية من صانع افظع الحروب .

ان رافض الطعام ليس اتقى جوعا او اقل جوعا من سارق الطعام .

ان الناس لا يتفاوتون في التقوى مهما تفاوتوا في تعبيراتهم او في ضراعاتهم او في صلواتهم . انهم لا يتفاوتون في قربهم او في بعدهم من السماء ، او في حبهم للآلهة او في رؤيتهم لجمالها . انهم لا يتفاوتون في التقوى مهما تفاوتوا في اساليبهم او في محاريبهم . انهم مهما اختلفوا في اساليب صلواتهم فانهم لا يختلفون في مستوى تقواهم ولا في جوائز تقواهم او نيات تقواهم .

انه ليس في الناس من يتوون ان يؤثروا الالهة على انفسهم . ان الانبياء والمقدسين ليسوا في نياتهم اكثر ايثارا للالهة على شهواتهم من اشد العصاة عصيانا وشهوانية .

انهم لا يختلفون في ضغط اعضائهم عليهم او في احساسهم بالجوع والالم والتعب والكآبة وبالجنس وبالحاجة الى النوم وبالسقوط الى الارض .

انهم لا يختلفون في خضوعهم لقانون الجاذبية الارضية . انه ليس فيهم من يرفض جسده الخضوع لقانون الجاذبية ، من يرفض السقوط الى الارض ، ولو الى الارض التي فوق . ان الفائزين على القمر ليسوا الا هابطين الى ارض اخرى . انهم خاضعون لقانون الجاذبية الارضية الاخرى .

انهم لا يختلفون في وظائف اعضائهم ولا في القدرة على عصيانها . انهم مهما قصوا اعضاءهم فانهم مطيعون باستسلام لها . انهم يطيعونها بعصيانها .

انهم يختلفون في اسالب عصيانهم لاعضائهم . ولهذا فقد يبدون وكانهم يعصون اعضاءهم حينما يكونون مبالغين جدا في طاعتها .

ان عصيان البشر لاعضائهم ليس الا استسلاما لها باسلوب آخر . انهم يطيعونها باسلوب من يعصونها ، انك لا تستطيع ان تعصي اعضاءك الا بقدر ما تستطيع ان تطيعها . ان الصراع فيك هو صراع بين اعضائك واعضائك وليس بين اعضائك وثيابك او بين اعضائك وقوتك .

ان كل التفاوت بين البشر ، بين انبيائهم وفجارهم هو تفاوت في الاساليب والصيغ التي يعبرون بها عن خضوعهم لاعضائهم ولحاجاتهم ولاحاسيسهم بسلطان الجوع والجنس والالم والتعب والخوف عليهم . ان كل تفاوتهم هو في صيغ واسالب خضوعهم الشهوانية .

ان اضعف صرصار جائع مطرود من كل اماكن الطعام ليس اشرس شهوانية او اكثر استسلاما للشهوانية من اعظم انسان او من اتقى قديس .

ان اغلى المعلمين او الزعماء صوتا ووعظا ضد الشهوانية ليس اقل شهوانية او احساسا بها من من انهش الذئاب جوعا وافتراسا .

واذا كنا نعد القديسين قديسين وهم لا يرتدون ولا يتعلمون الا شهواتهم خاضعة ومتعاملة اي شهواتهم مع ظروفها وقدرتها ، فلماذا لا نعد الخاطئات ايضا قديسات وهن كذلك لا يرتدين ولا يتعلمن الا شهواتهن ، خاضعة اي شهواتهن لظروفها وقدرتها ، ومتعاملة اي شهواتهن مع ظروفها وقدرتها ؟

ان الغوى والايمان يصحان شهوة وارادة وهوى مثل ممارسة الحرام ومثل سب الاخرين والعدوان عليهم .

انه ليس بين البشر خلاف او تفاوت في التفسير او في الترجمة . ان كل التفسير بينهم في اللغة . ان جميع الاشياء والكائنات كذلك . ان الخلاف او التفاوت بين الشمس الواهبة القائدة المضيئة وبين القمر الموهوب التابع المظلم ليس الا خلافا او تفاوتا في اللغة اي في اسلوب التعبير وفي مبناه ، وليس اي الخلاف او التفاوت بين الشمس والقمر في التعبير او في الترجمة ، اي ليس في المنطق او في النية او في الحافز او في الهدف .

ان سلوك الشمس ليس اتقى من سلوك القمر لا في النية ولا في الفكرة ولا في الحوافز ولا في الاهداف .

ان البشر اذن جميعا سواء في طهارة نياتهم او في تلوثها . انهم جميعا اما طاهرون مغتسلون بجمع انهار الغداسة والنظافة ، واما هم جميعا انجاس لا يستطيع شيء ان يجعلهم يتطهرون او ينظفون حتى ولو غرقت او احترقت جميع اعضائهم وشهواتهم ونياتهم وضمائرهم في كل ما في الكون وبكل ما في الكون من انهار وبحار ومن شموس ونيران . وهل يوجد فرق بين الطهارة والنجاسة ؟ ومن صنع او وجد او راى او حسب هذا الفرق ؟ وما هو هذا الفرق ؟ وما تفسيره ، وما حدوده ، ولماذا هو ؟

* *

ان احكام البشر ورؤاهم ابدا ذاتية . ان جميع ما لا يوافق او يلائم او يتفق او يريح منطقهم او ظروفهم او رغباتهم او مواقفهم او مصالحهم او آلامهم او مسراتهم الخاصة فهو لن يكون نظيفا ولا كريما ولا صحيحا ، بل ولا ذكيا . والعكس صحيح بنفس الدرة والنسبة . ونحن ومن هم موضوع احكامنا ورؤانا متساوون في هذه الذاتية . نحن نحكم بهذه الذاتية وتخضع لها ، وهم مثلنا سواء يحكمون بها ويخضعون لها .

انه لا فضل لاحد على احد في هذه القضية او في هذه الذاتية ، بالمستوى الذي لا فضل فيه لحجر على حجر ولا لحشرة على حشرة في

الخضوع للقوانين الذاتية والطبيعية والجاذبية الارضية والكونية .

ان اختلاف الحشرات في سلوكها لا يعني اختلافها في نباتها . وكذلك اختلاف الناس في سلوكهم .

ان النبي والكافر به يعيشان حقيقة واحدة . ولكنهما يعبران عنها بلغتين مختلفتين او باسلوبين مختلفين . ان نباتهما لا تختلف ، وانما تختلف ممارساتهما لهذه النبات . ان النبي لا يعصي نفسه اكثر مما يعصيها الكافر به ، وان الكافر بالنبي لا يطيع نفسه اكثر مما يطيعها النبي .

ومهما اراد الانسان ان تكون نباته او شهواته فانه لن يستطيع ان يضع فيها اي شيء نباته وشهواته غير ما يلائمه او يريحه او يشعره او يهبه المسرة او الكبرياء او الرضا عن النفس ، او الشعور بالامان او الاستقرار ، ولو في ظنه وتقديره . وهذا الذي يفعل له ذلك لا يكون ابدا الا ذاتيا . وهل الذاتيات تختلف ؟ وهل اختلافها يعني شيئا رديئا وملونا وشيئا جيدا ونظيفا ، اي هل يعني انها هذا وهذا ، او انها تنقسم الى هذا والى هذا ؟

* *

انه الهزل الباهظ الثمن ، واعني به محاولاتنا الدائمة والواسعة والكبيرة ان نغير النبات او الاخلاق او السلوك او القدرة او العمر او الحياة او الاشياء او احتياجات الاعضاء او مجاعاتها او وظائفها او تقاطعها او تلوثها بالدعوة الى الشاهر والتطهير .

انه الهزل القديم الحديث الدائم الشامل الذي يدفع فيه كل البشر اضخم الاثمان والتكاليف . انه الهزل الغالي الثمن والتكاليف : الغالي الاجهزة ، الغالية الانفاق والاعداد والحماس . انه الهزل الذي لا يخجل منه احد والذي لا يخفيه او يرفضه او يقاومه او يبشر ضده احد . بل انه الهزل الذي يفاخر به كل احد ، بل كل مجتمع .

انه الهزل الذي يمارسه كل الناس ، وكل الاديان وكل المذاهب وكل التعاليم وكل الحضارات والمستويات والعقول والاخلاق والمجتمعات وكل الانبياء والزعماء والمعلمين والمنابر .

انه الهزل الذي يمارسه ويفكر فيه ويعد له ويهتم به وينتظر منه جميع البشر ، حتى الكبار جدا ، وحتى العلماء ، وحتى المفكرون ، وحتى الملحدون ، وحتى النوريون جدا ، في منطقهم واخلاقهم وسلوكهم ومشاعرهم ونياتهم ، وحتى الجادون جدا الرافضون والمقاومون جدا لكل اساليب ومستويات الهزل .

انه ليس هزلا يمارسه فقط الهازلون او الداخلون من الهزل او الذين لا يضحكون او يشمئزون من الهزل ، او من اي هزل . انه ليس الهزل الذي يمارسه وعاظ السماء وحدهم ، ولا الذي يعجب به سكان السماء وحدهم .

انه الهزل الذي يمارسه ويعجب به ويعن عنه ويعد له ويتفق عليه كل مذهب ودين وفكر وذكاء ومجتمع ، وكل نبي ومعلم وزعيم وقائد وآله .

انه الهزل الذي تمجده الالهة وتمجد به الالهة بل الذي لا تمجد الالهة سواه ولا تمجد سواه .

وهل يمارس الهزل او يعجب به او يتفق عليه او يعلن عنه او يدعو اليه او يمجده مثل الالهة ؟ اليست الالهة هي اكثر الهازلين هزلا ؟ وهل تستطيع الالهة ان تصنع سوى الهزل بل او ان تريد سوى الهزل ، بل او ان تمجد سوى الهزل او ان تعجد بشيء سوى الهزل ؟ وهل للالهة صفات او افكار او اهتمامات غير ان تعيش الهزل وان تفكر فيه وان تهتم به وان تطالب وتفرح به ؟

وهل يوجد هزل الا وهو حصيلة هزل الالهة ؟ هل يستطيع احد ان يهزل لولا هزل الالهة ؟ اليس كل هازل وكل هزل قد وجدا لان الالهة قد هزلت هزلتها الكبرى ؟

لقد هزلت الالهة هزلتها الكونية فاصبح كل شيء هزلا .

هل يمكن ان يكون شيء ما غير هزل اما في ذاته ووجوده ونماذجه وممارساته ، واما في جواهره واهدافه ومنطقه ؟

بل ان كل شيء لا بد ان يكون هزلا في كل ذلك ؛ اي في ذاتـــه وفي اساليبه واحتياجاته ؛ وفي مبدا وجوده ؛ وفي صيغ وجوده ؛ وفي كـــل ممارساته وتفاسيره المنطقية والاخلاقية والنفسية والتاريخية بل والذاتية .

انه الهزل الذي تمجده الالهة وتمجد به الالهة بل الذي لا تمجـــد وكل تفاسيرها هي كل الهزل وكل تفاسيره .

ان كل وجود يجيء ويظل بلا تفسير ، اذن كل موجود يجيء ويظـل ويذهب بلا تفسير ، اذن كل موجود لا بد ان يكون هزلا في مجيئـه وفـي جميع صيغ مجيئه ، وفي بقائه وفي جميع صيغ بقائه ؛ وفي ذهابه وفي جميع صيغ ذهابـه .

اذن كل شيء لا بد ان يكون هزلا كيفما جاء وكيفما بقي ، وكيفما ذهب وكيفما جاع واحتاج ومارس جوعه واحتياجه ؛ وكيفما فسر او مارس نفسه او وجـــوده .

ان كل وجود اول لا بد ان يكون هزلا ؛ اي لا بد ان يكون هزلا كـل وجود غير مسبوق بوجود اخر يحتاج اليه ويريده ويخطط له ثم يوجده بصيغة وبمستوى وتحت ظروف تكون ملائمة له ومفهومة ومحسوبة وموضوعـة .

واذا كان كل وجود اول لا بد ان يكون هزلا كان كل وجود لا بد ان يكون هزلا لان كل وجود لا بد ان يكون وجودا اول او وجودا ناتجا عـــن الوجود الاول ؛ اي لا بد ان يكون هزلا او ناتجا عن الهزل ؛ اي حاجة من حاجات الهزل او ممارسة من ممارساته ؛ اي خبطة من خبطاته .

ولكن ما هو الهزل ؟ انه ما ليس جدا . اذن ما هو الجد ؟ انه ما ليس هزلا . ولكن اليس هذا الكلام عن الجد والهزل او هذا التفسير لهما هـو اهم مستويات الهزل ؟

* *

ان الاشتغال بالتطهير الذاتي لنفس او للنبات ؛ او بالدعوة الى هذا التطهير ، او بتجريب اهواء النفس او النبات ؛ او بمحاسبتها على اتجاهاتها ومجاعاتها وتقلباتها .

ـ ان الاشتغال بذلك ليس الا اسلوبا من اساليب الدعوة للاعضاء المحرمة المخفاة خجلا منها الى التطهر والتحرر من اخلاقها وضروراتهـا ووظائفها ومن احساسها بنفسها وبضغوطها ومن نباتها ونداءاتها غير المهذبة وغير الملزمة بالحياء او بالوقار والتهذيب او بالاديان او بالمذاهب او بالتعاليم او باوامر الزعماء وخطبهم المتوترة المهددة البليغة .

ان الاشتغال بذلك او بالدعوة اليه ليس اذكى او افضل من الاشتغال بدعوة الحمراء الى ان تكون اكثر نظافة او استارا او حياء او شهامة او تفسوى .

اذن اليس جميع الدعاة وواعظي الاعضاء بان تتطهر من جوعهـا وشهواتها ونباتها هم وعاظ ودعاة حشرات ؟

* *

ان دعوة النبات الى ان تكون اتقى او انظف او اقوى ليست افضل من دعوة اية حشرة الى ذلك . ان كل تعاليم الاديان والمذاهب والفلسفات والاخلاق لن تستطيع ان تصنع للنبات موجهة اليها ؛ مسلطة عليها اكثر او افضل مما تستطيع اي تعاليم الاديان والمذاهب والاخلاق والفلسفات ؛ ان تصنع لاخلاق ونبات الذبابة لو وجهت اي تعاليم الاديـان والمذاهـب والفلسفات والاخلاق اليها اي الى الذبابة وسلطت بكل جبروتها وارهابهـا عليها . ان جميع التعاليم والمواعظ التي جاءت بها الاديان والمذاهب والفلسفات والاخلاق لم تكن الا تخاطبا مع اخلاق ونبات الذبابة لتكون اتقى وانظف .

ان نبيا عظيما لو توجه الينا بكل موكبه ورهبوته السماوي تيطالب نباتنا بان تتطهر من شهواتها واهوائها لما صنع لنا افضل مما يمكن ان يصنع لاية ذبابة لو انه توجه اليها بكل ذلك . ان مناشدة البوات لنباتنا

ليست افضل عطاء من مناشدة النبوات لاخلاق الحشرات . اذن لماذا جاءت النبوات لتخاطب اعضادنا ونيابها اكثر مما جاءت لتخاطب اعضاء الحشرات ونيابهـا ؟

* *

اننا لا نوجد او نحيا او نتعامل او نتحرك او نفكر او نعمل او نسعد وتبتهج بانيات الطبية او المخلصة او المحبة او النظيفة او المدينة او الملتزمة بالمذهب او بالنظام او بالعقيدة ، وانما نفعل ذلك وتكون ذلـك بالمعرفة والقدرة والاحتياج والضرورة والهوى وبالرغبة وبالالزام الذي لا نختاره ولا نختار ازاءه او معه .

اننا لا نتلاقى او نتصافح او نتعاون او نتجمع او نتحالف او نتعاقد بالصداقة او بالاشارة او بالاقناع بقيمة الالهة او بقيمة الطبيعة او الحرية او بقيمة المذاهب والتعاليم والاخلاق والاديان او بقيمة ونبل ما نفعل ــ ولكن بالانانية والخوف والضرورة والتقليد والاستمرار والاندفاع والحمـاس والافتراس . .

اننا لسنا كائنات تعيش او تتعامل بالحب ، ولكن بالضرورة والارادة والاشتهاء والجوع والافتراس والمنافسة والغيرة والكبرياء والاستسلام والهزيمة .

اننا لسنا نظريات او افكارا او اديانا او مذاهب او مواعظ ، ولكننا قوانيـن .

اننا لسنا قوانين اخلاقية او فكرية او انسانية ، بل قوانين طبيعية . اننا لسنا قوانين حتى ولا طبيعية ، ان القوانين الطبيعية مضبوطة ومتقررة ومحتومة . فهل نحن كذلك ؟

اننا لسنا ارادات بل ضرورات . اننا نريد حتما ، ولكن لماذا نريد ؟

أن ارادتنا خاضعة لغير ارادتنا ، انها محكومة بغير ذاتها ،

وهل نحن حقا ضرورات ؟ وما هي الضرورة في ان تكون وفي ان تكون محتاجين ومحكومين بالضرورات ؟

نحن لا نريد لاننا نريد ان نريد ، ولا لاننا نريد ما نريد او نعرف ما نريده او نحترمه ، ولكن لان شيئا ما يجعلنا نريد ويجعلنا نريد ما نريد . اننا نريد ونريد ما نريد كما نمرض ونتالم ونجوع ونموت . ان ارادتنا نوع من الاصابة لنا او من الحكم علينا او من القهر او التعذيب او الالزام لنا . اننا نريد بالاسلوب الذي به نتألم ونسقط اعياء .

ولو كنا نستطيع الا نريد والا نريد ما نريد لكان سؤالا صحيحا وقويا ان نسال : فلماذا نريد ، ولماذا نريد نفسي ما نريد وبالاسلوب الذي به نريد .

اي منطق او تفسير لهذا او في هذا ؟ اي منطق او تفسير لان تكون كما كنا ؟

ان ارادة الانسان مفروضة عليه كما فرض عليه وجوده ومولده ونموذجه وصفاته وظروفه وسمعانه وحياته ومكانه ، ولهذا فان حريته ليست اكثر من حرية الحجر في ان يكون اي الحجر حجمه وذاته ومادته وصفاته ، وفي ان يكون حجرا لا شيئا اخر ، وفي الا يكون حجرا .

انه اي الانسان يريد ، والحجر لا يريد ، اذن هو اكثر حرية من الحجر ، او هو حر دون الحجر . ولكن الانسان خاضع لارادته ومحكوم بها . اذن هو غير حر في مواجهته لارادته ، وارادته غير حرة لانها خاضعة لغير ذاتها ومحكومة بغير ذاتها . وهل يكون غير الحر والمحكوم بقوة غير حرة حرا ؟ اليس الذي يفعل ويريد لانه لا يملك الا يفعل والا يريد اكثر عبودية من الذي لا يفعل ولا يريد لانه لا يملك ان يفعل او ان يريد ؟ اي البس الانسان اكثر عبودية وفقدا للحرية من الحجر ؟

اليس الذي يمرض ويموت ويشيخ ويحزن ويتشرد لانه ليس حرا

في الا يفعل ذلك ، او لانه حر ان يفعل ذلك ، اكثر عبودية واكثر فقدانا للحرية من الذي لا يفعل ذلك ولا يستطيع ان يفعله ؟ اليس الذي يتحرك ويفعل ويختار ويريد وهو غير حر اكثر او اقصى عبودية من الذي لا يصنع شيئا من ذلك وهو غير حر ؟

اذن اليس الانسان اقل حرية او اقسى عبودية من الحجر ؟

* *

ان السلاح يقتل ويجرح ويدمر . ولكنه لا يفعل شيئا من ذلك الا وهو خاضع للانسان الذي يطلقه ويصنعه . وان الانسان يصنع السلاح ويقتل ويجرح ويدمر به كما يصنع كل اساليب ومستويات حياته ، وكما يصنع ايضا خطاياه وحماقاته . ولكنه لا يفعل شيئا من ذلك الا وهو خاضع لارادته . وارادته خاضعة لغير ارادته . انه لم يرد ارادته ولم يدبرها ولم يعرفها ولم يخترها . وانه لا يدري كيف فرض عليه ان يكون مريدا ، ومريدا بهذا الاسلوب ، وبهذا المراد ، وبهذه القوة او بهذا الضعف ، وبهذا التزق او بهذا الوقار .

فمن اكثر حرية ، او اقسى عبودية : السلاح ام الانسان ؟

وما هو الافضل او الانفع للكائن او للانسان : ان يكون حرا ام ان يكون فاقدا للحرية ؟

* *

انه لا يوجد فاقد للحرية ويبدو كاعظم مالك لكل الحرية مثل الانسان. ان حريته في ان يكون ويحيا ويبدع ويحارب ويسالم ويصنع الحضارات العظيمة والحماقات والذنوب العظيمة ايضا ليست اعظم او اقوى من

حريته في أن يعرض ويتألم وينشوه ويشيخ ويموت ويجوع ويتام ويعادي التجربات ويقاومها ويخاف منها .

ان الانسان ليبدو وكأنه هو وحده الحر في هذا الكون ، او كان شيئا ما لا يساويه في حريته في هذا الكون .

ولكن هل الانسان اكبر حرية من النهر او من المطر او من الشمس او من الطقس او من الزلزال او من الاعصار او من أي شيء طبيعي في ممارسته لنفسه او لاعماله او لضروراته او لتجربته او لفقده لحريته ؟ هل حدوث الارادة في الانسان اكثر حرية من حدوث الزلزال او الفيضان او الاعصار في الطبيعة ، او من اصابته اي اصابة الانسان بالمرض او بالتشوه او بالشيخوخة او بالموت او بضعف البصر او بعرض الاسنان وسقوطها ؟

وهل فقد الانسان لحريته في مواجهته لارادته اقل من فقد الاحداث الطبيعية لحريتها حين خضوعها لعواملها الموجبة لحدوثها ؟ هل خضوع الانسان لارادته الكاملة الموجبة اقل من خضوع المطر لعوامله الكاملة الموجبة ؟ هل يختار الانسان امام ارادته الكاملة اكثر من اختيار المطر امام عوامله الكاملة ؟ ان المريد لا يمكن ان يكون حرا . ان الارادة هي اقسى واشمل معنويات الهزيمة للمريد - انك بقدر ما تكون مريدا تكون مهزوما لذاتك ومهزومة ذاتك . انه اذا وجدت ارادة الانسان الموجبة لان يفعل فلا بد ان يفعل ، واذا لم توجد هذه الارادة الموجبة فلا يمكن ان يفعل ، اي انه اذا وجدت الارادة الكاملة والمشترطة للفعل فلا بد من وقوع الفعل ، واذا لم توجد هذه الارادة فلا يمكن ان يحدث الفعل

اذن متى يكون الانسان حرا في ان يفعل وفي الا يفعل ؟ انه اذا فعل فليس حرا في الا يفعل ، وانه حين لا يفعل ليس حرا في أن يفعل ؛ انه ليس حرا في ان يفعل ما لم يفعل ولا حرا في الا يفعل ما فعل .

ان يدي لتبدو حرة دون القلم الذي اكتب به . فهل اليد اكثر حرية من القلم ؟ وهل الانسان حر الا بالاسلوب او بالمقدار الذي تبدو به اليد او تكون به اليد حرة ، او بالاسلوب او بالمقدار الذي يبدو به القلم او يكون به القلم حرا ؟

حريته في ان يمرض ويتألم ويتشوه ويشيخ ويموت ويجوع وينام ويعادي الحريات ويقاومها ويخاف منها .

ان الانسان ليبدو وكأنه هو وحده الحر في هذا الكون ، او كان شيئا ما لا يساويه في حريته في هذا الكون .

ولكن هل الانسان اكثر حرية من القمر او من المطر او من الشمس او من الطقس او من الزلزال او من الاعصار او من اي شيء طبيعي في ممارسته لنفسه او لاعماله او لضروراته او لجبريته او لفقده لحريته ؟ هل حدوث الارادة في الانسان اكثر حرية من حدوث الزلزال او الفيضان او الاعصار في الطبيعة ، او من اصابته اي اصابة الانسان بالمرض او بالتشوه او بالشيخوخة او بالموت او بضعف البصر او بمرض الاسنان وسقوطها ؟

وهل فقد الانسان لحريته في مواجهته لارادته اقل من فقد الاحداث الطبيعية لحريتها حين خضوعها لعواملها الموجبة لحدوثها ؟ هل خضوع الانسان لارادته الكاملة الموجبة اقل من خضوع المطر لعوامله الكاملة الموجبة أهل يختار الانسان امام ارادته الكاملة اكثر من اختيار المطر امام عوامله الكاملة؟ ان المريد لا يمكن ان يكون حرا . ان الارادة هي اقسى واشمل مستويات الهزيمة للمريد . انك بقدر ما تكون مريدا تكون مهزوما لذاتك ومهزوما ذاتك . انه اذا وجدت ارادة الانسان الموجبة لان يفعل فلا بد ان يفعل ، واذا لم توجد هذه الارادة الموجبة فلا يمكن ان يفعل ؛ اي انه اذا وجدت الارادة الكاملة والمشترطة للفعل فلا بد من وقوع الفعل ؛ واذا لم توجد هذه الارادة فلا يمكن ان يحدث الفعل

اذن متى يكون الانسان حرا في ان يفعل وفي الا يفعل ؟ انه اذا فعل فليس حرا في الا يفعل ، وانه حين لا يفعل ليس حرا في ان يفعل ، انه ليس حرا في ان يفعل ما لم يفعل ولا حرا في الا يفعل ما فعل .

ان يدي لتبدو حرة دون القلم الذي اكتب به . فهل اليد اكثر حرية من القلم ؟ وهل الانسان حر الا بالاسلوب او بالمقدار الذي تبدو به اليد او تكون به اليد حرة ، او بالاسلوب او بالمقدار الذي يبدو به القلم او يكون به القلم حرا ؟

هل كان الانسان مخطئا في رؤيته وقراءته لنفسه ام كان محقا فيما اعتقد لها حينما زعم او اقتنع انه حر ؟ وهل اقتنع الانسان حقا انه حر مهما زعم او تحدث او خطب او علم وتعلم انه كذلك ، مهما قيل له معلوم ذلك ؟

لقد كان الانسان يفسر دائما ويرى دائما بانه هو اكثر الاشياء حرية ، او بانه هو وحده الحر دون كل الاشياء وكل الكائنات . والسبب في هذا التفسير للانسان او في هذه الرؤية له انه هو اكثر واسرع الكائنات تحركا وتنقلا بين جبريائه وضروراته المتناقضة او المختلفة او المتعددة . انه ينتقل من هذا الشيء او من هذا الموقف او من هذا المكان او من هذا المذهب او من هذا المنطق والتفكير ، او من هذا النقيض الى الآخر المخالف او المضارض او الموافق او المناقض بسرعة وسهولة واعلان فيه كل معاني التسلطي .. وحينئذ يبدو اي الانسان حرا ، ويفسر بانه هو وحده الحر دون اي قيد . انه لهذا السبب لا بد ان يرى مالكا لكل اساليب ومعاني الحرية .

ومن الذي يرى الانسان حرا او اعتقد انه كذلك ؟ لعل اولئك هم معلموه وطغاته وقادته وهم يطالبونه بان يطيعهم ويموت لهم .

ان الانسان يتحرك وينتقل بين الاشياء او بين جبريائه وضروراته المتناقضة والمختلفة والمتعارضة بهذه السهولة والسرعة لانه لكثر الاشياء وقوعا تحت عوامل واسباب الضغط الكبيرة القاهرة عليه بقسوة وجبروت واوهاب ، لتنتقل به بين مختلف وعديد المواقف والممارسات والاهواء والشهوات والضرورات التي كلها استعباد واكراه لا مثيل لقدمي وحشيته وعنفه . ان التنقل السريع بين الضرورات والارادات هو اقسى اساليب العبودية .

انه يتنقل بين عوامل الاكراه اكثر واسرع من كل الاشياء وكل الكائنات . انه لهذا اكثر واقسى واشمل من كل الكائنات عبودية بينما بدا وفسر وكانه اكثر الكائنات حرية ، او كانه هو وحده الحر دون كل الاشياء وكل الكائنات .

لقد فسر اكثر الكائنات عبودية بانه اكثرها حرية . انه لم يزور تفسير كائن ما مثلما زور تفسير الانسان .

لقد تخلف وعاشت في الانسان اكبر واكثر الاخطاء بقدر ما عاش هو

في اكبر واكثر الاخطاء ، وبقدر ما خلق واختلق هو اكبر واكثر الاخطاء .

ان كل الاشياء فاقدة للحرية الذاتية ، او فاقدة للحرية في مواجهتها لذاتها أو في ممارستها لذاتها أو في تعاملها مع ذاتها — او فاقدة للحرية داخل ذاتها ، او ذاتها سالبة لحرية ذاتها .

ان جميع الاشياء ليست حرة في تعاملها مع ذاتها وبذاتها وفي ذاتها .

ان كل شيء مستعبد لذاته ومستعبدة له ذاته . ان كل شيء فاقد للحرية الذاتية . وان الانسان لأحد الاشياء الفاقدة للحرية الذاتية . ان ذاته لمستعبدة لذاته . ان كل ذات وكل شيء يتعامل بعضه مع بعضه بلا حرية . ان كل ذات هي قيد ضخم على نفسها .

ان ذات الكون هي اضخم قيد على الكون . وان اي قيد على الانسان لا يتعامل الا مع قيود ذاته عليه .

ان كل شيء ليس الا جهازا يحكم ويستعبد ويقيد ويضبط بعضه بعضا كما يعمل اي جهاز علمي يصنعه الانسان . وان الانسان ليس الا جهازا من هذه الاجهزة التي يستعبد بعضها بعضا . ان إرادة الانسان وتفكيره وخوفه وقدرته واحتياجاته وكل ضروراته ومعاناته الاخرى ليستعبد بعضها بعضا ويخضع بعضها بعضا ويذل بعضها لبعض ويتافق بعضها بعضا ويجوع بعضها الى بعض ويخاف بعضها من بعض ، ويطغى بعضها على بعض ، ويكذب بعضها على بعض ويضلل او يخدع بعضها بعضا ، وان ذلك كله لمحتوم ان يحول الانسان الى جهاز او الى آلة او الى شيء او الى ذات لا مثيل لها في عبوديتها ، لا مثيل لها في فقدانها للحرية الذاتية . ان ذاته الانسان لميدان رهيب لاعداء يتقاتلون داخله عليه . وفي نية كل عدو من هؤلاء الاعداء ان يسلبه كل حريته .

ان النهر والمطر والزلزال والاعصار والنجم وكل شيء لمستعبد لذاته . ان كل سلوكه ووجوده واخلاقه وكل خطواته ليست سوى تعبيرات عن هذا الاستعباد للذات أو عن الاستعباد الذاتي . وان الانسان لكذلك وان كان على مستوى أو بأسلوب أعنف واقسى اذلالا . انه لا يوجد شيء يقاسي من اذلال ذاته له مثل الانسان .

ان الاذلال او الاستعباد الذاتي الذي يعانيه الانسان هو اقسى اذلال او استعباد ذاتي يعاني منه اي كائن او اي شيء . ان كل اذلال قد يحتمل او يغفر او يهون امام اذلال ذات الانسان للانسان . انه اذلال بكل الاساليب وعلى جميع المستويات وبكل النفاسير وبكل الجهر والاعلان والحدة والاصرار .

واهل فقدان الحرية الذاتية في الاشياء وكذا في الانسان ليس شيئا رديئا ، او لعله ليس اردأ الاحتمالات . بل لعله شيء طيب او حظ جيد .

ان فقدان هذه الحرية الذاتية هو الذي حول الاشياء والكون والحياة والانسان الى انتظام او نظام او الى ضبط ، وهو الذي جعل الاشياء والكون والحياة والانسان تظل اشياء وحياة وكونا وانسانا ، وهو ايضا الذي وهبها القدرة على التطور والتكامل والبقاء . ان اي شيء لا يعني او لا يساوي سوى فقدانه للحرية الذاتية . ان الحياة والكون والانسان لا يساوي الاذلك .

ماذا لو ان كل شيء كان يملك حرية الذاتية ، لو ان كل شيء لم يكن مستعبدا استعبادا ذاتيا اي لو لم يكن فاقدا للحرية الذاتية ؟

ماذا لو كانت الانهار او البحار او الجبال او النجوم او الشموس حرة حرية ذاتية ولم تكن خاضعة لعبودية ذاتيه شاملة لا خلاص منها ولا رحمة فيها ؟ هل كان يمكن ان يظل شيء كما هو ، او ان يسير او ان يجيء او ان يمارس نفسه كما يسير وكما يجيء وكما يمارس نفسه لو كانت هذه الحرية الذاتية موجودة في الاشياء ؟ هل كان يمكن حينئذ ان يوجد او ان يبقى اي نظام ؟

اليس من المحتوم حينئذ ان تمارس الانهار والبحار والجبال والشموس وكل الاشياء ذاتها او حرياتها باساليب اخرى ، لتكون اشياء اخرى ـ لتكون زوالا او تدميرا او جنونا لا نستطيع تصوره او تحمله ؟ ما الذي منعها من ممارسة هذا الجنون او هذا الذكاء ؟

ما الذي منع الكون من ان يجن او ان يعقل ليكون غير ما هو كائن ؟

ولماذا ظلت كل الاشياء مؤدية وعاقة ومتوقرة ومستمسكة بالنظام الموجود الذي تسير عليه وتخضع له ؟ اليست تفعل ذلك وتستمسك به

لانها فاقدة للحرية الذاتية،لانها لا تستطيع ان تفعل شيئا آخر ؛ انها لن تظل مستمسكة بهذا النظام دائما لو كانت تستطيع الخروج عليه مهما كانت تقواها واخلاقها وطاعتها للنظام . ان استمساكها بنفسها ليس حياء ولا ذكاء . انه عجز .

هل يمكن ان نقتنع ــ مهما كان مستوى ذكائنا ــ بان الشمس سوف تظل كما نجدها لو كانت تملك حرية الخروج على نفسها وعلى سلوكها وتهذيبها ، أو على خنوعها وهوانها ؟

والانسان لو كان حرا في ان يموت ويرفض ويقادر ويعصي ذاته وارادته وخوفه وضروراته وجوعه وافكاره ومشاعره وتفاهاته وحضاراته واوهامه وكل وجوده واحتياجات وجوده ــ لو لم يكن مستعبدا لذاته ، أو لو لم يكن فاقدا للحرية الذاتية باسلوب هو اشمل واكثر تشويها مما تفقدها الاشياء ، مما تفقد الصخور والاشجار والالات والاشياء حريتها الذاتية.

ــ نعم ، والانسان لو كان يملك هذه الحرية الذاتية هل كان يمكن ان يقبل حينئذ اي نموذج او سلوك او ممارسة او تفكر او شعور من نماذجه او من اساليب سلوكه او ممارساته او من اساليب وجوده وحياته وبقائه وافكاره ومشاعره ؟

هل يمكن ان نتصور الانسان خاضعا لوجوده او لحياته او لظروفه او لكونه أو لضروراته واحتياجاته واحتمالاته وقيوده ، او لتفاهاته ووقاحاته وتشوهاته وهمومه ، أو لحضاراته ؛ او لمذاهبه وعقائده واوهامه واحلامه واكاذيبه ، او لزعاماته ومعلميه وآلهته ، او لعلاقاته وارتباطاته ؛ او لتقواه واخلاقه وصلواته .

ــ هل يمكن ان نتصور الانسان خاضعا لكل ذلك أو خاضعا لاي شيء او مقيدا باي شيء لو كان يملك الحرية الذاتية ــ لو كان يستطيع ان يخرج على ذاته وان يعصيها وان يختار امام املاءاتها عليه واذلالها له ، او لو لم يكن محكوما عليه بان يكون مريدا ؛ وبان يكون مستعبدا لارادته لا مستعبدا لها ، وبان تكون ارادته مستعبدة لغير ارادته .

ــ او لو لم يكن هو السجان والمسجون ؛ والقيد والمقيد ، والسيف

والرتبة ، والسلاح والقيل ـ او لم يكن مستعبدا من داخله بالقسر واشمل مستويات واساليب العبودية ؟

اذن فالعبودية الذاتية في الكون والحياة والاشياء والانسان ليست شيئا او حظا رديئا . ان هذه العبودية الذاتية ليست ضد الكون او الحياة او الاشياء او الانسان ، بل ليست ضد تقدم او صعود او بقاء الكون او الحياة او الاشياء او الانسان ، بل انها هي الصانعة لذلك والمطورة له والمحافظة عليه . ان كل شيء هو هبة العبودية الذاتية في الاشياء . ان الحرية الذاتية ـ اي لو وجدت ـ لا تعني الا مقاومة ورفض كل الاشياء .

ان العبودية الذاتية ليست عدوانا على اي شيء ، بل انها هي الحماية لكل شيء ، انها هي التفسير لوجود كل شيء ولتطوره ولبقائه ولفهمه ولتلاؤمه مع نفسه ولارادته وتقبله لنفسه ، ولصبره عليها واعجابه بها ودفاعه عنها .. انك معجب بوجودك وصابر عليه ومعارس له بنشوة لانك لا تملك من داخلك حرية رفضه وكرهه والاشمئزاز منه ..

انه لا خوف على الانسان من هذه العبودية . ان كل الخوف والخطر عليه لو لم يكن محكوما بها . وانه كذلك لا خوف على كرامته او على كبريائه او على اعجابه بنفسه وبحريته الشاملة او على اقتناعه بحريته ، بانه حر بلا اي قيد .

نعم ، انه لا خوف على ذلك من علمه بانه فاقد لحريته الذاتية ، وبانه اي الانسان مستعبد استعبادا ذاتيا كالشجر او الحجر ، بل اشد واعنف ايلاما وتشويها وشمولا .

انه لا خوف على الانسان من معرفته لهذه الحقيقة . لا خوف عليه ولا مساس به ولا ايذاء لشعوره ، لانه سيظل مقتنعا بانه حر ، وسيظل يهتف لحريته المطلقة ويتحدث عنها بتمجيد وزهو بذيء مهما عرف انه مستعبد كل معاني ونماذج واساليب الاستعباد .

ان المعرفة لا تمنع من الاقتناع بالنقيض . ان المعرفة تقبل الغدر بنفسها ، بل انها تغدر بنفسها . ان المعرفة لا تنتحر من الغيرة او من مواجهة ومعارسة الهزيمة .. ان فيها كل القدرة على التواضع والتنازل .

ان الانسان يستطيع ان يعرف حقيقة ما ، ثم يستطيع ان يظل مقتنعا بنقيضها اي بنقيض تلك الحقيقة التي عرفها ، ويظل يتحدث عن ذلك النقيض وكأنه لا يعرف سواه . ان الانسان ليس متعصبا لذكائه او لما يعرف اكثر من تعصبه لغبائه او لما لا يعرف .

ان عقل الانسان يستطيع بذكاء وكبرياء ان يجامل ويتافق اقتناعه ، كما يستطيع بشجاعة وشرف ان يخاف من ارادته فيلقي بكل موهبته وشمسه تحت اوامرها ، اي تحت اوامر ارادته . ان الانسان لا يذل شيئا ولا يخرج على شيء مثلما يذل عقله ويخرج عليه . ان العقل الانساني هو اشهر مهان مضطهد معتدى عليه في العالم .

★ ★

ان الانسان — لما سبق تفسيره من فقدانه للحرية الذاتية — لا يكون في حكم الاخلاق القائم على التفسير النفسي للسلوك البشري ظالما او فاسدا اومجرما مهما فعل الا بقدر ما يكون الوحش او الحشرة او الطبيعة كذلك لانها آذت او قتلت او خربت .

ان الانسان الظالم او القاتل او الفاسد الشرير قد اراد فغلبته ارادته . انه لم يرد ارادته ولم يصنعها ولم يستطع ان ينتصر عليها او ان يطردها ويخرجها من ذاته . لقد اغلبته ارادته اصابة كما تصيبه الرصاصة او الصاعقة . انه لم يطلقها وانما اطلقت عليه . انه كائن مهجوم عليه لا مهاجم . انه حينما يعاقب على ما يفعل — وهذا مشروع ومحتوم — فمن اجل انقاذه وحمايته من ارادته . ولكن ارادته الغالبة هي ايضا مغلوبة - ان ارادته لم ترد ارادته ولم تصنعها او تحرضها .

ان عقابه او تهديده بالعقاب لئلا يفعل ما لا يريد المجتمع او ما يؤذي الآخرين يشبه حمايته من ان تصيبه الرصاصة او المرض . ولكن ذلك لا يعني انه ظالم او فاسد او ملوم اي في التفاسير النفسية للسلوك الانساني. كما ان محاولة انقاذ المريض او الضعيف من مرضه او من ضعفه لا تعني الحكم عليه باية مؤاخذة اخلاقية . ان العقاب او التهديد بالعقاب اسلوب من اساليب معاقبة الارادة او منعها او زجرها لئلا تهاجم المريد وتعتدي عليه ، ولخلق ارادة اخرى مضادة فيه .

ان العالم الذي يفسر الاخلاق بعلم النفس او يجمع بين علم الاخلاق

وعلم النفس في تفسيره للسلوك الانساني لن يرى ان الظالم القاتل ظالم أو شرير اكثر من المظلوم المقتول ، كما لن يرى أن القاذف بنفسه في مياه النهر حيث كل احتمالات الهلاك لينقذ طفلا او حيوانا من الغرق ، حيث لا يراه احد ليشكره أو ليشتمه ؛ افضل اخلاقا او انبل نفسا او نبات من قاتل انيتيه .

ان ذلك العالم المفسر للبشر ، لسلوكهم ونياتهم بعلم النفس لا بد ان يرى ان الظالم القاتل المعتدي قد يكون واقعا تحت اكراه وضغوط وعدوان عليه اكثر من المقتول المظلوم المعتدى عليه ، قد يكون مظلوما ومقهورا اكثر .

انه لا بد ان يرى المطر الواهب للارض الموات الحياة ليس اكثر تقوى أو حبا او فضيلة نفسية من الاعصار او الزلزال المدمر للمدينة النائمة بين همومها ومتاعبها وهزائمها وذنوبها وفضائحها وضياعها على ذراع الظلام .

انه سيرى ان الظالم السارق الضال الغريق في الغواية يستحق الرثاء والشفقة التي يستحقها المريض والشيخ العاجز المحكوم بهوان شيخوخته وضعفها .

ان مثل هذا العالم لا بد ان يقتنع بان المؤمن المطيع بتصوف واقتضاح لمعاليم نبيه أو لاوامر وحمامات قائده لا يستحق من الثناء أو الاعجاب أو من اوصاف التقوى أو البطولة او الاخلاص او الفداء اكثر مما يستحق من يذهب ليلقى بكل وقاره وابهائه وتقواه تحت قدمي يقف فوقهما جسد حرام قد تجمعت فيه كل الابالسة تخطب بكل اللغات ، وبكل فنون اللاغة والاغراء والاغواء ، داعية الى الافتتان به ، وانى بيع جميع المزايا الدينية والمذهبية والوطنية والحضارة الانسانية ، ثمنا للمسة سريعة من اطراف احدى يديه ، أو من اي مكان في جسمه المسلح بكل اسلحة القدرة على الانتصار والتدمير لكل ارادات المقاومة والتقوى والوقار ، والمسكون بكل اجهزة التحريض على الغواية والافتضاح .

★ ★

ان الارادة مفروضة ومقهورة مثل فقد الارادة . اننا نريد بالفهر والقرض ، وكلما تعجز عن أن تريد . ان ارادتنا مقهورة ومفروضة علينا

مثلما هي مفروضة على نفسها . لقد فرضت على نفسها كما تفرض كل الاشياء على نفسها . ان كل شيء مفروض ومفروض عليه بالاسلوب الذي فرضت به الارادة وفرض على الارادة وفرضت على غيرها الارادة .

ان الشمس والصرصار لم يريدا نفسيهما ولكنهما فرضا على نفسيهما، وفرضت عليهما نفساهما . ان احدهما اي الشمس والصرصار ليس اكثر حرية او اختيارا لنفسه او انجابا بها من الاخر . ان الوحشية التي فرضت على احدهما هي التي فرضت على الآخر . ان الالهة التي خلقت هذا الكون لا تتفاضل في مواهبها او في اخلاقها . ان اي شيء لا يتفوق في منطقه او في اخلاقه على الاخر . ان اي شيء لو يرد ان يكون كما كان ، ان يكون بالاسلوب او بالشخصية التي بها قد كان ، ولم يكن لانه قد اراد ان يكون . ان اسلوب كينونة اي شيء ونموذجه وشخصيته وصورته مفروضة عليه بالقهر والوحشية والطغيان الذي فرض به وجوده عليه .

انه لو كان هناك خيار او ارادة تختار لما كان اي شيء كما كان . لقد جاء كل شيء باسلوب الطغيان والعدوان ، ثم جاءت ارادته لنفسه ولصيغة وجوده وتغيئه لذلك بالعدوان والطغيان ايضا . ان ذات كل شيء قد فرضت عليه بالطغيان والعدوان . حتى الآلهة ، لقد فرض عليها وجودها وفرضت عليها مستوياتها واخلاقها وهمومها بالعدوان والطغيان .

ان كل شيء اذن معتدى عليه ومطغى عليه حتى الزهرة ، حتى الشمس ، حتى اعلى مستويات الجمال ، لان كل شيء قد جاء وصيغ وفرض بأسلوب العدوان والطغيان .

حتى الالهة . انها معتدى عليها ومطغى عليها لانها لم ترد كينونتها ولا صيغتها التي بها كانت ، ولم ترد ارادتها لكينونتها ولصيغتها . وهل فرضت على شيء ذاته وشخصيته مثلما فرضت على الاله ذاته وشخصيته ؟

ان وجود الآلهة ووجودها كما وجدت مفروضان عليها ، وكذلك مفروض عليها ارادتها لما فرض عليها . لقد فرضت عليها كينونتها وفرض عليها ان تريد ما فرض عليها .

ان الآلهة لو كانت تختار نفسها ونموذجها وارادتها وضروراتها وارادتها لارادتها لما كان شيء كما كان ، او لما كان شيء مما كان بأي اسلوب

او صيغة او صورة او نموذج .. تعلق شيئا ما لم يعتد عليه مثلما اعتدي على الالهة حينما فرض نموذجها عليها .

*

هل توجد وحشية اقسى من الوحشية التي فرضت على الاله ان يكون كما كان ؟ اذن هل يوجد من يستحق الرثاء والاشفاق اكثر من الالهة او مثل الالهة ؟

ان الانسان محكوم بقوة محكومة . انه عبد لعبد ، انه مقيد بمقيد ، انه مسجون بمسجون .

اذن كم هي قاسية حرية الانسان ؟ كم هي مستعبدة حرية الانسان ؟ ان حرية الانسان هي اقسى مستويات العبودية .

ان اقصى تعبيراته عن حريته هي اقصى تعبيراته عن عبوديته .

ان كل شيء خاضع لقانونه خضوعا لا رجوع عنه ولا توبة منه ولا مصالحة .

اذن .. اذن ما هي الحرية ؟ وكيف يمكن ان توجد ؟

اذن كيف وضع البشر في لغاتهم كلمات الحرية ؟

* *

ايها الكون ، ايها الانسان ..

لقد جئت وعشت ومارست نفسك واردت نفسك ، وتلاءمت معها ، وخضعت لها واستسلمت لكل املاءاتها ومجلداتها وهضومها واعبائها ولكل تعاقدها لانك لا تملك الحرية الاخلاقية .

.. وايضا فارقتها او لا بد ان تفارقها ، او طردت منها بنفس الاسلوب والمنطق .

فهل انت ايها الانسان ، ايها الكون ، جيد الحظ ام رديئه ؟

ولكن ما هو الحظ الجيد والحظ الردىء ، وما هي الفروق بينهما ؟ وهل توجد حدود تفصل بينهما ؟ وما هو النموذج الذي يقاس عليه ويحكمان به ؟ هل توجد اية وسيلة لمعرفة هذا من هذا ؟

ان للرسالة الروحية ، او لنقل ان للرسالة الدينية حدين : حدا تهذيبيا او اخلاقيا موضوعه معاملة الذات والمجتمع ، ومعاملة وفاحت وبذاءات الاعضاء والحشرات فينا . اما الحد الآخر في الرسالة الدينية او الروحية فهو حد فكري موضوعه تفسير الاسباب والمسببات ، وعلاقاتنا بهذه وهذه ، اي بالاسباب والمسببات . ان موضوع هذا الحد هو ممارساتنا ورؤانا الذهنية لانفسنا وللاشياء .

ان الحد التهذيبي الاخلاقي قد جاء الينا ليخاطب ، ويزجر ويهدد ويقتل فينا الارادة والضرورة — جاء ليامرهما وينهاهما ، محاولا قتلهما او عصيانهما او الانتصار عليهما ، بل محاولا كل ذلك بكل منطق الغرور والقسوة والسذاجة . لقد اراد ان يفعل كل ذلك دون ان يكون طبيبا او ساحرا او ذكيا او قويا — دون ان يملك او ان يحمل معه اية معجزة . لقد نازل وحاول وقاتل باضعف اساليب السذاجة ، وبأقوى اسلحة انهزامية . لقد اكتفى بالوعد والوعيد ، متحدثا اليهما الى الارادة والضرورة بلغة لا تفهمانها ولا تستطيعان تعلمها او تكلمها . ان الارادة والضرورة لا تستطيعان الاستماع الى الوعد والوعيد اللذين يتحدثان بلغة غير لغتهما اي غير لغة الارادة والضرورة .

ان هذا الحد لم يغير او يقهر شيئا . لقد اكتفى بان تحدث بلغة لا يعرفها ولا يستطيع ان يتعامل من تحدث اليه ، وبمنطق لا يتعامل به شيء من العالم الذي خاطبه بمنطقه . لقد كان محتوما ان تنتصر الطبيعة على الامر والنهي اللذين لا تفهم لغتهما ولا تستطيع ان تتخلى عن نفسها وعن التزاماتها واقراراتها وعن قوانينها احتراما لهما او حياء منهما او مجاملة او رياء او نفاقا لهما . ان الطبيعة لا تنافق ولا ترائي ولا تجامل . انها في هذا اقوى وافضل اخلاقا من الانسان ، اي ان كان الترفع عن النفاق والمجاملة والرياء قوة او اخلاقية .

لقد ظلت الطبيعة تنتصر دائما وباسلوب مقل على كل ما في الالهة من شراسة وعلى كل ما في لغتها من بلاغة الفخيم . لقد كانت هزائم الالهة وهزائم توعداتها وتهاوانها امام امثلة الطبيعة وشهوات الطبيعة هزائم تصنع كل الرثاء والاشفاق عليها اي على الالهة .

لقد كانت هزائم في كل العصور وفي كل المجتمعات وفي كل الميادين وتحت كل الظروف وبكل القسوة .

لقد تجمع من تجارب التاريخ ومن مشاهدات الحاضر ما يستطيع ان يقنع اعجز الناس عن الاقتناع بأن محاولة صيانة الانسان والانتصار على جوع اعضائه وعلى ضروراتها ، ومحاولة تعليمها اي تعليم اعضاء الانسان اخلاقا غير اخلاقها ، او اخلاقا تتحدث عنها السماء ، دون ان تعيشها او يعيشها سكان السماء ، او محاولة الانتصار على توقح الحياة والطبيعة فيه اي في الانسان .

ـ نعم ، لقد تجمع من تجارب التاريخ ومن مشاهدات الحاضر ما يستطيع ان يقنع اقل الناس ذكاء وعجزا عن الاقتناع بأن هذه المحاولات ، مرادا منها ولها وبها ان تكون مجدية او منتصره بقوة تضخيم جبروت الالهة في النفوس ، ليست افضل او اذكى او اقوى من محاولة وعظ الذباب بالايات والاحاديث وبخطب ازعماء ونصائح الاطباء التي يكون اى الذباب غنيا ومهذبا ومتواضعا ومتوقرا ورحيما ونظيفا ، فلا يتنقل ببذاءة او ببراءة من العيون والوجوه الجميلة والانوف الشامخة الى الاوحال والى الاماكن الاخرى ، او من الاوحال والاماكن الاخرى الى القفز فوق الوجوه والعيون الجميلة وفوق الانوف الشامخة . ان تضخم جبروت الاله لن يمنع شهوات الانسان افضل مما يمنع ذبابات الذباب . ان عيني النبي لن تريا يدي الاله ممسكتين بالسلاح اكثر من ان تراهما كذلك عينا الذباب .

ان الشيطان لن ينسى فنونه الجميلة العالمية او يتخلى عنها خوفا من الايات والاحاديث ، او احتراما للايات وللاحاديث التي تذهب ببالغ في تضخيم جبروت الاله وجبروت جحيمه وغضبه .

لقد كان يكفي هؤلاء المؤمنين المبشرين بانذارا الوعظية الهائلة لايقاظ وحشية الاله وجبروته في ضمائر الناس ـ كان يكفي هؤلاء الذين يريدون ان يوجدوا انسانا بدون اخلاق الطبيعة وبدون وقاحاتها وأوحالها .

ـ كان يكفيهم ليدركوا خطاهم العالي المعاد ، المعاد على مستوى عالي ان يحدقوا بغضب وترويع في هذه الجماعات التي لا تتحدث الا عن جبروت الاله وجحيمه وعن غضبه المتوحش والتي لا تقرأ او تتعلم غير الايات والاحاديث التي لا تعلم سوى الخوف من جبروت الاله ومن جحيمه ومن غضبه المتوحش ، والتي لا تضخم او تهول سوى جبروت الاله وجحيمه وغضبه المتوحش ، والتي لا تحترم او تمجد شيئا سوى جبروت الاله وجحيمه

وغضبه المتوحش ، والتي لا يصالح او يحيى بعضها بعضا الا بالتخويف بجبروت الاله وبجحيمه وغضبه المتوحش .

ـ كان يكفي هؤلاء ليدركوا خطأهم اتعالي المعاد ان ينظروا بتحديق وذهول واتساق الى هذه اتجماعات التي لا تتحدث عن مجد اي شيء ملتما تتحدث عن مجد الجبروت والجحيم والغضب الذي يملكه ويدبره ويعده الاله ، وكأنها انما تتحدث عن ذلك لكي تفجر فوقه كل اوحالها ونشوهاتها وفسوقها وشهواتها غير المتحضرة وغير المهذبة بقدر ما تتحدث عنه ، وبقدر ما تؤمن به ، وبقدر ما تمجده وتضخمه وتهوله وتتعلمه وتعلمه وتصلي له وتصلي خوفا منه . كأن الايمان بالشيء انما يعني دائما العدوان عليه والاساءة اليه والفسوق به . وهل تعتدي على الله وعلى الانبياء وبشوههم ويسيء اليهم ويتهمهم ويخرج عليهم الا المؤمنون بهم . كأن الايمان بالشيء عقاب له .

ان هؤلاء سوف يجدون حينئذ انه لا احد يفجر ذنوبه وعاهاته ونياته المثلوثة فوق جبروت الاله وفوق جحيمه وغضبه مثلما تفعل هذه الجماعات التي لا تتعلم او تعلم سوى الخوف من جبروت الاله ومن جحيمه وغضبه.

انهم سوف يجدون ان الشيطان لا يستطيع ولم يستطع في كل تاريخه المجيد السعيد ان يكون سعيدا وسيدا وقائدا محظوظا ومنفردا بلا منافسة او عصيان او تمرد بين اي قوم مثلما كان ويكون بين اولئك القوم الذين لا يتعلمون او يعلمون او يقرؤون سوى الآيات والاحاديث التي لا تعرف ولا تعلم سوى التخويف بجبروت الاله وبجحيمه وغضبه .

ـ انهم سوف يجدون ان هؤلاء القوم المدارسين لمجد جبروت الاله ولمجد جحيمه وغضبه المتوحش لم يستطيعوا ان يجيئوا على مقاس نموذج واحد من نماذجهم النفسية او الاخلاقية او حتى الدينية التي تتوقد وتحترق بالشوق وبالدعوة اليها ، وبالايمان والتخويف بها ارواحهم وعظامهم ونبواتهم وآياتهم واحاديثهم المنزلة ببداوة وباستبداد رهيبين . ان هؤلاء سوف يجدون ان الذين يؤمنون بوحشية يخرجون على ايمانهم بمثل الوحشية التي يؤمنون بها . كأنهم يعاقبون ايمانهم او من يؤمنون به بالخروج عليه والمخالفة له . لقد شوهد دائما ان الذين يؤمنون بالاله يذهبون بعصيانه او يغيظونه ويخرجون على اوامره وتعاليمه بلا اية تقوى

أو وقار ، حتى ليبدو لهم انها يريدون ان يعتذروا عن ايمانهم به او يتنقصوا من ايمانهم .. ان اي مهزوم في التاريخ ، في كل التاريخ لم يواجه هزيمة اكبر واشمل او اعمق او ادوم من الهزيمة التي واجهها وعاناها الاله وانبياؤه وقديسيه وكتبه ومحاربيه ومنابره .

ان احدا لم يهزم في كل التاريخ مثلما هزم الاله ، وانه لم يهزم في اي مكان ولا امام اي اعداء او خصوم مثلما هزم ويهزم في بلاده وكتبه ومعبده ، وامام المؤمنين به ، امام اهله واصدقائه . ان اردا حظوظ الاله هي حظوظه بين اهله والمؤمنين به .

ان الاله لم يواجه هجرانا اخلاقيا ونفسيا مثل الهجر الذي يواجهه به المؤمنون به اعتقاديا وتعليميا .

وان اي كائن في هذا الكون لم يتلق من امجاد النصر والتفوق مثلما تلقى الشيطان ، وانه لم يتلق من الانتصارات مثل الانتصارات التي لقاها في معاركه السهلة عليه والتي خاضها ضد الاله وضد انبيائه وتعاليمه وكتبه ومحاربيه ومنابره ، او مثل الانتصارات التي قلده مجدها اعداؤه واصدقاء عدوه ، اي التي قلده يمجدها المؤمنون بالاله . ان الشيطان لم لم يكسب من الامجاد مثلما كسب منها بين الاقوام اللاعنين له الواهبين كل ايمانهم وصلواتهم للاله .

انه لا يوجد من خلقه ويزمه واذله اصدقاؤه مثل الاله ، ولا من نصره وكرمه اعداؤه الشاتمون له الكافرون به مثل الشيطان .

انه لا يوجد حظ جيد مثل حظ الشيطان ، ولا حظ ردي، حزين مثل حظ الاله . انه لا يوجد كائن يستحق كل الرثاء والشفقة والدموع لفداحة هزيمته مثل الاله . انه لم يقهر احد مثلما قهر الاله . وانه لو كانت الهزائم تقتل لما امكن ان يعيش الاله ولا يوما واحدا ، وانها اي الهزائم لو كانت تسكت لما استطاع الاله ان يتكلم كلمة واحدة .

وانه لا يوجد من يستحق كل التهنئة او كل الحسد او الغيظ او المنافسة لضخامة انتصاراته وتفوقه مثل الشيطان .. ان الانتصارات لو كانت تتحول إلى ضخامة في حجم الفيلة لكان محتوما ان يملأ حجم ذات الشيطان كل مكان في الكون ، ولما وجد الاله لذاته مكانا في اي مكان او ذات .

ان أي مكان لم يدخل اية معركة لم يهزم فيها بالاسلوب والمستوى اللذين يدخل الله بهما معركته ليهوم فيها .. ان احدا لم يصبر على قضائع فلوزلتم التي لا شبيه لها مثلما صبر الله - ان جميع اجهزة الالهة الدعائية والوعظية والارهابية ، بل والعسكرية لم تستطع ان تنتصر انتصارا واحدا على اهواء او شهوات او نباتات اعضاء انسان واحد ، او ان تضعفها او ان تجعلها تفقد شيئا من شهيتها او من حماسها او من وقاحتها ، او ان تهبها شيئا من الحياء او من التهذيب او من القدرة على الاشمئزاز او الغثيان .

ان جميع هذه الاجهزة الضخمة العالمية الابدية المتأصلة التاريخية الرهيبة لم تستطع في اي وقت ولا في اي مكان من الارض او من التاريخ ان تجعل الشيطان يشعر ان له منافسا او انه قد يصبح له منافس على اعضاء او اهواء او شهوات كل البشر .

انه اي الشيطان لم يخف في اي وقت ولا في اي مكان ان تستطيع كل هذه الاجهزة التي توجه ضده بكل هذا الشمول وهذه العالمية والضخامة ان تضعضع له اية منافسة على التفرد بالمجد والسلطان وبقوة الاغراء في قيادته لاعضاء واهواء وشهوات كل البشر .

ان الشيطان لم يخش ان تنتصر عليه هذه الاجهزة لا بقدر ما يمكن ان يخشى الذباب - لو كان الذباب يستطيع ان يخشى - ان تجعله هذه الاجهزة عقيما او مهذبا او رحيما او متواضعا ، حتى لا يجرؤ على ان ينتقل بين العيون والوجوه والانوف الجميلة والبريئة والضاحكة والشامخة وبين الاوحال الاجرى ، بكل هذه البراءة او بكل هذه البذاءة . انه لمحتوم ان الشيطان يسر ويرحب بالمزيد من مجيء الانبياء والمعلمين والوعاظ الذين يجيئون بالاديان وبالتعاليم وبالكتب المقدسة ليخاربوه ويهزموا مجنده . لانه يعلم ان مجيء هؤلاء سيصبح عناء لهم دون ان يخسر هو شيئا . واما اتوجه الفكري او الحد الفكري للرسالة الروحية او الدينية فانه قد يكون شيئا رديئا او سيئا لانه يجيء ليساعد حوافز ورغبات الضعف والفرار والتخلي فيناء او يجيء داعيا إلى ذلك ومعلما له . ومحتوم ان تكون الحياة مشحونة بل محكومة بحوافز ورغبات واحتياجات التخلي والفرار .

ان الرسالة الروحية اي الدعاية الدينية تعلمنا باننا لسنا صالحين

لانفسنا ولا للطبيعة التي تحيانا ، ولا مسئولين عنها ، وانه لا ينبغي ان نكون كذلك كما لا يمكن ذلك . انها اي الرسالة الروحية او الدينية لخلينا وتحررنا من مسئوليات ومتاعب الارباب ومن التزاماتهم وهمومهم الشاقة المبدعة . انها تعفينا من ان نكون مسئولين عن انفسنا او عن اي شيء حولنا او ملتزمين بشيء من ذلك مسئولية والتزاما كاملين او حقيقيين . لانها تضع فوقنا قوة هائلة لا حدود لقدرتها ولا لاستبدادها ولا لتدخلها فينا وضدنا ولنا ومعنا ، ولا منطق لارادتها او لاخلاقها او لما تطالب به او لما ترفضه .

ان هذه الرسالة تعلمنا اننا عبيد مصنوعون ومغلوبون ومسيرون دائما ، يراد لنا ويراد بنا ، ويراد ضدنا ، وتراد ، ونشيد وتحطم ، ونوهب ونسلب ، ونصاغ ويقذف بنا كما لا ندري ولا نريد ولا نختار ولا نستشار ولا يفكر في احتياجاتنا أو في همومنا او في الامنا . ان هذا هو اخف او اقل ما تهيئنا الرسالة الروحية او الدينية او الايمان بان فوقنا كائنا هائلا خالقا شاملا . او هو اخف واقل ما تعلمنا هذه الرسالة او هذا الايمان .

انها قصة لا تثير لما فيها من عدوان وهوان وتشويه وتحقير وكآبة روحية ، انه خيال لا يملك اي قدر من المجد او من العظمة او من الصافية النفسية او العقلية .

ان هذا الخيال او القصة او الرسالة الروحية الدينية قد تريحنا مما نهاب ومما يتعبنا ومما ترهقنا تكاليفه ومعاناته ومسئوليتنا عنه ، ومن وضع عظمتنا وذاتنا ورضانا عن انفسنا واحتقارنا لها تحت حساباته . ان كل هذا قد يكون نافعا لنا وقد تكون محتاجين اليه . اننا حتما محتاجون اليه . اننا حتما محتاجون الى ان نراح من محاسبتنا لانفسنا ومن وضعها تحت مراقبتنا ومسئوليتنا .

ان ذلك قد يكون سببا من اسباب رغبة الناس في الايمان ، ومن أسباب اقتناعهم السهل بمسوغاته وبتفاسيره وبمنطقه وبانبيائه وبدعاته الكذبة والجهلاء واللصوص والمتاجرين والمنافقين . لعل رغبة الناس في الايمان هي التي وهبت انبياءهم وزعماءهم كل مزاياهم وقدرتهم على الاقناع وعلى الانتصار في السوق .

؛ هل آمن الناس وصدقوا غباء وانخداعا ام احتياجا وفرارا ؟ هل خدعوا اواضطروا حينما آمنوا بما لا يمكن الايمان به ، وحينما صدقوا من لا يمكن تصديقهم او صدقهم ، ومن لا يغفر تصديقهم او اتباعهم ؟ هل الناس يصدقون لانهم يقتنعون ام لانهم يريدون ؟ وهل يقتنعون لانهم يحبون ام لانهم يريدون ؟ هل النبي يساوي نفسه ام يساوي المؤمن به ؟

لعل الناس قد بحثوا عن مسوغات الايمان واحتاجوا اليها قبل ان يجدوا اسباب الايمان او براهينه او مسوغاته ، او دون ان يجدوا هذه الاسباب والبراهين والمسوغات ، او اكثر مما وجدوها . ولعلهم قد احتاجوا الى انبيائهم وزعمائهم ومعلميهم والى تصديقهم والهتاف لهم ورؤية معجزاتهم ومزاياهم ومبقرياتهم قبل ان يجدوهم او يروهم ، وقبل ان يجدوا او يروا شيئا من مزاياهم او معجزاتهم او مبقرياتهم ، او شيئا يحرض على تصديقهم او يغفر تصديقهم او يعتذر عن بلادة تصديقهم — او دون ان يروا او يجدوا هذه المبقريات والمزايا والمعجزات ، او اكثر مما وجدوها ورأوها .

لعل الناس قد رأوا معجزات ومبقريات ومزايا انبيائهم وزعمائهم ومعلميهم وآمنوا بهم وهتفوا لهم واتبعوهم قبل ان يوجدوا وقبل ان يروهم ، بل ودون ان يوجدوا او يروهم .

ثم ، لعل الناس قد آمنوا بانبيائهم وزعمائهم وهتفوا وصلوا لهم ورأوهم وجربوا تقواهم وصدقهم واخلاصهم وجميع مزاياهم قبل ان يوجدوا ويحضروا ..

لعل الناس قد آمنوا بانبيائهم وزعمائهم وبنماذج ومستويات ومواهب هؤلاء الانبياء والزعماء ثم جاءوا اى ثم جاء انبياؤهم وزعماؤهم بنماذجهم ومستوياتهم ومواهبهم التى كان الايمان والاقتناع بها اولا . لقد جاءت نماذج ومستويات الانبياء والزعماء وفق ما في نفوس المؤمنين لا وفق ما في ذوات الانبياء والزعماء . لقد عاش الانبياء والزعماء في نفوس المؤمنين لا في ذواتهم هم .

هل آمن الناس بانبيائهم وزعمائهم تمجيدا او تحية او تكريما او عرفانا لهم او معرفة بهم ام آمنوا بهم ليكذبوا ويضفروا ويتبلدوا ويتشوهوا بهم ، وليلقوا عليهم بذنوبهم وعجزهم وهوانهم وخوفهم وهزائمهم وتفاهاتهم ، وليسوغوا بهم نقائصهم وهربهم وعاهاتهم وتخلفهم عن المسئوليات والمعاناة وعن التفكير والذكاء والشجاعة ؟

هل آمن الناس بالانبياء والزعماء ليقودوهم الى الثقافة والقوة او ليجعلوهم تفسيرا وتسويغا لتلوثهم وعجزهم ؟

هل كان الناس حيثما آمنوا وصدقوا واتبعوا وعتقوا نبلاء ، يهبون نبلهم وحبهم واعتزازهم وذكاءهم ، أم كانوا انذالا يلقون بهمومهم واعبائهم ومسئولياتهم وتلوثاتهم وضعفهم على كائنات اخرى ، يسمونها آلهة او انبياء او زعماء او معلمين ، دون ان يريدوا لهذه الكائنات اي مجد او سعادة او سرور ، ودون ان يشعروا لها باي قدر من الاحترام او الشوق او الحب ؟ هل مكانة الآلهة والانبياء والزعماء في السوق مكانة من يكرمون ويمجدون ويصلى لهم أم مكانة من يهجون ويحقرون ويتهمون ويعتدى عليهم ؟

اذن فان اقوى وانفع ما في الدعوات والتعاليم الروحية او الدينية هو اعفاؤها من يؤمنون بها ، او محاولاتها اعفاءهم ، من تبعات والتزامات ومن هموم واخلاق ومواقف وحسابات ومحاسبات شاقة باهظة ، واقناعها لهم ، او محاولتها الاقناع لهم ، بانهم عبيد محكومون مصنوعون مسيرون مربوبون بقوة لا حدود ولا نموذج لقدرتها وشمولها وتسلطها وتفردها وتدخلها وغيرها ومناقستها وكبريائها وشهيتها للافتراس والاستبداد .

وايضا اقناعها لهم بان هذا الهوان ليس هوانا بل مجد وعزة ، او هوان هو كل المجد وكل العزة .

ان هذا يهب البشر الراحة الفكرية والنفسية والاخلاقية ايضا . ان جميع البشر ولو احيانا يبحثون عن مثل هذه الراحة . وقد يشترونها بكل كرامتهم وشجاعتهم وذكائهم . انهم يتقاتلون — ولو بعض الاحيان ببعض الاساليب للفرار من وطأة التبعات والالتزامات ؛ ولا سيما الشعورية والنفسية والفكرية والاخلاقية منها . ولكنهم احيانا اخرى يتقاتلون بجنون للوقوع تحت عقاب اقسى واضخم واشرس التبعات والالتزامات والهموم الانسانية الباهظة .

انهم قد يجنون بحثا عن الظروف والالتزامات التي تصنع لهم اقصى العذاب . والبشر لا يمكن تفسيرهم او فهمهم بصيغة واحدة او بمنطق واحد كما تفسر وتفهم الطبيعة .

ان الانسان هو اعصى الكائنات على القهر بقدر ما هو اقدر الكائنات على القهر ، وانه كذلك لاكثر الكائنات طهارة وشموخا وشجاعة بقدر ما هو اكثرها تلونا وهوانا وجبنا . انه وحده المصلي للالهة ، وانه وحده المشوه الهاجي لها .

ان المسافة الممتدة بين حدي الانسان او طرفيه او نقيضيه لاطول من كل مسافة ممتدة بين حدي او طرفي او نقيضي اي كائن آخر . ان الانسان لبعيد جدا وقريب جدا . انه لبعيد جدا في قربه ومع قربه ومن قربه ، وانه لقريب جدا في بعده ومع بعده وعن بعده .

اذن فالوجه الاخلاقي او السلوكي في الرسالة الروحية او الدينية ليس له اي نفع . انه لا يمكن التزامه لان التزامه ضد الطبيعة وفوق

قصوراتها وتفاسيرها . انه ليس الا معاناة فقط وتبديدا فقط وحماسا ضائعا فقط .

انه ليس الا قراءات وتفاسير ونصوصا ضالعة ، والا ارهابا عقليا ونفسيا واخلاقيا مفرغا من القيمة .

ان البشر لم يربحوا ولم يأخذوا في كل تاريخهم من مجيء انبيائهم ومعلميهم ووعاظهم ، ومن ممارستهم لهم ولاديانهم ولكتبهم المنزلة ولمحاريبهم ومنابرهم ، ومن استماعهم اليهم وعلاقاتهم بهم ، ومن حفظهم لاقوالهم وتعاليمهم ، ومن وعظهم لاخلاقهم ونياتهم بهم وبما جاءوا به وبمحاريبهم ومنابرهم ، ومن شتمهم لهم ومن وعودهم ووعيدهم ، ومن بذاءاتهم وبذاواتهم الفكرية والنفسية والاخلاقية واللغوية .

ـ نعم ، ان البشر لم يربحوا او يأخذوا من كل ذلك في كل تاريخهم سوى المعاناة وسوى التبديد وسوى الحماس الضائع . ما كان اضخمه من حماس ضائع . لقد كان حماسا لا يحمل معنى الحماس او قيمته او موضعه او تفسيره . انه لم يكن حماسا لشيء جيد موجود ولا ضد شيء رديء موجود .

لقد كانت قضية المعاناة والحماس للانبياء والمعلمين والوعاظ ، وللكتب المنزلة وللمنابر والتعاليم المحفوظة الموعوظ بها قضية خسران فقط ، خسران فقط دون انتظار اي شيء يؤخذ او يسترد او يتحول الى تعويض .

كيف تقبل البشر معاناة هذه المعاناة وهذا الحماس ؟ كيف حدث هذا ؟ هل هو بحث عن الغباء ام عن الضياع ؟

انهما معاناة وحماس بالنفس والفكر والاخلاق والتاريخ والزمن لا مثيل لهما في الضياع والخسران . فهل كل البشر مجانين ؟ هل الجنون احتياج محتوم من احتياجات الحياة ؟ من احتياجات جميع العقلاء ؟ هل الجنون احتياج او غذاء او عزاء او مجد للعقل ؟

هل تستطيع ان تكون عاقلا فقط ؟ هل من الافضل لك او من العقل ان تكون عاقلا في جميع ممارساتك وتفكيرك وتدبيرك ؟ هل يستطيع العقل ان يواجه او ان يمارس نفسه دون ان يعيش الوانا كثيرة ومختلفة من الجنون ؟ اليس العقل محتاجا الى ان يسوغ نفسه بالجنون ؟ اليست معايشة الحياة والناس والذات والعقل بلا جنون هي اقصى حالات الجنون ؟

لقد كان الناس في كل التاريخ ينفقون اضخم المعاناة والحماس والعقول الذكية والموهوبة على الجنون ، وعلى ما لا امل في ان يهب او يفيد او يعزي او يمجد او ينقذ . فهل كانوا جميعا مجانين ؟ هل كانوا جميعا باحثين عن الخسران والجنون ؟

هل المعاناة والحماس للخسران والجنون عبقرية انسانية او مجد

انساني ؟ هل المعاناة والحماس بلا ثمن اسلوب جيد من اساليب البحث عن السعادة وعن المجد والعبقرية ؟

هل الآلية تعبد المعاناة والحماس الضائعين ؟

هل المعاناة والحماس الضائعان هما التفسير الشامل والمنطلق الشامل لكون الشيء موجودا ؟ هل هما اي المعاناة والحماس الضائعان احتجاجان عالميان على عبث الكينونة التي لا تفسير ولا منطق لها غير المعاناة والحماس الضائعين ؟

ولكن هل وجد جنون وعقل ؟ أليس كل وجود هو جنون ؟ هل في الوجود ما هو عقل ؟ أليس الجنون هو الفعل أو الكينونة او ايجاد الشيء او وجوده بلا هدف او خطة او تدبير او منطق مقصود ومقصودة معروفة مطلوبة نتائجه ؟ وهل في الوجود او في الايجاد ما هو كذلك ؟ اليست كل الاشياء قد وجدت بلا هدف ولا خطة ولا تدبير ولا منطق سابق مقصود معروف معروفة او مطلوبة نتائجه ؟ هل يمكن ان يكون الوجود الاول او الوجود مجتمعا بتدبير او بخطة او بمنطق سابق او بالبحث من هدف او بالانطلاق عن اي حافز .

هل وجد الصرصار بهذه الشروط ليكون وجوده او ايجاده عقلا لا جنونا ؟ هل وجد الانسان بعقل او بمنطق اكثر من العقل او المنطق الذي وجد او أوجد به الصرصار ؟

هل موجد الصرصار لو كان له موجد اكثر جنونا او اذكى تدبيرا وتخطيطا من موجد الانسان ؟

اذن اليس كل وجود او ايجاد جنونا ؟ واذن هل من الاشياء او من الوجودات او من الكينونات او من الممارسات ما هو عقل وما هو جنون ؟

اذن اليس الجنون هو سلوك كل شيء ومنطق وتفسير كل شيء ؟ بل اليس العقل نفسه هو احدى صيغ او تعبيرات الجنون او احدى ممارساته ؟

هل يكون شيء او انسان عاقلا الا بقدر ما يبدع الجنون ويؤمن بالجنون ويحترم الجنون ويلتزم بالجنون ؟

هل يكون العقل الا استجابة لما هو جنون او عطاء ما هو جنون او املاء ما هو جنون او احتياج ما هو جنون ؟ هل يكون العقل الا احدى لذات الجنون او احد مطالبه او احدى مجاعاته او خطواته او ضروراته او ضرباته او رقصاته او حماقاته او غلطاته ؟

هل يوجد عقل ليس نتاج الجنون ؟ أليس الجنون هو مبدأ كل الاشياء ومنطق كل الاشياء ؟ أليس الجنون هو ايضا منتهى وغاية كل الاشياء ؟

اذن فان من المحتوم ان تكون جميع ممارسات البشر اساليب مختلفة

من الوان الجنون لانه لا يمكن ان يكون شيء غير جنون . واذن فالمعاناة والحماس الضائعان المنفقان على الضياع وبلا ثمن هما من هذا الجنون الذي لا بد منه ، والذي لا شيء غيره ، والذي لا بديل عنه . ولا مهرب منه ، ولا بداية ، ولا نهاية الا اليه .

.. هذا الجنون الذي هو كل البداية وكل النهاية وكل التعاسير وكل المنغلق وكل العبقريات وكل التفاهات .

اذن فالمعاناة والحماس الضائعان على مجيء الانبياء والمعلمين وعلى استقبالهم والترحيب بهم والتعلم منهم والاستماع اليهم وشق الطرق وايجاد الاماكن والهتاف والحب لهم ، والخوف منهم ، والبحث عنهم — والضائعان ايضا على المنابر والمحاريب وعلى المواعظ والاديان وعلى الكتب المنزلة .

— نعم ، اذن فالمعاناة والحماس الضائعان على ذلك هما من هذا الجنون الذي لا بد منه ، والذي لا شيء غيره ، والذي لا بديل عنه ولا مهرب منه ، والذي لا يستطيع البشر ان يمارسوا سواه او يجدوا سواه او يفكروا في سواه لانه لا يوجد سواه .

ان مجيء الشيء او الانسان هنا ليس اقل جنونا من اصابته بالجنون بعد مجيئه . ان ولادة العبقري ومجيئه هنا ليسا اقل جنونا في كل منطقه وتفاسيره من ولادة اية نملة او حشرة .

ان اصابة اي انسان بالجنون ليست اشد جنونا في منطقها او في تفاسيرها او في حوافزها واهدافها بل او في نتائجها من مجيء اعظم العقلاء هنا ، يمارس كل مستويات واعلى مستويات العقل الموجود هنا . ان المجيء هنا هو كل الجنون وكل معاني الجنون وكل اسباب كل الجنون واعلى مستويات الجنون والجامع لمنطق كل منطق الجنون .

★

اما الوجه الفكري الداعي والموصل الى العبودية العقلية والنفسية فهذا هو الوجه الخطير في الرسالة او في التعاليم الروحيه والدينية . انه الوجه الخطير في الاديان وفي مجيء الانبياء والمعلمين وفي وجودهم ، او في وجود تعاليمهم بيننا .

ان ذلك هو الوجه الخطير لانه هو الذي يتحقق ويتقبل في المجتمعات . انه يتحقق ويقبل ، او يصبح شيئا يعني شيئا لانه يجمع المؤمنين بين الاستجابة للارادة والشهوانية والاستجابة للضعف وللرغبة في الفرار من الالتزامات والتبعات والمعاناة الصعبة . انه يجمع المؤمنين بين هذا وهذا ، او هو اذن لهم او يتسامح بان يجمعوا بينهما .

ان الرسالة او التعاليم الروحية او الدينية هي اكثر الاشياء قسوة

وطغيانا على العقل والفكر والمنطق ، بينما هي اكثر الاشياء تسامحا او ضعفا او اغضاء او حياء او انهزاما امام التلوثات والشهوات والضعف الاخلاقي . انه لا مثيل للرسالة الروحية او الدينية في تسامحها مع التلوث وفي تعصبها ضد التفكير .

انها لا تحابي شيئا مثل محاباتها لمنحوط الاخلاق ولا تقاوم شيئا مثل مقاومتها لشموخ العقول .

ان الدعوة او التعاليم الروحية او الدينية سلاح يقتل دون ان يصنع نصرا او ان يهزم عدوا . انه سلاح لا يطلق على الاعداء ولا يستطيع ان يصيبهم . انه سلاح لا يقتل الا حامليه ومستعمليه . انه سلاح ليس ذكيا ولا شهما ولا وفيا . انه سلاح اكبر اهدافه واكثر اهدافه سقوطا تحت طلقاته هو العقل والذكاء . انه سلاح لا يعاتل او يصيب سوى كبرياء العقل والذكاء .

ان الرسالة الروحية او الدينية ليس لها خصم تقاتله سوى عقل الانسان وذكائه .

ولكن اليس من المحتمل جدا ان الناس لا يخطئون في تفكيرهم او يعجزون في سلوكهم لانهم يجهلون او يعيشون او يتعلمون افكارا خاطئة ، بل لانهم عاجزون عن ان يفكروا تفكيرا صحيحا وعن ان يصنعوا سلوكا قويا او عظيما او نظيفا ، لا لان لديهم افكارا خاطئة او لصعوبة تعليمهم الخطأ والضعف وتدعوهم الى ذلك ؟

اليس التفكير الخاطيء او الرديء ، والسلوك العاجز او الرديء هما تعبير عن انفات العاجزة الرديئة لا عن الافكار الخاطئة الرديئة ؟

ان الافكار الضالة او المعوقة او المثبطة لا تستطيع ان تعوق او ان تضعف او ان تهزم او ان تشل النشاط المقتحم او العقل القادر على ان يعرف والمريد ان يعرف او ان يقاوم او ان يتجاوز ويرفض . ولكنها اي الافكار الضالة والمعوقة والمثبطة قد تدل على مستوى او على احتياج او على ظروف واهواء من يؤمنون بها او من يعلنونها او من يدعون اليها .

بل ان مثل هذه الافكار قد تكون عاجزة حتى عن هذا التعبير . انها قد تكون عاجزة عن الدلالة على مستوى من يؤمنون بها . انها قد تكون منفصلة عن مستوى المؤمنين بها او نقيضا حادا لمستواهم . ان الانسان قد يكون اكبر جدا من افكاره او من اديانه او من اربابه كما قد يكون اصغر .

ان اقوى الناس واقدرهم على الاقتحام والتجاوز واعظمهم عبقرية عقلية قد يؤمن باضعف واسخف الافكار . وقد يتعصب لها ويعادي او يقاتل دونها وغضبا لها ، اكثر واعمق مما يفعل ذلك الاغبياء والعاجزون الذين يكونون اتحادا بمواهبهم العقلية والاقتحامية لهذه الافكار والليسن

يتساوون ويتكافأون باستعداداتهم وطاقاتهم معها ...

ان الموهبة والقدرة والرغبة والشهوة لا يمكن ان تقتلها ولا ان تهزمها او ان تزجرها الافكار او التعاليم او الاديان مهما كانت كما انها اي الافكار والتعاليم والاديان لم تستطع ان تقتل او ان تهزم او ان تزجر في الاعضاء او في النبات او في الشهوات جوعها الى التلوث والى النذالة ، والى السباحة والغرق في حمامات الشيطان .

ان كل ما في تاريخ البشر وكل ما سوف يكون في تاريخهم من آلهة شرسة ، ومن انبياء ومعلمين غلاظ الاخلاق والعقول والتعاليم ، ومن صلوات ومحاريب ومعابد ومنابر ، ومن آيات وانجيل ، ومن ارهاب ووعيد واوامر ونواه تصوغها وتوجهها بكل كبريائها وضخامتها ووحشيتها وكآبتها كل الآلهة في كل ارجاء كل جحيم .

ـ ان كل ما في تاريخ البشر وما سوف يكون في تاريخهم من ذلك لن يستطيع ان يمنع او ان يؤخر او ان يزجر او يخيف او يضعف ابسط فكرة في اي عقل من ان تقتحم كل السدود والحدود والحراسات السماوية ، لتنطلق في زمانها ومكانها وعلى مستوى قدرتها وبكل قدرتها وعنفها وشراستها وبكل قدرتها على القتال والانتصار ، دون ان تستأذن او تحترم او تهاب حضور اي آله او اي نبي او اي معبد او اي محراب او اي انجيل او اي قرآن ، يأمر وينهر ويوعد ويلعن ويحرم ويهدد ويحدق بغضب تموت من رهبته وكآبته النجوم والشموس والابتسامات في وجوه الحقول ووجوه الانهار وفي وجوه كل الاشياء . ان اي حضور لا يتلقى من التحقير والغيظ والاذلال والعصيان مثلما يتلقى حضور الآلهة والتعاليم والاديان والكتب المنزلة .

ان المواهب الانسانية لا ترحم دموع الآلهة او خوفها او ضعفها . انها اي المواهب لا تتخلى عن تفجراتها وانطلاقاتها او تؤجلها اشفاقا على ضعف الآلهة او احتراما لاحزانها او بحثا عن مسراتها . ان دموع الآلهة لا تجد من يرثي لها . انها اضيع دموع في هذا الكون . ان مآسي الآلهة واحزانها هي اعظم ما يهب المواهب التفجرات التحدية القاتلة النشوة والسرور والرغبة في المزيد من التفجر والتحدي والقتال .

ان المواهب لا تحترم شيئا او تهاب شيئا غير قدرتها على ان تكون او لا تكون . انها تستطيع او لا تستطيع .

ان المواهب الميتة هي ميتة وليست مقتولة . ان الآلهة لم تقتلها وهي لا تستطيع قتلها . وان شيئا ما لا يستطيع ان يقتلها .

ان المواهب الميتة هي مواهب لم توجد . انها لم تمت ولم تقتل ، ولكنها لم توجد . ان المواهب اما موجودة او غير موجودة . انها ليست مقتولة او غير مقتولة ، وليست ماذونا لها او ممنوعة .

ان الآلهة هي اضعف اعداء الانسان . انها لم تستطع ان تصيبه باي

ضرر او الم في كل تاريخه . انها عاجزه عن ذلك . انها اعجز اعدائه .

ان الآلهة هي اذيل أعداء الانسان لانها أي الآلهة هي اضعف اعدائه .

ان الآلهة في كل تاريخها لم تستطع ان تفعل للانسان او ان تفعل به اكثر ، أفضل او اودا من ان تتحول الى تفاسير وتسويفات وتعبارات لما يريد ويستطيع ويفعل ، او لما لا يريد ولا يستطيع ولا يفعل .

انها في كل تاريخها وتاريخه لم تعطه ولم تأخذ منه غير ان فسر نفسه بها . ان كل احاديثه عن الآلهه ورؤاه وتفاسيره لها ليست الا تفاسير لنفسه ، لما يريد او لما يرفض لها .

ان الآلهة لا تستطيع ان تكون اكثر من منهم يذنوب لم تردهـــا ولا تستطيع أن تفعلها ، او بمزايا لم تردها ولا تستطيع ايضا ان تفعلها بل ولا ان تريدها .

ان كل عيفريه الالهة ، ان كل ذنوبها وحسناتها ان تصبح متهمة . .

ان تتحول الى تفسيرات وتسويفات وتعبارات دون ان تدري او تريد ودون ان تقبل او ترفض ، ودون أن تحســزن او تسر او تقـــاتل لترفض الظلم والعدوان عليها والكذب باسمها ، والاتهام لها ، تذكائها واخلاقهـــا وتاريخهـــا .

هل ترى حظوظ الآلهة اذن جيدة ام رديئة ؟

هل تراها قد افادت الانسان او الحياة ؟ هل تراها قـــد اصابت الانســـان او الحياة بأي ضرر ؟ اي بهذا التفسير لها ، بهذا الاتهام او بهذه البراءة ؟

ان الآلهة رديئة جدا ، ولكنها جيده جدا ، وكذلك التعاليم الروحية والدينية . انها رديئة جدا في كل تفاسيرها واخلاقها واحتمالاتها .

ولكنها جيدة جدا لانها لا تفعل شيئا ولا تستطيع شيئا . ان عجزها هو اعظم مزاياها بل كل مزاياها . انها عاجزة عن أن تفعل للمؤمنين بهـا أو ان تفعل ضدهم .

ان الآلهة وكذلك الاديان وكذلك كل رسالة او تعاليم روحيـــة لا تســتطيع ولم تستطع ان تكون قيدا بل ولا امرا او نهيا على سلوكنا او على افكارنا او على لياتنا .

انها لم تستطع ان تصبح اغراء او تحريضا او زجرا في اي وقت .

لهذا فكم هي نبيلة ورحيمة ومهذبة في سلوكها وتأثيرها مهمـا كانت رديئة ومتوحشة وهمجية في كل تفاسيرها وحوافزها واهدافها وليالها .

ان كل ذنوبها انها تتحول الى بيت ضخم ، ضخم تتفق وتبدد عليه اموال المنفقات دون أن يسكنه احد او يأوي اليه احد ليقي به الحـــر او البرد او الرياح او الاضطهاد .

ان الآلهة والاديان والرسالات الروحية هي البيوت الضخمة الشامخة التي لم يسكنها في اي عصر او مجتمع احد من مصمميها او من دعاتهـــا او من المنفقين عليها او من البانين لها بايديهم واجسادهم .

الانسان .. هل خدع خيال الآلهة

« .. لقد كان التاريخ في جميع اشواطه وحياقاته واهتماماته ومآسيه كأنه لم يكن يعني و يريد الا ان يصنع الموت والخراب والآلام والاحزان والجنون والغباء والتشويه والاذلال لكل الناس ، ليجعل من كل ذلك تحيه وتمجيدا وتتويجا وصلاة لانتصارات وامجاد القيادة والزعماء والمجانين الشخصية . لقد كان التاريخ يتحرك وكأنه يرى ان اي مجد او انتصار او ابتهاج لاي قائد او لاي زعيم ليس الا عمرانا بل ليس الا شفاء لكل ما في الكون والحياة والناس من عاهات وتفاهات ومن شقاء وجنون ومنوان وناوث وبلاده ودنوب . لقد كان التاريخ يهتف دائما لنفسه وهو يصنع ايشع الالام والاحزان والحماقات والمظالم والتخريب ، لانه كان يعتقد او كأنه كان يعتقد انه بذلك انما يحيي ويصافح الزعماء والقادة والمعلمين العظماء الاغبياء ، ويهتف لامجادهم وانتصاراتهم ، ويصنع لهم التيجان المنسوجة والممسوحة من جسد الانسان ومن ذكائه وكبريائه وشجاعته . ان المظالم والحماقات التاريخية ليست مغفورة فقط لانها تتحول الى تحيه والى تمجيد وتكريم ومحاباة لامجاد وانتصارات الزعماء والقادة والمعلمين ، والى اعلان بدىء تبرير عن امجادهم وانتصاراتهم . بل انها اي المظالم والحماقات التاريخية اكثر من معذورة . لقد كان التاريخ يردي ادواره وكأنه يرى ان امجاد وانتصارات هؤلاء القتلة والمجانين لا يمكن ان توجد او ان تكون عظيمه او مقبولة او مقروءة او معروفة او معترفا بها او صانعة لهم الكبرياء والمجد والابتهاج الا اذا صنعت كل الموت والدمار والويلات الشاملة لكل الناس ولكل الاشياء . أن ذلك هو وحده الذي يهبهم الندوي والخلود واللمعان . لقد ظل التاريخ في كل التاريخ سميلا وتحا نذلا منافقا لجميع القادة والزعماء والمعلمين الاغبياء القتلة وكأنه لا عيقربة له غير ذلك .. » .

* *

لو ان كائنا فلكيا استطاع من بعيد ان يستمع الى ما يقول ويذيع البشر ، وان يقرأ ما قالوا وما يقولون ، ما قاله ويقوله أربابهم وانبياؤهم وزعماؤهم ومعلموهم ومفكروهم ووعاظهم وشعراؤهم وكل من ماوسوا

ويمارسون الكلام والتعاليم فيهم .

— نعم ، لو أن كائنا فلكيا استطاع ذلك بوسيلة ما فكيف يمكن أن يفهم البشر او ان يتصورهم او ان يفسرهم ؟ هل يتصورهم اقوياء واذكياء؟ هل يتصورهم ضعفاء واغبياء ؟ هل يتوقعهم سعداء أم اشقياء ؟ هل يمكن ان يراهم بأي نموذج او مقاس او مستوى من نماذجهم او من مقاساتهم او من مستوياتهم؟ هل يمكن ان يفسرهم او ان يفسر اي شيء فيهم ، اي شيء من اخلاقهم او من لغاتهم او من حياتهم تفسيرا طيبا او سعيدا ؟

هل يمكن ان تكون نماذجهم حينئذ في افتراض ذلك الكائن الفلكي عملا من اعمال العقل او الخيال او التصور او التفسير او أتوقع ؟ هل يمكن ان يرى او ان يجد نماذجهم فيما قالوا وفيما كتبوا لو انه استمع لو قرأ ما قالوا وما كتبوا ؟

هل يمكن ان يفهم ذلك الكائن الفلكي بما يسمع ويقرأ عن البشر ولهم عادة يكونون او يمثلون او يسارون او يربحون او يعملون ؟ هل يمكن ان يقدر ولو تقديرا مقاربا طول قاماتهم العقلية او الاخلاقية او ارتفاع هاماتهم العقلية او الاخلاقية او النفسية بما يسمع ويقرأ منهم ولهم ؟ هل يمكن ان يراهم او يفهمهم او يفسرهم او يتوقعهم او يتصورهم او يحدد طول قاماتهم او ارتفاع هاماتهم النفسية او الاخلاقية او العقلية بالقراءة لهم ، او بالاستماع اليهم ؟

هل يمكن أن يفهم البشر مما يقولون ويكتبون ؟ هل يمكن ان نفهم مستوياتهم ، او نماذجهم ، او تلونهم ونظافتهم ، او كبرياؤهم وانضاعهم،او ضآلتهم وضخامتهم ، او ممارساتهم لحياتهم أو لانفسهم او للاخرين ؟

هل يمكن ان نفهم نماذج البشر او مستوياتهم او تصدق او تفترض بالعقل او بالخيال او بالتفسير بدون ممارستهم طويلا ، طويلا .

هل يمكن تصور البشر كما هم او قريبا مما هم بدون قراءة لهم وبدون استماع اليهم ؟ هل يمكن ان يصبحوا صورا عقلية او خيالية في عقل او في خيال كائن ، اي كائن فلكي او غير فلكي لم يرهم ، ولو يمارسهم بأي اسلوب من اساليب الممارسة ؟ هل يمكن ان يهتدي أي عقل او خيال — بالتصور والافتراض والتقدير — الى نموذجهم، الى اي نموذج من نماذجهم؟

هل البشر نموذج يمكن تصوره او افتراضه او اقتراحه أو اختياره أو تمنيه او الاهتداء اليه ؟ هل هم نموذج ، هل هم بأخلاقهم أو بذكائهم او بذواتهم او بأية صيغة من صيغ حياتهم وممارساتهم ، نموذج يمكن ان يراه او يتمناه او يقترحه او يرضى به او يفهمه خيال او عقل اي البشر أو اي كائن فلكي او كوني يعيش فوق الكون ؛ فوق النجوم ، بعيدا عن الارض التي يعيش فوقها البشر دون ان يراهم اي الارض أو ينظر اليهم او يفهمهم او يرحب بهم او يرضى منهم او يقترحهم او يقترح نموذجهم او تستشار في مقدمهم اليها او هي نموذجهم – دون ان يتصورهم او يدعوهم او يجوع اليهم او يشعر بالحاجة الى النزين بهم – دون ان يؤمن بالألهة أو يصغي لهم أو يتأدب في طاعتها ومعاملتها لهم شكرا لهم على اهدائهم البشر آلهة؟

هل البشر نموذج يمكن لاي كائن ان يجامل او يجمل موهبته بأن يبدعه او يقترحه او يتصوره او يفهمه أو يعجب به او يدعيه او ينسب اليه ؟ هل للبشر نموذج تعاني اية موهبة في التطاول اليه ؟

هل يمكن ان يكون البشر تصوراً او امنية او اقتراحا او تدبيرا او منطقا او خيالا لاي كائن ؛ لاي اله او لاي فنان او لاي مفكر او لاي كائن فلكي ؛ لا يراهم ولا يمارسهم ولا يتعذب بممارستهم وبرؤيتهم ؟ هل يمكن ان يكون البشر صيغة في اي منطق ؛ او في اي تصور أو في اية امنية او في اية عين او في اية موهبة لم ترهم ؛ ولم تعان من رؤيتهم طويلا طويلا، جدا ؛ جدا ؟

هل يمكن ان يمدح أي اله او اي مبدع بأن نموذج البشر من تخطيطاته او من اقتراحاته او من أمانيه او من تصوراته او من شهواته ؟ هل يمكن ان يكون نموذج البشر رؤية اله او رؤية فنان ؟ أن يكون حلم اله او حلم فنان ؟ ان يكون احتلام اي اله أو احتلام اي فنان ؟ هل يمكن ؟

هل يمكن ان يكون الانسان نموذجا لنفسه ؟هل يمكن ان يكون نموذجا لتصوره أو لخياله أو لاقتراحه أو لتمنيه او لارادته او لمنطقه او لاختياره؟

هل يمكن ان يرى هو نموذج نفسه بكل مستوياته او بشيء من مستوياته ؛ رؤية عقلية ؟
هل يمكن ان يختار نموذجه او يعرفه أو يهتدي اليه بالتصور أو

بالاستراض او بالتفكير او بالرؤية من بعيد ؟ هل يرضى الانسان بنموذجه او يختاره لو كان مخيرا ؟ هي نموذج الانسان عدوان على الانسان ؟

هل يمكن أن يكون نموذج الانسان تصورا او افتراضا او تمنيا او اختيارا او رؤية بالتفكير او بالمنطق او بالخيال ؟ هل يمكن ان يكون الانسان نموذجا عمليا او اخلاقيا او اي نموذج لاي خيال او لاية رؤية او لاي احتلام ؟

لو ان جميع التصورات والخيالات والارادات والافتراضات والتمنيات والرؤى العملية والاخلاقية الموجودة والمحتملة والتي قد وجدت قد تجمعت في مؤتمر مفتوح لتمارس كل نشاطها وحماستها وذكائها ، وكل اهتماماتها وقدراتها وعبقريتها واساليبها المختلفة فهل يمكن ان تتمنى او تريد او تخيل او تتصور نموذج الانسان ، او تقترحه ، او تراه رؤية عقلية ، او رؤية شعرية او فنية ، او حتى دينية ؟ - هل يمكن ان تتمنى او تريد او تتخيل او تتصور او تقترح ، او ان ترى رؤية عقلية او اخلاقية او فنية او شعرية او دينية نموذجه النفسي او العقلي او الاخلاقي او العاطفي او اللغوي او البيتي او الذاتي ؟ هل يمكن ان يكون اي نموذج من نماذج الانسان اهتماما من اهتماماتها او مستوى من مستوياتها ؟

هل يمكن ان يكون نموذج الانسان أي اعتراض من اعتراضاتها ، او ان يكون داخل اي نشاط من نشاطاتها ؟

ولو توجه اتباعه او اي مبدع بمواجهة الانسان لاول مرة وبالتحديق فيه وفي نماذجه المختلفة فهل يمكن أن يجيء في احد حسابات هذا الاله او المبدع انه قد يتصور نموذجه او يتخيله او يقترحه او يختاره او يعجب به او يرضاه نموذجا لاي شيء ، تعبيرا عن اي مستوى من مستويات فنونه ومواهبه ، او انه قد يراه رؤية فكرية او اخلاقية او دينية او شعرية ، او انه قد يخلقه ويصوغه ، او انه هو الذي خلقه وصاغه ؟

ولو ان هذا الاله او المبدع المفاجأ برؤية الانسان للمرة الاولى أتيح او امتدح بانه هو الذي اقترح او تصور او تخيل أو ابدع او رأى بفكره وموهبته الفنية نموذجه ، اي نموذج الانسان فهل يمكن ان يصدق ذلك او ان يراه احتمالا ؟ هل يمكن أن يتقبل هذا الاتهام او هذا الامتداح ؟ هل

يمكن ان نرى هذا الامتداح او الاتهام احتمالا قد يكون صادقا ؟ هل يمكن ان يصدق ان ذلك قد يكون احتمالا في تصور اي آله او اي مبدع ، او في خياله او في تجاربه او في اختراعاته او في رؤاه العقلية؟ انه يعني دائما بنموذج الانسان جميع صيغه وتعبيراته السلوكية والشعورية والنفسية والفكرية والجسدية ؛ بل واللغوية والدينية ،بكل اساليبها ومستوياتها واحتمالاتها، بل ويعني بذلك اسلوب مجيئه واسلوب ذهابه ، وجميع اساليب معاناته وممارساته لفضائحه وآلامه وانسحاقه ايضا .

* *

ان ذلك الكائن الفلكي او الانسان الفلكي المفترض انه قد سمع وقرأ ما يقوله البشر وما كتبوه ويكتبونه سيجد فيما يقرأ ويسمع ما لا يمكن ان يتحول الى نموذج للبشر ؛ اي نموذج مفهوم او متوحد او عظيم . ان ما سوف يقرؤه ويسمعه لن يستطيع أن يتحول الى تفسير لنموذج البشر، لاي نموذج من نماذجهم . انه ان يجد في ذلك تفسيرا لنماذج البشر ؛ بل انه ان يجد فيه تفسيرا لاي شيء .

انه لن يجد فيه تفسيرا ولا لنموذج اية حشرة ؛ ولا لنموذج اي شيء، ان ما سيقرؤه ويسمعه سيلقى به في ظلام دون اية علامات .

انه مهما كان محتملا ان يخدع ذلك الكائن الفلكي او الانسان الفلكي في تصوراته وتفاسيره لنماذج البشر ولمستوياتهم المختلفة ــ لان ما سوف يسمعه ويقرؤه لهم وعنهم ومنهم وفيهم قد يخدع ؛ او هو جدير بان يخدع، او محتوم ان يخدع ــ فان احتمالات ذلك الانخداع والخديعة،او حتميتهما لن تصبح شيئا خطيرا او شيئا مفهوما او شيئا متجددا .
انه لو خدع لما جاءت الخديعة لمصلحة البشر ؛ لما جاءت لمجيدهم او مزيدا من تمجيدهم . انها حينئذ خديعة قد تجيء ضدهم .

وقد يكون هذا القول باحتمال الانخداع او الخديعة لهذا الكائن الفلكي ليس الا تصورا لواحد من البشر ، وليس موقفا سوف يعاني منه كائن يعيش بعيدا ، يعيش وراء الكون وفوق النجوم . اننا نحن البشر قد نخدع انفسنا بما نقول عن انفسنا ولانفسنا ، ولكن هل تخدع به الكائنات الفلكية؟

قد يكون الامر انه لن يوجد اي احتمال لانخداع اي كائن فلكي فيما

تصوره لنماذج البشر ولمستوياتهم المختلفة حينما يسمع ويقرأ ما يقولون ، وما كتبوا ويكتبون دون ان يعاني معايشتهم ورؤيتهم معاناة فيها كل اهتمامات التجربة ورؤاها ومنطقها وشروطها وآلامها وتحديقاتها وذنوبها وفضائحها. قد يكون الامر أنه لو خدع ذلك الكائن الكوني بما يسمع ويقرأ عن البشر ولهم ومنهم لكانت خديعته ضدهم لا لهم . انه قد يتصورهم ويفهمهم ويفسرهم اقل من نماذجهم لا اكثر لانه قرأ وسمع لهم .

انه سيسمع ويقرأ ــ مصدوما مروعا ــ ما لن يستطيع أن يتبين هل هو صادر عن عقلاء أم عن مجانين ، عن مستوى غريب وشاذ جداً من المجانين . وهل يحتمل أن يتصور صدور مثل ذلك عن عقلاء ، عن اي عقلاء، عن اي مستوى من مستويات العقلاء ؟ وماذا يمكن ان تكون صفات العقلاء او صفات المجانين في تصور ذلك الكائن الفلكي ، وما هي الفروق في حساباته بين هؤلاء وهؤلاء ؟

انه سيسمع ويقرأ ما لن يستطيع ان يتصور ان مثله قد يصدر عن كائنات عاقلة أو ذكية أو متحضرة او مهذبة او صادقة او مخلصة او مؤمنة او سعيدة ، او نظيفة ؛ او يمكن ان تفهم او تعامل او تعايش او تقبل أو تحتمل او تستطاع رؤيتها او التفاهم معها أو الثقة بها ، او فهم ماذا تريد، او ماذا تعني ؛ أو ماذا تقول ، او ماذا تستطيع ، او ماذا تنوي ، او ماذا تفهم ــ او ماذا يمكن ان تعطي او تفيد الآلهة التي دبرتها واوجدتها ان وجدت هذه الآلهة ــ او ماذا تعطي او تفيد نفسها لانها قد وجدت . انه لن يستطيع ان يفهم أي شيء معقول أو محترم او مدبر او مراد مقصود في هذه الكائنات التي يسمع منها ويقرأ لها . انه لن يستطيع أن يفسرها او يضبطها بأي مقياس من مقاييسه ولا بأي منطق .

انه سيجد قيماً يقرأ ويسمع كل شيء ونقيضه . سيجد الامتداح لكل شيء والذم لكل شيء . سيجد الامتداح للشيء الواحد والذم له في وقت واحد أو في أوقات مختلفة ؛ من مكان واحد او من اماكن متعددة ؛من فم وعقل واحد أو من عقول وافواه متعددة مركبة في كائن واحد .

انه سيجد الايمان بكل شيء والجحود بكل شيء والرفض لكل شيء . سيجد ان الشيء الواحد يقع عليه الايمان ويقع عليه الكفر في اوقات مختلفة او في وقت واحد ؛ من مؤمن وكافر واحد او من مؤمن

وكافر آخر ـ من كافر مؤمن ؟ او من كافر ومؤمن ، من كافر هو المؤمن،او من كافر هو الكافر ، او من كافر هو المؤمن بشيء آخر ـ بنفس الحماس والاقتناع ، وبنفس الاعلان والافتضاح والغرور والتحدي والدعوة الى المبارزة .

انه سيجد الشيء الواحد ، سيجد الاله او النبي او العلم الواحد ، سيجد الدين الواحد او المذهب الواحد او التفكير الواحد او المنطق الواحد او النظام الواحد او التاريخ الواحد او الوضع الواحد او المستوى الواحد او القائد الواحد او الرجل الواحد .

ـ سيجد الشيء الواحد حقا وباطلا ، صدقا وكذبا ، ذكاء وغباء ، جمالا ودمامة ، عدلا وظلما ، شرفا ونذالة ، شجاعة وجبنا ، قوة وضعفا ، تقدما وتأخرا ، تلوثا ونظافة .

انه سيجد ان كل شيء هو نفسه ونقيض نفسه، هو الشيء والخروج على الشيء ، هو التفسير والتفسير الاخر ، هو الفكرة ومقاومتها ، هو الفكرة والفكرة الاخرى ، هو المعبد والمنهى ، هو النظافة والتلوث،هو الايمان والنفاق ، هو البطولة والاجرام ـ هو الشيء وعكسه، هو الشيء ومعاداته، في زمان واحد او في زمانين ، في مكان واحد او في مكانين ، في لسان واحد او في لسانين ؛ في دين واحد او في دينين ؛ في تعاليم نبي واحد او في تعاليم كل الانبياء ، في مشيئة وشهوة اله واحد او في مشيئة وشهوة كل الالهة ، في لغة واحدة او في كل اللغات .

انه سيجد ان الحق هو الباطل وان الباطل هو الحق ، وان الذكاء هو الغباء وان الغباء هو الذكاء،وان المنطق هو الخروج على المنطق وان الخروج على المنطق هو المنطق ، وان العدل والصدق والتطهر هو نفس الظلم والكذب والتلوث ، وان التلوث والظلم والكذب هو نفس العدل والصدق والطهارة.

انه سيجد ان النبي هو الدجال وان الدجال هو النبي . وسيجد ان البطل هو المهرج وان المهرج هو البطل . وسيجد ان الذي يوصف بهذا هو الذي يوصف بهذا ، وان الذي يهتف بحياته وله هو الذي يهتف بموته وضده ، وان الذي يمجد ويصلي له في هذا المعبد او في هذا الدين او المذهب هو الذي يحتقر ويكفر به في الاديان والمذاهب والمعابد الاخرى .

انه سيجد كل شيء يتحول الى نقيضه فيما يسمع ويقرأ ؛ انه لن يعرف اي النقيضين هو المعتدي وايهما المعتدى عليه ، ايهما الله وايهما الشيطان.

انه لن يجد فيما سوف يسمع ويقرأ شيئا واحدا يمكن ان يعهمه او يميزه او يختاره او يراه الافضل او الاصدق او الاذكى او الاكثر تهذيبا او تقى ، او الاشرف اتباعا ودعاة .

انه لن يجد الها او نبيا او معلما او دينا او مذهبا او منطقا او عنيان او ادعاء او حقدا او طموحا او عدوانا او غباء او جنونا واحدا بلا نقيض او مخالف او منافس او مزاحم او مشاتم ؛ له نفس الدعاوى والكبرياء والبذاءات والضجيج والاسلحة والمبشرين والمقاتلين والاتباع العدوانيين ؛ له كل شهود الزور ومتابر الزور وكل ادوات الفتك والتآفه والتضليل والافساد ؛ له نفس الدعاية بكل فحشها واكاذيبها وغواياتها وتكاليفها ؛ له كل ظروف النقيض وشرعيته واحتمالاته ؛ له كل ذكائه وغبائه ؛ له كل اقتناعه بنفسه وبذكائه وتبائه ؛ له كل ما له من هتافين ومؤمنين متساوين في الغباء والهوان .

انه لن يجد فيما سوف يسمع ويقرأ الها ليس امامه عديد الالهة تنافسه وتعاديه وتقاتله وتشاتمه وتكذبه وتطعن في طهارته وفي اخلاقه وفي نبائه ، وتكيد له ، وتحاول ان تأخذ منه دون ان تسطو عليه دون اغتياله وان تشهر به — ليفعل هو بها نفس ما تفعل او اكثر ان استطاع . انه لن يجد الها لا يتبادل الشتائم والاحقاد والاتهامات والعداوات والمخاصمات والحروب مع منافسين واعداء آخرين دون اي تهذيب او وقار او عدل او ذكاء او شرف .

انه لن يجد مذهبا او نظاما او دينا لا تقف في مواجهته اديان ومذاهب ونظم أخرى موقف القتال والحسد والغيرة والعداوة والعدوان والتجريح والتشهير والتهديد والتربص والتضليل والمقاطعة والمطاولة ، وتدعي لنفسها من الصدق والخلود والذكاء والنزاهة والنظافة والتقوى مثلما يدعي لنفسه او اكثر مما يدعي ، وتحاول ان تحشد في معابدها وتحت اقدامها وفي معتقلاتها العقلية والنفسية والارهابية كل كائن وكل ما ليس كائنا بلا اي مقدار من الصدق او الورع او النيل — ليفعل هو نفس الاشياء التي تفعل بنفس الجنون والوقاحة والشهوة العدوانية والافتراسية ،

وبنفس الافتضاح والضجيج والرغبة في الالقاء بكل الملابس الداخلية والخارجية ، ملابس التجميل والزينة وملابس الاحتشام والاستتار ، ملابس الخداع وملابس المقاومة لواتاحات العورة ، ملابس الحلاة وملابس الحمام ، ملابس الميدان وملابس النوم والمخدع .

انه فيما سوف يسمع ويقرأ لن يجد قائدا او نبيا او معلما واحدا او حتى كاتبا او مفكرا او شاعرا ، او حتى كاهنا او واعظا واحدا لا يخوض كل المعارك في ارض كلها اوحال وذنوب وحشرات ووحوش ضد اتحاد وامثال لهم نفس الحواتز والغايات والنيات والمستويات والصفات .

انه سيجد فيما سوف يسمع ويقرأ آلهة ونبوات واديانا ومذاهب وانظما وزعامات وقيادات وجيوشا وحدودا وتجمعات واحلافا واحقادا وعداوات وبغضاء ومتاير ولغات وهموما وهزائم ومجاعات وشهوات وذنوبا ومطامع تتصارع وتتلاعن وتتعادى وتتقاذف بكل الاتهامات والبذاءات والبغضاء، وبكل اساليب التعبير واشكاله ، وبكل معاني الحقد والتطاول والعدوان ، وبكل نيات الغدر والخداع والتدمير — بنفس المنطق والحجة والادعاء والحافز والاسباب ، وبنفس الانسان والتقوى والغيرة والصدق والحب للجمال والذكاء والعدل .

انه سيجد كونا من الجنون - من كل معاني الجنون وتفاسيره ومستوياته .

ان الاسباب التي يجب ان يكون بها هذا مقبولا ومعزوما ومنفيا ومرفوضا ومذموما هي نفس الاسباب التي يجب ان يكون بها قائلا وهازما وناقيا ورافضا وذاما . ان الاسباب التي تدعوك نبيا ، التي تدعي تلك النبوة هي نفس الاسباب التي تدعوك شيطانا ، التي تحولك الى شيطان . ان الاسباب التي تجعل منك قديسا وزعيما عظيما هي نفس الاسباب التي تجعل منك مشعوذا ومجرما يعاقبه القانون .

انه سيجد فيما يقرأ ويسمع ان الاسباب التي تجعلك تملك هذا الكون أو التي تهبك المنطق والقدرة على امتلاكه او على ادعاء امتلاكه والمطالبة بامتلاكه هي نفس الاسباب التي تنفيك من هذا الكون وتعطي خصومك المنطق الذي يطالب بنفيك من الكون ، وتعطيهم القدرة على ان ينفوك .

انه سترهق خياله مستويات الضعف والاعياء والخوف والضياع والجوع والتفاهة والبلادة التي سوف تكتشفها في البشر حينما يقرأ ويسمع منهم لهم . انه سيكتشف بارتياع اضعف المستويات حتى فيما يبدو انه اقوى المستويات ، او انه التعبير عن اقوى المستويات . ان تلك المستويات التي حسبت اقوى المستويات وتحدث عنها على انها اقوى المستويات ستعصف بخياله ، ستتحول الى عقاب لخياله .

انه سيجد كل الضعف والتفاهة والغباء فيما يبدو او يظن انه كل العظمة والقوة والامية الذهنية . انه سيسمع ويقرأ عن المواقف الشجاعة والنبيلة والمجيدة والنظيفة والمهذبة والذكية والفادية والواهبة كل ضروب الممرات لنجد فيها التعبير الفادح ، الفادح جداً ، عن التقيض عن النقيض جدا . انه سيجد هذا التقيض ، هذا النقيض جدا ، في مذاق الكلمات وفي صوتها وفي حشرجتها وفي كبريائها ، وفي بذاءتها ، وفي انانيتها ، وفي عدوانيتها ، وفي جراتها وفي تناقضها وفي غبائها .

انه سيجد اردأ مستويات الضعف في اعلى مستويات التعبير عن اعلى مستويات القوة . سيجد ان اقوى اساليب التعبير عما يراد فهمه وتصديقه هي اقوى اساليب التعبير عما لا يراد فهمه ولا تصديقه، عما يراد اخفاؤه وانكاره .

انه سيجد اردأ المواقف واضعفها معبرة بابلغ الكلمات عن انبل واقوى المواقف . انه سيجد كل الدمامة مخبوءة بغباء حيث يجد الحديث عن كل الجمال . انه سيجد الاعلان عن الدمامة كلما وجد الاعلان عن الجمال . انه سيجد الافتضاح حيث يراد الاستتار انه سيجد كل القبح حيث يوجد كل الملابس .

انه سيكتشف ما في نفوس البشر من انحطاط وقبح وفحش ونوث وصغائر حينما يسمع ويقرأ ما يقولون ويكتبون من اساليب الثناء عليها ومن اساليب التحدث اليها ، وحينما يقرأ ويسمع اوصافهم لانفسهم واساليب الامتداح لها ، وحينما يسمع ويقرأ ما يقولون وما يكتبون عن الآخرين والى الآخرين ، وكيف يصفونهم وكيف يرثون لهم وكيف يشعرون ازاءهم وكيف تتعامل افكارهم وعواطفهم وكلماتهم معهم .

انه سيكتشف كل معاني الفحش والقبح والضعف في البشر حينما

يسمعهم ويقرؤهم وهم يتحدون ويبارزون ويفاخرون ويتهددون ويوعدون ويتلاعنون ويتجادلون ويدعون بكل ما في الوحش والحيوان والحشرة من بذاءة ووقاحة وسخيم وجلافة وبلادة وافتراس ، وبكل ما ليس في الحشرة والوحش والحيوان من حقد وبغضاء وكبرياء وكذب وتنافس وتفاني ودمامات اخرى .

وهل يتصور الكائن الفلكي ان كائنا ما قد تعدى او يبارز او تفاخر او يتوعد او يهدد او يجادل او يلاعن كائنا اخر ـ هل يمكن ان يتصور ذلك او يتقبله ؟ هل يمكن ان يتصور فحشا او بذاءة او جنونا او تفاهة او بلادة او دمامة من ذلك ؟ هل يمكن ان نتصور [illegible] من تشاتمون ان كائنا ما قد شتمه كائنا آخر او توعده او تحداه او تفحش عليه او بدعوه للمبارزة .

كيف يمكن ان نفهم الكائن الفلكي كائنات تتشاتم وتتعادى وتتفاخر وتتحاقد وتتحاسد وتتباغض وتتقاتل بالارباب والانبياء والاوطان والمذاهب والنظم والتاريخ والافكار والاخلاق بكل هذا الفحش والبذاءة والوحشية والدناءة والعداوة التي سوف يجدها ويصدم بها حتما يسمع ويقرأ مما يقوله وما كتبه ويكتبه البشر ـ كيف يمكن ان نفهم هذه الكائنات ، كيف يمكن ان نفهم ونتصور تماذجها ومستوياتها ـ كيف ؟

كيف يمكن ان يتصور الكائن الفلكي كائنات منقسمة الى جماعات ، كل جماعة ، واحيانا كل فرد ، تعادي كل الجماعات الاخرى وتشاتمها وتحتقرها وتكرهها وتهددها وتتمنى لها الدمار والشقاء والهوان ، وتنتظر ـ بالكلمات وبالتفكير وبكل اساليب الدعابة ـ لها كل ذلك ، زاعمة انها لا بد ان تصنع لها هذا الذي تنتظر ـ لانها مقتنعة ـ وتعلن اقتناعها هذا ـ بأن الهها او دينها او مذهبها او نظامها او نبيها او زعيمها او معلمها او وطنها او تفكيرها او موقفها هو الاصدق والافضل والاذكى والاقوى والاخلد ـ او بانه هو وحده الصادق والفاضل والذكي والقوي والخالد ، وزاعمة ومصدقة بأن الهها او نبيها او زعيمها او مذهبها او نظامها او وطنها يريد منها ذلك او امرها به ؟

كيف يمكن ان نفهم الكائن الفلكي مثل هذه الكائنات ـ كيف يمكن ان نفهم او نتصور تماذجها ومستوياتها ؟

هل يفترض حينئذ كل هؤلاء الذين يسمع ويقرأ لهم عقلاء وأذكياء وصادقين ومخلصين ومحترمين ؟

واذن كيف يتصامون هكذا ، وكيف يرى بعضهم بعضا ، ويحكم بعضهم على بعض هكذا ؟ كيف ؟

كيف يكون الشيء ونقيضه شيئا واحدا ؟
اذن هل يفترضهم عقلاء ومحايدين ، طيبين وانذالا ، صادقين وكاذبين؟

ولكن ايهم هؤلاء وايهم هؤلاء ؟ ما المعايير ، ما الدليل ، ما هي اسباب الاقناع ؟

اذن هل يفترضهم جميعا مجانين واغبياء وكاذبين ومزورين وادعياء واهل سوء ؟

واذن اين من ليسوا كذلك ؟ الا يوجد اسلوب اخر من الكائنات ؟

ولعل ذلك الكائن يذهب حينئذ يدير حوارا حادا وصادقا على ذهنه، لعله حينئذ سيقول لذهنه ، او يقول له ذهنه ، او يقول امامه ذهنه ، او يقول ذهنه امامه : اذا كان بعضهم هو وحده الصادق والعاقل والذكي والمخلص والمدرك والقابض على الصواب فلماذا لا يعلم الآخرون ، ولماذا لا يسلمون له ، ولماذا لا يسيرون معه .

ولماذا لا يفهمون كما فهم ؟ هل هم اغبياء ؟ هل هم فاسدون ؟ هل هم اغبياء وفاسدون ؟

ولماذا خص ذلك الفريق وحده من بين الصادق الذكي العاقل العالم المالك المنطق والصواب ؟ ومن خصه بذلك ؟ وما هي الاسباب الاخلاقية او الفنية او الاضطرارية في تخصيصه بذلك ؟

وكيف علم ذلك الفريق انه كذلك ، اي كيف علم انه هو وحده المخصوص بالصدق والذكاء والعقل والادراك وبالامتلاك للمنطق والصواب؟ كيف علم ، كيف علم انه قد علم ؟

انه لموقف صعب أن يعلم من نفسه انه قد تعلم وان يقتنع من اقتنع باقتناعه .

. أليس كل الآخرين المجانين الاغبياء الكاذبين المخطئين المطرودين من كل حدود المنطق والصواب يحسبون - بل يعلمون - بل يعلنون انهم هم وحدهم العقلاء الاذكياء الصادقون المصيبون المالكون لكل احتمالات الحق والخير والذكاء ؟ اذن كل يظن انه هو الله . اذن كيف يعلم الله انه هو الله صدقا لا انخداعا ؟

اذن كيف يقتنع من هو الله جميعه بانه هو الله ؟ كيف يطمئن الى ذلك ؟ كيف يثق باقتناعه ؟ كيف يعرف ان اقتناعه يعني انه كذلك ؟ كيف لا يقدر انه قد يخطىء في اقتناعه ؟ بل كيف لا يقتنع بانه مخطىء في اقتناعه مثلما اخطأ الآخرون في اقتناعهم ؟ ان كل مقتنع مقتنع باقتناعه حتى السيد المخطئ جدا ؟ اذن كيف نقتنع باقتناعنا ؟ وكيف يقتنع الله باقتناعه انه الله ؟

ان اولئك الآخرين مخطئون ومجانين و غبياء وكاذبون مسرورون . وهم مع ذلك مقتنعون بانهم ليسوا كذلك . بل انهم مقتنعون بانهم عكس ذلك .

كيف يقتنع المصيب بانه مصيب حيث لا دليل على انه مصيب سوى اقتناعه ؟ ان غير المصيب مقتنع ايضا بانه مصيب مثل اقتناع المصيب حقيقة اذا كان يوجد مصيب حقيقة . كيف يكون اقتناع هذا دليلا او كافيا ؟ او اقتناع ذاك ليس دليلا ولا كافيا ؟ كيف يمكن فهم الحقيقة المختبئة وراء الاقتناعين ؟ ما الفرق بين الاقتناعين ؟ واذا كان يوجد بينهما فرق او فروق فكيف تعلم ؟ وكيف يثق الكائن بعلمه مع ان الكائن الآخر الذي لا علم لديه يعلم ايضا لانهم كلهم يعلمون ،وقد يعلمون بدرجةمتساوية. وقد يعلم الذين لا يعلمون اكثر واصدق واعمق مما يعلم الذين يعلمون ؟ انهم جميعا يعلمون . اذن من هو الذي لا يعلمون . انهم جميعا يملكون الله .

اذن من هم الذين يملكون الشيطان ؟ انهم جميعا صادقون . اذن من هو هذا الذي يتهمونه بالكذب ؟

وسوف يدير أيضا ذلك الكائن الفلكي حوارا اخر صادقا وحادا مع ذهنه . سيقول كيف يكون من العدل و من الرحمة او من الاخلاق ـ على اي مستوى من مستويات الاخلاق ـ كيف يكون من العدل او من الرحمة او من الاخلاق ان يخص ذلك الفريق وحده بامتلاك الصواب والذكاء والعلم والتهذيب ؟ كيف يخص بان يكون وحده هو الله ؟ كيف يقبل هو هذا التخصيص ؟ وكيف يتعامل به وعليه ؟ وكيف يفترضه ، او يقبل افتراضه ؟ كيف نقبل ذلك اخلاقه أو مشاعره و منطقه أو تدينه ـ كيف، كيف ؟

انه قد يعجز ذلك الكائن الفلكي عن تفهم ذلك ، عن تفهم شيء منه . اننا نتقبل اشياء كثيرة لاننا قد مارسناها طويلا ،لانت قد مارستها بعيوننا واذاننا ومشاعرنا ومعارفنا وروايتنا وبتعاليمنا طويلا ، طويلا ، وبقسوة وشعور . انه لولا ذلك لصرخنا ولضعفنا امام اشياء كثيرة نراها ، بل ونمارسها بل ونحياها ، بل ونعيد بها ولها وامامها ثم نذهب نشكر المحسنين الواهبين الطيبين ، ثم نذهب نحدث بتدين عن جمال الاشياء وعن نبل الاشياء وعن رحمة الاشياء وعن عدل وحكمة واهب الاشياء .

ان ذلك الكائن الفلكي لم يمارس الاشياء التي نمارسها نحن ، وانهم يمارسنا نحن ، لم يمارس لغاتنا وافكارنا ومذاهبنا ومنطقنا وسلوكنا واحقادنا وتعاديدنا وادعاءاتنا وتفاخراتنا واقتناعاتنا وانانياتنا ، انه لم يمارسها باية وسيلة من وسائل الممارسات حتى ولا بعينيه ولا باذنيه حتى ولا بخياله او تصوره .

اذن كيف يستطيع ان يتقبلنا او يتقبل الاشياء التي نتقبلها نحن بانبهار وافتخار وتعبد ؟ اننا نحن لم نتقبل الاشياء التي نتقبل ، ولم نتقبل انفسنا بكل ثباتها وتعبيراتها ومستوياتها ونقائصها الرهيبة الا بالممارسات الطويلة التي تحول الفضائح والدمامات والآلام الى امجاد وديانات ومذاهب ، والى اخلاق وتعاليم انبياء ، والى عطايا ومواهب آلهة . ان الممارسة الطويلة قتل لطاقات الاحتجاج والرفض والاستقباح .

ولا بد اخيرا ان يحاور ذلك الكائن الفلكي نفسه محاورة اخرى . انه لا بد ان يقول :

وذلك الفريق الذي خص بان يكون هو وحده العاقل الذي أحسن المحلص الذاهم المالك لكن الحق والعدالة والعقل والصدق — لو انه لم يحص بذلك ، لو انه عاش الجنون والغباء والكذب والهوى والضلال الذي يعيشه الاخرون ، الذي يعيشه مناقضوه ومخالفوه ، ليس من المحرم حينئذ ان يضع بين ما عنده هو ما عندهم ، هو ما ليس عنده مما عند الآخرين الذين يفقدون ثم يفقدون انهم يفقدون ، ثم يصعدون انهم يفقدون ما يفقدون ، بل ثم يصعدون انهم هم وحدهم الذين يملكون ، هل يوجد ، هل وجد من لا يعتقدون انهم هم الذين يملكون الصواب أو ان الاخرين لا يملكون الصواب اكثر من امتلاكهم له ، او دونهم أو مثل امتلاكهم له ؟

واذا كان الامر كذلك ، أو وجب ان الامر لا بد ان يكون كذلك ، ليس يعلم عدا ذلك الفريق ، ان لم يكن يعلمه فقد لا يعلمه ، وان يكن يعلمه فليس لا يتواضع ، ليس يتحول فروره في كل هذه المقامات والوقاحات والبلادات ، انه قد اخذ ما عنده بالاسلوب الذي قد يأخذ به نقيضه ، بالاسلوب الذي اخذ به الاخرون النقيض ، وانه لمستعد دائما ان يأخذ النقيض كما اخذ ما عنده ، كما اخذ الاخرون النقيض ، انه لم يأخذ شيئا احد اعدائه او خصومه غيره او نقيضه لان له مزية من اي نوع ، لان له مزية أو تفوقا عليهم ، اي على خصومه واعدائه ، انه لم يأخذ بالمزية كما لم يأخذوا هم بالمزية او بعدم المزية .

انه لم يأخذ ما عنده ، لقد سعط عليه ما عنده ، او وجده ، او حافظ على ما عنده وان خصومه واعداءه لم يأخذوا ما عندهم ، لقد حافظوا على ما عندهم او وجدوه ، او وضع لهم ، او وضع فيهم ، او وضعوا له ، كما وضع هو فيما عنده او وضع له او وضع فيه .

انه لم يأخذ او يختر كما لم يأخذوا هم او يختاروا ، انه ليس في المسألة مزية من اي نوع ولا عدم المزية ، ان الاذكياء والمالكين للاله الطيب القوي لم يصنعوا ذكاءهم او يختاروه ، ولم يصنعوا صفات آلهتهم او يختاروها ، لقد وضع فيهم ذلك ، او وضعوا هم فيه ، لقد اخذوا ولم يصنعوا .

ان من يعطي وياخذ يجب ان يعتذر الى من لم يعط ولم يأخذ ، انه يجب أن يطلب منه الغفران ، وان يدفع له التعويض ، وانه لشيء هو كل

اللوم والعدوان والوفاحة ن يتقاول من يعطي ويأخذ على من لم يعط ولم يأخذ . أن من يعطي الحقيقة والصواب والذكاء والعمل والنظام العادل والحياة الجيدة المتقدمة المعروض عليه ان يتحول الى قوى واصدقاء اعتذار واستعفار وسلاة ومحبة ولو ضح فيه كل معاني التعويض لن لم يعط شيئا من ذلك ، او لن اعطي ازدا تعيض ذلك .

ان من اعطي الصواب والحقيقة والعقل لواجب عليه الاعتذار الى من اعطي الخطأ والخرافة والكذب والعبد والجنون اكثر مما يجب على من اعطي المزايا الاجتماعية والمادية والتاريخية أن يعتذر الى من لم يعط ذلك . وان يشعر بالذنب تجاه لانه ظالم له وعدوان عليه ولو بالشعور . ان من يعطي هو دائما عدوان على من لم يعط . ان الاعطاء في جانب واحد ذنب، ذنب يستحق الكفارة .

ان الجميلة ليجب ان تعاني من الشعور بالذنب ازاء الدميمة وان تتوب اليها وتصغي تحت قدميها بضراعة فيها كل معاني الدموع والاسى اكثر مما يجب ان يعاني السارق أو القاتل او الشاتم او الظالم من الشعور بالذنب ازاء المقتول او المسروق او المشتوم او المظلوم — واكثر مما يجب ان يتوب اليه وان يذرف الدموع بين يديه .

ان الجميلة امام الدميمة قاتلة وشاتمة وسارقة : فاذا وخزتها او تحدثت عن جمالها امامها اصبحت اكثر من ذلك .

ان من ملك الصواب والحق والصدق والذكاء والنظام العادل والحياة الجيدة المتطورة ثم ذهب يعير ويشتم ويحقر ويفاخر ويتحدى من حرم من كل ذلك لهو يشبه من ملك الجمال والصحة ثم ذهب يعير ويشاتم ويحقر ويفاخر المرضى والمصابين بالدمامات والعاهات . انه همجيـــة وبلادة وعدوان ، انه اكثر من ذلك ، انه اكثر .

ان من يفعل ذلك ليس اقل ظلما وهمجية وبلادة من طفـــل يذهب — لانه مالك كلا ابويه — يعير ويحقر ويتحدى ويفاخر طفلا اخر لانه فاقـد لكلا ابويه . ان ذلك اسلوب من اساليب التعيير اليتيم ؛ يوجهه اليه غـير اليتيم . ان ظلم الطبيعة وتمييزها الانسان على انسان ليصنع الالم والمرارة والغضب والاشمئزاز ويوجب الاعتذار والاستغفار مثلما يصنع ذلك ظلم

المجتمع او النظام او المذهب او الانسان .

* *

ان ذلك الكائن الغيبي سيجد فيما سوف يسمع ويقرأ كيف يصف البشر اربابهم وانبياءهم وقديسيهم وابطالهم ونماذجهم الاخلاقية والعقلية، وكيف يتحدثون عنهم وكيف يروون اوصافهم . وكيف يرددون عنهم وصفهم هم لانفسهم فيما ينقلون ويحفظون من كلامهم ومن كتبهم المقدسة . أواه . هل يمكن ان يوجد من يستطيع ان يستمع الى ما يقوله الارباب والانبياء والقديسون والابطال في وصفهم لانفسهم . فيما وضع على الستهم !

انه سيجد انهم يضعون على السنة اربابهم وانبيائهم وقديسيهم ومعلميهم وابطالهم كلاما ليصفوا ويمدحوا به انفسهم هو الغباء والهجاء ، هو كل الغباء والهجاء ، كما انه سيجد البشر يمدحون هؤلاء الارباب والانبياء والقديسين والمعلمين والابطال بما هو اردأ الهجاء ، ويصفونهم بصفات هي اردأ صفات آدم . انهم يرددون عنهم صفاتهم ويتصورون صفاتهم وكأنهم انما يريدون ان يبالغوا جدا في هجوهم لهم .

انه سيجد انهم يصنعون اوصافهم وينقلون عنهم من كلامهم المنسوب اوصافهم التي اختاروها ووضعوها لانفسهم واعدوا العقاب لمن ينكرونها عليهم او لا يستطيعون الايمان او الاقتناع بها ، وانهم ليمجدونهم ويصلون لهم بهذه الاوصاف ؛ برواياتها عنهم لهم وباختراعها وتصورها وبالصلاة والتعبد بها ؛ بتحويلها الى كتب مقدسة ؛ بجمعها من كلامهم في تمجيدهم لانفسهم .

انه سيجد انهم يصفون اربابهم وانبياءهم وابطالهم بصفات قد اخترعوها وتصوروها ونمقوها لهم ورووها عنهم في كلامهم المروي وفي كتبهم المقدسة ـ بصفات هي اضعف الصفات، هي أغوى الهجاء والسباب، هي ابلغ صفات الذم والتحقير لمن يبحث عن ابلغ صفات التحقير والذم لكي يلقي بها على احقر عدو ذميم لئيم . انه سيجدهم يصفون هؤلاء الآلهة والانبياء والقديسين والمعلمين والابطال الذين تصوروهم كأعلى النماذج لاعمالهم وطموحهم العقلي والاخلاقي والنفسي ـ انه سيجدهم يصفون هؤلاء ـ رواية عنهم وتصوراً مختاراً ومتمنى لهم ـ بصفوهم بشر الصفات

انهم يصفونهم بالحقد والحسد والانانية والغيرة والمنافسة وبالغضب وبالرغبة في الانتقام وفي الانتصار على الاخرين والمماثلين وفي الاذلال لهم .

انهم يصفونهم بالجبروت والطغيان وبالبحث عن التفرد بالقوة والوحدانية والكمال . انهم يصفونهم بالجوع ، بكل معاني الجوع واساليبه ومستوياته وتراثه وتاريخه وجنونه .

انهم يصفونهم باليدايات والمخاصمات والكتامات ، وبمشاعر الاثر ومشاعر الاحد به . انهم يصفونهم بالقسوة بلا حدود ، وبالبغض بلا حدود ، وبالوحشية بلا حدود ، وبالحماقة بلا حدود ، بل وبالغباء بلا حدود ، وبالسفه بلا حدود ، وبكل معاني وأساليب الموت النفسي والعقلي والفكري والعاطفي بلا حدود — بل ويصفونهم بالكيد والخبث والخداع والتآمر ، بل وبالغدر والكذب ، بل انه سيجد في وصفهم لهم انهم يثيرون الحروب ، ويحرضون عليها ، بل ويصرون بها ، ويوجبونها ويباركونها ويشجعون اسبابها ويجيزون سببها ، ويعاقبون على رفضها وعلى الدعوة ضدها ، انه سيجدهم يقتلون ويعذبون ويشوهون ويسحقون ، ويحتفون الاحزان والفاجعات لمخالفيهم ، بل ويمرون بكل ذلك ويباركونه ويدعون اليه ويرونه قوى ومرية ومحبة موهوبة سخية ، بل ويعاقبون عقابا متعمدا ، عقابا يتعدى العامل لسبب العقوبة الى سواه ، الى كثيرين سواه ، واحيانا الى كل من سواه . انه سيجدهم في وصفهم لهم يرسمون موجتين يتبارون في صناعة الموت والعذاب والاحزان والحروب والتشوهات .

انه سيجدهم يصفونهم — بأسلوب وارادة الامتداح والتمجيد لهم — بكل مستويات ومعاني الضعف والغباء والوحشية والهمجية والتخلف والعجز والضياع والحماقة والافتضاح والدمامة والتشوه . ان العقاب وارادته والقدرة عليه هي اسمى صفاتهم واخلاقهم فيما يرددون عنهم وفيما يتصورون لهم من صفات الثمن .

انه سيجدهم يصفونهم — رواية عنهم في وصفهم لانفسهم وابتكارا مختارا لاوصافهم المتعمدة لهم — انه سيجدهم يصفونهم فيما وضعوا على استهامهم وفيما تصوروا لهم باوصاف لو انهم ارادوا ان يبحثوا عن اقبح اوصاف الذم والتحقير والهجاء لما وجدوا اقوى منها ، أو مثلها ، او سواها . كل وعائي وعقلي

عليكم ايها الارباب والانبياء والمعلمون والابطال جميع سفاسفكم وفضيحة اخلاقكم .

انه سيسمع البشر حينما يصرون ويعجلون ويتمجدون ويتحدثون بكلام آلهتهم وانبيائهم ومعلميهم ومعبوديهم وابطالهم الذي يصفون بها انفسهم . والذي يعلنون ويكشفون به عن مسلوبهم الاخلاقية والنفسية والمطلقة . وعما يريدون ويتمنون ان يعرفوا ويروا به . وعما يريدون ويتمنون ان يكونوه . وعما يتصورونه ويرونه من المجد والذكاء والقوة والتفرد بالمزايا .

انهم يلمحون انفسهم ويعرفون حسن ضعفهم الرهيب . ان نفوسهم للمزايا يعلن عن مستوى مزاياهم .

انه سيسمع — على السمة البشر ورواياتهم — كيف يتحدث هؤلاء الآلهة والانبياء والمعلمون والابطال والقدة والزعماء . كيف يمارسون الكلام واللغات المختلفة . وكيف يخاطبون اندادهم وخصومهم واعداءهم . وكيف يخاطبون انصارهم ورعاياهم وعبيدهم . وكيف يخاطبون آلهتهم . وكيف يخاطبون انفسهم والامهم ومسائلهم وهمومهم وحيرتهم واوهامهم ومجاعاتهم . وكيف يخاطبون الكلام الذي به يخاطبون . انه سيسمع كيف يخاضون الكلام وكيف يتخاطبون بالكلام . كيف يخاطبون انفسهم وكيف يخاطبون اشباحهم وتصوراتهم واماليهم ومخاوفهم الرهيبة .

ولكنه .. يا ويلتاه . ما اقبح مخاطبة هؤلاء بكلمه ومخاطبتهم بها . ما افظع تشويههم للكلمة وتشويهم بها .

انه لتعذيب لا رحمة فيه لاي كائن لا يعيش هنا ان يسمع كيف يتكلم آلهة البشر وانبيارهم ومعلموهم وقادتهم وزعماؤهم وابطالهم . انه لتعذيب لا رحمة فيه لاي كائن لم يعش معنا هنا ان يسمع كيف يتكلم هؤلاء كيف يعرقون ضعفهم وتفاهتهم وعذابهم من خلال الكلام . لقد كانت الكلمة في كل التاريخ من اشهر وسائل التمرض لضعف الآلهة والانبياء والزعماء .

وانه لتعذيب اكثر وحشية وابعد عن الرحمة ان يعلم او يسمع هذا الكائن ان هؤلاء الذين يسمعهم يتكلمون — اي بالرواية عنهم — هم الآلهة

والانبياء والقديسون والقادة والزعماء والابطال . وانه لا بد صادقة لمديه ان يعم ان هذا الكلام الذي يسمعه كلام يفاخر به هؤلاء الاتقياء والانبياء والقديسون والزعماء والقادة والابطال . ويفاخر به امم عبيدهم ورعاياهم و اتباعهم وانصارهم ومن المؤمنين والخاشعين بهم من مفكرين وعلماء وشعراء وفلاسفة وصديقين ووعاظ واصحاب الاهوت — ان يفاخر به امم كل ذكاء الانسان وكل عبقريته وكل ما فيه من كبرياء ورفض .

انه لشيء لا يحتمل تروعه الاستماع الى كلام ارباب البشر وانبيائهم ومعلميهم وقديسيهم وقادتهم وابطالهم وزعمائهم — الاستماع الى كلامهم الذي تصلى به المحاريب وتخطب به المنابر . ويهتف به الاسواق . وتعلمه المعاهد . ويحفظ به الوعاظ . ويتشبع به الرجل زوجته وابناءه . ويفرض عليهم ان يحفظوه . انه لشيء فوق الطاقة ان تستمع الى ذلك . ان الاستماع اليه . ان الاستماع اليه فقط . مجرد الاستماع . لشيء فاجع . لشيء فوق التحمل . انه لشيء فوق ان يتحمله اي كائن لا يمس ممن هنا ليمارس كل ما تمارس من غباوات واهانات ومن مستويات : عالم التوافه والاتفاع .

اما نحن البشر فاننا نتعبن ذلك . بل ونسجد وبهاهي به . بل ونهتف له . بل ونصلي ونتعبد به ، لاننا رجدنا فيه ، ولانه يساوي نموذجنا . لانه يساوي كل نماذجنا ، بل لانه هو نماذجنا . لقد صنعنا ذلك وتصورناه . لقد رأيناه هو النموذج الاسمى . فاردنا ان نمدح به آلهتنا وانبياءنا وزعماءنا وقادتنا وابطالنا وكل قديسينا وكل من تشاهم واختار تصورهم وتصور نماذجهم . لقد وضعنا نماذج هؤلاء في مقاسات امانينا وتصوراتنا وذكرياتنا وطموحنا الانساني . ان امانينا الانسانية وتصوراته تفسر لسموه ولاخلاقه انها جزء منها وحكم لها او عليها .

ان مقاييس الانسان وتصوراته لا يمكن ولا يحتمل ان تكون معروضة عن مستوياته .

وهل يمكن ان نمجد بالدمامة او الرداءة التي نتصورها النموذج الاعلى ؟ هل يمكن ان تروعنا الرداءة او الدمامة التي نشاهدها والتي تختارها والتي تضعها كاضخم امانينا واشواقنا التي لا حدود لطموحها ؟ هل يمكن ان ننكر القبح او السوء او الظلم او الغباء او التخلف او حتى

الجنون الذي يجيء على مقاس ذكائنا وتصورنا وشهواتنا وطموحنا وامانينا واحتياجنا ورؤيتنا وتجاربنا ، وعلى مقاس كل مستوياتنا النفسية والعقلية والاخلاقية ؟ ان الغباء والاثم والخطأ والعدوان هو ما خرج على مقاسات احتياجاتنا وقدراتنا وتصورنا وذكائنا ، وليس هو ما خرج على مقاسات الشمس او على ذكائها او على اخلاقها او على احتياجاتها .

لقد تقبلنا بسهولة روحية وهضمت اخلاقنا وعقولنا ان يكون هذا الكلام الذي نحفظه ونقرؤه ونصلي ونسجد به هو كلام اربابنا وانبيائنا ومعلمينا وقديسينا وقادتنا وابطالنا وكل نماذجنا العقلية والاخلاقية لانها قد وجدنا فيه ، ولانا نحن الذين تصورناه وتمنيناه ووصفناه ورايته مذهبا اشواقنا بالتصور والقدرة والامل .

ماذا لو ان انسانا ما استطاع ان يرفع فوق نماذجه ومعاييره ، ليستمع الى هذا الكلام الذي نقرؤه ونصلي به ونهتف له ونعلمه ونحفظه ونرفعه الى آلهتنا وانبيائنا ومعلمينا وقديسينا وقادتنا وابطالنا ؟ كيف يمكن ان يكون حينئذ مجتمع هذا الانسان ؟ واستقباحه وغضبه ورفضه ؟ كيف يمكن ان يكون حينئذ استقباله لذلك ؟

ان هذا يساوي ان نفاجأ برؤية الهك بعينين استعرتهما من كائن لم يذق عينيه ولم تجربهما ولم يستعملهما طويلا ، طويلا في التعود على رؤية ذنوب الآلهة وعلى رؤية فضائحها ودماماتها ، وعن توجد عيون لم تتعود وتروض على رؤية ذنوب وفضائح ودماميات الآلهة — هل توجد عيون بريئة حرة ؟

وهل تستطيع النظر الى الآلهة لو انك وهبت عينين جديدتين لم تجربا رؤية الآلهة ؟ ام تجربا رؤية اخلاق الآلهة ومنطق الالهة وماهيات الالهة — ام تجربا رؤية اجساد الآلهة بكل تشوهاتها وآثامها ، وبكل اطفارها وانيابها — هل تستطيع النظر الى ذلك بعينين جديدتين وهبتهما؟ هل تستطيع النظر ؟

هل تستطيع النظر الى الكون او الى الناس او الى نفسك او الى الاشياء — الى ما في ذلك من دماميات وآلام واهوال وعبث وضعف وبلادة ووحشية وجوع واحزان ؟ لو انك وهبت عينين جديدتين لم تتعلما ؟ لم

تلا طويلا ، طويلا برؤية كل الفاجعات والنقائص والآلام والاخطاء والذنوب، كاضخم واقبح وانبل النماذج العبقرية الآلهة وحبها وجمالها وقواها ! هل توجد عينان نظيفتان شجاعتان حرتان لم تهابا وتدلا طويلا ، طويلا ـ لم تفسدا وتلوثا طويلا ، طويلا بسقوط الذنوب والآلام والنقائص والفاجعات والعاهات فيهما ؟

لقد مت ، لقد مات ذكاؤك ورقصك وفضك ، احتجاجك ورزينك لانك قد تغذيت طويلا طويلا ، بالخراب وبالفواجع والحشرات ـ لانك قد تغذيت طويلا ، طويلا بعاهات الآلهة وذنوبها وبعاهات الطبيعة وذنوبها وبعاهات الشر وذنوبه وبعاهات ذاتك وذنوبها .

لقد مت ، لقد مات غضبك ورفضك واحتجاجك ، ومات رؤيتك . لقد مت ، لقد مت .

* *

وهنا لا بد ان نخوض ذلك الكلام الفلكي حوارا قاسيا مع افتراضاته وتصوراته ـ او لا بد ان نفترض انه سوف يفعل ذلك . انه سوف يحاور افتراضاته وتصوراته مسائلا ملحا :

كيف يمكن أن تكون نماذج ومستويات وصور هذه الكائنات التي تروي عن ارتيابها وانبيائها وقدسيها وابطالها وقادتها وزعمائها هذه النماذج في وصفه لاقدس وفي تصورها وتمجيدها له ؟ كيف يمكن ان يكون وجود وشقاء هذه الكائنات التي تبتكر تصوراتها هذه النماذج لنماذجها السامية لتمجيدها وتصالي لها بها ؟

هذه الكائنات التي تتصور ارتيابها وانبياءها وقدسيها وقادتها وابطالها بهذه المستويات ـ في روايتها عنهم ، وفي تعشقها لهم ـ كيف يمكن أن تكون مستوياتها هي ؟

ان روايتها عنهم اسلوب من اساليب التصور والتعبير لهم ، وان تصورها وتعشقها لهم اسلوبان من اساليب الاعلان عن مستوياتها هي ـ اسلوبان من اساليب الاعلان عن تعشقاتها ومن اساليب اعلانها هي عما تتمناه كأعلى مستوياتها وكأعلى آمالها .

كائنات تمنى لنماذجها العلوية هذه الصور النفسية والاخلاقية والعقلية والدينية واللغوية والفنية والذاتية كيف يمكن ان تكون صورها هي !

ان الذين يهبطون الى هذا الحضيض في ذهنهم وتصورهم لنماذجهم التي يسجد لمجد اقدامها مجد كل مجد لايمكن ان يتعبوا الخيال او التصور لكي يتوقع ما في وجودهم هم ، ما في كل مستويات وتعبيرات كل وجودهم من حضيض حزين ، حزين ، حزين من حضيض كان الهبوط الى تصوره او توقعه غير مستطاع وغير محتمل لولا المقاييس الحزينة التي وضعوها لمستويات نماذجهم التي كانت السماء بعض عروشها ، فجاءت هذه المقاييس تعبيرا وحشيا عن حضيض وجودهم هم ، الذي لم يكن الخيال او التصور المجرد يستطيع الهبوط اليه او يجرؤ على الهبوط اليه ، أن الهبوط بالتصور او التوقع الى حضيض وجودهم يحتاج الى بطولة لا حدود لها في الجرأة على مواجهة الدمامات والانحدارات والتفاهات ، وفي التصور والتوقع لها لولا هذه المقاييس التي وضعوها لاربابهم . ان تصور الشر لمستويات آلهتهم وانبيائهم وقديسيهم ، لمستوياتهم الفكرية والنفسية والاخلاقية، وتعلمهم عنهم هذه المستويات، لهو اقوى عجاء للشر وتحقير لمستوياتهم ، لهو اقوى تعبير واعلان عن ضآلة هذه المستويات وعن هبوطها البعيد ، البعيد ..

ان تصورهم هذا لاقوى واقسى اعلان وتعبير عن ضعف خيالهم وضعف طموحهم وضعف تفكيرهم وضعف أخلاقهم وضعف موهبتهم الشعرية والدينية ، وعن ضعف كل وجودهم المادي والروحي . لقد كانوا ضعافا ، ضعافا الى المستوى الذي جعلهم يهبطون في تصورهم لنماذجهم العليا الى هذا الحضيض .

ان رؤيتهم العقلية والدينية والاخلاقية لانفسهم من خلال رؤيتهم لاربابهم وانبيائهم وقديسيهم وكل معلميهم — او هي رؤية لاربابهم وانبيائهم وقديسيهم ومعلميهم من خلال رؤيتهم لانفسهم — ان هذه الرؤية لهي اقسى تفسير يفسرون به انفسهم ، وان تفسيرهم هذا لانفسهم لهو اقسى تفسير يمكن ان يفسرهم به اي مفسر ، ان يفسرهم به أي عدو لهم ، اي هاج لمستوياتهم .

هل يمكن ان تتصور انهك قائلا وعالما وقديرا وسخيا وقاسيا وحقودا ؟ وان تروي عنه صفاته هذه مادحا هو بها نفسه ؟ ومادحا انت له بها ؟ مادحا انت انها لصفات تعظم وافضل وابجل وارحم اله تتمناه ؟ هل يمكن ان تتصور الهك كذلك ثم تكون انت شيئا طيبا او رحيما او عظيما او ذكيا او صديقا او متسامحا او ذا نموذج نفسي نقيه ، كريم سوي ؟ هل يمكن ان تكون خيرا ثم تختار الهك شريرا ؟ او ان تكون سعيدا ثم تختاره شقيا ؟ او ذكيا ثم تختاره بليدا ؟ و متحضرا متقدما ثم تختاره بدويا متخلفا ؟

هل يمكن ان تتصور نبيك او معلمك الروحي او زعيمك او قائدك او اي نموذج من نماذجك المتماثة جاهلا او حسودا او عدوانيا او همجيا او كذابا او منافقا او مضللا او مخادعا ؟ او انانيا او متعبدا او متكبرا او هدوما للمحبة والتسامح والسلام والصداقة ؟ او مفتقرا لمخالفيه ؟ مبغضا لاعدائهم ؟ او هادما لجميع المذاهب التي لا تدين له وحده ؟ ولا تحتوي صوره وحده ؟ ولا تنشد ترتيله واحزانه وبطولاته وغباواته وآثامه وحده، او معاقبا لاطفال من لا يؤمنون به وحده ؟ ومن لا يعبدون في حبه وحده ؟ ومن لا يموتون ضلالا وعذابا وظلما في تيهه وحده .

ـ نعم ؟ هل يمكن ان تتصور نبيك او معلمك الروحي او زعيمك او قائدك او بطلك او اي نموذج من نماذجك العليه كذلك ثم تكون انت شيئا تافها ؟ او شيئا غير مهم ورديء جدا ، جدا ؟ هل يمكن ان يكون تصورك رديئا جدا وتكون انت جيدا جدا ـ وتكون افكارك واحلامك وذاتك ووجودك ونماذجك جيدة جدا ؟ هل يمكن ان تكون تصوراتك معزولة عنك ؟

ان حديثك عن الهك وعن نبيك وعن قائدك وزعيمك وعن بطلك ومعلمك هو ـ بأسلوب ما وبقدر ما ـ حديث عنك ، عن مخاوفك وعن قدراتك وشهواتك وارادتك ، وما تتمنى ان تكون وان تجد ان حديثك هذا هو حديث هك في علي مدلولاتك ؟ وفي ابعد واغنى امانيك . ان سلالك لالهك هي حديث عنك في كل معانيك او في احد معانيك . انيك تصلي وتضرع الى الهك حسبوك لا بمستوى الهك . انك ترى الهك برؤيتك لوجودك لا برؤيتك لالهك .

ان اسلوب تشبثك المعبد ، وان اسلوب سلالك في المعبد ، وان

اسلوب دعائك لالهك الذي تذهب اليه في المعبد ـ ان ذلك كله ليس الا حديثا منك ، وليس الا اسلوبا من اساليبك في التعبير عن وجودك وعن اخلاقك وعن تفكيرك وعن آمالك وعن جميع نماذجك ومستوياتك . ان المعبد وما تقول وتتلو فيه ، وما ترى وتحس فيه ، ومن تجد وتخاطب فيه ـ ان ذلك كله ليس شيئا سواك في احد اساليبك ، في احدى صورك وقراءاتك .

ان صورة الهك في ذهنك ، وان صرح التصوص التي ترويها عنه والتي نضعها على لسانه ليست الا انت ، كائنا ومنعما ومفكرا وطامحا وناظرا ومنتظرا ومتكبرا ومبالغا في كبريائك وطموحك .

ان صورة الهك هي انت في اضخم واجمل صورة تتمناها لذاتك . انك حينما تذهب الى المعبد لتصلي انما تعني ان تصلي لنموذجك ، لصورتك ، وانك حينما تقرأ الكتاب الذي تنسبه لالهك ، والذي ترويه عنه ، والذي تؤلفه من وجودك واعمالك وآلامك وضعفك ومن احزان بيتك ومن صخوره ، ثم تذهب ترويه عنه ببكاء ورهبة وخشوع ضارع ذليل ـ انك حينما تفعل ذلك انما تقرأ نماذجك ومستوياتك ، متجددا بها الى مستوياتك ونماذجك .

* *

ان البشر لم يعطوا الى آلهتهم لم يزالوا يمجون انفسهم ، يمجون اخلاقهم وذكاءهم وكل وجودهم بما يرون من اربابهم وانبيائهم وتجسيمهم ، وبما يسبغونهم به من صفات . انه لم يأتهم احد ، انه لم يستمع اليهم احد من خارجهم ليتقدهم ، ليقول لهم انكم تبالغون جدا في هجائكم لانفسكم . ان من حظوظ البشر الرديئة انه لا يوجد آخرون غيرهم يرونهم ، أينتقدوهم ـ اي لينتقدوا البشر ـ وليتحدوهم ولتصبح نماذجهم هجاء لنماذجهم وتعليما لها . لقد تقبل ارباب البشر وانبياؤهم وقديسوهم هذا الذي يروون عنهم وهذه الاوصاف التي يتصورونها لهم ليمدحوهم بها لانها ـ اي لان الارباب والانبياء والقديسين ـ لا يملكون موهبة النقد ، او لانهم يعلمون ان احدا ان يفتح او يكشف ذلك ، او لانهم يجدون استمتاعا في هجاء البشر لانفسهم وفي تحقيرهم لها ، او لانهم يعرفون انهم لا يستطيعون ان يرتفعوا بهم فوق ذلك ، او لانهم مبغضون ومجاملون الى الحد الذي يجعلهم لا يجرؤون على اعلام البشر خطأهم خشية ان يؤذوا مشاعرهم ، او لانهم يرون ان هجاء النفس وتحقيرها عبادة ليهم ، انهما كل العبادة لهم ، وانه لا عبادة بدون هجاء العبد وتحقيره لنفسه ، او لان الالهة والانبياء والقديسين لا يرون ان هجاء

النفس وتحقيرها شيء رديء او مرفوض ؛ او لانهم انما يتعلمون من البشر وهم لا يعلمون البشر ، لانهم انما يتعلمون لغاتهم ومقاييسهم في الابتداع والهجاء وفي تقويم الاخلاق والمنطق والجمال والقبيح ، وفي تقويم كل شيء انما يتعلمون كل ذلك من البشر ، وهم لا يعلمون البشر شيئا . وكل ما لا يراه البشر ذنبا او دعامة او ظلما او عارا هم لن يروه كذلك ؛ وكل ما رآه البشر كذلك لا بد ان يروه كذلك . ان البشر هم عقول وعيون وآذان واحاسيس واخلاق ومنطق لربابهم وانبيائهم وقديسيهم ومعلميهم . انهم هم آلهتهم ومحوروهم ومعلوهم .

ان البشر هم انبياؤهم وانبياؤهم وقديسوهم وقادتهم وزعمائهم ، انهم هم انبياؤهم ومعلوهم ومنتهو عقولهم واخلاقهم وكل مستوياتهم . ان اتباع كل نبي هم انبياؤه .

ان البشر هم ازياء انبيائهم وانبياء قديسيهم وانبياء آلهتهم ، انهم هم صانعو عقول واخلاق ومستويات انبيائهم وآلهتهم وقديسيهم وكل معلميهم .

ان البشر معلمو انبيائهم ، ومعلمو آلهتهم ، ومعلمو قديسيهم .

ان الالهة والانبياء والقديسين وجميع المعلمين يتألون دائما غباءهم وحماقاتهم وتشوهاتهم ومعاناتهم وكل نقصانهم وذنوبهم من اتباعهم وعبيدهم ، كما ينقذون من هؤلاء العبيد والاتباع كل صلواتهم ومعابدهم ووحيهم وكتبهم المقدسة . ان ما تتعلمه من ربك وانبيائك واطفالك وقديسيك ليس شيئا غير ما علمتهم وتعليمهم اياه . انهم لا يستطيعون ان يعلموك غير ما تعلموه منك . انك انت صانع تماثيلك النازلة عليك من السماء .

انك انت صورة الهك ونبيك وقديسك ، ولست منصورا لهم فقط . انك انت صفاتهم وتعاليمهم وكتبهم المروية ، ولست فقط راويها او مخترعها او مفسرها .

انك انت النبي وتابع النبي ولست تابع نبي . ان جميع انبيائك هم دائما اتباعك . انهم يسيرون وراءك باسلوب من يسيرون امامك .

انك لو رأيت نفسك وتعاملت معها من خارجها لم سمحت نفسك

تروي عن آلهتها وانبيائها وتقديسها هذا الذي ترويه عنهم في وصفهم لانفسهم وفي امتداحهم لها ، وسمعت ايضا نفسك تصف آلهتها وانبياءهـــا وتقديسها بهذه الصفات التي تصفهم بها : لما وجدت ان احـــدا يهجو نفسه ابلغ مما يهجو انت نفسك . او ابلغ مما تهجوك انت نفسك . ولكن هـــل تستطيع ان تتصور او ان تصدق ان الامر كذلك ؟ انك لا تـــرى نفسك لانـــك تعيش داخلها . لذلك ترى دبابة الحشرة وهوائها لانك تعيش خارجـــها ولا ترى دبابة نفسك وهوائها لانك تعيش داخلها .

* *

ان ذلك الكائن الفلكي الذي سمع وقرأ — بالافتراض — مـــا يقولـــه وما كتبه ويكتبه البشر سوف يسمع ويقرأ حينئذ ما نسميه نحن البشر آداب وشعرا وفنونا ومنطقا وعقائد ومذاهب وصلوات ودعايات وتعاليم وعظات وخطبا وبيانات وصحافة ومحاجا ومجادلات تدافع بها عـــن الحق والصـــدق والذكاء والعدالة والكرامة الانسانية ، وعن جـــروت الالهـــة واسيادها وكبريائها ، وعن وجودها هنا وفي كل شيء وعن ارادتها وتدبيرها لكـــل شيء حتى لما نخجل نحن ان نريده او ندبره ، بل حتى لما تصعق اشمئزازا وذعرا ونائما لو افترضنا مريدين او مدبرين له،وحتى لما لا يستطيع او يجرؤ افـــق فاسق مثلنا ، واكبر طاغية مجرم منا ان يدبره او يريده ، وحتـــى لما تعاقـــب عليه كل قوانيننا واخلاقنا وعقولنا ومشاعرنا وتاريخنا كل الوان العقـــاب والزجر والتحقير والهجاء والنبذ ، وحتى لما تعاقب كل قوانيننا على مجـــرد التفكير فيه . وهل يمكن حينئذ ان سمع او يقرأ ما يمكن ان يعقـــل او يغفـــر او يحترم ؟

هل يمكن حينئذ ان يجد ذلك الكائن الفلكي اي مستـــوى او اي نموذج يفهمه لهذه الكائنات التي يقرأ ويسمع لها ومنها ؟

انه سيجد حينئذ ان شاعرا او فيلسوفا او فنانا او مفكرا كبيرا جـــدا يكتب كتابا ضخما ، يهبه وقتا طويلا وتعالا نفسيا وفكريا شاقـــا ليحدثنـــا فيه عن جوعه الى اعضاء امرأة ما ، وعن ارقه واختباله وهزالـــه وبكائـــه واقتراحه في جوعه هذا الى اعضاء تلك المرأة ، وعما في تلـــك الاعضـــاء من جمال واسرار وفنون وقوى خارقة ، وعما في ممارسة تلـــك الاعضـــاء من مجد للالهة وللطبيعة ومن ثناء عليهما .

وليحدثنا عما لذلك الجوع الى تلك الاعضـــاء ، وعما للعلاقـــة الحادة

البقيئة بين ذلك الجوع وبين تلك الاعضاء من مزايا فنية ودينية واخلاقية وانسانية وجمالية ؛ بل من مزايا للحياة والكون والناس . انه يحسب قصة ذلك الجوع او الحب او الشهوة لجسد تلك المرأة ؛ وقصة الصراع او التفاق او المخالفات والمراوغات او اللقاءات بين جوعه وبين ذلك الجسد انه يحسب ذلك عملا انسانيا واخلاقيا وفنيا ، بل وفدائيا عظيما . انه يرى ان عرضه لقصة جوعه الى اعضاء تلك المرأة عرضا اعلانيا عمل نبيل ؛ عمل من اعمال التقوى والعداء والاستشهاد في سبيل الانسان والحياة ، ومن اجل اعطائهما القيمة والمعرفة والتفسير لوجودهما ولوجود البشر والالهة ولوجود كل شيء .

انه يرى في هذا العرض الاعلاني مجدا من امجاد الانسان ومجاد الحياة وتقويما لعبقريتهما .

انه لهذا يناضل لكتابة قصة هذا الجوع ، ولاخراج هذه القصة باسلوب فيه كل معاني الافتضاح وحوافز الاعلان ، وفيه كل مشاعر المباهاة ومشاعر الباحث عن اسباب المجد . كما يناضل دون اي قيد من قيود الوقار لكي يقرأ قصة جوعه على كل الناس ، في كل بيت ، في كل مخدع ، في كل سوق ، في كل معبد ، بكل اسلوب من اساليب التبشير والشمول والدعاية .

انه سيجد ان ذلك الشاعر او القصاص او المفكر او الاديب الكبير قد رأى انه تشكل عظيم او فن عظيم ، او انه سلوك يجرؤ على ممارسته بافتخار او دون شعور بالعار او الافتضاح او الذنب : ان يحدثنا عن حب اعضائه لاعضاء اخرى ؛ ان يحدثنا في كتاب ضخم عن اعضائه الجائعة الى اعضاء اخرى جائعة ايضا ، وان يحدثنا عن فضائح هذه الاعضاء وعن عذابها وبكائها ، وعما فيها من بذاءات ومن موهبة في الحفرة على التنازل عن جميع مستويات الكرياء والاحتشام والنظافة .

بل ان يحدثنا بنفس الاسلوب والمستوى والرغبة والظروف عن جوع اعضاء انسان اخر الى اعضاء امرأة ما ؛ بنفس الحماسة والبلاغة والانفعالات ، وبكل عمليات النضج التي يحدثنا بها عن جوع اعضائه هو الى الاعضاء الاخرى .

وانه سيجد ان الناس يتقبلونه ذلك ؛ بل يستقبلونه بمشاعر فيها كل احاسيس التقوى ، بل يمارسونه كما يمارسون الصلوات حيثما يكون حماسهم وشهواتهم مستهلكة في ممارسة الوان التدين ، بل يرتلونه كما يرتل اتقى المؤمنين ايمانا لكتبهم المقدسة ولتعاليم انبيائهم وقديسيهم في اقوى المحاريب جبروتا واقدمها تاريخا واقدرها على ارهاب العقول العاصية الرافضة .

ان ذلك الكائن الفلكي أن يستطيع ان يتصور اي مستوى لكائنات يحول المتفوقون فيها والمزعومون عباقرة جوع الاعضاء للاعضاء الى شعر وادب وفنون رفيعة عالية ، يقرؤونها على كل النادي ، في كل الاسواق ، في كل البيوت ، في كل المخادع ، في كل المعابد بصلف وكبرياء وادلال وتدين .

اي مستوى نفسي او عقلي او اخلاقي او فني او تصوري لكائنات تجد في كتابة جوع اعضائها الى اعضائها ، وقراءة ذلك ، وتحويله الى كتب ، ونشره — تجد فيه جمالا واستمتاعا ومسرات وعبقرية ومداواة لمقلها واخلاقها وعواطفها من الملل والضيق والفراغ ومن التفاهات .

— تجد فيه موهبة يتفرد بها الاقلون منها .

— تجد فيه نشيدا كونيا ترتله وتعزفه لغلمها كل سنات السماء !

اي مستوى من اي نوع وعلى اى حساب لتلزهده الكائنات؟اي مستوى لكائنات تتداوى من وجودها بالحديث عن جوع اعضائها الى اعضائها ؟ انه لابس في ذلك من الذكاء او الاحتشام او المجد او التفسير اكثر مما في سلوك كائن مفتضح حقيقا بعرى اعضاءه الداخلية المحرمة تعرية اعلانية ثم يذهب يتحدث باسلوب دعائي اعلاني عن اخلاق هذه الاعضاء وعن نبالها وامانيها — ثم يذهب يتحدث عن ذلك ببلاغة وبراعة وفصاحة بذيء .

* *

ان ذلك الكائن الفلكي سيجد ان روائيا او شاعرا او كاتبا كبيرا يؤلف كتابا مؤلفا من مئات الصفحات ليسير مسيرة طويلة هائلة مرهقة في بيداء الكلمات المختلفة التفاسير والتعابير والضخامة والبلاغة والبذاءة والبداوة — ليسير هذه المسيرة هو وقراؤه ، معاتون ويكابدون في مسيرتهم

هذه الطويلة الهائلة المرهقة في تيه الكلمات المهانة الكرامة والشرف والذكاء ليقول لنا كلمة واحدة ، كلمة واحدة فقط — انها كلمة واحدة يقولها . .

ليقول لنا انه يحب زوجته او ابناءه ، أو يحب الحياة او الطبيعة او النظر الى القمر والنجوم والفراخ وهو يفكر في معاني الجنس ، او الى عيني زوجته البلهاء — أو انه يحب العدل او الصدق او الانصاف او السلام او الامن ، او الحرية ، او صداقة الناس وحبهم ، او بحب الذكاء او الشجاعة ، او الشرف ، او الاباء والرفض ، او المحافظة على الكرامة ، او التسامح ، او التواضع او الصحة او الجمال في كل شيء ، او ان يكون هو العشيق المحظوظ الذي تطلع الشمس كل يوم مفرجة متهتكة في تبرجها لكي تسرق منه نظرة ، او ان يكون هو العبقرية الكونية التي تصلب الطبيعة كل يوم من رهبتها بارتجافة اليمة من ارتجافاتها .

ليقول لنا انه يحب مذهبه او نظامه او زعيمه او الهه او نبيه او معلمه او وطنه او تاريخه او آباءه او اعداءه او جيرانه او كل الناس — ليقول لنا انه لا يعيش الا هذا الحب ولا يعيش الا له والا به ولا يشتهي سواه — ليقول لنا انه لا يحب الا الحب .

ليقول لنا انه يكره الحروب او الخوف او الغباء او الظلم او المرض او الطغيان او البؤس او الكبر او الغرور او الاعجاب بالنفس او الغدر او الخيانة او النذالة او التآمر او الكيد او الحسد او البغضاء — ليقول لنا انه لا يعيش الا هذا الكره والا به ، ليقول انه لم يقبل ان يكون حيا الا ليعلم هذا الكره ويدعو اليه ، ليجعله دين الانسان الخالد .

— ليقول لنا ان الحرب او الخوف او العدوان او التخاصم او الكذب او الغدر او الغباء او الحقد او الاستبداد او المرض او الفقر او العجز او الضعف او الكسل شيء رديء ، وشيء ضد الاخلاق والنبل والنظافة او ضد الدين والتقوى

— ليقول لنا ان شيئا من ذلك لم يصبح رديئا وضد الاخلاق والنبل والنظافة الا لانه رأى ذلك وكتبه ودعا اليه والف فيه كتابا كبيرا — ليقول لنا ان الناس لم يتركوا هذه الشرور ولم تشف منها اخلاق الطبيعة وقوانينها الا لانه كتب ضدها رواية أو مسرحية او ديوان شعر وادار حولها

حوارا طويلا .

انه سيجد ان ذلك الشاعر او الروائي او الكاتب المسرحي يقطع رحلة طويلة شاقة عقيمه ومن ورائه قراؤه ـ يقذفها في صحاري الكلمات وتيهها ليقول لنفسه وليقول لقرائه ولكل من سوف يجيئون وايضا لكل من لا يجيئون .

ـ ليقول لنفسه ولكل شيء كلمة واحدة ؛ فقط كلمة واحدة يقولها .

ـ ليقول انه يحب هذا او يكرهه . او ليقول ان هذا شيء طيب او شيء رديء ؛ او ليقول لنا انه يحب ابناءه او عشيقته او افكاره او اخلاقه او ذكاءه او مذهبه او نظامه الذي فرض عليه ، أو ليقول لنا انه يكره مخالفيه ومنافسيه واعداءه وكل من لا يجيئون او يكون كما يريد وكما يكون ويجيء، وانه يجب أن يكون مسرورا ومحفوظا وقويا جنسيا ؛ ان يحبه وان نرضى عنه كل النساء ، ان تكون كل الدنيا والطبيعة وكل الاشياء والناس كما يتمنى وحيث تكون شهواته وظروفه وتوافقه ـ ليقول لنا انه يتمنى بل ويناضل لكي تكون كل الارباب عبيداً لاربابه ، وكل الشهوات وقودا لشهواته ؛ وكل المواهب حديثا عن مواهبه ، وكل التاريخ تفسيرا لتاريخه ، وكل الافكار توابع لافكاره .

انه سيجد ان ذلك الشاعر او الروائي او الاديب يقطع هذه الرحلة بنفسه وبقرائه لكي يقول لهم كلمة واحدة . كلمة واحدة لا تحتاج الى ان تقال ، ولا تحتاج الى من يقولها حتى ولو قالها كما هي كلمة واحدة ؛ حتى ولو قالها كما هي .

ـ لكي يثبت لهم : انه سخيف وبليد وانانى وانه مسافر سفرا طويلا ومرهقا دون اية حاجة الى اي سفر ؛ دون اية حاجة الى اقسى سفر .

ـ ليثبت لهم انه لاعب وهازل ولكن بدون ان يكون مسليا او ساخرا او مرحا .

ان هذا يشبه ان تحاول اقتناص صيد صغير ، فتذهب تطلق عليه

اضخم الاسلحة ، تطلقها عليه اطول الاوقات . ان هذا يعني ان تصبح بليدا وسقيما وفاقدا لصديك . ان هذا يعني ان تصبح كالشاعر او الروائي او الكاتب المسرحي الذي يذهب يقول كل الكلمات وكل الاشياء لكي يقول **كلمة واحدة وشيئا واحدا** — لكي يفسر شيئا يعرفه كل الناس ليصبح شيئا لا يعرفه الا اقل الناس .

انه يشبه ان تريد تقديم صورة لنفسك فتصنع صورة تضاعف من حجمك ، تضاعف من حجم **كل اعضائك واجزائك الاف المرات** . انك حينئذ لا تقدم صورتك ، وانك حينئذ لتخسر شيئا كثيرا لكي تصنع ما لا تريد ان تصنع ولكي يكون ما لا تريد ان يكون .

ان ذلك يشبه ان تريد رؤية شيء ومعرفته فترفض رؤيته ، وتذهب تحاول رؤية صورته لكي تراه ولكي تعرفه . انه يشبه ان تحاول الوصول الى الشيء بالهرب منه الى الحديث عنه . انه الحديث عن غيره بقصد الحديث عنه .

انه يشبه ان تحاول الاستدعاء والتزين ، فتذهب تتبع على جسمك كل ما تستطيع من الثياب والاحذية وادوات الزينة ووسائل الدفء . انك حينئذ تصبح اسلوبا لا مثيل له في البلادة والتشوه والقبح وفي مواجهة الاستهزاء . ان هذا هو ما يفعله الروائي والشاعر والكاتب المسرحي ان هذا السلوك الذي يمارسه الشاعر والروائي والكاتب المسرحي يشبه ان يريد انسان التعريف باسمه ، فلا يكتفي بان يذكر اسمه ، بل يذهب يذكر اسماء كل اقاربه واسماء كل اهل مدينته او قريته او مجتمعه ، ويذهب يعدد كل من سموا باسمه من اهله ومن اهل قريته ومدينته ومجتمعه . ويذكر من سماه باسمه ، ولماذا سمي بهذا الاسم دون الاسماء الاخرى الكثيرة ويذهب يتحدث عما في هذا الاسم الذي اصبح اسمه من الاسرار والقوة والجمال والتدين ، وعما جلبه عليه من الخير والحظ ، وعن الذين ادخل على قلوبهم وعلى مجتمعهم السعادة والحب وروعة الموسيقى ، وعما فيه من احتمالات الحظوظ الجيدة لمن ينطقون به ولمن يسمعونه منطوقا به ، ولمن يتباركون ويتدينون بالاستماع اليه وبالنطق به ، كما تصنع اسماء الالهة .

* *

ثم يذهب يتحدث طويلا ، طويلا عن فلسفة الاسماء ، وكيف نشأ التفكير فيها ، وكيف اصبحت ظاهرة انسانية عالمية ، وعن الفروق بينها في الفكرة والمعنى والموسيقى ، ومن فنون وجنون الناس والمجتمعات فيها ، وعما في ذلك من غرائب ومسخريات ..

ثم يذهب يفسر لماذا لم تصبح للحيوانات ولكل الكائنات الاخرى اسماء كالاسماء التي اصبحت للانسان ـ لماذا لم تسم الكائنات غير البشر بالاسلوب الذي سمي به البشر . وهل كان محتوما ان تكون للبشر اسماء . وهل كان لاسمائهم تأثير على سلوكهم وعواطفهم او على تكاثهم ، او على مسيخ ابداعهم للحضارات .

ثم يمضي في التحدث عن الفرق بين اسماء الاله واسماء الانسان ، وايهما افضل وأذكى وأنقى وأذوى في اسمائهما ، وايهما اكثر انتهاجا باسمائه ، وهل الاله هو الذي وضع لنفسه اسماءه ، ام وضعها له من حوله كما وضع للانسان اهله اسماءه ، وايهما اكثر صدقا في اسمائه وتصديقا لها وتأثرا بها .

ثم يمضي يتحدث عن الفرق بين الاسم والكنية واللقب ، وايهما يصنع الرضا والافتخار، وايها اكثر جاذبية واحاسيس موسيقية ودينية واخلاقية .

ثم لا يكتفيه كل هذا تعريفا باسمه ، بل يذهب يجمع كل اهله واهل قريته ومدينته ومجتمعه لكي يشهدوا ويقسموا ان اسمه هو اسمه ، لكي يكرروا شهادتهم وقسمهم بان اسمه هو اسمه ، لكي يناشدهم باسم جميع الاشياء المقدسة ان يعيدوا ويظلوا يعيدون شهاداتهم وقسمهم بان اسمه هو اسمه ، هو الاسم الذي نطق به ، هو الاسم الذي ارتجفت الارض وكل الاشياء طربا حينما شرف الحروف وكرم اللغة بنطقه به، بنطقنا به .

ـ بانه هو الاسم الذي ارادته ونطقت وامرت به الالهة ، واعلنته في السموات ونشرت به في السموات كما تعلت لاسماء الانبياء .

ثم لا يكتفيه كل هذا للتعريف باسمه وللتدليل على انه يسمى كما

نطق ، بل يذهب يخطب بكل اللغات ، كل الوقت ، بكل الحماس والصراخ والتهيج ، مقسما بان اسمه كما ذكر ، وانه هكذا مكتوب ومعروف في السماء ، وانه هكذا محفور على جباه النجوم ، وانه كان اول اسم عرفته اللغات ، واول واشرف اسم دوى في الارض وفي السموات ، وبانه الاسم الذي يحمي قوانين الكون من ان تمرض او تموت او تفسد اخلاقها ، او يضعف تكوينها .

بل ثم يذهب يؤلف الكتب الضخمة بكل اللغات : الروايات والمسرحيات ودواوين الشعر ، ليدبر الحديث بكل اساليب الحوار وشخوصه الحدة المزاحمة ، وبكل تلفيقات الشاعر والقصاص وتحويماتهما ، وبكل ما فيهما من الحاح وبكاء وصراعة ، وبكل ما فيهما من قدرة على دق الابواب والوقوف على العتبات المحروسة بالخشونة والرفض وبكل معاني وتعبيرات الطرد والصد .

بل ثم يذهب يؤلف الكتب الضخمة بكل اللغات ، يؤلف الروايات والمسرحيات ودواوين الاشعار ليثبت ان اسمه هو اسمه ، وانه كان مستحيلا بالقدر وبالطبيعة وبالاخلاق وبالمنطق بل وبالدين بل وبالمذهب وبقوانين التطور والحضارة ان يكون اسمه غير اسمه ، يقدر ما هو مستحيل ان يكون هو غير ذاته ، ان يكون وجهه غير وجهه ان تكون اخزانه غير اخزانه ، ان تكون موهبته غير موهبته .

* *

ان هذا الاسلوب الذي يحاول كائن ما — بالافتراض والتصور — ان يثبت به اسمه هو اسلوب الشاعر والروائي والكاتب المسرحي حينما يكتب كتابا ضخما ليقرأه علينا ، ليقنعنا بفكرة او بمذهب او بنظام او بعقيدة او بدين او بموقف ما ، او ليخطىء فكرة او مذهبا او نظاما او عقيدة او دينا او موقفا او الها ما من الالهة — او ليلقي علينا باحزانه ، او مفرقاته ، او بسأمه ، او بحيرته ، او بحياته ، او بمشاكله ، او بطموحه ، او بفراره من الصمت ومن نفسه ، او بأي الم او الة ورطة من آلامه وورطاته — او لاحتياجه الى التدخل في نفوس الناس وعقولهم وفي بيوتهم وفي كل

شؤونهم ؛ والى التحدث عن آلامهم وذنوبهم وعن نشوءاتهم وتفاهاتهم ؛ والى اثارة اهتمامهم ؛ الى اثارة غضبهم ورضاهم ؛ اعجابهم وصراخهم ؛ خوفهم واطمئنانهم ؛ ثقتهم وشكوكهم .

ـ او لاحتياجه ابدا الى ان يكون متسللا مستلقا فوق الناس وداخل ذوات الناس ، وهل يوجد فنان ليس محتاجا الى ان يكون متسللا متسللا ؟ وهل الفن الا اسلوب من اساليب التسلق والتسلل ؟ وهل الفنان اكثر تسللا وتسلقا واكثر احتياجا الى التسلل والتسلق ام هو اعنف تعبيرا او اشهر تعبيرا او اوضح تعبيرا عن ذلك ؟

* *

ان ذلك الكائن الفلكي سوف يجد حينئذ ان مفكرا او معلما او نبيا او شاعرا او قصاصا او واعظا ـ لانه كان راضيا عن زوجته او عن ابنائه او عن مكانته في المجتمع او عن الحاكم او المذهب الذي يعيش في خدمته ؛ او لانه كان راضيا عن صحته او عن طعامه او عن بطولة جهازه الهضمي ؛ او عن المرآة التي وضعها في بيته لتناسق وجهه وتناسق عينيه ، او لانه كان معجبا بموهبته الجنسية او بممارساته الجنسية ؛ او باحاسيسه الجنسية قد ذهب يضع الكتب والتعاليم والتفاسير على كل الاتجاهات والمستويات .

ـ قد ذهب يفكر ويجادل ويصنع البراهين ويرور كل شيء .

ـ ليؤلف من وفاحات هذا الكون ، ومن جسده الهائل الدمامة والفخامة والتشوهات ، الهائل الاتساع ، الهائل الآثام ، الهائل الهجاء والتحقير لمن يحاول ان يراه ، ولمن يحاول ان يفهمه او يفسره ، الهائل السخرية ممن يعيشه او يعجب به او يلاءم معه .

ـ ليؤلف من حشرات هذا الكون وحيواناته ومن انسانه ومن كل ما في ذلك من ذنوب واخطاء وعجز وجوع وعفن وفياغ وموت وتعباء وعبث وحقارات ونقائص وانفعالات خسيسة واليمة ولافهة وعدوانية وحضيضية .

ـ ليؤلف من كل ذلك اذكى منطق وافضل سلوك ؛ اي ليرى في ذلك أذكى منطق وافضل سلوك ـ ليجعلهما منطق وسلوك اذكى وانبل الـه ، او منطق وسلوك اذكى وانبل كون ـ ليرى في ذلك كل نماذج الاخلاقية وكل نماذج المنطق في كل مستوياته واحتمالاته الجدلية .

انه ـ اي ذلك الكائن الفكي ـ سيجد حينئذ فيما سوف يسمع ويقرأ ان المفكرين والانبياء والشعراء وجميع الفنانين والمعلمين ووعاظ المعابد والاسواق يدرسون هذا الكون المتوحش العابث المتناقض العقيم ، هذا الكون المختل الرهيب في بلادته ودمامته ـ يدرسونه على انه اقصى احتمالات الذكاء والجمال والحب والرحمة والفضيلة ـ على أنه كل ذكاء الآلهة وقبلها ، او كل ذكاء الطبيعة العبقرية وكل قدرتها على العطاء وعلى الصداقة .

انه سيجد فيما سوف يسمع ويقرأ انهم يفسرون كل شيء على انه نموذج للمنطق والتدبير والحكمة والعطاء ، حتى الامراض والآلام والعاهات والمجاعات والاحزان التي يعانون ، وحتى الموت ، وحتى العجز الذاتي ، وحتى القحط ، وحتى الصحاري والمستنقعات ، حتى كل ما في الطبيعة والكون من فوضى وعقم ومن ذنوب وعاهات وهمجية وتناقض وبلادة رهيبة واتساع سخيف عابث ، عابث ، عابث ، صارخ في عبثه وفي سخفه ، حتى الصحاري ، قمة التعبير عن تخلف موهبة الآلهة الفنية والاخلاقية والاقتصادية والشعرية .

ـ حتى كل ما في الكون والطبيعة من حشرات وزلازل وبراكين وحماقات اخرى لا عداد ولا منطق ولا اخلاق ولا تفسير ولا نفع لها ، حتى كل ما فيهما من اسراف وشح ، من عطاء بلا حاجة ، بل ضد الحاجة ، ومن منع مع الحاجة ، بل مع استهزاء بالحاجة ـ من قدرة وضخامة بلا منطق او تفسير ، بل ضد المنطق وضد التفسير ، ومن عجز وضآلة حيث يحتمل ان يكون للقدرة والضخامة منطق وتفسير ، بل حيث يطالب المنطق والتفسير بالقدرة والضخامة .

ـ من قدرة وضخامة حيث يفرض المنطق والتفسير العجز والضآلة ، ومن عجز وضآلة حيث يفرض المنطق والتفسير القدرة والضخامة ـ من وجود الشيء حيث يكون المنطق والتفسير فقده ، ومن فقد الشيء حيث يكون

المنطق والتفسير وجوده .

ـ من وجود بلا موجود ، ومن فقد حيث يوجد الموجود .

انه سيجدهم حين يسمعهم او يقرأ لهم مفسرون كل هذا العبث الهائل وكل هذه الالام المتوحشة على انها أعلى النماذج لاعلى مستويات المنطق والرحمة والحب والتدبير والعدل ، حتى النجوم الضالة العمياء المتطلعة بوقاحة وضلالة ، دون ان تدري او تسأل : لماذا ، حتى الشمس قمة الحماقة والسفه والحرائق الجنونية دون أن تدري او تسأل : لماذا ، لماذا هي ، حتى البحار المتوحشة باتساعها بلا اي فن او عظمة وبلا اي وقار دون ان تدري او تسأل : لماذا ، حتى الحشرات والحيوانات المهانة المظلومة المحقرة دون ان تدري او تسأل : لماذا ، دون ان تشكو ، ودون ان تعلم ان لها ان تشكو ـ دون أن تدري او تسأل : لماذا هي ، لماذا هي !

ـ حتى الانسان الذي يجيء دون ان يطالب بمجيئه او يستفيد من مجيئه او يسر بمجيئه او ينتظر مجيئه أحد ـ حتى الانسان الذي يجيء ليواجه ويمارس بكل حواسه وبكل آلامه واحتياجاته ومخاوفه وجوعه وعنائه وضعفه وعاره واحزانه ـ ليواجه كل هذا العبث الهائل الرهيب الدميم دون أن يحارب او يرفض او يتوقف عن التعامل أو السير او التناسل او الاعجاب او الضحك ، بل ليتحول آلي مفسر ، الى مؤمن وعابد لكل هذا العبث الهائل الرهيب الدميم .

حتى هذا الانسان الذي لا يجيء ليواجه ويمارس فقط هذا العبث الهائل الرهيب الدميم بكل حواسه وآلامه واحزانه ومخاوفه وجوعه وضعفه واحتياجاته وافتضاحه ، بل ليحول كل ذلك الى مجد اله ، الى مجد اذكى وارحم طبيعة ، ليحول كل ذلك الى ايمان ، والى صلاة .

حتى هذا الانسان الذي يوجد ويجيء ويحيا فيجعل من وجوده ومجيئه وحياته اضخم مجد واضخم عبقرية لاعظم وارحم اله ، لاتل واذكى كون ، ثم يذهب ويفقد ويموت ، فيذهب ايضا بغير فقده وذهابه وموته بابه اضخم مجد واضخم عبقرية لاذكى واتقى اله ، لاذكى وأتقى كون . انهما دائما اما عبقرية الاله او عبقرية الكون . . .

حتى هذا الانسان الذي يجعل الشيء ونقيضه ، يجعل موته وحياته ، سروره واحزانه ، منطقا واحدا وتفسيرا واحدا .

حتى الاله الذي يجيء دون ان يريد او يدبر او يصنع او يختار مجيئه او اسلوب مجيئه او نموذجه او ذاته او صفاته ، ودون ان يستطيع فراق ذاته او فراق وجوده ، او تغييرهما ، او الاستدلال بهما — ودون ان يريد او يدبر او يصنع او يختار مجيئه او اسلوب مجيئه او نموذج ذاته او نموذج صفاته او بقاءه او عمله — دون ان يريد او يدبر او يختار او يصنع ذلك احد .

حتى الاله الذي لم يعط الخيار او يجد الخيار في ان يكون وفي الا يكون ، في ان يكون كما كان وفي ان يكون نقيض ما كان .

حتى الاله الذي يشقى بما صنع ويشقى به ما صنع ، الذي لم يخلق ما يرضي ولم يكف عن خلق ما لا يرضي ، الذي لم يرض عما خلق ، ولم يرض عنه ما خلق ، الذي لم تجيء مخلوقاته كما يريد ، ولم يجعلها كما يريد ، ولم يفعل ابدا ما تريد ، الذي لم يكف عن الخلق ، ولم يخلق حينما خلق كما يريد ان يكون الخلق ، او كما يريد الخلق لنفسه ان يكون ، او كما يطلب ويشترط ان يكون من تفرض عليه ان يكون .

حتى الاله الذي اصبح ورطة لنفسه واصبح توريطا لغيره ، توريطا لكل شيء .

حتى الاله الذي لا مثيل لشقائه ولا مثيل لسوء حظه والذي لا مثيل لاحزانه لانه لا مثيل له معصيا ولا مثل له محروما مما يشتهي ومما يزعم انه الجمال والعدل والحق ، مما يزعم انه الحق الدائم له وانه المطلب المشروع الابدي له وانه اقل حقوقه واول حقوقه .

حتى الاله الذي لا يكف عنه غضبه ولا احزانه لان شيئا ما لم يجيء كما يريد او كما يطالب ، بل لان كل شيء قد جاء نقيض ما يريد ويطالب ويدبر .

حتى الاله الذي يطالب بالعدل والجمال ويعشقهما ولا يصنعهما ، ويعاقب على الدمامة والظلم ويكرههما ثم يصنعهما .

حتى الاله الذي تشوه يداه فيعاقب من اصابت يداه بالتشويه ولا يعاقب يديه اللتين اصابتا بالتشويه . هل وجد موجود سواه حظه بوجوده وسواء حظه كل شيء بوجوده مثل الاله !

ان ذلك الكائن الفلكي سوف يجد حينئذ قمما سيقرأ او يسمع !

ان جميع الانبياء والشعراء والفنانين والمعلمين وكل الواعظين في المعابد والاسواق يعلمون ويفسرون بان كل هذا هو اعلى نموذج للذكاء والتدبير والحكمة والحب والعطاء ، انه سيجد انهم يفسرون كل شيء وكل ما يحدث بانه اعلى ما في الطبيعة وما في الالهة وما في المنطق من احتمالات الشهامة والحب والجمال . انهم جميعا يمتدحون ويمجدون ما هو كائن .

وحينئذ كيف يمكن ان يفسر او يتصور او يفهم مستويات البشر ونماذجهم ؟ كيف يمكن ان يتصور ويفسر ذكاء من يرون هذا هو اعلى مستويات الذكاء ؟ كيف يتصور ويفسر اخلاق من يرون هذا هو اعلى مستويات الاخلاق ؟ كيف يفسر ويتصور كينونة من يرون هذه الكينونة هي اعلى نماذج الكينونة ؟ وحينئذ كيف يمكن ان يفسر او يتصور من يرون قمم هذا اعلى مستويات عبقرية الالهة ؟

انك لو كنت كائنا يعيش خارج البشر لما استطعت الا ان تشعر بالرثاء والعطف ، او بمشاعر الاشمئزاز والاستهزاء ، او بالعجز عن فهم اي شيء هنا حينما تسمعهم او تقرؤهم يتحدثون عن الذكاء وعن الاخلاق وعن المحبة وعن المنطق والجمال فيما حولهم ، وفيما يوآخون ، وفيما يعيشون ويمارسون ، حينما تسمعهم وتقرؤهم يعلمون ذلك ويدرسونه ويقتنعون ويقنعون به ، ويصلون له . انهم جميعا يفعلون ذلك مهما اختلفت اراؤهم ومذاهبهم .

* *

ان ذلك الكائن الفلكي سوف يقرأ حينئذ الصحافة ـ الصحافة العالمية ، صحافة كل بلد وكل مذهب ونظام وحاكم وطائفة ـ وسوف يسمعها مقروءة او مترجمة او منقولة ، وان يسمع الاذاعات المختلفة المنطلقة من هنا او من هناك بامر هذا ورايه ، او بامر هذا ورايه ، بالخوف من هذا او من هذا .

وماذا يعني ان يقرأ او يسمع الصحافة ، كل الصحافة أو بعضها ـ ماذا يعني ذلك ؟ وماذا يعني أن يسمع الاذاعة ، كل الاذاعة او بعضها ـ ماذا يعني هذا او هذا ـ ماذا يعني ؟

ان ذلك لا بد ان يعني ـ في قراءته واستماعه ـ ان الاذاعة والصحافة ليستا سوى اجهزة توصيل واطلاق وتفجير ، لتفجير وتطليق في أذان واعصاب وعقول وضمائر وأخلاق وتدين البشر ، كل البشر ، كل الوقت ، بكل الاساليب ، بكل اللغات والاصوات والتونرات ، كل ما في الزعماء والقادة والطغاة والمعلمين ، وكل ما في المفسرين لهم والمبشرين بهم ، والمصلين لجبروتهم ورهبوتهم ورغبوتهم .

ـ لتطلق وتفجر كل ما في ادهان ونفوس وتاريخ ولغات هؤلاء من بدائيات واحقاد وصغائر وغباوات واحزان وآلام وعفونات وشرور كثيرة وكثيرة .

ـ لتطلقها وتفجرها كل وقت ، بكل اسلوب ، بكل عنف عدواني في ضمائر الناس واخلاقهم وعقولهم ، وعلى ضمائرهم واخلاقهم وعقولهم .

ـ لتطلقها وتفجرها في أسواقهم ومعابدهم ومصانعهم وحقولهم ونواديهم وبيوتهم وعلى آلهتهم وكرامتهم وكبريائهم وشرفهم ، كل وقت ، بكل اسلوب ، بكل قسوة عدوانية ، بكل الحاح بذيء ، بكل مستوى من مستويات العفونة .

ـ لتطلقها وتفجرها على كل صباحهم ومسائهم ، وعلى كل اطفالهم ونسائهم ، وعلى كل زوارهم وأصدقائهم .

ان ذلك يعني ـ في قراءته وسماعه ـ ان البشر ليسوا سوى مستنقع اليم رهيب ، يستقبل ـ من فم ويد الصحافة والاذاعة ـ دون ان يرفض او يمتلىء كل الاكاذيب والخرافات والعفونات والبلادات والهموم والشتائم والمخاوف والصغائر والعاهات والحقارات التي تزدحم بها وتطلقها كل وقت ، بكل اسلوب ، بكل الحاح متوفح بذيء ، نفوس ولغات كل القادة والطغاة والمعلمين ، نفوس ولغات كل المفسرين للقادة والطغاة والمعلمين ، وكل المبشرين بهم ، وكل اللاعنين لادرآنهم المستغفرين لكل ذنوبهم ، المصححين

لكل اخطائهم ، الهاتفين لجمال كل تشوهاتهم ، المصلين لكل طغيانهم ، المغنين بكل بذاءاتهم ، المادحين لارباحهم وانيانهم بشتائمهم ، المفسرين لهم بهما ، المفسرين لاقوال وتعاليم ارباحهم وانيانهم بشتائم قادتهم وطغاتهم ، المحددين مقاسات انيانهم وارباحهم ، وصفات واخلاق ارباحهم وانيانهم بشتائمهم وعداوات وخصومات طغاتهم وقادتهم .

ان ذلك الكائن الفضائي لن يذهب حينئذ يعاني ، بتصور او ليتصور كائنات لها نموذج او مستوى ، ولكنه سوف يذهب ليعاني في تصور اقبح واعجب وعاء يتصب فيه — من مستنقعات الصحافة والاذاعة — كل هذا القبح وكل هذا الاثم اللذين يقذف بهما الطغاة والقادة وكل الحاقدين والاقوياء من حضيض فسادهم وجنونهم ومنافساتهم وعداواتهم وطموحهم المتوحش البليد الوبيل — واللذين يقذف بهما المعاقون والمدمنون اليوميون ، الصباحيون والمسائيون والدائمون — اللذين يقذف بهما هؤلاء المعاقون والمدمنون ، المنشرون او الموزعون على محاريب كل الطغاة والقادة والحكام والمذاهب والنظم ، ليكفروا ويجهلوا ويسفهوا ويتكرروا ، وياغوا بكل عفنهم واعبائهم وخوفهم ونفاقهم وملقهم وفاقتهم وهوانهم ومذلاتهم وجوعهم ، وكل مستوياتهم المستقرة في الحضيض .

— لبلقوا بكل ذلك بالتكرار واليومية في ذلك الوعاء ، في اعجب واحقر وعاء يمكن تصوره من بعيد ، في اعجب واحقر وعاء يمكن ان يتصوره او يفكر فيه كائن يعيش بعيدا عن هذه الارض ، لو انه استطاع ان يقرأ الصحافة ويستمع الى الاذاعات التي يصنعها ويعيشها ويعاني بها كل العالم . وهل يمكن ان يوجد وعاء او مستنقع يستطيع ان يستقبل من الاوحال والعفن مثلما تستطيع ان تستقبل عقول البشر واخلاقهم من ذلك ؟

ان ذلك الكائن الذي يستطيع ان يقرأ الصحافة ويستمع الى الاذاعات العالمية لن يتصور ان وراءها كائنات من اي مستوى ، او انها تنطلق عن كائنات ، او انها تعبر عن كائنات ما لتذهب بتصور لها بمستوى او نموذج .. انه سيذهب بتصور وعاء رهيبا يتصب فيه شيء رهيب ، لانه لن يستطيع ان يتصور انه قد توجد كائنات هي في استقبالها للاوحال والعفن والهوان اسوأ او اقذر من اي وعاء ، اكبر واوسع من كل وعاء .

انه لن يتصور ان شيئا ما قد يعاقب او يحقر مثلما يعاقب ويحقر ذلك الوعاء الذي سوف يتصوره مكانا تنصب فيه الصحافة والاذاعة اللتان استطاع ان يقرأهما ويستمع اليهما مخلوقتين من اهواء واخلاق وعقول كل العالم ، لتفسر كل الالهة والمذاهب والنظم والاخلاق .

كيف يمكن تصور مستويات من يفكرون ويشعرون ويتكلمون هكذا ؟

كيف يمكن تصور مستويات من يستقبلون كل هذا ؟ كيف يمكن ان يكونوا لانهم قبلوه واستطاعوا ان يعتقدوه ؟ كيف يمكن ان يصبحوا لانهم صاروا او ظلوا يستقبلونه ؟ كيف يمكن ان يكون مستواهم الذي استطاع او الذي سمح لهم بان يستقبلوا كل هذا ؟

كيف يمكن ان يكون قد اصبح مستواهم بعد ان ظلوا يستقبلون كل هذا ، بعد ان ظلوا يعيشون كل هذا ؟ بعد ان ظلوا يقيسون به كل ارباحهم وقياداتهم ومذاهبهم واديانهم ؟

كيف يمكن ان يكون مستوى من لا يرتضون هذا ومستوى من يعيشون كل هذا ؟

ان كانتا ما يعيش في جحيم اقسى الانبياء قسوة لو انه قرأ وسمع الصحافة والاذاعات الموزعة على كل الجهات البشرية المخالفة والمتضادة والمناقضة والمتخاصمة والمتحاربة والمتشاتمة المذاهب والارباب والعلمين والنظم والقادة والزعماء والحكام ، ثم تصور الكائنات التي تنطلق منها هذه الصحافة والاذاعات ، والتي تعيش فيها هذه الصحافة والاذاعات والتي تستقبل هذه الصحافة والاذاعات — لكان من المشكوك فيه جدا ان يتقبل ذلك الكائن الجحيمي الخروج من جحيمه — لو عرض عليه ان يخرج اذا كان خروجه يعني ان يعيش في حقارة هذه الكائنات ، وفي هوانها وفي بلادتها ، وفي وحشيتها ، وفي نفاقها واحقادها وتفوتاتها المختلفة ، وفي همومها والامها وتخوفاتها الكئيبة — اذا كان خروجه يعني ان يتكلم اللغة التي تتكلمها هذه الكائنات ، وان يعيش المشاعر التي تعيشها هذه الكائنات ، وان يتعامل بالاساليب التي تتعامل بها هذه الكائنات ، بكل اوحالها واكاذيبها وعداواتها ، وان يفكر الافكار التي تفكرها هذه الكائنات .

ان كل جحيم حتى جحيم الانبياء القساة قد يكون افضل او اخف عذابا من هذا العار ، قد يكون افضل او اخف من ان تعيش في عالم يتحول الى مستنقع تصب فيه هذه الصحافة والاذاعات .

لقد يكون قولا صحيحا ان الحضارة قد عاقبت نفسها حينما اعطت البشر الصحافة والاذاعة ، وان الانسان قد حارب حياته أكثر مما حاربها ، وهبط بموهبته اكثر مما ارتفع بها حينما اصبحت له اذاعة وصحافة . قد يكون صحيحا انه افضل للانسان ان يظل صامتا من ان يتكلم هذه الصحافة والاذاعات ، وان يعيش في الظلام من ان يعيش تحت اضواء هذه الصحافة والاذاعات .

ان الانسان لو كان يستطيع ان يرى نفسه وان يقراها ويفسرها ، وان يحاسبها ويحكمها بعدل وذكاء ، ثم سمع وقرأ اذاعته وصحافته لما وجد هنا غير اطفال مرضى اغبياء مستثارين غير مهذبين ، يتصايحون ويتصارعون ويتفاخرون ويتجادلون ، ويتناقشون كل شيء ويتحدثون عن كل شيء بلا اي مستوى من مستويات الذكاء او العدل او التهذيب او الصدق او الامانة او الاخلاص او التواضع او الاحترام للنفس او للحقيقة او للاخرين او للغة التي يتحدثون بها ، او للزعماء والقادة والحكام والمعلمين الذين يتحدثون باسمهم او بأجدرهم وسلطانهم ، او للالهة او للمذاهب والنظم التي يتحدثون باسم الدفاع عنها او الانتصار لها .

ـ لما وجد هنا غير اطفال يحتلمون ويتمتون ويشتمون ويصغرون ويتطاولون يصغرون ، ويتضاحكون ويتطاولون يقتضحكون ، ويتشاتمون باسنانهم وانيابهم وباظفارهم وباطراف احذيتهم الكبيرة ، الكبيرة جدا ، التي هي اكبر جدا من تكاثهم ووقارهم ، ومن احترامهم لانفسهم .

ان احذية كثير من الناس هي اكبر واغنى من جدا من اللغة التي يتكلمون بها ، وانها لاذكى واصدق من الالهة والمذاهب التي يهادي باسمها كثير من الناس .

انه لمطلوب ، ان لم يكن مفروضا او محتوما ان نرضخ لمشاعرنا ووقارنا غضبا واشمئزازا لو ان اطفال العالم او لو ان اطفالنا وحدنا تقسموا الى وحدات جماعية او الى افراد ، ليتقوا متواجهين في الميادين

او في المعابد والوادي ، او في قراهم ومدنهم ومدارسهم ، او على شرفات وابواب منازلهم ، لتتحدث كل وحدة جماعيه او ليتحدث كل فرد بانه هو وحده ، او هو وابوه وجده واقربوه ، او هو ومدينته او وقريته او ومجتمعه ، او بانه هو ومذهبه ونظامه ومعلمه ، او هو واله ودينه .

— ليتحدث بانه هو وحده ، الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، بانه هو وحده الذي علم الانسان ان يمشي على قدميه ، وان يستعمل يديه ، وان يعلم بان في وجهه عينين ، وان في رأسه اذنين ، وان يعرف بان لعينيه واذنيه وظيفة ما ، وانها اي الاذنين والعينين للاستعمال ، وليست فقط للزينة — بانه هو وحده الذي علمه — اي علم الانسان — ان قبه وظيفة جنسية ، وبانها وظيفة بغيضة وعدوانية وفضاحة بقدر ما هي وظيفة سعيدة ورقصة ، وبانها وظيفة تعطي ، تعطي كثيرا ولكنها تعاقب ، تعاقب حسما ، تعاقب بقسوة ، تعاقب ما تعطي ومن يأخذ .

— ليتحدث باعتزاز لا يطاول بانه هو وحده الذي علم الاله كيف يكون خادما طيبا مخلصا للانسان ، كيف يكون عاملا عشده ، كيف يكون فقط عميلا للانسان ، يصنع له النجوم والسحاب يصنع له الشمس الكبيرة ويجعلها اكثر واكبر مما يريدها ومما يحتاج اليها ، ليبالغ في اخلاصه وخدمته وفي الاخلاص له يصنع له القمر الكسلان الدميم الابله — يصنع له القمر الذي يجعله كسلان وابله ودميما ، خيفة ان يثير غيرته او يؤذي مشاعر التنافس والكبرياء فيه ويمنع له الغباء لئلا يعذبه الذكاء ويصنع له الجبن لئلا تقتله الشجاعة ويسلم عينيه القدرة على الرؤية لئلا يشقيه رؤية الاشياء الدميمة والقاتمة . لئلا يشقيه الاحتجاج على ما يرى .

— ليتحدث باعتزاز بانه هو وحده الذي علم الاله ان يكون خادما فقط للبشر ، يبعثهم الانبياء والكتب المقدسة ويمنعهم من قتلهم لئلا يغضبوا او يكفروا ويحبهم القدرة على الايمان بها دون فهمها ويعلمهم كيف يصنعون الاطفال ، وكيف يربونهم ويأتمنون للمجيء بهم ، للاكثار منهم ، حتى ولو كانوا مرضى ومعتوهين ومشلين وعاجزين واغبياء واشرارا ، حتى ولو كانوا عذابا لانفسهم ، وعذابا لابائهم ، وعذابا للآخرين وللحياة ، بل حتى ولو كانوا هجاء للخالق وذنبا كبيرا يحاسب عليه ، ويؤاخذ به ، حتى ولو كانوا احتمالا ليصنعوا طاغية ، ليصنع جنونا عاليا ، ليكونوا

جوعا وارمات ومشاكل تصنع حروبا وتصنع همموما كونية .

ـ ليتحدث بأسلوب اعلاني بانه هو وحده ـ او بانه هو وابوه وجده ووالدته واخوته هم ـ او هو وحده ـ اذكى الناس واصدقهم وانبلهم وشجعهم واعلمهم واجملهم او بانه هو وحده ، او بانهم هم وحدهم الاذكياء والصادقون والشرفاء والشجعان والعلماء والجميل والمتحررون والملكون لكل المستقبل ، والعالمون لكل التاريخ ، لكل مزايا التاريخ ، ولكل الجمال .

ـ او بأن الهه او دينه او زعيمه او مذهبه او تاريخه أو وطنه او موقفه هو وحده الحق والصدق والمستقبل والذكاء والعدل والتقدم والقوة والشرف والنظافة ـ بانه هو وحده التفسير الصحيح والكامل الدائم للحياة والكون والانسان ولكل شيء .

ـ ليتحدث بصوت لا يحاول أن يكتمه من أحد بانه هو وحده ، او بانه هو وأبوه وجده ونبيه والهه ودينه ومذهبه ونظامه هم وحدهم المنطق العالمي الكوني ، هم وحدهم اللغة العالمية الكونية ـ بانه هو وحده وأبوه واهله والهه ودينه ومذهبه ونظامه ـ هو ، وحدهم المنطق واللغة الذان سوف يظلان ابدا يتكلمهما كل العالم وكل الكون وكل التاريخ وكل المستقبل ـ هم وحدهم ضمير كل شيء وعقل كل شيء ونموذج كل شيء .

ـ ليتحدث بلغة فيها كل الزهو والمباهاة بانه هو وحده الذي سوف يظل ـ بفرده ـ نور هذا العالم كله ، وبافضل كل من سواه في كل هذا العالم هم البقر ـ او ليشاركه في كونه نورا ، في كونه نور كل هذا العالم ابوه وجده والهه ونبيه ومذهبه ودينه ونظامه فقط ، فقط ، وليظل كل من عداهم هم البقر ، هم البقر .

ان اهل كل مذهب او نظام او دين او معسكر يريدون ان يكونوا هم الشيران والقديسين وان يكون كل من سواهم هم البقر والخنازير ، بل انهم ليعتقدون ان الامر كذلك .

* *

وهل الصحافة والاذاعة في ممارساتهما المختلفة في كل العالم ،واحيانا في اغلب العالم الا اسلوب رديء وعنيف لهؤلاء الاطفال الذين لو تصورناهم لاصبحت مشاعرنا ووقارنا بكل معاني الغضب والاشمئزاز والاستقباح ؟ وهل تصورنا لمثل هؤلاء الاطفال لنجعل منهم نموذجا او مستوى او عبارا او امضاحا للاذاعة والصحافة للتين يخاطب بهما كل العالم واحيانا اغلب العالم — يخاطب ويمارس بهما كل العالم او اغلب العالم نفسه — يخاطب ويعامل بهما اخلاقه وذكاءه واربابه ومذاهبه . وتتخاطب وتتعامل بهما اخلاقه واربابه ومذاهبه وكل اساليب حياته ، ويعتدي بهما على اخلاقه واربابه ومذاهبه وعلى ذكائه وتعتدي عليه بهما اخلاقه واربابه ومذاهبه وذكاؤه — يعتدي بهما ويعتدى عليه بهما — هل تصورنا لمثل هؤلاء الاطفال لنجعل منهم نموذجا او مستوى او عبارا او افتضاحا للصحافة والاذاعة ؟ لا تصور عاجز ومتواضع ومخلب جداً للاذاعة والصحافة ، وظالم جدا لهؤلاء الاطفال ؟

هل تصور مثل هؤلاء الاطفال تعبير ذكي او مقارب عن رؤية قوية او ذكية لما في ممارسة العالم للاذاعة والصحافة وتخاطبه بهما من بشاعات وذنوب وعدوان وغباء وافتضاح قبيح قبيح — هل هذا التصور تعبير ذكي او صادق عن رؤية قوية او ذكية مهما اريد لهذا التصور ان يكون مخففا او محابيا ؟

من اي زعيم او حاكم او طاغية ممن جربنا وعرفنا حينما يذهب متجبر على العالم من حضيض صحافته واذاعاته ، يقول ما يقول امثاله ، ويهدد كما يهدد امثاله ، ويتعرى ويكذب ويتناقض ، ويفسر مذاهبه واربابه ونظرياته ومواقفه مبررا لاعنا بها كل العالم ، زاعما لها التفوق والانتصار على كل المخالفين والخصوم ، زاعما لها الخلود والشمول ، تاملقا بكل الغباء والفحش والبلاهات كما يفعل امثاله ، كما يفعل هو دائما في مثل هذه المواقف التي طالما صنعت للعالم الموت والخراب والجنون — التي طالما عرضت البشر مثل كائنات لا يمكن ان تتحضر او تهذب او تتعامل بالذكاء .

— هل مثل هذا الزعيم او الحاكم او الطاغية المتجبر على العالم بعقن الصحافة والاذاعة ، يقول ويفكر ويشاتم ويمارس باللغة كل ذاته ، وكل ما فيها من اوحال وجنون وعار وبلادة ودمامة وشر وعدوان — هل مثل هذا الزعيم او الحاكم او الطاغية يصلح لان يهب تصورا لطفل يملك

كل البداءة والسوء ونقد التهذيب والخجل من أي شيء ، وكل الرغبة في التعري والابذاء والاثارة ، وكل الرغبة في التعبير عن القبح والفحش والعري والعار ، وكل القدرة على ذلك بكل الاساليب الفضاحة .

ـ لطفل يملك كل ذلك ، استطاع ان يعتلي منبرا في مكان تصوريا ، اضخم معبد كوني قد احتشد فيه كل البشر بالافتراض والتصور ليلتقوا للمرة الاولى بأربابهم وانبيائهم وبكل رجالهم المقدسين ليتشاركوا ويباركوا ويعلموا ويتعلموا ، وليتحدث لاول مرة وبصدق لم يجرب ـ ليتحدث هكذا كل فريق امام الفريق الاخر ، امام الفريق الاخر الذي هو خصمه ومنافسه وخادعه ومستغله ومضلله وظالمه ـ ليتحدث كل فريق امام الاخر وكل فرد امام الاخر ـ بصدق لم يجرب ولاول مرة .

ـ ليتحدث كل فريق وكل فرد امام الاخر بصدق لم يجربوه قبل هذه المرة ـ ليتحدث كل فريق وفرد عن ذنوبه وهمومه ونقائصه وعن نباته وعن معاني الضعف الوبيلة فيه وعن كل تاريخه الذي لا يستطيع ان يستره او الذي لا يريد ان يستره ، لكي يطلب الغفران ، لكي يعرف كل الاخر ، ويتعامل معه بلا خداع ولا استعلاء او تذلل ـ لكي يتحدث كل احد عن ذنوبه وهمومه ونقائصه وعن كل معاني الضعف فيه ، حتى الالهة ليتحدث هكذا وصادقا لاول مرة ، حتى الانبياء .

لكي يتدارسوا بصدق وعدل وانصاف : من الاكثر ظلما ، من الاكثر ضعفا ، او الاكثر عذابا وتورطا ، او الاكثر تورطا ـ من الاكثر : الالهة ام الانبياء ام القادة والزعماء ام البشر ، ام الجماهير ـ من المسئول ، من المذنب الاول ، من المذنب الاكبر ، من الجاني : من الذي يجب ان يكفر ، ان يستغفر ، ان يركع امام الاخرين باكيا معتذرا ؟

من الذي عليه ان يدفع الحساب الاكبر ويزرف الدمع الاغزر : الالهة التي اخطأت دون ان تريد او تعرف او تستطيع ان تمتنع عن الخطأ ، ام الانسان الذي اخطأت له الالهة واخطأت به ، واخطأت اليه ، واخطأت من اجله ، واخطأت باغرائه وتحريضه وضعفه ، واخطأت في رؤيتها وفي تفسيرها وتصورها له ؟

ـ ام الانسان الذي ليس خطؤه او ذنبه غناء بل بكاء ، وليس غنما بل

غرم ، بل عقاب ، وليس بحثا عن الترف بل استجابة للضرورة ، وليس عصيانا للآلهة او للاخلاق بل طاعة للضعف والعجز والجوع ، وليس تحزينا للدد بل تفريغ للالم ، وليس كبرياء او غرورا بل اقتناع ، وليس رغبة في الخطأ ولكن عجز عن الصواب ، عن معرفة الصواب وعن القدرة على ممارسة الصواب ، وليس التماسا لمخاصمة او لمحاربة الالهة بل التماس لمصادقة ومصالحة النفس ، وليس خروجا على الآلهة بل استسلام لقوانينها ، لما ركبت فيه ولما سلطت عليه ، بل استسلام لغوتها ومنطقها ونشوتها وليس هربا من جبروتها بل سقوط فيه ، وليس انتصارا على وحوشها المدربة المسلطة بل هزيمة امامها ، بل موت وتمزق بانيابها ؟ ايهما المذنب : الحالق الذي يخطيء داخل ذات مخلوقه ، ام المخلوق الذي يخطيء داخل ذاته خالقه ؟ ايهما افضل حظا : الانسان الذي يلتذ ويتعذب ، ام الاله الذي يتعذب ولا يتلذذ ؟ ايهما اكبر ذنبا : من يذنب بلا شهوة ولا ضعف ام الذي يذنب خاضعا لشهوة وللضعف ؟ ايهما اكبر وافظع ذنبا : الاله ام الانسان ؟

* *

نعم ، هل يصلح مثل ذلك الزعيم او الحاكم او الطاغية ان يهب تصورا لطفل يملك كل ذلك ؟ استطاع ان يعتلي منبرا في مكان قد تصورناه افخم معبد في الكون ، وتصورنا ان كل الالهة والانبياء والقديسين وكل البشر قد تجمعوا فيه لاول مرة ، وتجمعت فيهم اشواق وتطلعات وعيون وعقول وآذان حادة وراصدة ومحدقة ـ تجمعوا فيه ليتحاسبوا ويتحاكموا ويتكاشفوا ـ ثم انهى اي ذلك الطفل الذي تصورناه وتصورنا اعتلاءه المنبر بكل نبابه الداخلية والخارجية ، كما القى بكل ما عرف من احتمالات الجباه والتهذيب ثم انطلق يقول كل ما يستطيع ان يقول امثاله وكل ما لا يستطيع احد ان يقول مثله وكل ما لا يستطيع امثاله أن يقولوه .

ـ مستعملا من الحركات والاشارات البذيئة ما ان تستطيع كل همجيه التاريخ وكل همجية الطفولة ، وكل طفولة الهمجية ان تستعمله او ان تتخيله او ان تتصوره .

ـ صارخا مشيرا متوجها الى كل الاتجاهات ، مكررا نفسه ، مكررا صرخاته واشاراته وحركاته ، مترجما نفسه واشاراته وحركاته وبذاءاته الى كل اللغات ، قارنا ايها بكل الاصوات والهجات ـ قافزا صالحا قافزا صالحا ، قافزا ، قافزا ، صالحا ، صالحا .

ـ نعم هل يصلح مثل ذلك الزعيم او الحاكم او الطاغية الذي جربنا

وعرفنا امثاله طويلا ، طويلا ، ان يهب تصورا لمثل هذا الطفل الذي تصورناه وهذب مشاعرنا تصوره ! اليس الانفعال من تصور مثل هذا الرعيم او الحاكم او الطاغيه ، او من مواجهته ، او من التفكير في معناة جنونه انفعالا خاطئا ؛ انفعالا مسرفا في الغباء والظلم ! اليس في هذا التصور او التشبيه او المقارنة او الربط اهدهني ظلم لذلك الطفل - ظلم كبير ! اليس في ذلك ظلم عظيم للتصور وتشكيك في قيمته وفي ذكاء انطلاقاته واستجاباته !

ولكن هل للتصور ذكاء او هل له منطق او هل له اخلاق او هل يحترم نفسه أو هل يحترم تحركاته ! وما هو التصور ! اليس هو ضياع الانسان في آلامه واحزانه وضعفه وتيهه وعبثه وفي تناهيه! اليس هو فرار الانسان من ذاته وظروفه !

* *

ولكن كيف يمكن أن يكون تصور ذلك الطفل الفلكي للبشر حينما يسمعهم ويقرؤهم يصلون ويتضرعون لآلهتهم ، حينما يسمعهم ويقرؤهم يدعونها ويطلبون منها ، ويبكون ويدلون بين يديها ، ويرتجفون هوانا وجبنا وملقا واحتياجا وانكسارا ، حينما يسمعهم يصوغون لغاتهم ومنطقهم واخلاقهم ومشاعرهم وايمانهم بها ومعهم لها ! كيف يمكن ان يكون تصوره لهم - كيف يمكن ! كيف يستطيع ان يسمعهم ، او يقراهم !كيف يكون ذعره حين يسمعهم ويقرؤهم ، كيف يكون ذعره !

انه لن يعرف حينئذ هل هم يصلون ويضرعون ويطالبون ، ام هم يسخرون ويهجون ويحقرون ، هل هم يمارسون جدا ام هزلا ، هزلا ، هل هم يخاطبون كائنا كبيرا جادا يريدون منه ام هم يعابثون كائنا صغيرا هازلا لا يوجد عنده ما يمكن ان يطلب منه او ما يمكن ان يعطيه او ان يصنعه او ان يقرر به ، او ان يطلب او يراد منه مهما كان عنده . هل هم يخاطبون السماء بكل جبروت المجد ام هم يهزاون في تمثيلية هازلة . هل هم يخاطبون مجد السماء أم هم يهزؤون .

انه سيجدهم يصلون لالهته ويطلبون منها بانكسار ذليل فاجع ، وهل بدا الانسان ذليلا وصغيرا وفاجعا مثلما بدا وهو يصلي لآلهته ويطلب ويريد منها ! اذن هم جبناء ومهيئون ومتملقون . انهم يصلون لانهم يريدون، ولانهم يخافون ، انهم يهوتون ويركعون ويطالبون بثمن هوانهم وركوعهم انهم يهوتون ويركعون ويتملقون بتخضع ومذلة لا يقترضون لهما اي حدود . انهم

لا يشترطون لذلهم وتملقهم وخضوعهم اية شروط . انهم لا يحسابون ان يعرضوا هوانهم ؛ انهم يجدون في ذلك مجدا ؛ انهم يصلون لهوانهم .

انهم اذن يفترضون الهتهم كائنات صغيرة ورديئة وضعيفة جدا ؛ انهم يفترضونها تفرح جدا ؛ جدا ، تفرح اكثر من الاطفال ؛ من اي طفل ؛ بالهوان والمذلة والملق والانكسار بين يديها ؛ انها تفرح بذلك كالاطفال ؛ اكثر من الاطفال . انها تجري عليه ، تجزي عليه بلا حساب . انها تجري على الهوان والتملق والانكسار . انها اذن شيء رهيب ، مخيف .

انهم اذن يرون ان الالهة لا تعطي او تفعل حينما يكون العمل والعطاء عدلا او حقا او مطلقا او واجبا او قانونا او كرما او رحمة او فضيلة . . انها تعطي وتفعل بالسؤال والملق والالحاح وبالتأثير في مشاعرها وتوازنها . انها اذن اسوأ اساليب الخروج على الاخلاق والنظام والقانون والعدل والاحترام الناس في تصوراتهم وسلوكهم . انهم يهبطون بها متصورين لها ، وانها تهبط بهم متحولة الى تصور لهم . انهم يحقرونها متصورين لها ؛ وانها تحقرهم متصورة لهم !

انهم اذن لا يرون ان اي شيء يكون بالقانون او بالعدل او بالواجب او بالمنطق . ولو ان شيئا ما يكون بذلك لكان كل شيء كذلك . وحينئذ لن يكون شيء ما بالصلاة او بالتضرع او بالطالبة الملحة الدائبة . انه اما بالقانون والعدل والواجب فقط ؛ واما بالصلاة والتملق والسؤال فقط . ان احد الوافدين او المنطقين او الافتراضين يسقط الاخر ؛ انه لا يتركه احتمالا ، انه يسقطه اسقاطا . ان العدل والقانون والواجب والمنطق هزيمة وابطال للصلاة والدعاء والتضرع ؛ وان الصلاة والتضرع والدعاء هزيمة وابطال للعدل والقانون والواجب والمنطق .

انه لو كان للصلوات والتضرعات والمطالبات السائلة الملحة اية قيمة فاعلة لأصبح كل شيء ممكنا . لأصبح كل شيء في الكون وفي نفسك الانسان ممكنا ؛ لان كل ذلك ؛ ولان كل شيء حينئذ يمكن تغييره والتحكم فيه وامتلاكه وفقده وصيانته واعدامه بالصلوات والضراعات والمطالبات الملحة السائلة ؛ حتى الشمس ؛ حتى اسقاطها ؛ حتى قتلها ؛ حتى امتلاكها هبة ؛ حتى تحويلها الى رغيف ؛ الى كتلة من الخبز او العجين او الزبد ؛ حتى تجفيف البحار وحتى تحويلها الى مياه عذبة ؛ وحتى موت الالهة وحتى فقدها

لالوهيتها ، وحتى سارلها عن الوهيتها ، حينما يطلب منها ذلك ، حينما يصلي له ويضرع اليها لكي تغيثه . انها اذا طلبت بالاخرين بالدعاء فلا بد ان تفعل بنفسها بالدعاء .

انه اذا كانت دعوة او صلاة او مطالبة انسان ما باسلوب ما تحت ظروف ما تجعل الاله يتقبل ان يهب الشمعة او يطفئها او يغير صفاتها او يحولها الى طعام ، اذا كانت الدعوة او الصلاة أو المطالبة موجهة الى ذلك ، فان دعوة او صلاة أو مطالبة انسان اخر اكبر ، مثل نبي أو قديس أو ملاك، باسلوب ما اخر ، تحت ظروف ما أخرى ستطيع ان تجعل الاله يتقبل ان يهب الشيء الاعظم من الشمعة ، ان يهب الشمس او ان يسقطها او ان يطفئها او ان يصوغها من جديد ، او ان يتمها طعاما للنجوم الجائعة ، اذا كانت الدعوة او المطالبة او الصلاة مرادا بها ذلك . . وكيف اذا كانت حالة الاله النفسية مواتية مستجيبة . انه لا حدود لاستجابة الحالة النفسية التي تخضع للصلاة والسؤال والتضرع والالحاح . انه لا حدود لسلوك كائن يتحرك بالدعاء والمطالبة والمناشدة الذليلة الخاضعة اذا لم يكن ذلك الكائن يخاف شيئا او يعجز عن شيء . انه لا حدود ولا قانون لسلوك الاله ولا لذكائه اذا كان يتقبل الصلوات والمناداة والضراعات ويستجيب لها ويجزي عليها .

ان اي كائن عاقل يعيش في عالم يحكمه قوة مختلفة يتقبل الصلاة والدعاء والتضرع والسؤال او تستجيب لذلك ، او يحتمل ان تستجيب له او لشيء منه.ان اي عاقل يعيش في مثل هذا العالم الذي تحكمه مثل هذه القوة يجب ان يصاب بالجنون ان لم يكن محتوما ان يصاب بالجنون . ان هذه القوة المطلقة التي تتقبل الصلاة والدعاء والسؤال والضراعات وتستجيب لها موجهة منا ، قد تتقبلها ، بل حتما لا بد ان تتقبلها ولو احيانا حينما تكون موجهة ضدنا . انها كما تتقبل ذلك منا لا بد ان تتقبله ضدنا . انها عقدة لا مثيل لها في السخف .

ان وجود الاله الذي يتقبل الصلوات والدعوات والمطالبات ويستجيب لها لعقدة لا مثيل لها في سخفها . ان ذلك هو الجنون .

وهل من الخير او الذكاء او الافضل ان يكون هناك اله يستجيب منك ضد خصمك او ضد غيرك ليستجيب من خصمك او من غيرك ضدك ؟ هل

من الذكاء او من الافضل او من الخير ان يكون مثل هذا الاله موجودا ؟ هل وجود مثل هذا الاله افضل لك او للاخرين الذين قد يستعملونه ضدك كما قد تستعمله انت ضدهم ؟ اليس الافضل لك ولهم ان تتحالفوا ضد وجوده ؟ اليس ذلك هو الاذكى ؟

اما ان يوجد اله يقبل منك فقط ، ويستجيب لك فقط فان افتراض او تمني مثل هذا الاله قد يكون فيه من الهجاء لك اكثر مما فيه من الهجاء لذلك الاله ، او مثلما ما فيه من الهجاء لذلك الاله او اقل مما فيه من الهجاء لذلك الاله . انه هجاء لك وهجاء منك ، ان فيه من الهجاء منك مثلما فيه من الهجاء لك . وهل تهجى الالهة ؟ وهل يهجى شيء مثلما تهجى الالهة ؟ هل يهجو الانسان شيئا مثلما يهجو الهه ؟

اما بعد فان يوجد اله من هذا الطراز ، بهذه الصفات فانك بذلك تصنع طرازا لا سبيل لك في استساغة والبقاء والنقاء ، انك حينما تقبل ان يوجد اله يستجيب لك فقط فانك حينئذ تجعل جميع دعائك الهجاء وجميع اسباب الهجاء عاجزة عن ان تكون على مقاس ذاتك ، عاجزة عن ان تجرؤ على وصفك وعن ان تفكر فيك لتموتك عليها .

كيف تقبل ان يكون في بيتك او في معبدك او في تصورك انه يستجيب لك ولا يستجيب لاعدائك بقدر ما يستجيب لك ؟

اما ان يكون هناك اله لك وللاخرين ، وللمنافسين واعدائك وخصومك ، فانك لن تقبل بمثل هذا الاله ، انك لن تسعد به ، ولن تستفيد منه ، انه حينئذ لا بد ان يكون عدوا وخصما ومنافسا ومنغصا لك ، لانه لاعدائك وخصومك ومنافسيك والمنتقصين لك في محاسبتهم وظروفهم وهذا يسلم ومذاهبهم ، مثلما هو لك ، بل هو حينئذ وقوة ذاتية عندك ، مع اعدائك ومخالفيك وخصومك اكثر مما هو معك لان خصومك ومخالفيك واعداءك والمنافسين في مواقفهم لك اكثر منك ، اذن فهو عليك اكثر مما هو معك ، انك بقدر ما تفترض الاله عادلا وطيبا وعالما وكونيا تفترضه عدوا وخصما ومنغصا لك لانه حينئذ لا بد ان يكون للاخرين المناقضين لك ، هل تقبل ان تدخل حربا او خصومة ما مع خصوم لك واعداء ، ليكون فوقك وفوقهم الله لا حدود لقدرته ولحسامه ولرغبته في التدخل ، اله يتقبل من اولئك الخصوم والاعداء دعواتهم وتضرعاتهم ضدك بالاسلوب الذي

يتقبل به منك ذلك صدهم بلا محاباة او ظلم او خطأ ؟ هل تتقبل ذلك ؟ هل علمت ان مثل هذا الاله سوف يضطر الى ان يمنع لك البزيمة والاذلال اكثر من ان يصنع لك النصر والكرامة ؟ هل علمت انه محكوم عليه حينئذ بذلك لكي يكون عادلا في نظله للصلوات والتضرعات ؟

انك لم تتقبل وجود الاله ؛ ولم ترض عن وجوده الا على افتراض ان يكون لك فقط ضد الاخرين ؛ لا على افتراض ان يكون لك وللاخرين الذين قد يكونون اعداء لك ؛ او خصوما او مخالفين او مناقضين ؛ فيكون حينئذ الاله عدوا او خصما او مخالفا او نقيضا لك ، الاضطرار والالزام . وهل تتصور اضطرارا او الزاما فيه من الهول والقبح مثلما في اضطرار الاله والزامه وهل تتصور اقبح او اسخف من اله يقتل من اعدائك دعواتهم ضدك ويقبل منك دعواتك ضدهم ؟

ان كل المؤمنين بالالهة انما قبلوا الهتهم وتعاملوا عليها واستراحوا اليها لانها في افتراضهم وفي حساباتهم العقلية والاخلاقية ليست الا لهم وحدهم ؛ وليست لهم ولاعدائهم ومخالفيهم بقدر ما هي لهم . ان اي مؤمن لم يفترض ان الاله الذي يؤمن به قد يكون لعدوه او لخصمه قدر ما هو له او اكثر . ان التعامل مع الحياة وعلى الحياة قد يرى ان الحياة قد تكون مع خصمه او عدوه اكثر من كونها معه ، وليس كذلك التعامل بالالهة .

انك لو كنت مؤمنا بالاله ؛ وبانه أبدا واقف متحفز متوتر مرهف الاحاسيس والحواس ؛ ينتظر الدعوات والصلوات والتضرعات لتدخل ويستجيب بكل حماسه وقدرته ؛ وكنت في حرب او في مخاصمة مع عدو لك يؤمن بالاله مثل ايمانك . ويراد مثل رؤيتك له ؛ ثم طلب منك ذلك العدو المحارب المخاصم بأن تقفا على أن ترفعا الاله من حسابكما ؛ وان تستعاد وتستداه عن التدخل فيما بينكما ؛ رحمة به من ان يتورط بينكما ؛ او خوفا منه حينما يكون ملزما بأن يتدخل لصلحه كل منكما بالعدل والقاسون او بالمساواة مهما كان منطق العدل والقانون .

— انك لو كنت كذلك لما قبلت مثل هذا الاتفاق ؛ ولما قبله عدوك المحارب لك ؛ لان كلا منكما يرتب حسابه على ان الاله له وحده . اذن فليبق الاله ؛ وليبق تدخله وتشاطه ، وليبق تقبله واستجابته للدعوات والمناداة والمطالبات . لانك انت — في افتراضك وحسابك — لانك انت فقط — الذي سوف تدعوه

وتصلي له وتطلب منه فيستمع ويرق ويضعف امام حقك وتضرعاتك ومذلاتك، ويغلق بلا ابة رحمة او مجاملة او تقوى كل عواطفه وحواسه عن دعسوات ومناداة وصلوات عدوك ، ليكون لك وحدك ، لتكون كل عواطفه واهتماماته لك وحدك ، وليكون لك وحدك كل قلبه وعبقريته واهتماماته .

ان كل المؤمنين ، حتى الانبياء ، حتى كل القديسين انسا كانوا جميعسا يتعاملون بالاله ويؤمنون به على هذا الافتراض ؛ ان كل حسابات المؤمنين حتى حسابات كل الانبياء والقديسين انما كانت قائمة على هسذا الافتراض اي على افتراض ان الاله انما يملكه دائما احد الفريقين ، اي على افتراض انه دائما يقاتل تحت احدى الرايتين . ان كل فريق يتهمه بأنه انمسا يقاتل معه وحده ، انهم جميعا يتصورونه اذن بالانحياز ، بالمحاباة الرهيبة البديئة . ان الايمان بالاله والتصور له لن يكونا الا عدوانا عليه في حسابات وتصورات جميع المؤمنين به والمتصورين له .

ان المؤمن لا يستطيع ان يؤمن بالاله دون ان يفترضه محابيا منحازا . ان المؤمن لا يستطيع ان يتصور انه هجاء للاله ان يفترض منحازا محابيسا او ان يكون كذلك في منطقه وفي سلوكه ، اي في منطق الاله وسلوكه .

ان المؤمن لا يستطيع ان يفترض الاله منحازا محابيا مهما افترضسه ومهما منحازا محابيا ، ومهما انتظر منه ان يكون منحسازا محابيا ومهما طالبه بأن يكون كذلسك .

ان الايمان بالاله لا يمكن ان يكون مطلقا او تنزيها او مجسدا او عسدلا تحت اي ظرف ولا بأي اسلوب .

ان مجرد الايمان بالاله يعني حتما افتراضه منحازا محابيا . ان مجرد وجود الاله يفرض عليه ان يكون منحازا محابيا ، انه لا يمكن ان يوجد الله دون ان يكون منحازا محابيا . ان معنى وجود الاله لا بد ان يعني معنى وجود الانحياز والمحاباة . ان الالوهية لا تكون الا انحيازا ومحاباة ان هذا الكسون ـ على افتراضه عمل وتدبير الله ما ـ ليس الا اشباع لمطالسب الانحياز والمحاباة . انه لا يمكن تصور صيغة او اسلوب للمحاباة والانحياز اقبح مسن الصيغة والاسلوب اللذين جاء بهما هذا العالم وجاء بهما الناس والحشرات وكل الكائنات . اننا لن نستطيع ان نتهم احدا بوحشية الانحياز والمحاباة مثسل ان نزعم ان هذا الكون قد صاغه صانع .

* *

ان ذلك الكائن العلمي سوف يجد البشر يتضرعون الى الالهة مطالبينها بان تغير الاشياء ، بان تصوغها صياغات جديدة افضل او اكثر ملاءمة لهم ؛ بان تهب الاشياء صفات اخرى لم تكن صفاتها ؛ بان تكون دائما عادلة بالية ، معطية دائمة ؛ فعالة محبية ، مريدة فاعلة لارادتها ؛ محابية لهم ضد خصومهم واعدائهم ومخالفيهم ؛ منتظرة ابدا لطلباتهم لكي تصوغ كما تريد شعوبها .

انه يستحدهم دائما بريدون من الالهة ان تكون غير ما كانت ، وان تصنع غير ما صنعت ، وان تهب غير ما وهبت انهم ينادونها لتفعل كل ذلك ، انهم دائما ينادونها لتفعل افضل مما فعلت ، ولتكون افضل مما كانت ولتعطي اكثر او افضل مما اعطت . انهم دائما ينادونها لتهبهم الصحة والقوة والثراء والسعادة والسرور وكل الظروف الاخرى المواتية . وانهم مع ذلك يصفونها بكل العدل والحكمة والرحمة والذكاء ، بكل الصفات الكاملة وبكل معاني واساليب الكمال في السلوك . انهم ينادونها ويلحون في ندائها لتستجيب وتفعل تحت الالحاح والنداء كانما يتصورونها طفولة تسمع وتطيع بالرجاء والثناء والنداء والملق وبالبكاء ايضا .

ولكن كيف ؟ اليس احد الموقفين ينافي الاخر ؛ اليس كل من الوصفين والموقفين ينافي الاخر ؟ اليست مطالبة الالهة هذه المطالبة تنافي وصفها بهذه الصفات ؟ اليس الايمان بهذا ينافي الايمان بذاك ؟ ان الايمان بكمال الاله وعدله ينافي مطالبته باي شيء . انه ينافي مطالبته بان يفعل ما يريد او يكون غير ما فعل واراد وكان . انك حينما تطالب الاله تنكر كماله وعدله . اذن حاذر على ايمانك .

اليست مطالبة الالهة بان تفعل اي شيء ، او ان تغير اي شيء او ان تكون اية كينونة جديدة ينافي الايمان بكمالها ، وبانها عادلة او ذكية او رحيمة او حكيمة ؟ اليس الايمان بانها كاملة ورحيمة وحكيمة وذكية وعادلة — اليس الايمان بانها كل العدل والذكاء والحكمة والرحمة يمنع مطالبتها بان تهب او تصنع شيئا اخر ، شيئا غير ما صنعت ووهبت ؟ اليس ذلك يمنع مطالبتها بان تكون غير ما كانت او افضل مما كانت او اكثر رحمة مما كانت ؟ اليس ذلك الايمان بانها كل مستويات الكمال والرحمة والحكمة والعدل والذكاء يمنع مطالبتها باي شيء او بفعل او تغيير اي شيء او بان تعطي او تمنح اي شيء ؟ اليس مثل هذا الايمان يمنع المريض والضعيف

والفقير والحزين والمهزوم من ان يطلب منها الشفاء او القوة او الثراء او السعادة او الانتصار او اي شيء هو فاقده لان مطالبة الالهة بذلك تعني انها ليست حكيمة ولا رحيمة ولا ذكية ولا عادلة ؛ لانه او كان المريض او ضعف الضعيف او فقر الفقير او حزن الحزين او انهزام المهزوم هو العدل والذكاء والرحمة والحكمة والمصلحة لما جازت مطالبة الالهة بأن تزيل ذلك او ان تزيل شيئا منه ولما جاز ان تفعله او ان تفعل شيئا منه . انه لو كانت الالهة عادلة وذكية وحكيمة ورحيمة وكاملة كمالا مطلقا في كل مستوياتها ، وفي كل سلوكها وتدبيرها وتفكيرها لما جاز ان تطالب بشيء ، ولما جاز ان تراجع في اية خطوة من خطواتها ولا في اية فكرة من افكارها : بل لما جاز ان تدعو او تنادى او تجأر او يبكى بين يديها لترحم او لتتعجل شيئا او لتهب شيئا او لتزيل شيئا او لتنقذ من شيء — لما جاز ان توجه اليها التضرعات واللهفات الجائعة المتطامة المنتظرة . ان الذين يتوجهون الى الالهة يدعون ويرجون وينتظرون ليسوا الا وفود هجاء . انهم كوفود الشعراء والمغنين والمتملقين الذين يتوجهون الى ابواب الخلفاء والامراء الذين كانوا يعيشون في صحراء التاريخ .

ليست مطالبة الالهة بأي شيء ، حتى ولو بالشفاء من المرض او الفقر او الحزن او العار او الهزيمة او الهوان او من فقد الكرامة والشرف والنخوة والشجاعة والذكاء — ليست مطالبة الالهة بأي شيء من ذلك ، او بأي شيء غير ذلك ؛ اسلوبا من اساليب التسفيه او المقاومة او النقد لها ، او من اساليب الاتهام لاخلاقها او لذكائها ، لرحمتها وعدلها وحكمتها ونزاهتها ومروءتها !

ليست هذه المطالبة اسلوبا منبثقا من اساليب مطالبتها بالخروج على نفسها وبالرفض لنفسها وبالتراجع عن نفسها ، بل بالهجاء لنفسها ، وبالاعلان عن تخطئتها لكل مستوياتها وتمانجها وبالحكم على هذه المستويات والنماذج ، بالحكم ضدها !

اليست هذه المطالبة اسلوبا من اساليب المقاومة لذكاء الالهة ولاخلاقها او لاى مستوى من مستوياتها او لكل مستوياتها ؟

واذا كان محتملا في حساب المؤمنين ان تعطي الالهة ما يطلب منها او ان تفعل ما يطلب منها أن تفعله فلماذا تعطي او تفعل ذلك في تقدير المؤمنين أهل

لانه طلب منها ، ام لانه هو العدل والرحمة والحكمة والمنطق ؟ ان كان للاول كان ذلك خروجا على العدل والذكاء والحكمة والرحمة والمنطق ، بل وعلى الوقار والاحتشام — بل كان ذلك اسلوبا رديئا من اساليب المطولسة والنزق الحزين الصغير جدا ، جدا .

وان كان للثاني فلماذا لم تفعله الالهة دون ان تطلب منها ؟ وهل الالهة لا تفعل الحكمة والرحمة والعدل والذكاء والمنطق الا اذا طلب منها ؟ هل الالهة لا تفعل اخلاقها ومستوياتها وواجباتها وحبها ورحمتها وكل شمائلها الاخرى الا بالطلب والضرع والصلوات لها ؟

اليس ممارسة فضائل الذات وقدراتها احتياجا وضرورة وليس حبا او فضلا واختيارا او مجازاة ؟

بل ولماذا حينئذ فعلت نقيض ذلك — لماذا فعلت نقيض العدل والذكاء والحكمة والرحمة والمنطق ؟ لماذا فعلت ذلك قبل ان تدعى وقبل ان يطلب منها الفراجع عما فعلت من الذنوب او من النقيض لاخلاقها او لما يتبغي او ينتظر او يرجى منها ؟ هل الالهة تتوب او يطلب منها التوبة او تفعل ما يتاب منه ؟

13 اصابت الالهة كائنا ما بالمرض او بالفقر او بالهزيمة او بالاحزان او بالتشويه او باية آفة اخرى فالافتراض الذي يجب ان يكون والذي لا يمكن ان يكون هناك افتراض غيره : انها قد اصابته بذلك لانه العدل او الرحمة او الحكمة او المنطق او الواجب او الجزاء العادل ، وحينئذ كيف يجوز ان تطالب بالشفاء من ذلك ، او كيف يمكن ان تشفي منه ؟ اليس ذلك يعني مطالبتها بالخروج على العدل والرحمة والحكمة والمنطق ، ومطالبتها بترك الواجب وبالتخلي عن المجازاة العادلة ؟ اليس ذلك يعني ان ينتظر منها هذا الخروج وهذا الترك وهذا التخلي ؟

ولو انها استجابت لمناشدتها وشفت مما اصابته به فهل تستحق حينئذ ان تكون الهة وهل تستحق الثناء ؟

ولو جاز الافتراض الاخر ، اي الافتراض بأن الالهة قد اصابت ذلك الكائن او ذلك الانسان بما اصابته به بلا عدل ولا منطق ولا حكمة ولا رحمة

ولا التزام بالواجب او بالمجازاة العادلة ، او بانها قد اصابته بذلك الذي اصابته به ضد العدل والنطق والحكمة والرحمة وضد الالتزام بالمجازاة العادلة .

ـ اجل ، انه لو جاز هذا الافتراض البذيء لكان الافتراض الاخير : الا تغير الالهة موقفها ، والا تعالج مما اصابت به . ان الالهة حينئذ يجب ان تظل مصرة على ما فعلت . انها يجب الا تتراجع عن سلوكها الخارج على المنطق والعدل والحكمة والرحمة والذكاء والواجب .

لقد اصابت الالهة ـ اي على حساب الافتراض البذيء ـ ذلك الكائن او ذلك الانسان بما اصابته به دون عدل او حكمة او رحمة او منطق او استحقاق عادل . واذن فلماذا تعالجه او تنقذه مما اصابته به ؟ لقد اصابته لان اصابته تصنع لنفسها واضميرها السعادة واللذة والابتهاج . لان اصابته تتحول الى عزاء او مسلاة لها من اي نوع وباسلوب ما . وهذا افتراض قد يكون محتوما . والا فلماذا اصابته ؟ هل اصابته لتدخل على قلبها الحزن والعذاب ؟ قد يكون ذلك صحيحا جدا . قد يكون صحيحا جدا ان الالهة انما تفعل افعالها ومخلوقاتها بحثا عن الحزن والعذاب والا فكيف تفعل وتخلق بهذا الاسلوب ؟ ان كانت قد اصابته بحثا عن المسرة والمسلاة والعزاء فلماذا تتخلى عن سرورها ومسلاتها وعزائها ؟ وان كانت قد اصابته لتتلذذ بالعذاب والحزن لانها تجد فيهما لذتها ، فلماذا تتخلى عن لذتها التي تهبها اياها الاحزان وانواع العذاب ؟ هل يوجد من يسعد بالحزن والعذاب فيما قابه وفي هيئته مثل الالهة ؟ هل يوجد من يفعل الحزن والعذاب ويعيشهما مثل الالهة ؟

هل نفترض انها تتخلى عن ذلك استجابة للدعوات والصلوات والتضرعات ؟

هل نفترض أنها قد أصابت بما اصابت به لكي تدعى وتنادى ويطلب منها لكي تشفي من ذلك ؟

هل نفترض ان الالهة تصيب الانسان بالعمى او بالتشويه أو بالجنون أو بالفقر او بالمرض او بالافات والآلام الاخرى الباهظة لكي يطلب منها ويتضرع اليها ويصلي لها لتشفيه فتشفيه ؟ هل نفترض ان الالهة تصيب وتؤذي وتفسو بلا استحقاق ولا منطق ولا عدل ولا حكمة ولا ارادة جزاء لكي يطلب

منها أن تعالج مما فعلت فتعالج ؟ هل يمكن ان نفترض الالهة بهذا المستوى من الوحشية والتفاهة والضآلة والنزق ؟ هل يمكن افتراض الالهة صغيرة الى هذا المدى ؟

وهل يمكن أن تصعد بأي وحش وحشيته لكي يجرؤ على أن ينشب اظفاره بحيوان ضعيف عاجز ، لا ليتغذى بلحمه ، ولا ليسكت هجوم جوعه عليه ، ولكن من اجل أن يجعل ذلك الحيوان الضعيف العاجز يبكي تضرعا مناديا مصليا مستغيثا طالبا منه الرحمة والاحسان — او من اجل ان يجعل والدة ذلك الحيوان الضعيف العاجز الناشبه فيه الاظفار تفعل ذلك بين يديه ، اي بين يدي ذلك الوحش ، مصلية ضارعة له في أعتى واقسى محاربيه ، في اكثرها غلاما ورهبة وكآبة ؟ هل يمكن ان تصعد بنا وحشية التصور لكي نستطيع ان نتصور مثل هذا الوحش ؟ هل يمكن أن يوجد مثل هذا الوحش ولو في التصور ؟

ان ذلك الكائن الغاكي سوف يعجز عن الفهم وعن الامتناع : كيف أمكن ان يجمع البشر بين هذين الاعتقادين : بين الاعتقاد بأن الالهة هي التي تصنع الالم والعذاب والاعتقاد بأنها هي التي تعالج من الالم والعذاب وهي التي ترجى للعلاج منهما ، وبأنها هي التي تصوغ الشيء وتدبره وتوجده ، وهي ايضا التي تغير صياغته وتدبيره وهي التي تعدمه ، تقتله .

كيف جمعوا بين الايمان بأن الالهة هي كل الخطر وكل الاعداء ، والايمان بأنها هي كل النجاة من كل الخطر ومن كل الاعداء ؟

اذا كان الهك هو الذي يمرضك ويفقرك ويشوهك ويهزمك فكيف ترجوه ، أو كيف يكون هو المرجو لشفائك واخراجك من كل ذلك ؟ واذا كان هو الذي انقذك واخرجك من آلامك او الذي يخرجك وينقذك منها ، أو هو المرجو لك منها فكيف يصيبك بها ؟ كيف يكون هو الذي يصيبك بما تريد ان ينقذك منه ؟ كيف يكون هو نبيك ودجاجك ، او كيف يكون نبيك هو دجالك ؟ او كيف يكون سيافك هو جلادك ؟ او كيف يكون سياغك وجلادك ؟ أو كيف يكون طبيبك هو مرضك ؟

اذا كان يريد أن يصيبك فكيف يريد ان ينقذك ؟ واذا كان يريد ان ينقذك فكيف يريد ان يصيبك ؟ كيف يشتهي ان يمرضك ويفقرك ويهزمك

ويشوهك اليوم ، ثم تصبح شهوته غدا او بعده ان يهبك الصحة والسراء والانتصار والعافية من كل سوء واذى ؟ كيف تكون اذن اخلاقه ؟ كيف نتصور حينئذ اخلاقه وصفاته ومزاجه ومستوياته النفسية ؟ كيف يمكن حينئذ ان تفسره او ان تفهمه ـ كيف يمكن ؟

كيف تلجأ الى من قتل ابنك بالامس بداء الثقب ليشفي ابنك الثاني اليوم من داء الزكام ؟

كيف ترجو من امراضك بمنطق او بلا منطق ان يشفيك بمنطق او بلا منطق ؟

كيف تدعو الطبيب الذي قتل ابناءك التسعة وهو يعالجهم من مرض الحصبة الى ابنك العاشر لمعالجته من مرض السرطان ؟

كيف تدعو الطبيب الذي من حكمته ورحمته ومنطقه ومجده وسعادته ان يقتلك او يشوهك او ان يصيبك بالداء العضال ـ كيف تدعو مثل هذا الطبيب الى منزلك او تذكره بوجودك ؟

كيف يمكن ان يكون لذكاء دموعك وصلواتك وتضرعاتك ـ كيف يمكن ان تكون نظافة وكرامة واخلاق وضمير دموعك وصلواتك وضراعاتك حينما تطرح نفسك باكيا متضرعا مصليا تحت اقدام من قتل كل آبائك واهلك واصدقائك وكل الاولين ، بعد ان سامهم كل الوان التحطيم والتعذيب والاذلال ـ تحت اقدام من سوف يقتلك ويقتل كل من بقي من ابنائك واهلك واصدقائك وجيرانك ، بعد ان يسومك كل الوان التعذيب والتحطيم والاذلال ، وبعد ان يسومهم كل الوان التعذيب والتحطيم والاذلال ؟

كيف يمكن ان يكون شرف دموعك وايمانك وصلواتك وتضرعاتك حينما تلقي بنفسك باكيا مصليا متضرعا هاتفا تحت اقدام من قتل ومن سيقتل كل العالم بعد ان ساءه او بعد ان سومه كل الوان التعذيب والاذلال والتحطيم ، مناديا له ، مؤملا فيه ، منتظرا منه ـ اي من ذلك القاتل المحطم لكل العالم ـ مناديا له ، مؤملا فيه ـ منتظرا منه ان يحتسك مصرا وتحطيما وآلاما وهموما قد اصاب بها كل آبائك واهلك واصدقائك وكل العالم ، وان يهبك آمالا

ومسرات وحمايه لم يهبها احدا من آبائك او من اهلك او من اصدقائك اومن العالم ؟

كيف يمكن ان يكون شرف عينيك ، وكيف يمكن ان يكون ذكاؤهما وكبرياؤهما حينما نرنو بهما الى قاتل كل العالم ، الى محطمه الى واهبه كل الامراض والمهانات والمذلات وكل اسباب الخسوف والاسى والدموع ، لكي يهبك كل ما ليس في سلوكه او في تاريخه او في ضميره او في نياته ؟

كيف يمكن ان تكون لفات وجهك وتقاسيره، كيف يمكن ان تتكلم اعصاب وجهك حينما يسعى الي من فمن كل آبائك واهلك ، بعد ان سامهم كل التشويه والمعذيب والاذلال ، طالبا اليه ان يكون الحارس لك والحارس لابنائك من كل احتمالات الخوف والالم والخطر ؟

كيف يمكن ان تكون لفات وجهك وتقاسيره، كيف يمكن ان تتكلم اعصاب وجهك حينما تهب كل نضرعاتك وسلوانك ودعواتك للقاتل العالمي ، للقاتل الكوني لكي يهبك كل الخلود وكل الحياه ، وكل الحماية .

ـ حينما تطلب من كل الموت ان يكون كل الحياة ، ومن كل الخوف ان يكون كل الامن ، ومن كل العدو ان يكون كل الصديق ، ومن كل الذنب ان يكون كل التوبه ، ومن كل الخصامة ان يكون كل الجمان ، ومن كل البغض والقصب ان يكون كل الحب والرضا ، ومن كل القسوة والبطش والتعصب والجبروت ان يكون كل الرفق والتسامح والتواضع والغفران ؟

كيف يمكن ان تكون لفات وجهك وتقاسيره ، كيف يمكن ان تتكلم اعصاب وجهك حينما تصلي وتتضرع وتدعو ـ حينما تطلب من الالهة ان تشفيك او تفتيك او تهبك او تنصرك او تحميك او تحبك اذا كانت هي التي تمرضك وتفقرك وتجيعك وتخيفك وتحرمك وتهزمك وتقتلك ـ اذا كنت تؤمن بانها هي التي تفعل بك وبك ذلك ؟

انه لغباء وهوان رهيبان ـ انه لغباء وهوان ان تهب اي قدر من ثقتك او اطمئنانك الى من قد تكون حكمته او رحمته او شهوته او منطقه او وجبه او لذته او سعادته او ارادته في ان يهبك الداء او الفقر او المزيعة او التشويه او الاذلال او الضياع او العجز او الغباء او الجنون او الموت ـ

انه لشيء رهيب ، انه لشيء رهيب ان تمنح ثقتك أو ايمانك لانسان الذي ترى انه لن يصبح حكيما أو رحيما أو عظيما او طيبا او ذكيا او محبا صديقا الا اذا وزع الآلام والتشوهات على كل العالم ، على كل شيء .

اني أنعاك أيها الانسان ، اني انعي كرامتك وذكاءك وكبرياءك .

اني أنعاك ، اني انعاك أيها الانسان . .

اني اشفق عليك — اني اشفق عليك ان يراك أي كائن ، او ان يعرفك اي كائن ، او أن يسمعك اي كائن سواك . . اني اشفق عليك أيها الانسان .

اني اشفق،اني اشفق أن يراك او يعرفك او يسمعك ذلك الكائن الفلكي — اني اشفق أن يراك او يعرفك او يسمعك ذلك الكائن الفلكي وانت تصلي، وانت تتضرع وتدعو . .

اني اشفق ، اني اشفق ايها الانسان ان يراك ، ان يعرفك ، ان يسمعك أي كائن سواك وانت تصلي ، وانت تدعو وتتضرع وتناجي وتنادي .

أني انعاك ايها الانسان ، اني انعي كرامتك وذكاءك وكبرياءك .

اني اشفق عليك ، اني اشفق على من يراك او يعرفك او يسمعك . . اني اشفق عليك ، أني أشفق منك ايها الانسان .

اني اشفق عليك ، اني اشفق منك ، أني انعاك ، انعاك .

ايها الانسان . . ايها الانسان .

انك ايها الانسان لذكي بلا حدود وشجاع بلا حدود ومبدع بلا حدود وشامخ بلا حدود ، وانك لرافض بلا حدود ، حتى لتهابك الالهة ، وحتى لتنظر اليك الالهة بغيرة وحسد وبارتجاف ، وحتى لتخاف النجوم اقتحامك لها ، وتحليقك فوقها .

انك لعظيم وكبير بلا حدود ، ولكنك ايضا صغير وتافه بلا حدود .

انك ايها الانسان غبي بلا حدود ، وذليل بلا حدود ، وراكع بلا حدود ، وجبان وملوث بلا حدود .. حتى لتعافك وتشمئز منك كل الكائنات ، وحتى لتعافك وتشمئز من تلوثك وغبائك وهوانك وجبنك الحشرات ، وحتى لتشعر الديدان بالتفوق عليك ، وبالرغبة عن مستواها حين تنظر اليك ، يشمخ قاماتها حينما تغيس قامتك ، حينما تتعامل بقامتك مع الطغاة وفي المعابد وحينما تمارسها في الركوع والسجود ، وفي كل ممارساتك للحضيض .

هل انت ايها الانسان تعاقب نفسك ؟ هل انت تعاقب ذكاءك بغبائك ، وتعاقب شموخك وابداعك بهوانك وعجزك وتلوثك ، وتعاقب حضارتك وقفزاتك العبقرية ، البعيدة بمعابدك ومحاريبك ، وبصلواتك وتضرعاتك ، وبالهتك البدوية ؟

هل الآلهة ايها الانسان تعاقبك وتنتقم منك لانها تغار من تفوقك ؟

هل الالهة تعاقب مزاياك بنقائصك ، وتفوقك بهوانك ، وذكاءك بغبائك ، وضحكاتك بدموعك ، ولذاتك بآلامك وتعاقب براعاتك ومذنباتك بصلواتك وبتضرعاتك وباعتقاداتك ؟

هل تفاهاتك تعاقب عبقرياتك ؟

هل انت ايها الانسان جيد الحظ ، هل انت ردىء الحظ — اي اذا وضعت في مباراة مع الكائنات الاخرى ، اي مقارنة ارباحك مع خسائرك ؟ هل انت جيد الحظ ، هل انت ردىء الحظ ، اهل مسراتك اكبر من احزانك ؟ او هل آلامك اعظم من آلامك ؟ هل عبقريتك وابداعاتك اعظم من تفاهاتك ومن بلاداتك ونقائصك الرهيبة ؟

انك اعظم الكائنات ضحكا وسرورا وممارسة للذات وشعورا بها وتخيلا لها وانتظارا لقدومها واكتشافا لها وعلما بها وتعبيرا عنها ، وتكتشف ايضا اعظم الكائنات احزانا ودموعا والاما ، واعظم الكائنات ممارسة للاحزان والدموع والآلام ، واحساسا بها وتوقعا لها وخوفا منها واحتشادا بأساليبها وتقاسيرها ولغاتها ، وقدرة على اكتسابها وتضخيمها ، وعلى التعبير عنها والاستزادة منها .

وانك ايها الانسان لاعظم الكائنات ذكاء وابداعا وقوة ونظافة وشموخا

ورفضا . ولكنك ايضا اعظم الكائنات غباء وهوانا وعجزا وركوعا وضلالة وانهزاما وتلونا .

انك دائما حدان متباعدان جدا ؛ انك دائما كائنان لا يلتقيان ولا يتعارفان ولا يتفاهمان ــ انك تبدو كذلك .

فهل أنت ايها الانسان جيد الحظ ؟ هل أنت رديء الحظ ؟ هل جاءت حظوظك الرديئة عقابا لحظوظك الجيدة ؟ هل رذائلك ونقائصك وضعفك اقتصاص من تفوقك ومن مزاياك ومن قوتك؟هل محاربيك وعقائدك وذماتك التي حطمتها احباءاتك عقاب لمدنياتك ؟

انت ايها الانسان متفوق في عبقريتك وفي مسراتك وملذاتك ، وفي شموخك ورفضك ، وفي قوتك وانتصاراتك ، ومتفوق ايضا في تفاهاتك ، وفي هوانك وخضوعك ، وفي عجزك وتفيئك ، وفي تهتك ، وفي همومك وآلامك . .

انت دائما طرفان تتسع المسافة التي بينهما لكل الكون منحولا الى ذنوب وعاهات وآلام ونقائص ومسرات واحزان وعباوات ــ منحولا الى انسان فهل هذا افضل لك ؛ ام الافضل لك ألا تكون متفوقا ، الا تكون متفوقا في الشيء ولا في نقيضه ؟ هل الافضل ان تكون لك سماء بلا حدود وحضيض بلا حدود ؛ أم الا يكون لك مثل هذه السماء ولا مثل هذا الحضيض ؟ هل الافضل ان يكون لك ذكاء بلا حدود وغباء بلا حدود؛ام الا يكون لك لا هذا ولا هذا ؟ هل الافضل لك أن تسر وتضحك بتراقص ونزق مبتذل وان تحزن وتبكي بتمزق وانهيار ؛ ام الا تسر وتضحك والا تحزن وتبكي ؟

هل الافضل لك أن تتخلف بكل انهار المدنيا وبحارها نيابك وبدنك ، ثم تلوث بكل اوحال الدنيا وقاذوراتها اخلاقك وكرامتك ، وعقلك وجبهتك ؛ ام الا يكون لك هذا التخلف ولا هذا التلوث ــ الا تكون لك هذه البحار والانهار ولا هذه الاوحال والقاذورات .

هل الافضل لك ان تكون الها شريرا حزينا سخيفا احيانا ، ام الا تكون الها ولا شريرا ولا حزينا ولا سخيفا ولو احيانا ؟

هل انت ايها الانسان جيد الحظ أم رديئه ؟ هل انت كائن مصنوع له ام كائن مصنوع ضده ؟ هل انت كائن تواجه كل الهة الكون ام كائن تتحداه كل هذه الالهة؟هل انت كائن لم توجد الهة الكون ولم تقبل ان تكون موجودة الا لكي تصنع وتهيء له ، ام كائن لم توجد هذه الالهة ولم تقبل وجودها الا لكي تصنع وتهيء ضده ؟

هل انت كائن ابدعته الالهة ليزن به نفسها وتحابي بمزاياه عبقريتها؟ ام كائن شوهته الالهة لتعاقب نفسها ، لتهزأ من عملها ، من وجودها ، من موهبتها ؟

هل انت أيها الانسان اجود الكائنات حظا ، هل انت اردأ الكائنات حظا ؟

هل انت كائن لا يمكن ان يوزن او يفسر بشيء ، ولا ان يفسر او يوزن به شيء ؟ هل انت افضل ما في هذا الكون ام اردأ واشقى ما فيه؟

هل من مصلحة ذكائك ان يخوض منافسة مع غبائك ؟ هل من مصلحة شجاعتك ان تخوض منافسة مع جبنك ؟ هل من مصلحة نظافتك ان تخوض منافسة مع تلوثك ؟ هل من مصلحة انتصاب قامتك أن ينافس انحناء قامتك؟ هل من مصلحة مرآتك ان تفاخر أحزانك ؟

هل من مصلحة حضاراتك ان تفاخر آلهتك ومعابدك ، ان تفاخر سلواتك وتضرعاتك ، ان تفاخر معتقداتك وايمانك ؟

هل من مصلحة حضاراتك ان تفاخر صرخاتك ودعواتك في معابدك ومحاريبك ، ان تفاخر انحناءاتك تحت أقدام اربابك المهجنة ؟

هل من مصلحة ابداعاتك الفنية والعلمية والصناعية والفكرية ان تفاخر مواكب الذليلة المنطلقة وراء مجانينك تتقاتل نفسك في معارك هي اردأ مستويات الجنون والهمجية والنذالة ؟

هل من مصلحة سمواتك ان تدخل في مبارزة مع حضيضك ؟

آنن ايها الانسان ، هل انت جيد الحظ ، هل انت رديئه ؟

هل تختار كينونتك او كينونة اخرى من الكينونات الاخرى الموجودة لو كان محتوما عليك ان تختار كينونة ما وكان جائزا لك ان تختار الكينونة التي تراها أفضل ، اي من الكينونات الموجودة المحتومة ، المحتوم عليك ولك أحداها ؟

هل تقاتل حينئذ لتكون ما كنت ؟ هل تقاتل حينئذ لئلا تكون ما كنت؟ هل تحن حينئذ عشقا لامجاد كينونتك ؟

هل سبب تفوقك هو سبب تحققك ؟ هل تفوقك هو سبب احزانك وآلامك وغبائك وهوانك وجبنك ، وسبب تاوتك واكاذيبك ونفاقك وصلواتك وتضرعاتك ؟

هل تفوقك هو سبب محاريبك ومعابدك وعقائدك البذيئه وآلهتك المتوحشة وطلسمات الجهال ، الاشرار ؟

هل تكون حرينا وغبيا ومنافقا ومستسلما وكذابا ومصليا ومتضرعا ومؤمنا بالالهة المعدية هكذا لو لم تكن متفوقا ؟

هل يمكن أن تكون متفوقا دون ان يعاقب تفوقك باشياء رديئة واليمة دون ان يعاقبك تفوقك ؟

هل سبب ذكائك هو سبب غبائك ، وهل سبب مسراتك وضحكاتك هو سبب أحزانك وبكائك ؟

وهل سبب انحنائك هو سبب شموخك ؟

وهل سبب جبنك هو سبب شجاعتك ؟

وهل سبب شرفك هو سبب نذالتك ؟

وهل سبب مدنيتك هو سبب معابدك ومحاريبك وارباتك وانبياتك

وطفاتك ؟

هل هو سبب صلواتك وتضرعاتك ودموعك ؟

هل ذكاؤك هو سبب غبائك ، وهل سعادتك هي سبب احزانك ؛ وهل شجاعتك هي سبب جبنك ، وهل كبرياؤك هي سبب اتضاعك وهوانك،وهل بؤسك هو سبب نخلفك ؟

هل كونك انسانا هو سبب هبوطك عن مستوى الانسان ؛ عن مستوى تعاليمه وامانيه ؟

هل هبطت عن مستوى الانسان لانك موجود ام لانك انسان ؟

هل يهبط عن مستوى الانسان سوى الانسان ؟

هل هذا هو سبب هذا ، هل سبب هذا هو سبب هذا ؟ هل محتوم ان تكون هذا لانك قد اصبحت هذا ؟ هل محتوم ان تمارس الهبوط لانك تمارس الصعود ، وان تمارس الاحزان والدموع لانك تمارس الضحكات والمسرات ، وان تمارس الاكاذيب والغباوات لانك تمارس العبقرية والذكاء والصدق ، وان تمارس الشجاعة لانك تمارس الجبن والخوف الذليل ؟ هل محتوم ان تملك اسباب هذا وان تعيش اسبابه لانك تملك اسباب النقيض وتعيش اسبابه ؟ هل محتوم أن تموت بعنف لانك تحيا بعنف ؟ هل محتوم ان تسقط بدوي وعذاب وبتمزق رهيب لانك تصعد بشموخ وبكبرياء وبتالق ؟ هل تهبط هذا الهبوط او تم تصعد هذا الصعود ؟

هل ارباحك هي اسباب خسائرك ؟ هل اسباب ارباحك هي اسباب خسائرك ؟ هل مستواك الذي يعطي هذا هو الذي يعطي هذا ـ هل يعطيه حتما أم قدرا ؟ هل ظروفك هي التي تعطيك السماء والحضيض ؟ هل تعطاك السماء والحضيض حتما ام قدرا ؟

هل انت سماء وحضيض ، ام انت سماء فقط او حضيض فقط ، او حضيض له صيغتان وتعبيران ، او له عديد من الصيغ وعديد من التعبيرات ؟ هل انت ذكاء وغباء ؛ هل انت صعود وهبوط ؟ هل انت

شجاعة وجبن ، هل انت نظافة وتلوث ، هل انت كرامة ونذالة ، هل انت صدق وكذب ، هل انت حب وبغض ، هل انت رفض وقبول ؟ هل انت هذا وهذا ؟ وهل هذا غير هذا ، هل هما شيئان ، هل هما نقيضان ؟

اليسا شيئا واحدا جاء بتعبيرين او بصيغتين او بعدة صيغ وعدة تعبيرات ؟ اليست اللغة أضخم جهاز كذب وخداع ابتكره الانسان ؟ هل اللغات معتدية ام معتدى عليها ام معتدى بها ام هي كل ذلك ؟

هل الصدق غير الكذب ، وهل الذكاء غير الغباء ، وهل الشجاعة غير الجبن ، وهل الشرف غير النذالة ، وهل الحضارة غير البداوة ، هل الاختلاف بينهما غير اختلاف في التعبير او في الصيغة ؟ هل هما شيئان ، هل هما مستويان وخلقان ، هل هما بيئتان مختلفتان ، هل هما نموذجان مختلفان ، أم هما تعبيران ؟ هل الانسان اخلاق مختلفة ، ومستويات مختلفة ، ومعان مختلفة ، وتعبيرات مختلفة، ونيات مختلفة ـ هل الانسان حقائق مختلفة ام لغات وصيغ واساليب مختلفة ؟

ما هو الذكاء ؟ أليس هو التعبير عن الذات بأسلوب ما ؟ أليس الغباء ايضا هو تعبير عن الذات بأسلوب ما ؟ أليست الحدود بينهما غير معروفة وغير معترف بها ؟ أليس ما بعد في وقت ما او في مكان ما او عند قوم ما او في منطق ما قمة الذكاء هو قمة الغباء . أليس ما بعد قمة الغباء هو قمة الذكاء ؟ أليس ما بعد قمة هذا بعد قمة هذا ؟ أليس كل ما بعد ذكاء بعد غباء ، وكل ما بعد غباء بعد ذكاء ؟ أليس كل شيء هو ذكاء وغباء ، هو ذكاء بقدر ما هو غباء ؟

أليس ما يعد في عصر من العصور او في مجتمع من المجتمعات او في دين من الاديان هو اعظم مستويات الذكاء ، هو ذكاء الالهة حوانه الى نبوات وآلى كتب مقدسة والى انبياء ، يعلمونه الناس والارض ، يعلمونه الكون والحياة وقوانين الطبيعة ـ أليس مثل هذا الذكاء هو قمة الغباء، قمة السخف والعار العقلي في ظروف اخرى وفي تفسير قوم آخرين ؟ أليس من يعدون اذكى الناس ، من يعتبرون اذكى العباقرة ، يمارسون ويحيون غباء اغبى الناس ؟ أليسوا جميعا يخضعون للسلوك الواحد وللجوع الواحد وللالم الواحد والحزن الواحد وللخوف الواحد وللهوان الواحد وللطاغية الواحد وللخرافة الواحدة وللاله الهمجي القاتل الواحد ،

والجنون الواحد والعدوان الواحد والموقف المتعصب الواحد والموقف الساقط المتافق الذليل الجبان الواحد ؟ اليست حياتهم، اليست اعضاؤهم، اليست اجسامهم ، اليست ثيابهم وشهواتهم وحوافزهم ومشاعرهم تخضع لمستوى واحد من الذكاء ومن الغباء ؛ من الضعف ومن الانهيار ؛ ومن الارتجاف ، ومن الجوع ، ومن التعري ؛ ومن التلذذ بالعار ، ومن الاحتياج الى العار ، ومن الشره الذميم اللئيم ؟

اليس اذكى الناس ، اليس اذكى العباقرة ، اليس من يحسبون اذكى العباقرة ـ اليس هؤلاء قد يكونون اكثر خضوعا للغباء ؛ اي لما يحسب غباء ، اليسوا اكثر ابتداعا وترويجا وحماسا ودعاية له ، اي للغباء ، وجرأة وقدرة عليه ، واحتياجا اليه ؛ ودفاعا عنه ؟ اليس هؤلاء هم اكثر فعلا للغباء ولاساليبه المختلفة وللتعبير عنه ولجعله اعظم شمولا وقوة وانتصارا وجنونا وتدميرا ؟ اليسوا هم اقدر على ذلك ؟ اليس الذكاء جهارا ضخما لصناعة الغباء ولجعل الغباء شيئا رهيبا مروعا ، لجعله سلوكا مدمرا ؛ لجعل الغباء اقدح غباء ؟

هل الذكاء ممارسة ، ام رؤية ، ام ابداع ، ام احساس ، أم تفسير ، ام براهين ، ام اقناع ، ام افتتاع ، ام فصاحة ، ام موقف ، أم قيل ، أم سير في الطريق ، ام استمرار في السير ، في السير الذي لم يختر نفسه والذي لم يبتدأ او يختره السائر ؛ في السير الذي لا يبحث عن نتيجة او هدف ، والذي لم يقتنع بان له نتيجة او هدفا ، والذي لم ينطلق من حافز مفهوم او محتوم ، في السير الذي لم يخطط نفسه ، ولم يخطط له اي مخطط ؟

هل الذكاء سلوك ؟ هل الذكاء قراءة ؟ هل الذكاء حجارة تتلاءم ، ام عقول تتصادم ؟ هل الذكاء تفكير ام خطوات ؟

هل قلب الانسان ذكي ، وهل كبده او غدده او شرايينه او اعضاؤه ذكية ؟ هل ميكانيكية جسمه ، هل كيمائية جسمه ذكية ؟ هل هو اذكى من عمليات قلبه وكبده وغدده وشرايينه واعضائه ومن كيمائية وميكانيكية بدنه ودمه ، وكل ممارسات ذاته الداته والما حولها ولاستقبالاتها الخارجية والداخلية ؟

هل الانسان يضبط سلوكه ويرى طريقه بذكائه أذكى مما تضبط

اعضاؤه سلوكها ونرى طريقها بلا ذكاء ؟

أليس ما بعد ذكاء او عبقريه ليس الا ممارسات داتيه والا ضرورات ذاتيـة ؛ والا آلية ذاتية مثل ممارسـات الجسم لعملياته الميكانيكية والكيمائية ؛ مثل ممارسات الجسم والاعضاء لذاتهـا ؛ لآليتها ؛ هل الذكاء الا اسلوب من اساليب الميكانيكية والكيمائية يمارسها العقل بالاسلوب الذي يمارس به الجسم عملياته الكيمائية والميكانيكية ؟ هل ممارسة العقل للذكاء ذكـــاء ؟

هل الجسم يدبر الكي يؤدي عملياته هذه ؟ هل هو ذكي لانه يؤدي هذه العمليات ؟ هل تاديته لها ذكـاء أو استجابته للذكاء او بحث عن الذكـاء او اسلوب من اساليب الذكاء ؟ هل تادية هذه العمليات تهب نتيجة ذكية ؟ هل الجسم يدبر ام يخضع ؟ وهل المدبر يدبر لانه يفهم او لانـه ذكـي ام يدبر لانه يخضع ؟ هل التدبير ذكاء أم خضوع ؟ هل الذكاء ذكاء ام كينونة ؟ وهل الكينونة ذكـــاء ؟

هل ممارسـة الذكاء ، اي ما يحسب ذكاء ، هـل ممارســه الذكـــاء ذكـاء ؟ هل النتيجة التي تؤدي اليهـا هذه الممارسة او التي يراد او ينتظر ان تؤدي اليها ذكيـة ؟ هل التوقف من هذه الممارسـة غبـاء ؟ هل النتيجة التي يؤدي اليها هذا التوقف غبية ؟

ماذا يحدث او توقف الجسم عن تادية عملياته المختلفة ؟ هل يكون الموقف حينئذ اكثر غباء او اكثر كلا او اكثر حزنا او اكثر خروجا على التقوى والفضيلة والتهذيب ، او اكثر عصيانا للاله أو للقانون او تحقيرا للـذات او اغضابا للشمس والكون ؟ هل توقف الجسم عن عملياته هجماء للذكاء او للذكاء الالهيـة ؟ هل استمرار الجسم في عملياته تمـاد على احد او على شـيء ؟

ماذا يحدث لو توقف الانسان عن ممارســه لما يحسب ذكـاء انسانيا ؛ او لو فقد هذا الذي يحسب ذكاء انسـانيا ـ ماذا يحدث لو كان بدون هـذا الذي يسمى ذكـاء انسـانيا ؟

هل تكون حينئذ اعظم غباء او شقاء او كآبه او انحطاطا او فسوقا

او غيظا او حسدا او قلوتا او حروبا او تعاديا او خوفا او ارقا او نفاقا او كذبا او بغضا او ندالة او انانية او همموما نفسية وعقلية ودينية واخلاقية ؟

هل يكون حينئذ اكثر عصيانا للاله ، او اكثر تحقيرا لنفسه او للاخرين ؟ هل يكون حينئذ اكثر او اعمق شعورا بضياعه او بتفاهته او بتورطه ؟ هل يكون حينئذ اكثر ابتداعا للالهة الغيبية ، وللعقائد والمذاهب والافكار المدوآنية ، او اكثر طاعة واستسلاما للطغاة والزعماء الغثلة الجهلة ؟ هل يكون حينئذ اكثر رؤية او اقوى رؤيه لعبث كيونه ، لعاره ؟ هل يكون حينئذ اكثر او اقوى تحديقا في تشوهاته وفي عاهاته ؟ هل تكون اكثر احساسا بها او رفضا لها ؟

هل تبدو له المرأة حينئذ اقل صداقة او حنانا او آثاما حينما يقف امامها ؟ هل تصبح المرأة حينئذ اكثر واعتف رفضا لوقوفه امامها ، او اقسى عبوسا في وجهه ؟ في نظراته الملهوفة المذعورة المستعطفة — في نظراته المطالبه بالرحمة وبالصفح الكريم ، بل وبالاحسان السخي ؟ هل تصبح المرأة حينئذ اكثر هجوما عليه حينما ينظر اليها باحثا عن الحب ؟ هل تصبح المرأة حينئذ اكثر وحشية وعداوة لنظراته الصادقة فيها ، الخائفة منها ، المتضرعة اليها ، المطالبة لها بان تكون مزورة وكاذبة ، رحمة بها ومحاباة لها ؟

نعم ، ان كل من يحدق في أية مرآة ليشرع انيها لتكون مزورة وكاذبة ومحابية لوجهه ولنظراته الضارعة .

* *

والشجاعة ما هي ؟ اليست هي صناعة الموت والتشويه والالم والعار والاذلال والدمار والهزيمة والاحزان ؟ اليست الشجاعة هي توقيع كل ذلك بالنفس او بالآخرين ؟ اليست الشجاعة هي ان نخاف جداً ، فنعمل من الخوف لنتحول الى خوف جديد ؟ اليست هي الهرب الى الخطر خوفا من الخطر ؟

. . اليست الشجاعة هي الاقدام على شيء والفرار من شيء ؟ اليست

هي الرفض والعصيان والكره لشيء ، ثم التقبل والطاعة والحب لشيء آخر ؟ اليست هي اختيار أحد موقفين ، او الاضطرار الى موقف من موقفين ، او الاكراه على التزام موقف ما من عدة مواقف ؟ اليست هي القلق او التردد او الحيرة او التمزق او الموت بين موقفين او عديد من المواقف تحت ضغط الخوف او الخطأ او المشاعر المتناقضة في بحثها عن الربح او الامان ؟

اليست الشجاعة هي أن تستجيب لشعور ما لتخرج على شعور ما — ان تستجيب لضغط ما لتخرج على ضغط ما آخر ؟ أليست هي ان تستسلم لتحريض ما مثمرا على تحريض آخر ؟ اليست هي ان تطيع نفسك عاصيا لنفسك ، ان تطيع خوفك عاصيا لخوفك — ان تطيع ظروفك عاصيا لظروفك ، ان تطيع قدميك عاصيا لقدميك ان تطيع احد انيابك عصيانا لاحد أنيابك ؟ اليست هي دائما الطاعة والمعصية ، هي الشيء ونقيضه ؟

اليست الشجاعة هي ان تخطو مع نفسك خارجا على آلهتك ومثلك ، او غير مستاذن لآلهتك ومثلك ، او غير مفسر بآلهتك ومثلك ، او غير مدافع عن آلهتك ومثلك ، او غير غاضب لآلهتك ومثلك مهما كانت احاديثك عن آلهتك ومثلك ؟ اليست هي ان تستسلم لاوامر نفسك اليك ، ان تستسلم لاملاءات نفسك عليك وعلى اخلاقك ، وعلى ارتباكك وملاهيك وافكارك وتعاليمك ، وعلى وقارك وعلى أحترامك لنفسك ؟ اليست هي أن تتحرك في جنون من الخوف والارتجاف ، من الكره والبغض ، من الضلال والضياع ، من الغباء والتوتر ؟

اليست الشجاعة ارتجافا مذعورا يتحول الى تعبيرات مرتجفة مذعورة ؟

اليست الشجاعة هي أن تتعامل مع نفسك ومع الاشياء حولك ومع الآخرين كأنك بلا انسان ، بلا منطق ، وبلا تقاليد ، وبلا اخلاق ، وبلا دين . كأنك شيء يسقط هنا او هناك ، كأنك كتلة من المادة تتحرك في هذا الاتجاه او في ذاك الاتجاه ، كأنك لا تعيش شيئا من الانسان ، ولا من المنطق ، ولا من التقاليد ، ولا من التعاليم ، ولا من الاخلاق او الاديان ، كأنك لا تعيش سوى قوانين الكتلة المادية المتحركة بلا حافز انساني او اخلاقي او منطقي ؟ اليست الشجاعة أن تتحرك كما يتحرك ذئب او كما يتحرك برغوث او كما

يتحـــرك فرنسا ؛ كما يحرك بهذا الاسلوب او بالاساليب الاخرى ؟

اليست الشجاعة هي ان تبحث ـ وتو بغباء وارتجاف ـ عن الموقف الـذي يلائمـك اكثر ؛ او بهيـــك الامن والثمن الاكبر ؛ او الامـــن والثمن الاقرب ؛ او الامن والثمن اللذين تشتهيهما اكثر ؛ او يقربانك اكثر ؛ او يجتذبانك ويتصران عيك اكـــر ؛ اليست الشجاعة اسلوبا من اساليب المساومة او المناورة البدائية الشريرة ؟ اليست اسلوبا من اساليب البيع الموقف او من اساليب التمين الموقف ، من اساليب البيع والشراء للذات ؟

اليـــت الشجاعة هي كل هذا ؟ اليـــت كـــل اساليـــب الشجاعـــة ومستوياتها وحوافزها واهدافها ونتائجها هي هذا ؟

واذن ما هو الجبن ؟ اليس الجبن هو هذا ، هو كل هذا ؟ هل تستطيع ان تكون شجاعا دون ان تكون جبانا او ان تكون جبانا دون ان تكون شجاعا ؟ هل تستطيع ان تكون شجاعا فقط او جبانا فقط ؟

اذن من هو الشجاع ، ومن هو الجبان ؟ او هل يوجد شجاع او يوجد جبان ؟

والصدق ما هو ؟ اليس هو ان نقول ما نريد قوله ، او ما نريح مـن قوله ، او ما نشتهي قوله ، او ما لا نستطيع الا قوله ، او ما يهيئنا السرور والرضا عن انفسنا قوله ، او ما يعرض انفسنا بقوله ، او ما تزيـن انفسنا بقوله ، او ما يمنحنا الامان قوله ، او ما نتحدى او نغير او نشاغب او نقاوم او نقاوي او نهدد او نغيظ او نساوم بقوله الاعداء او الخصوم او المخالفين او المنافسين او الاصدقاء ؟ اليسنا نصدق احيانا كمحاربين ومعادين ومهددين وشاتمين ، لا كصادقين ؟ اليس الصدق احيانا سلاحـا وبذاءة وحجارة نقذف بها ، وليس صدقا ؟

اليس الصدق هو ان نقول ما نتاجر بقوله ، او ما نقاتل بقوله ، او مـا نهجو ونحقر بقوله ، او ما نخادع بقوله ، او ما نتوقح بقولـه ، او ما نجـد شهوة اعلانية او اقترانية او استعراضية بقوله ، او ما نبحث بقوله عـن اعجاب الاخرين بنا وعن ندائهم علينا ، او ما لا نخاف او نخسر من قوله ؟

أليس الصدق في حوافزه وفي نياته وفي نتائجه أبقى هو دائما خروجا على الصدق ورفضا له ؟

انه اي الصدق ليس هو أن نقول ما هو صدق قوله ، او ما ينبغي او يجب قوله ، أو ما نخبر ونتعذب بقوله ، او ما نفتضح ونحاكم بقوله ، او ما نكره قوله . اننا لا نستطيع ان نصدق بهذا الاسلوب او بهذه الحوافز ، اننا لا نستطيع ان نعامل الصدق بهذا الحب ، او ان نعامل انفسنا بهذه القسوة .

ان الصدق ليس هو أن نقول الشيء او عن الشيء او ان الشيء كما هو ، بل هو ان نقول عن الشيء كما نريده او كما نريد أن نقول عنه ، او كما نريد ان يعرف عنا قوله . ان حديثنا عن الشيء ليس حديثا عن اي شيء انه حديث عن انفسنا . اننا لا نقول الصدق حينما نصدق ، وانما نقول انفسنا .

ان الصدق ليس هو ان نرى الشمس كما هي ، وان نقتنع بها كما نراها ، وان نتحدث عنها ونشير اليها ونجدها كما نقتنع بها . بل ان الصدق هو ان نرى الشمس كما نريد ان نقتنع بها ، وان نقتنع بها كما نريد ان نتحدث عنها وان نجدها وان نشير اليها ، وان نتحدث عنها ونجدها ونشير اليها كما نريد ان تكون ، وكما يلائمنا ويقيدنا أن نتحدث عنها ونجدها ونشير اليها . اننا لا نستطيع ان نرى الشمس ، وان نقتنع بها ، وان نتحدث عنها ونجدها ونشير اليها كما هي او كما ينبغي ان تفعل او كما نتعامل معها أعضاؤنا واعضاء البرآئيث .

اننا لا نصدق في تحدثنا عن ضخامة الشمس بقدر ضخامتها ، بل بقدر ارادتنا لضخامتها وبقدر تلاؤمنا وتعاملنا مع هذه الضخامة . أن الشمس لا تبدو لنا دائما في حجم واحد من الضخامة والاشراق .

ان الصدق ليس هو ان نقول ما يريده او ينتظره منا الاخرون ، وما يريده او ينتظره منا الباحثون عن الصدق ـ انه ليس هو ان نقول ما يريده او ينتظره منا من شرفهم او حياتهم او نجاتهم أو مسراتهم او انتصارهم او براءتهم في الصدق . .

ان الصدق ليس هو ان نقول ما تطالبنا به اربابنا أو انبياؤنا او مذاهبنا او صلواتنا ؛ او ما يطالبنا به شرفنا او ذكاؤنا او كبرياؤنا او حبنا للمجد والتفوق والمديح . ان الصدق ليس هو ان نقول ما بايعنا عليه اربابنا وانبياءنا ومذاهبنا وصلواتنا او ما عاهدنا عليه شرفنا وذكاءنا وكبرياءنا ونطلعنا الى المجد والتفوق والمديح . ان الصدق ليس ان نقول ما تحيا به وله اربابنا وانبياؤنا ومذاهبنا وصلواتنا ؛ او ما يشيده شرفنا وذكاؤنا وكبرياؤنا وطموحنا الى المجد والتفوق والامتداح . ان الصدق ليس هو ان نعشق جمال النجوم او ارتفاعها او وقارها او اسرخاءها او خمود احاسيسها او بلادة نظرانها او وقاحة فضولها وتحديقاتها في الام الناس وتشوهاتهم بلا اشفاق او حياء او تهذيب .

ان الصدق ليس هو ان نقول شيئا من هذا . ان الصدق هو ان نقول ما نريد قوله ، او ما نريد أن يعرف عنا قوله ؛ او ما تجامل انفسنا بقوله ، او ما يفيدنا قوله ؛ او ما نريده ان يكون ؛ او ما يرضي احقادنا او بغضاءنا او عداواتنا او وقاحاتنا قوله . ان الصدق هو ما في كهوف انفسنا من احتياج وجوع وتعثبات ومخاوف ؛ وليس هو ما في سطوع الشمس من فخامة وجهارة واشراق ومن عيون تسخر وتتحدى .

اننا حينما نصدق في وصفنا لنجم بالصعود لا نقصد ان نتحدث بصدق عن النجم وعن صعوده ، وانما نقصد ان نقول عن انفسنا شيئا او لانفسنا شيئا . اننا حينما نصف اعلى نجم بارتفاع المكان لا نكون صادقين ، ولا ننوي ان نصدق ؛ ولا ان نبحث عن الصدق ؛ ولا أن نحترم الصدق اكثر من الكذب واوقح شاعر او خطيب حينما يقف بين يدي الغبي الفاسد وانجر واظلم طاغية مجنون ، ليصفه بكل الذكاء والعدل والنظافة والاستقامة . ان مثل هذا الشاعر او الخطيب لا ينوي ان يكذب او ان يحترم الكذب اكثر مما ينوي ان يصدق او ان يحترم الصدق اى قديس حينما يتحدث عن رؤيته لله .

انك لا تكون في حوافزك واهدافك صادقا حينما تقول عن اجمل واعدل انسان : انه اجمل واعدل انسان الا بقدر ما تكون صادق الحوافز والاهداف حينما تقول عن اظلم واقبح انسان : انه اجمل وأعدل انسان . انك لا تكون صادقا في حوافزك واهدافك حينما تتحدث الى الهك الذي تؤمن به اقوى ايمان اكثر مما تكون صادقا في حوافزك واهدافك حينما

تتحدث الى افجر طائفة تعرفه ممجدا عدله وتقواه وتواضعه .

ان هذا هو الصدق في سلوك واهداف وحوافز الانسان ، في سلوك وحوافز واهداف كل انسان . ان الصدق لا يمكن أن يكون غير هذا . وان هذا لا يعني الهجاء الانسان . ولا يعني تاثيم الانسان ؛ كما لا يعني الاحتياج الى تسبح الانسان أو الى تهذيبه لكي يصبح الصدق في سلوكه او في حوافزه واهدافه شيئا افضل . انه يعني فقط أن هذا هو الانسان ، هو كل الانسان في كل مستوياته ونماذجه ؛ في كل انماطه واطواره الحضارية والاخلاقية . وكل هذا ليس يعني أن كل ما وجد الانسان الى نفسه من كتب مقدسة ومن انبياء لتعليم الصدق ليس الا قتالا اصدق لا تصيبه الاسلحة ؟

والكذب اذن ما هو ؟ اليس هو هذا في حوافز واهداف وسلوك كل انسان ؟

اليس الصادق كاذبا ؟ اليس الكاذب صادقا ؟ اليسا قضية واحدة في الحوافز والاهداف ؟ اليسا كلاهما صادقا ؟ او كلاهما كاذبا ؟ اليس كلاهما ثناء على الاله او كلاهما هجاء الاله ؟

هل الكذب الا استجابة الذات ؟ وهل الصدق الا استجابة الذات ؟ هل نكذب حينما يكون الكذب خصما لنا ؟ وهل نصدق حينما يكون الصدق خصما لنا ؟ هل نصدق حينما تكون مخاصمة الصدق لنا كارثة ؟ وهل نكذب حينما تكون مخاصمة الكذب لنا كارثة ؟ هل نكذب لنموت ؟ هل نصدق لنموت ؟

هل نصدق حينما نكون في موقف الكذب وتحت ظروف الكذب ؟ وهل نكذب حينما نكون في موقف الصدق وتحت ظروفه ؟ هل نستطيع ان نصدق حينما نكذب ؟ وهل نستطيع ان نكذب حينما نصدق ؟ اذن لماذا نصدق حينا ونكذب حينا آخر ؟ أليس توزعنا لانفسنا على الصدق والكذب توزيع اضطرار وخضوع ؟

هل نرفض افتراءات الكذاب ما لم تكن انما في الصدق افتراءات مضادة ؟ هل نرفض افتراءات الصدق ما لم نجد في الكذب افتراءات مضادة ؟

هل نصدق او نكذب لوجه الله او لوجه الشيطان ؟ هل نحن مهذبون او رحمـــاء الى المدى الذي يجعلنا نكذب احتراما او رحمة بالشيطان ؟

هل الصدق الا بحث عن افضل شروط التعامل ولو في الحســـاب الخاطيء ، ولو في التعامل النفسي ، ولو في الحسابات النفسية ؟ وهـــل الكذب الا كذلك ؟ هل الصدق والكذب الا بحـــث عن التعامل مع اكثـــر الشروط ملاءمة لنا ولو في الحســـابات الخاطئة ؟ هل الانتقال بين هـــذا وهذا الا انتقال بين الشروط ؟

وهل الذي يصدق بحثـــا عن افضل شروط التعامل خير او اصدق من الذي يكذب بحثا عـــن مثل هذه الـــروط ؟ هل الذيـــن يبحثون عـــن الشروط الملائمـــة اخيـــار واشرار ، اتقياء وفســـقة ؟ هـــل هـــم صادقون وكاذبون ، ام هم متعاملون فقط ، ثم هم عبيد شروط ، طلاب شروط فقط ؟

هل الذي يصدق لان الكذب لا يلائمه ولو نفســـيا افضل من الـــذي يكذب لان الصدق لا يلائمه ولو نفســـيا ؟ هل الذي يبحث عن التلاؤم لنفسه فقط فاضل ؟ هل هو غير فاضل ؟ هل اللذي يطيع هوى نفســـه او احتياجاتها اتقى أو افضل من الذي يطيع هوى انسانه او احتياجاتها ؟

هل انت حينما تعترف بخطاياك صادقا امام الكـــاهن اصـــدق او افضل في اهدافك وحوافزك من اللص الذي يسرق زي الكاهن ثم يقسم ويده على كل الكتب المقدسة في محراب مقدس انه لم يسرق قط في حياته؛ وان الكاهن هو الذي سرق منه كل شيء ، حتى اللحية الغزيرة المربوطة الى وجهـــه ؟ أليس الفرق بينكمـــا فرقـــا في التعبير والاســـلوب فقط عـــن الحوافز والاهداف الواحدة التي لا فروق بينها وآلتي لا تنقسم الى صادقه وكاذبة ولا الى مؤمنة وزنديقه ، ولا الى طاعة ومعصية ؟ اليـــس الفرق بينكما فرقـــا في التوزيع والاخراج للحوافز والاهداف ، للمخاوف والحســـابات والتقديرات ؟ اليس كل الفرق بينكمـــا انه لا فرق بينكمـــا ؟ اليست كـــل الفروق بينكما فروقا ليست فيكما ؟ اليست فروقا فيمن يتعاملون فيكما ، فيمن يروقكما ، فيمن تتعاملان فيهم وعليهم ، لا فروقا فيكما ؟

* *

ان الناس لا يقولون ما يريدون او ما يحبون ان يفعلوا، ولا ما يستطيعون

ان يفعلوا ؛ ولا ما سوف يفعلون ، ولا ما يشتهون ان يفعلوا . ان العلاقة بين الانسان والكلمة ليست علاقة حب او صداقة او شرف او احترام او التزام، بل ليست علاقة شهوة .

ان الناس يقولون ما يريدون قوله ، او ما ينتهون قوله ، او ما يحبون ان يعرف عنهم قوله ، او ما يضطرون الى قوله ، او ما يعلنون عن انفسهم بقوله . ان انسانا ما ، أن قائدا او زعيما ما اذا تحدث عما سوف يفعل او عما سوف يحدث لم يجب ان نبحث او نتساءل : لماذا يفعل ؛ او لماذا يفعل هذا ، او لماذا يريد ان يفعل . وانما يجب ان نتساءل ونبحث : لماذا قال هذا ؛ لماذا قال ما قال . لقد قال . وهذه هي الحقيقة فقط . فلماذا قال ؟ لقد قال انه سوف يفعل ، ان هذه ليست هي القضية ؛ أن القضية هي انه قد قال فقط . فلماذا قال ؟

وحتى اذا فعل ذلك الانسان او ذلك القائد او الزعيم ما قال فانه لم يفعل لانه قد قال ؛ كما انه لم يعل لانه سوف يفعل .

ان العلاقة بيننا وبين ما لا نقول او بيننا وبين ما ننكر او بيننا وبين ما ننكر قوله ، لاقوى من العلاقة بيننا وبين ما نقول ؛ او بيننا وبين ما نعلن عن قوله . ان العلاقة هي دائما بينك انت وبين ما تفعل ، وليست بين ما تفعل وما تقول . ان العلاقة بينك وبين فوتك ؛ وليست بين قولك وفعلك . ان بينك وبين قولك علاقة مهما كانت في التعبير متناقضة .

انك دائما متهم بانك قد تفعل ما لا تقول او بانك قد تفعل ما تنكر او بانك قد تفعل ما تنكر قوله اكثر من اتهامك بانك قد تفعل ما تقول . او بانك قد تفعل ما تعتذر . ولكن لماذا تفعل ما تنكر ؟ هل تفعله لانك انكرته ؟ هل انكرته لانك تفعله ؟ ام ماذا ؟ ام انت لا بد ان تكون هكذا بلا تفسير ؟

انه لاسلوب حافل بالخطأ والغفلة ذلك الاسلوب الذي يسلكه اولئك الذين يحاولون بحماسة وقوة ان يفهموا سلوك انسان قد كان ، او انسان قد يكون ؛ ان يفهموا اخلاقه او نياته ومقاصده مما كان يقول ، او مما سوف يقول . أن محاولة فهم المعلمين الخالدين العالميين ؛ او محاولة فهم اخلاقهم او نياتهم مما كانوا يقولون ويعلمون ليست اذكى من ان تحاول فهم اخلاق وسلوك ونيات اولئك المعلمين بفهمنا لما كان يقول اعداؤهم

والخارجون عليهم عنهم ، او يفهمنا لاخلاق ونيات وسلوك اولئك الخارجين الاعداء لاولئك المسلمين . ان محاولة فهمنا لاخلاق ونيات وسلوك اولئك المعلمين مما كانوا يقولون لاباننا المخدوعين ليست ادنى من محاولة فهمنا لاخلاق ونيات الاتهمه من كتبها المنزلة لا مما توقع بنا من آلام وشقوة .

ان المسافة الفاصلة بينك وبين اقوالك ليست اقل من المسافة الفاصلة بين اي انسان وبين اقواله ليست اقصر من المسافة الفاصلة بينك وبين اقوال ذلك الانسان . ان اخلاقك ونياتك بعيدة عن اقوالك بقدر البعد الذي بين اقوالك وبين اخلاق ونيات اعدائك .

ان البعد الذي بينك وبين اقوالك ليس ادنى من البعد الذي بين اقوالك وبين خصومك واعدائك ومخالفيك في المذهب او في الدين او في التفكير او في الرب .

ان البعد الذي بين اخلاقك وسلوكك ونياتك وبين الكتاب المقدس الذي نزل عليك لتعلمه الناس ، لتفاتل الناس لكي يتخلقوا به ليس اقل من البعد الذي بين اخلاق وسلوك ونيات الكافرين بك وبين كتابك المقدس . ان البعد الذي بينك وبين كتابك المنزل ليس اقل من البعد الذي بين كتابك المنزل وبين اية حشرة منحطة بين صفحاته . واذا جاءت اخلاقك او نياتك او سلوكك قريبا من اقوالك فليس لانها اقوالك .

انك اذا توافقت مع ما تقول او مع ما قلت فليس لانك قلت ذلك او تقوله ، ولكن كما قد يتوافق خصومك ومخالفوك مع اقوالك ، وكما تتوافق انت احيانا مع اقوال مخالفيك وخصومك ، او كما قد يتفق ان تموت حشرة في حجر نبي ، او ان تدفن مع جسده الطاهر في ضريحه المحروس بقلوب الملائكة وحناتهم ، ملفوفة في اكفانه المعقمة بكل ما في السماء من طهارات ضد كل ما في الخلاق او جسد او حياة ابة حشرة من تلوث وانتفاخ وهوان .

اذن كيف تعامل الناس بالكلمة ؟ وهل تعاملوا بها قط ؟ لقد تظاهروا او اعلنوا بالكلمة انهم يتعاملون بالكلمة دون ان يتعاملوا ، او يتوولا التعامل بها . لقد اتفقوا على الا يتعاملوا بها وعلى ان يتظاهروا بالتعامل بها .

* *

والعقل ما هو ؟ اليس هو حارس الجنون ؟ اليس هو مصدره ومروجه ومنطقه ودافعته ؟ اليس هو نبي الجنون ، اليس شاعره وخطيبه وقائده وزعيمه ؟

اليس العقل هو الذي يهب الجنون قوته وخلوده ومكانته واغراءاته ، وكل صولاته وتفسيراته ومواقفه المناقضة المتكبرة ؟ اليس العقل هو الذي يحول الجنون الى مجتمعات ودول واخلاق وشرائع وقوانين ، والى آلهة واديان ومنطق وتقاليد ومزايا مضللة ؟ اليس العقل هو الذي يحول الجنون الى تعاليم وعلاقات ومعاملات دولية وانسانية ؟

هل للعقل في جميع مستوياته واساليبه من عمل غير ان يبارك الجنون ويعلن عنه ويحميه ، وغير ان يتحول الى تشريع وتفسير ودعاية وقوة للجنون ؟ هل العقل من موهبة ونضال غير ان يتعلم الجنون ويعلمه ، وغير ان يمارس الجنون ويعيشه ويدافعه ويتكلمه ؟

هل يوجد شيء غير الجنون ليكون العقل خادما له ، تابعا له ، حارسا له ؟ هل يوجد شيء غير الجنون ليهبه العقل صداقه وولاءه واخلاصه المميت المهين ؟ هل يوجد شيء غير الجنون يستطيع العقل ان يهبه نفسه وان ينفق عليه موهبته وتصرف اليه حماسه واهتماماته ؟

ان كل شيء ليس الا جنونا ، ولن العقل لا يجد غير هذا الجنون الذي هو كل شيء ليتعامل معه . ان العقل او اراد ان يحترم نفسه وان يكون عميلا اغير الجنون لما وجد ذلك الغير . ان العقل لا يجد شيئا يهبه له نفسه غير الجنون . ان هذه هي مشكلة العقل ؛ ان مشكلته انه لا يستطيع ان يكون شيئا محترما او فاضلا او عادلا مهما اراد وحاول .

ان الوجود ؛ ان كل وجود ، ان تحويل الشيء الى موجود ؛ ان الحكم بالوجود على الموجود — ان ذلك ، بكل مستوياته واحتمالاته ونماذجه واساليبه ومهما كانت اسبابه ونتائجه — ان ذلك كله جنون ؛ انه ابشع صيغ الجنون .

ان الوجود بكل اطواره جنون ؛ ان كل الجنون هو كل الوجود ، انه لا يوجد جنون غير الوجود ؛ وانه لا يوجد وجود غير جنون . ان كل صيغة وجود هي صيغة جنون ؛ ان كل صيغة جنون هي صيغة وجود . ان اي

وجود لا يستطيع ان يكون غير جنون ؛ وان اي جنون لا يستطيع ان يكون غير وجود . ان كل صيغ الوجود هي جنون ؛ وان كل مستويات وصيغ الجنون هي وجود . انه قدر لا يمكن الخروج عليه باية وسيلة او حضارة او تقدم او عقل .

انت موجود ؛ وانت وجود ؛ اذن انت جنون ؛ انت جنون ؛ او انت صيغة جنون ؛ اذن انت وجود ؛ او اذن انت موجود . انت لا تستطيع ان تكون غير جنون الا اذا استطعت ان تكون غير وجود .

انت ان كنت ترفض ان تكون جنونا فانه محتوم عليك حينئذ ان ترفض كونك وجودا . وانت ان كنت تقبل ان تكون وجودا او ان تكون موجودا فانعني انك تقبل ان تكون جنونا اي ان تكون احدى صيغ الجنون - احد مستويات الجنون ونماذجه . انك تقبل دائما ان تكون جنونا دون ان تدري او تدبر لانك تقبل دائما ان تكون وجودا . انك اتعامل لتظل جنونا لانك تقاتل لتظل وجودا .

ان وجودك بصيغك او باية صيغة او بكل صيغة اخرى لا يمكن ان يكون غير جنون . ان الجنون لا يمكن ان يكون غير هذا او اقبح من هذا . ما هو الجنون اكي يكون محتملا ان وجودك بصيغك الحاضرة وتحت ظروفها او باية صيغة اخرى وتحت اية ظروف اخرى - ما هو الجنون لكي يكون محتملا ان وجودك ليس جنونا بل اوسع نماذج الجنون ؟ مهما كان لك من عقل او مهما كنت عقلا ؟ هل الجنون صيغة اردأ من وجودك كما انت ومهما كنت ؛ بتهمراتك واطمارك ، وبثيابك واسمائك ؛ وبتضاريسك وكهوفك ؛ وبمرتفعاتك ومنخفضاتك ، وبجوعك وهمومك ؛ وبصغائرك وكبرياتك ؛ وبذنوبك وصلواتك ؛ وباعتقاداتك وزندقاتك ؟

هل يمكن ان يكون الجنون نمطا سوى هذا ؛ او اكثر دمامة او خروجا او جنونا من هذا ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذه الحشرة ؛ بهذا المستوى والنموذج ؛ وبهذه البداية والنهاية ؛ وبهذه الوظيفة ؛ وبهذه النتيجة ؛ وبهذه الحوافز والاهداف والتعاسير ؛ وبهذا المنطق والتدبير ؛ او دون منطق وتدبير .

— هل يمكن ان يكون وجود هذه الحشرة بصيغتها هذه او باية صيغة اخرى ، في هذا التاريخ او في اي تاريخ ، في هذا المكان او في اي مكان آخر ، بمنطق وتدبير هذا الاله او بمنطق وتدبير اي اله آخر — هل يمكن ان يكون وجود هذه الحشرة ليس جنونا ، او ليس كل معاني الجنون ؟

هل يمكن ان يكون اي جنون أقل جنونا من هذا ؟

هل يمكن ان يقف اي جنون امام هذا الجنون ؟

هل يمكن ان يفسر هذا بغير ما يفسر به اي جنون ؟

هل تستطيع ان تتصور مجنونا يستطيع جنونه ان يبدع جنونا ، ان يبدع اسلوبا من اساليب الجنون اودا من ابداع اية حشرة لتكون كمائتون اية حشرة ؟

هل تقبل ان تملك من الجنون مثل الجنون الذي اوجد الحشرة بكل كبريائها وتواضعها ؟

هل تقبل ان تملك من الجنون مثل الجنون الذي اوجد الانسان كما تعلمه ، كما تحياه ، كما تراه ، كما توقعه ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذا الكون بكل مجموعاته الكونية وبكل وحداته ، وبكل ما فيه وما فوقه من آلهة تفسره ويفسرها ، وتعشقه ويعشقها ، وتصنعه ليعبدها ، وتشوهه ليجملها ، وتعذبه لانها ترحمه ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذه المجموعة الشمسية التي نحن افضل واذكى واتقى حشراتها ، او هكذا نظن ونتحدث — التي نحن اكثر حشراتها غروراً وتدينا .

هل يمكن ان يكون وجود هذه المجموعة بكل ابعادها واحجامها وابعادها ، وبكل تشوهاتها وذنوبها واحزانها ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذه المرحلة الكونية ، هذه المرحلة التي

تسميها ارضا .

هل يمكن ان يكون وجود هذه العلطة الكونية - هذه الصاعة الكونيه المملوءه بالذباب وبكل سلالات الحشرات ؛ المملوءة بالجراثيم والبشر ، وبالتراب والصخور والرمال وبالصحراوات والجبال ؛ المملوءه بالغبار وبالمياه التي كانما ندمت الهة الكون على كرمها آذ خلقتها ، التي كانما غارت الهة الكون وحسدت الانسان عليها ، فذهبت تعاقب نفسها على كرمها ، وذهبت تفسدها ـ اي تفسد تلك المياه ـ ذهبت تفسدها وتفسدها ، ذهبت تمي فيها الملح ، تلقي وتعاني في العانيا الملح فيها الى ان اصبحت مياها غير صالحة ، الى ان اصبحت بحارا مالحة ، بحارا فاسدة .

لقد كان تمليح مياه البحار هو أقوى اساليب الالهة في تعبيرها عن ندمها على كرمها وفي معاقبتها لنفسها على كرمها .

هل يمكن أن يكون وجود هذه الارض بكل صفاتها الجسدية والاخلاقية والنفسيه والنظمية ، وبكل تاريخها ومستقبلها واحتمالاتها ، بكل ما في تاريخها من ذنوب وبدايد ، وبكل ما في مستقبلها من جنون وحماقات وآلام وهزائم ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذا الجبل بمكانه هذا ، وبحدوده هذه ، وبحجمه هذا ، وبعدد صخوره ، وبعدد الحشرات والكائنات والنباتات الموجوده فيه ، وذكائه ، وبدمامته ، وبوقاحته وهمجيته ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذه النبتة او هذه الدابة او هذه الصخرة بهذه الصورة ، بهذا اللون ، بهذا الوزن ، بهذا المكان ، بهذه الصفات ، بهذه التفاسير التي يمكن ان تفسر بها او التي لا يمكن ان تفسر بها ؟

هل يمكن أن يكون وجود هذه الشجرة - في هذه الشجرة ، بهذا الحجم ، بهذا المذاق ، في هذا المكان ، في هذا الفصل ، بهذا الاسلوب ، لهذا الغرض ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذه الحاهة - في هذا العضو ، في هذا المكان ، في هذا الانسان ، بهذه القسوة ، بهذه البشاعة ؟

هل يمكن أن يكون وجود هذه الدمامة ، أو هذا الضعف ، او هذا المرض ، او هذه البلادة في هذا الانسان لهذين الابوين ، في هذا المجتمع؟

هل يمكن ان يكون وجود هذا الجمال ، او هذه القوة، أو هذه الصحة او هذا الذكاء في هذا الانسان ، لهذين الوالدين ، في هذا المجتمع ؟

هل يمكن أن يكون وجود هذا النهر ، بهذه الشحاذة ، في هذا المجرى ، في هذه البلاد ، بين هذه الشعوب ، بهذا النظام ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذه الصحراء ، بهذا الاتساع ، بهذه القسوة والوحشة ، بهذا القحط وألموت ، بهذا الاسراف في البداوة والشح ، بهذا الاسراف في الفقر والجهل ؟

اجل ، هل يمكن ان يكون وجود اي شيء من هذا الوجود ، او وجود اي وجود ، بصيغة هذه او بأية صيغة أخرى ،

ـ نعم ، هل يمكن ان يكون وجود اي شيء من هذه الموجودات ليس جنونا ، ليس اشنع مستويات ونماذج الجنون ؟ هل يمكن ان يكون اي جنون ليس هذا او اكثر جنونا من هذا ؟

هل يمكن ، هل يمكن أن يكون اي وجود بأية صيغة، أو ايةاحتمالات وجود بأية صيغة محتملة او ممكنة او مفروضة او متصاة ، ليست جنونا ؟

ان وجود اي موجود مثل وجود كل موجود في كونه جنونا ، انه اذا كان وجود ما جنونا فان كل وجود لا بد ان يكون جنونا ، انه لا يمكن ان يكون وجود ما جنونا ثم يكون اي وجود ليس جنونا ، او ثم يكون عقلا ،

انه لا يمكن ان يكون كل وجود عقلا ، اذن لا يمكن ان يكون أيأسلوب او اي مستوى من الوجود عقلا ، ولكن ايهما اكثر جنونا ؛ وجود الانسان ام وجود أصغر وابلد حشرة ، وجود الشمس ام وجود اصغر واحقرحصاة في أصغر واحقر جبل ؟

ان الوجود ليس جنونا لانه بهذه الصيغة دون الصيغة الاخرى بل لانه

جنون بكل الصيغ . وان الجنون ليس جنونا لانه بهذه الصفة بل لان فيه معنى الجنون .

* *

ما هو الجنون في تقديرك وفي تقديري وفي تقدير كل انسان يحاول ان يحاسب الاشياء على جنونها ؟ أليس الجنون في كل تقدير هو فعل ما لا يريده احد وما لا يطلبه احد وما لا يحتاج اليه احد وما لا ينتفع به احد وما لم يدبره او يوافق عليه منطق ما ، ما لم يدبره او يوافق عليه اي منطق ، منطق اي صاحب منطق ؟

هل يمكن ان يوجد اي خلاف على هذا التفسير للجنون ؟ هل يمكن ان يكون هناك جنون ان لم يكن هذا جنونا ؟

أليس الجنون هو ما لا يستطيع منطقك او اي منطق آخر ان يعرف فعله او احداثه تفسيرا ما او منطقا ما او وظيفة ما ؟ أليس هذا هو الجنون ، او اليس هذا حتما جنونا ؟ أليس الجنون هو فقدان الحافز والهدف ، فقدان التدبير والنتيجة ، او اختلالهما ، او جنونهما ؟ أليس تفسير الجنون مرتبطا دائما بتفسير الحافز والهدف ، وبتقويم التدبير والنتيجة ؟

واذن فهل وجود هذا الكون ، او وجود المجموعة الشمسية ، او وجود هذه الفعلة الاستقراغية الكونية — اعني الارض ، او وجود هذا الانسان ، او وجود هذا النوع من الحشرات ، او وجود اي موجود ،

— واذن فهل وجود اي موجود من هذه الموجودات ليس مالكا كل صفات الجنون وشروطه وتعريفاته وتفسيراته ؟

ان كل وجود لم يكن يريده احد ، او يطالب به احد ، او يحتاج اليه احد ، او ينتفع به احد ، انه لم يدبره او يوافق عليه اي منطق ، منطق صاحب اي منطق . لقد وجد كل الوجود قبل ان تكون هناك احد يحتاج او يطالب او يدبر او يوافق او ينتفع . اذن لقد وجد كل الوجود بضربة جنونية ، مهما تعامل بعضه مع بعض ، او احتاج بعضه الى بعض ، او اراد

بعضه بعضا بعد وجوده بهذه الضرورة الجنونية .

انه اذا كان احد او شيء ينتفع بشيء قد وجد ، او يحتاج اليه او يطالبه به او يدبره او يوافق عليه او يستطيع ان يفسره فهذا بعد ان حكم على ذلك الاحد او على ذلك الشيء بأن يكون موجودا وبأن يكون محتاجا. لقد وجد ذلك الاحد او ذلك الشيء دون ان يحتاج اليه احد او شيء ، ودون ان يدبر وجوده او يوافق عليه او ينتفع بوجوده احد او شيء ، كما قد وجد في ذلك الاحد او الشيء الاحتياج وصفات التدبير والموافقة والانتفاع دون ان يوجد من يطالب بهذا الاحتياج او ينتفع به او يدبره او يوافق عليه احد او شيء .

اذن لقد وجد كل شيء دون ان يريده او يدبره او ينتفع به او يحتاج اليه او يوافق عليه احد او شيء مهما اصبح مدبرا او مرادا او منتفعا به او محتاجا اليه او موافقا عليه بعد وجوده .

لقد وجدت الشمس دون ان تكون احتياجا او انتفاعا او تدبيرا او ارادة او قبولا او رغبة . ولكن اصبحت بعد ذلك احتياجا او انتفاعا او قبولا او رغبة او ارادة للانسان او لغيره فلقد وجد الانسان او هذا الغير دون ان يكون احتياجا او انتفاعا او رغبة او قبولا او ارادة او تدبيرا . ولكن حذار من الاعتقاد بأن الانسان والحشرة المنتفعين بالشمس قد وجدا تعزية ومجاملة ومحاباة للشمس لئلا يزال وجودها بلا معنى او تفسير .

اذن لقد وجدت الشمس والانسان ، او وجدت الشمس والمنتفع بها دون ان يكون وجودهما احتياجا او انتفاعا او قبولا او رفضا او رغبة او ارادة او تدبيرا او منطقا يحتمل ان يكون مفهوما او يحتمل أن يكون احتمالا .

وهل يحتمل ان الشمس قد وجدت بلا معنى او تفسير ، فوجد الانسان او اي كائن آخر يستطيع ان يتعامل بها وعليها لكي يكون لها معنى وتفسير ؟

وحينئذ ما التفسير او المعنى في ان تكون الشمس والانسان او الشمس واي كائن آخر غير الانسان موجودين ؟ ان وجود المرض يجعل

لوجود الطبيب تفسيرا . ولكن هل يمكن ان يكون لوجود المرض او لوجود المرضى لكي يوجد الطبيب اي تفسير ؟

اليس بقاء الشمس بلا تفسير او معنى أفضل او اقل جنونا من ايجاد ما لا معنى له ولا تفسير لوجوده لكي يجعل ما لا معنى ولا تفسير له ذا معنى وذا تفسير ؛ اي لكي يجعل للشمس معنى وتفسيرا ؟ أليس كون الشمس وحدها بلا معنى وبلا تفسير اقل جنونا من كون الشمس ومن يحيا بها وعليها بلا معنى وبلا تفسير ؟

ان الشمس وحدها اقل تدليلا على جنون الكون وعلى جنون الاشياء من الشمس ومعها من يحيون بها .

ان لوجود كل موجود تتجمع فيه كل اوصاف الجنون وشروطه وتفسيراته وتعريفاته . اذن فكل وجود جنون ؛ بقدر ما كل جنون وجود .

لقد جرؤ الانسان ان يدعو بعض اخلاق الجنون جنونا ولكنه لم يجرؤ أن يدعو نفس الجنون جنونا .

* *

هل يمكن ان تكون حروبنا ومخاصماتنا وعداواتنا ومنافساتنا واحقادنا وكل علاقاتنا وانفعالاتنا الا جنونا بل الا اعلى مراحل الجنون ؟

هل يمكن ان تكون آلهتنا ومذاهبنا واعتقاداتنا وصلواتنا وكل اساليب وطقوس عباداتنا ؛ وان يكون تعصبنا واقتناعنا بآلهتنا ومذاهبنا وعقائدنا وبصلواتنا وبكل عباداتنا وطقوسنا وان تكون خلافاتنا على هذه الآلهة والمذاهب والاعتقادات والعبادات والطقوس ؛ وباسمها وباسم الدفاع عنها والغضب من اجلها ؛ وان يكون تقاتلنا وتشاتمنا وتباغضنا باسمها وباسم الدفاع عنها وباسم احترامها وحبها وباسم الغيرة عليها وبحجة البحث عن رضاها وجلب السرور والنشوة الى نفسها ، الى أخلاقها وباسم الارتفاع الى اخلاقها ؛ وباسم الاعلان عن مستوياتها وعن ذكائها .

هل يمكن ان يكون كل ذلك او اي شيء من ذلك الا جنونا ؛ بل الاكل

معاني ومستويات الجنون ، بكل صنفه واساليبه وتعبيراته ـ هل يمكن؟هل يمكن !

هل يمكن ان يكون اي مستوى من مستويات العقل ! هل يمكن ان يكون اي اسلوب من سلوكنا اي اسلوب من اساليب التعقل !

هل يمكن ان تكون ممارساتنا لنحاد او لانفسنا او للاخرين او لجوعنا وآلامنا او لاحتياجاتنا وضروراتنا او مواجهتنا اخلاقنا ومشاكلنا ولاثامنا ونقائصنا ؟

هل يمكن ان يكون استمساكنا بالحياة ،وبالوجود ،بهذا الاسلوب،وبهذا الهوان ، وبهذا الضعف ، وبهذا الانقهار والانهزام ، وبهذه التضرعات والتهفات ، تحت كل هذه الظروف ، تحت كل هذه الاحتمالات والشروط المفروضة والشروط المفقودة ، وتحت كل هذه الآلام والبكاء والافتتان والانطراح والتقبيل والطاعة والانتظار والغفران ؟

هل يمكن ان يكون تناسلنا ، ان يكون اسلوبنا في هذا التناسل ، واعجابنا به ، وشهوتنا له ، وخضوعنا لهمجيته وطغيانه ، وتتابعنا فيه ، وتحملنا لنتائجه ، لما في نتائجه من آلام وهموم وقسوة وعدوان على الآتين الذين نصنع مجيئهم بهذا التناسل ، لما في نتائجه من احتمالات رهيبة شريرة ، من احتمالات حزينة بديئة تعذب الذين نصنع مجيئهم بهذا التناسل ، وتصيب بهم ؟

هل يمكن ان يكون تحملنا لنتائج هذا التناسل ، ولما قبه من بداية نراها وتعلمها ، ومن نهاية نراها ونعلمها وتمارسها وتمارستنا ، ولما بين هذه البداية وهذه النهاية من آلام وحقارات وعاهات وشرور ودموع نصنعها نحن بالاخرين وللاخرين ، لاننا نصنع اسبابها ، لاننا نصنع كل اسبابها،لاننا نحن كل اسبابها !

هل يمكن ان تكون ممارستنا لعملية التناسل،التي نصنع بها كائنات لم نردها احيانا ، وأحيانا لم نفكر فيها ، وحتما ودائما لا نعرف لمجيئها ، اي لمجيء هذه الكائنات معنى او رسالة او غرضا او تفسيرا ، او انتصارا لاي اله،او لاي مذهب،او لاية حقيقة،او لاي كائن آخر،او نعرف لمجيئها فرحا وابتهاجا

لاية شمس او لاي قمر او لاي كوكب آخر ـ بل ونحن نعلم اننا نصنع لهذه الكائنات التي نصنع مجيئها بممارساتنا لهذه العملية ـ نصنع لها الموت المحتوم بصنعنا لمجيئها ، ونصنع لها كل طريقها الى الموت ، وكل اسباب الموت وشروطه وظروفه واسلحته وانفجاره واليابه وهمومه وآلامه ومخاوفه!

هل يمكن ان يكون اي شيء من ذلك ابسط جنونا بل ليس اعلى مستويات الجنون ؟ هل يمكن ان يكون اي شيء من ذلك ليس كل امثلة الجنون وتفاسيره وتعبيراته ومعانيه واماناه وشروطه ؟

هل يمكن ان يكون اي شيء من سلوك الانسان او اي اسلوب من اساليب وجوده ليس جنونا بل ليس كل الجنون ؟

هل يمكن ان تكون ولادتنا الانسان او غدده او كبده او اي عضو من اعضائه اقل جنونا من عقله المصاب بكل الجنون ؟ اليست هذه الاعضاء انما ستعمل لتصنع جنونا ولتحافظ على جنون ؟ اليست كل وظائفها جنونا ؟

عن مجيئنا ، هل ذهابنا ؛ هل موتنا ، هل حياتنا ، هل مرضنا ، هل صحتنا ، هل شبابنا ، هل شيخوختنا ؛ هل قوتنا ، هل ضعفنا ؛ هل ذكاؤنا ، هل غباؤنا ، هل جمالنا ؛ هل دمامتنا ؛ هل حسنا ، هل بغضنا ، هل صداقاتنا ، او عداواتنا ؛ هل تشاؤمنا ، هل تفاؤلنا ، هل اعجابنا ، هل رفضنا ، هل نفاقنا ، هل وفاحتنا او سماحتنا ، هل آيماننا ، هل انكارنا ، هل اقتناعنا ، هل عجزنا عن الاقناع ، هل صلواتنا ، هل دعواتنا ، هل هتافاتنا ، هل احتفالاتنا ، هل اعيادنا ، هل مهرجاناتنا ، هل صراخنا ، هل مواكبنا ، هل مبايعاتنا ، هل مدائحنا ، هل تهاجينا ، هل اغانينا ، هل فتونتنا هل اداينا ، هل خضوع بعضنا لبعض ، وطاعة بعضنا لبعض ، وخوف بعضنا من بعض ، واتباع بعضنا لبعض ، وايمان بعضنا ببعض ، وتسلط بعضنا على بعض ، وتفضيل بعضنا على بعض ، وكبرياء بعضنا على بعض ؟

هل حبنا لانفسنا ، وفرحنا بانفسنا ولانفسنا ، واهتماماتنا بانفسنا اكثر من حبنا للاخرين ، ومن فرحنا بهم ولهم ، ومن اهتماماتنا بهم ؟

هل اصرارنا الدائم البذيء على ان تكون نموذجا لكل الاخرين ومنطقا

اكل الاخرين ؟ ودنيا لكل الاخرين ؟

هل اعجابنا بابنائنا ، وغضبنا لابنائنا،وتحديقنا في عيون أبنائنا وفي مشاعرهم وآلامهم ، دون ابناء الاخرين ، وامام ابناء الاخرين ، وتحديقا لابناء الاخرين ، ونسيانا او تجريحا لنظرات أبناء الاخرين وانطلاقاتهم وتوجوهم ولحضورهم ودموعهم وآلامهم ، ولاحزانهم ولاهاتهم والهاتهم ولتضرعاتهم ولاحتجاجاتهم ؟

هل اي شيء من هذا ليس جنونا ؟ هل اي جنون ليس أفضل جنونا من هذا الجنون ؟ هل اي جنون لا يعاني من مشاعر الهزيمة والتضاؤل امام هذا الجنون ؟

انه اذن لا يوجد الا الجنون ، وان العقل أذن لا يحسد ما يعمله الا ان يكون حارس الجنون ومفسره ومسوغه ومروجه وداعيته والمدافع عنه ، والمجون له آلهة وانبياء واديان ومذاهب ومتطفل موالي وزعماء وقيادات لا تعرف ولا تشتهي ولا تصنع الا الجنون والموت والخراب . وهل شيء غير العقل يحول الجنون الى آلهة وانبياء وزعامات وقيادات ومذاهب واديان، بل يحوله الى اكثر الالهة والانبياء والزعامات والقيادات والاديان والمذاهب جنونا ؟

واذن لا يوجد جنون وعقل ، واذن فالانسان والكون ليسا جنونا وعقلا ، انهما جنون او عقل قد صنعه الجنون . ولا يصنع هو الا الجنون، ولا يتعامل الا مع الجنون ، ولا يجد الا الجنون ، ولم يسر او يعشق الا الجنون . وهل يدري العقل انه كذلك ؟

وهل يرفض نفسه او ممارساته لو علم انه كذلك ؟ واي عقل هذا العقل الذي كل عمله ان يصنع الجنون وان يمارسه دون ان يدري انه كذلك ؟

وايهما اكثر جنونا : الجنون ام العقل الذي لا يصنع الا الجنون ، ولا يتعامل الا مع الجنون ، ولا يعشق الا الجنون ، بل الذي يفسر الجنون ويسوغه ويروج له ويمجده ، بل الذي لا يفسر الجنون ، ولا يروج له ولا يمجده سواء ، بل الذي لا يفسر ولا يروج ولا يمجد الا الجنون ؟

ايهما اكثر جنونا : عقلك المصاب بكل مستويات الجنون ، ام قلبك وجهازك الهضمي ورئتاك وغدتك التي تصاب لتؤدي نشاطاتها الوظيفية لتصنع كل جنونك ، واتيمم عني كل جنونك — على كل جنون وجودك وجنون عقلك ، وجنون ممارساتك ومشاعداتك ، وجنون استمرارك واستمرار جنونك في ممارساتك لجنونك ! وهل نوجد قياسا يحمي ويديم جنونك العقلي والاخلاقي والمذهبي والتاريخي والشعوري والوجداني والسلوكي غير أعصابك وغير ممارستها لوظائفها ؟

انه لو وجد قانون يعاقب على كل الجنون لما وجد ما يستحق العقاب مثل الاعضاء واجهزة الجسم التي تؤدي وظائفها لتخلق الحياة ، لتستمر وتخلد وتتسلسل ، لتمارس كل حماقاتها وعارها ومجوناتها وآلامها وعذابها وهمومها وسخفها وحقاراتها وضروراتها ؛ اي لتمارس كل وجودها ، اي كل جنونها ، اي لتصنع وتمارس اشياء لا يحتاج اليها ولا ينتفع بها ولا يريدها ولا يدبرها ولا يوافق عليها ولا يفهمها احد او شيء .

اي لتصنع وتمارس كل اوصاف الجنون واخلاقه وشروطه وتعريفاته وتعبيراته وتفاسيره ، اي لتمارس وتصنع ما لا يملك اي شرط او اي تفسير او اي تعريف او اي وصف ، من اوصاف العقل او شروطه او تفاسيره او تعريفاته او وقاره .

ان جنون اي جسم يؤدي وظائفه ليس اقل من جنون اي عقل مجنون يؤدي جنونه . ان جنون العقل وقدرته على ممارسة جنونه واستمراره فيه ليسا الا بعض عطاء الجسم اي الا بعض جنون الجسم ؛ اي الا بعض عمل وظائفه واستمرارها في عملها ، وقدرتها على هذا العمل والاستمرار .

ان جسمك حتما مجنون ، وان وظائفه حتما مجنونة ، مهما كان عقلك عاقلا وان الشمس مجنونة ، وان كل وظائفها وعطاياها مجنونة مهما عاش بها الانسان والحشرات ، مهما عاشت تحتها وسخرتها ، وتولدت عنها ، وتعلمت منها ، وتغذت بها ، وقدستها اضخم العقول . ان الشمس بكل هيباتها وعبقرياتها ليست الا اضخم موكب من مواكب الجنون ، انها تعيش كل ظروف الجنون ، وكل تفاسيره وتعبيراته وتفانيه ومنطقه وشروطه ، انها اضخم عرض للجنون .

ان الجنون هو ما ليس له غاية مقصودة او مرادة او مدبرة او مفهومة. والوجود كله ليس له هذه الغاية ، لهذا هو جنون .

* *

والنظافة ما هي ؟ ان النظافة ليست هي الترفع عن ممارسة الاوحال والتراب واخلاق الحشرات . انها ليست الارتفاع عن الجوع الى الاوحال والتراب واخلاق الحشرات . انها ليست فقد الشهوة لذلك او الاحساس به وبقيمته وبالتضارد . انها ليست فقد الاحتياج الى التحديق في الاوحال والتراب واخلاق الحشرات . انها ليست رفضا لسقوط في التراب والاوحال او للتغذي بالعفونات واخلاق الحشرات ، انها تلازم مع ذلك ؛ انها اسلوب مختار من اساليب السقوط والتغذي ، انها أسلوب معين من اساليب التلوث .

انه لمفروض عليك ان تمارس التراب والاوحال وان تمارس الحشرات واخلاقها واعضاءها وجوعها وضروراتها ؛ وان تحكم بالضعف امامها وبالهزيمة لها وبعنف اشتهائك اياها وبالحاجة الى التحديق المتوهج اليها فيها ، مهما كنت نظيفا او قديسا ، ومهما حصنت وعقمت اعضاءك واخلاقك وفكرك ومولدك والرخك وحبك لنفسك بكل خوفك من الالهة وبكل رغبتك وطمعك فيها ، وبكل ايمانك بمذهبك واعتقادك وبنفسك وبنظافتك وباحترامك لنفسك وبثقتك بها . ان وجودك محكوم باخلاق الحشرات وبجوعها وممارساتها وثباتها مهما كانت صرامة اربابك ومذاهبك ومواقفك ومحاسبتك لنفسك ، مهما كانت صرامة رقابتك على أخلاقك .

ان النظافة هي ان تمارس التراب والاوحال واعضاء الحشرات وجوعها واخلاقها باسلوب ما ، وفي مكان ما ، وتحت شعارات وظروف ما. ان تمارسها باسم الله او مذهب او نظام او قانون او قوة ما ، بصيغة ما . ان هذه هي كل النظافة في تفكيرك وسلوكك وطموحك وفي تعاليمك وفي مذاهبك واديانك وفي شروط اربابك وآنيائك وزعمائك عليك وفي مطالباتهم لك .

ان الفرق بينك ، يا انظف انسان وبين الذباب ان الذباب يمارس نقسه في التراب والاوحال والاشياء الاخرى باسلوبه هو ، وبلا مذهب ولا

اله ولا تشريع ولا دين ولا منطق ولا شعارات ولا اية شروط ـ وانك انت تمارس نفسك فيما يمارس الذباب فيه نفسه، بل وفي اكثر واردأ جداما يمارس فيه الذباب نفسه ؛ ولكن باسلوب وصيغةما ، وباسم اله او مذهب او نظام عدواني متعصب بدعيء ، او تحت شعار صاح مرجف مرهب . انك تمارس كل ذلك باسلوبك انت لا باسلوب الذباب ، ان الفرق بينكما هـو الاسلوب والشعار ، هو التسبيب والتسويغ والتشريع والالف الطويل والتمود الجاهز الذي لا يوجد تشريع ضده .

انك تهب وتقتل وتسطو وتحقد وتكره وتعادي وتشتم وتفعل جميع التلوثات والصغائر ؛ فلا ترى انك تجرح نظافتك او تسيء اليها لانك انما تفعل كل ذلك بتسلوب وشعار ما . ولانك انما تفعل ذلك باسم اله أو دين او مذهب او عقيدة او فكرة او قانون . انك تمارس كل الذنوب والعقوبات بهذا الاسلوب .

ولكنك ترى ان آتيان اي شيء من ذلك اثم وتلوث وعار اذا لم يكن باسم ذلك الاله او الدين او المذهب او القانون ، او باسم تلك الفكرة او العقيدة، او اذا لم يكن بذلك الاسلوب او تحت ذلك الشعار . ان الآثام والاوحال التي تمارسها مشرعة ومسوغة ليست اتظف او اصغر من الاثام والاوحال التي تمارسها محرمة ومحقرة .

انك تقتل الحيوان وتاكله وتعتدي عليه بكل اساليب الاعتداء ، فلا تجد في ذلك وحشية او ذنبا ؛ ولكنك ترى ان الحيوان الذي يفعل ذلك بحسبح وحشا وتهجوه بالوحشية . وانك لتصف الحشرة التي تاكل الديدان والفضلات والجثث وتعيش في اشتقوق بالخسة والمذارة ،ولكنك انت اكثر من الحشرات اكلا للديدان والفضلات والعفونات والجثث واكثر سكنا في الشقوق ، دون ان تصف نفسك بذلك ، لانك انت تفعل ذلك بحسب شعارات ، وباسم آلهة واديان ومذاهب وشرائع وافكار ، وباساليبك انت . اما الحشرات فتفعل بلا مذاهب او آلهة او اديان او شرائع ، وباساليبها هي ان ما تفعله انت كمزية يفعله الحيوان كوحشية .لماذا؟انه افتراض افترضته لنفسك ، وتشريع حابيت به سلوكك ، حابيت به حاجتك الى الاثم .

ان الفرق بين الثقافة والحضارة في تفكير الانسان وتقديره هو فرق

اسلوب وصيغة ، هو فرق مذهب وآله ودين وعقيدة وشعار ، هو فرق تفسير وتبرير ، هو فرق في حسابك ونظراتك ، وليس فرقا في الاشياء ، ليس فرقا في النظافة والقذارة ولا فرقا بينهما .

ان الفرق بين التظيف والملوث ليس اكثر من الفرق بين الاناء والاناء، وبين اليد واليد، وبين الاداة والاداة اللتين يتناولان بهما غذاءهما المستنبت المتحدر دائما من التراب والاوحال ومن اخلاق الحشرات وجوعها ـ المسخرج المصنوع دائما من عرق الارض وهمومها ومن افرازاتها التي لم تغتسل باية مياه معقمة ، ولم تسق من مياه اي نهر مقدس ، او متقاطر متجمعة مياهه من دموع التي الآلهة او من دموع واحزان انقى الانبياء والقديسين .

ان كل الناس عائشو عفونات وحاملو عفونات ، ولكنهم يختلفون في نوع عفوناتهم ، كما يختلفون في الاساليب والاسباب التي يمارسون ويحمون بها وياسمها هذه العفونات . ان البشر ليسوا جامعي وآكلي عفونات فقط ، انهم اذن لقذرون ومبرأون جدا ، ان البشر ليسوا قذرين فقط بل انهم ايضا مؤلهو عفونات ، اي انهم متلفون لها من افواه الآلهة ، وناسبوها الى الآلهة .

انك موجود اذن لا بد أن تجوع وان تحب وتكره ، وان تخاف وتشتهي والجائع المحب الكاره الخائف المشتهي كيف يمكن ان يكون نظيفا ؟

انك أعضاء تتغذى ، والاعضاء التي تتغذى كيف تستطيع أن تكون نظيفة ؟ انك اعضاء تضعف وتمرض وتموت ، والاعضاء التي تموت وتمرض وتضعف كيف تستطيع ان تظل غير ملوثة ؟

انك موجود : اذن لا بد ان يفرض عليك الوجود اخلاقه ، وهل تجهل ما هي اخلاق الوجود ؟ انم تمارسها طويلا طويلا ؟ ولانك موجود فلا بد ان يفرض عليك الوجود ضروراته ، وهل تجهل ماذا تعني ضروراته ؟

* *

والحضارة ما هي ؟ أنها هي البداوة باسلوب او بتعبير اخر ، انها هي ازياء البداوة .

ان الحضارة هي فنون البداوة : انها طاقاتها المتفجرة انها وحشيتها المبدعة وولادتها الباهظة .

ان جميع اساليب الحضاره ووسائلها وانجازاتها ومستوياتها ليست سوى البداوه جاءت في صيغ اخرى اي في صيغ اقوى .

انك حينما تبدو في أزهى ازياء الحضارة لست الا بدويا يحركه ويسوغه اقسى ما في اقسى البداوة من حوافز واخلاق ونيات ، ومن منطق وشعور واعراب وافتراس وجوع وخوف وضياع وعيب . انك حينئذ لست الا بدويا نبتت فيه اظفار واياب حضارية . وكم هي الفروق بين اياب واظفار الحضارة وبين اياب واظفار البداوة .

ان الحضارة لا تعني الا ان البداوة قد صاغت نفسها صياغة جديدة وقوية ومثيرة . ان الحضارة ليست نقيضا البداوة ، وليست هزيمة او نفيا او اضعافا او تهذيبا لها انها ليست الا مستوى من مستويات البداوة بل انها اعلى مستوياتها . ان الحضارة اسمار البداوة . انها غوذ وتمكين لها . انها تسليح وتجميل لها . انها حتما اغراء لها واغراء بها . ان الحضاره لا تقتل او تهزم فيك البداوة ولكنها تحول فيها وفيك الى مزيد من الاغراء .

انك لا تكون حضاري النفس او الانسان بقدر ما تكون حضاري الحياة . اننا لا نصنع الحضارة بانسان حضاري ، اننا نصنع الحضارة بانسان بدوي : بدوي النفس والرغبات والشهوات والانانية والجوع والحوافر والاهداف ، بدوي الضياع والعيث .

انك بدوي المنطق مهما كنت حضاري اللغة ، وانك بدوي الاعتقاد مهما كنت حضاري المنطق ، وانك بدوي النفس مهما كنت حضاري النفس ، وانك بدوي الاعضاء مهما كنت حضاري النفس ، وانك بدوي الحب والبغض والانانية والعواطف مهما كنت حضاري الاعضاء ، وانك بدوي الانسان مهما كنت حضاري الحياة . انك بدوي بقدر ما انت حضاري ، انك بدوي النفس مهما اصبحت حضاري الصيغة ، وبدوي الانسان مهما اصبحت حضاري الجسد . انك بدوي مهما أسكنت النجوم . انك بدوي لانك ابدا بدوي .

ان الحضارة هي خلق البداوة بقدر ما هي ادواتها . اننا بالبداوة نصنع الحضارة ، واننا بالحضارة نمارس البداوة ، ونعيشها ونطيعها ونستجيب لها ونرضيها . اننا بالحضارة نستطيع ان نكون بدوا اكثر ، نستطيع ان نمارس البداوة اقوى واكثر واقسى .

ان المتحضر جدا ليس الا بدويا جدا قد صنعته بداوته القويةصناعة قوية ، ووهبته القدرة على ان يمارسها ويعيشها ويخضع لها ويعبر عنها باساليب اقوى ، او باساليب أكثر اغراء واغواء وشمولا واقناعا وتكبيرا وقسوة .

ان الناس ليسوا بدوا ومتحضرين ، ولكنهم يبدو في صيغة بدووبدو في صيغة متحضرين . انهم بدو ضعفاء ، وبدو اقوياء ، او بدو فقراءوبدو اغنياء ، انهم بدو يعيشون في الصحراء او الغابة ، وبدو تعيش فيهم الصحراء والغابة بكل ما في الغابة والصحراء من حقد ولؤم وخوف ووحشية وافتراس وانقضاض — وبدو يعيشون في المدينة وتعيش فيهم الصحراء والغابة . ان كل غابة ، ان كل صحراء تعيش في كل انسان مهما عاش في اجمل وأضخم مدينة . ان المدينة لا تستطيع ان تقتل الصحراءاو الغابة في الانسان . ان المدينة صديقة الغابة ، ابنتها .

ان البداوة هي ان تبحث عن التفوق والانتصار ، وان تريدهما وتتمناهما ، ولو بهزيمة الاخرين ، ولو بهوان وحقارة الاخرين ، وتحقيرهم .

انها هي ان تدافع عن حياتك وان تحافظ عليها ولو موت الاخرين .

انها هي ان تضحك وتبتهج وتسعد وتقسو ولو تحولت ضحكاتك وابتهاجك واغانيك وسعادتك الى دموع واحزان وشقاء للاخرين — ولو تحولت ضحكاتك واغانيك وابتهاجك وسعادتك الى بحار من الدموع وشقاء واحزان الاخرين .

انها هي ان تحب اطفالك اكثر مما تحب أطفال الاخرين ، وان تقبل اطفالك امام اطفال الاخرين ، امام يتم الاطفال الاخرين ، وان تحدق في المرآة اكثر او اصدق مما تحدق في وجوه الاخرين ، وان تحس بالامك واحزانك وامراضك وجوعك ومخاوفك اكثر مما تحس بآلام واحزان

وآمراض وجوع ومخاوف الاخرين .

انها هي ان يرقص قلبك أو تعبيراتك ابتهاجا لانك افضل واقوى حظا وظروفا ممن حولك ، من اصدقائك واعدائك .

ان البداوة هي ان توجد او تبقى في نفسك ذكرى او صورة رمح او نبل او خنجر مهما امتلأت يداك بالكتب وبالاجهزة العلمية وبالمصافحات ، وامتلأت كلماتك بالحديث عن السلام والحب وبشعارات الحضارة .

انها هي ان يخفق قلبك بالسرور لان عدوا لك قد مات او اصيب او هان او اهين .

انها هي ان تحقد او تحسد او تبغض أو ترضى عن نفسك أو تباهي بها او تطنب لها الثناء او يرضيها الثناء او تعجب بها او بابنائك او بزوجتك او بآبائك او بتاريخك او باي شيء تملكه ، بلا ذكاء أو وفاء .

انها هي ان تقاتل وتموت لان زعيمك اراد لك ذلك كما كان البدوي يقاتل ويموت لان شيخ قبيلته اراد له ذلك ـ ان تقاتل وتموت مع المجتمع الذي وجدت فيه كما يقاتل البدوي ويموت مع القبيلة التي يوجد فيها ـ ان تقاتل دفاعا عن مذهب مجتمعك وعن شعاراته ، وتعصبا لها ، كما يقاتل البدوي دفاعا عن انساب قبيلته وعن مفاخرها وعن امجادها وعن مضارب خيامها ـ ان تؤمن بالمذهب او بالنظام او بالدين او بالافكار التي يلقنك اياها مجتمعك كما يؤمن البدوي بالاصنام والعادات والمفاخرات والاعتبارات والخرافات والاساطير التي تلقنه اياها قبيلته ، كما يؤمن بصدق نسبه وبطهارته وبتفوقه على كل الانساب .

ان البداوة هي ان تجوع اعضاؤك كما تجوع اعضاء البدوي ، وان تحس بجوعها كما يحس البدوي بجوع اعضائه ، وان تطيع اعضاءك كما يطيع البدوي اعضاءه ، وان تظل وظائف اعضائك كما تظل وظائف اعضاء البدوي ، وان تحترم جوع اعضائك اكثر مما تحترم جوع اعضاء الاخرين .

ان البداوة هي ان تعاني من جوع اعضائك اكثر مما تعاني من جوع افكارك او من جوع اخلاقك أو من جوع كرامتك او من جوع صداقاتك اي من جوع الانسان فيك .

ان البداوة هي ان تريد الحياة وان تستمسك بها ، بلا فكر وبلا تفسير وبلا اقتناع ، وبلا شروط . انها هي ان تهب الحياة كالناس الاخرى دون ان تعرف لماذا . ودون ان تفكر لماذا . ودون ان تسأل لماذا ، كما يفعل من يعيشون في الصحراء . في الغابة ، كما تفعل الحشرات والديدان .

انها هي أن تعطي الوجود كائنات جديده دون أن يتطرع اليك احد بان تفعل ذلك ، دون ان تريد بذلك شفاء الاعراب من همومها .

ان البداوة هي ان تعبر نفسك بلا منطق الا لانك موجود ، كما يفعل الحجر نفسه بلا منطق الا لانه موجود ، وكما يقين الذباب نفسه بلا منطق الا لانه موجود . وهل يمكن أن تعلل نفسك تعرضي او تفسير أو بمنطق أفضل من ذلك او غير ذلك ؟

ان البداوة هي ان تقول وان تفعل كانك تؤمن، وان تؤمن كانك تعرف، وان تعرف كانك تعلم ، وان تعلم كانك تعيش . كانك تبصر ، وان تبصر بلا رؤيه .

انها هي ان تقول وان تفعل وانت لا تؤمن ، وان تؤمن وانت لا تفهم وانت لا تعرف ، وان تفهم وان تعرف وانت لم تعلم ، ولا تعلم ولن تعلم،وان تجهل كانك تعلم .

ان البداوة هي ان تفسر نفسك افضل مما تفسر اية حشره ، وان تجد في وجودك من تكرر الاله أو من حسابه او من ذكائه أو من صداقته اكثر او افضل مما تجد في وجود اي حجر .

ان البداوة هي كل هذا ، وان كل هذا بداوة . فهل تستطيع ان تكون غير هذا ؟ هل تستطيع ان تتوقف من كل هذا لتكون غير بدوي ، أي لتكون متحضرا ؟

اذن هل الحضاره الا افسى واقوى صنع ومنويات البداوة ؟

* *

ان الانسان اذن ليس الشيء ونقيضه ، ليس حضارة وبداوة ، او

ذكاء وغباء ، او صدقا وكذبا ، او نظافة وقذارة ، او عقلا وجنونا ، او حبا وبغضا . انه ليس سماء وارضا ، شرفا وسقوطا ، نبيلا وشيطانا ، تقوى وفسوقا ليس زندقة وايمانا ، عطرا وعفونة ، اعضاء وروحا ، شهوة وزهدا انه ليس شهوة وقداسة ، ان الانسان ليس الشيء ونقيضه ، انه شيء واحد ، تعبير واحد ، ومنطق واحد . انه طبيعة واحدة مهما كان او جاء صيغا مختلفة .

ان الفرق بين الانسان والانسان كالفرق بين الحجر والحجر ، وبين الشجرة والشجرة الاخرى من نفس النوع . انه فرق في الحجم لا في النوع ولا في التفسير . ان الفرق بين الانسان والانسان كالفرق بين اللغة واللغة ، وليس كالفرق بين الموضوع والموضوع الاخر . ان الفرق بينهما كالفرق بين الموضوع ونفس الموضوع في الحجم والتعبير لا في النوع ولا في المنطق ولا في القيمة .

انه لا يوجد فرق بين اعضاء النبي واعضاء الزنديق ، لهذا لا يوجد فرق بين احتياجات ووظائف وجوع اعضاء النبي وبين احتياجات ووظائف وجوع اعضاء الزنديق ، انه لن يوجد فرق بين احساس النبي بضغط اعضائه عليه وبين احساس الزنديق بمثل هذا الضغط الواقع عليه من اعضائه . ان طاعة هذه الاعضاء او عصيانها — في سلوك النبي والزنديق — ليس تمردا او انتصارا على اخلاق الاعضاء او على اوامرها ، ولكنه تعامل معها ، رفض لها او طاعة لها بها من اجلها .

ان الذين يتساءلون في اعضائهم وفي وظائف اعضائهم لن يختلفوا الا في اسلوب تعاملهم مع هذه الاعضاء ، لن يتفاوتوا الا في اسلوب طاعتهم لها من اجلها ، بأمرها ، او في اسلوب عصيانهم لها من اجلها ، بأمرها . انهم لن يتفاوتوا الا في تعبيرهم عنها ، الا في اسلوبهم الذي يعبرون به عنها — الذي يختارونه او يستطيعونه للتعبير به عنها . ان التفاوت بين البشر ليس الا تفاوتا في اساليب تعاملهم مع اعضائهم ، في اساليب طاعتهم للجوع وضغوط اعضائهم عليهم .

ان الذين يتساءلون في اعضائهم وفي وظائفها وجوعها لن ينقسموا الى كائنات تعيش بالعطور والاناشيد الروحية ، والى كائنات تقتات بالعفونات وبعواء الوحوش والحشرات ، انهم لن ينقسموا الى كائنات

نفسر بقوانين الشراب وبقوانين الجوع ، والى كائنات تفسر بتسابيح النجوم . ان البشر ليسوا ملائكة وابالسة ولكنهم ملائكة فقط او ابالسة فقط او لا ابالسة ولا ملائكة . انهم تفسير واحد يعبر عنه بشتى اللغات، او لغة واحدة تنطق بعديد اللهجات ، او لهجة واحدة تسمع بمختلف الاصوات والقراءات .

* *

ولكن لو ان ذلك الكائن الفلكي او الانسان الفلكي الذي فسرنا وسمع — بالافتراض — ما يقول ، وما كتب ويكاتب الانسان ؛ اي لو انه هبط او سقط الى الارض ، ليعيش الانسان بكل احاسيسه ومواجهاته وممارساته وتجاربه فماذا يمكن ان يجد الانسان ؟ كيف يمكن ان يراه ويفهمه ويفسره ويقومه ؟

ماذا يمكن أن يجد الانسان او كنت غير انسان ثم واجهته، ثم عايشته فجأة ؟ هل تمتلك حينئذ قوة البتراعة ؟

هل قراءة الانسان والاستماع اليه من بعيد ، دون ممارسته بالرؤية والتجربة يعطيان عنه نموذجا او تصورا او تفسيرا افضل ؟ هل ممارسته بالتجربة والرؤية تضع له حدودا وتمادج اقل من قراءته والاستماع اليه من بعيد ؟

هل قراءة الانسان والاستماع اليه يخدعان عنه ، تخدعان عن حقيقته ؟ هل تجعلانه اكبر حجما في مزاياه واصغر حجما في رذائله ؟

هل من انحياز الانسان ، او من الخداع له ان يقرأ ويسمع اليه دون ان يواجهه ويمارس ويعايش ويجرب من قريب ؟ هل من الاساءة اليه ان يرى ويعامل ويجرب ؟ هل الالهة التي سكن السماء قد خدعت بالانسان ؟ هل تصورته اعظم واكبر وانظف من جسمه ؟ هل رات فيه مجدا من امجادها ونموذجا من نماذجها ؟ هل رأته كل أمجادها لهذا وهبته كل اهتماماتها ، ووضعت فيه كل تعبيراتها ؟ هل تصورته في جسمه او في صعوده او في نظافته او في طموحه ؟ هل عشقته الالهة كنموذج اعلى لعشق الالهة ؟ هل زاغ خيال الالهة في تصورها له ؟

هل خدعت الالهة بالانسان لانها سمعته من بعيد ولم تعايشه ، ولم تواجهه ، ولهذا فتنت به ، لهذا وجدت انه هو وحده طريقها الى نفسها والى نموذجها ، الى نموذجها العقلي والنفسي والاخلاقي والذاتي — لهذا وجدت انه هو وحده النموذج الذي يستطيع ان يتكافأ معها وان يفهمها ، وان يصادقها ، وان يثور عنها ، وان يفسرها ، وان يعجبها وان يرضيها وان يصنع لها كل السرور الذى تبحث عنه ، كل السرور الذى تفقده ؟

هل وجدت فيه النموذج الذي يستطيع ان يصنع لها كل المجد الذي تبحث عنه ، ان يصنع لها كل المجد الذي تستحقه ؟ هل وجدت فيه الالهة كل عزائها وحبها وشفاء جوعها لانها سمعت ولم ير ، ولم تواجه او تعامل ؟ وهل تخدع الالهة بسماعها ، هل يمكن أن تخدع ؟

هل تصدم الالهة لو انها نزلت الى الارض ؟ هل تصدم بالانسان ؟ هل تفجع برؤيته وبمعرفته وبحجمه الذاتي والنفسي والاخلاقي والعقلي؟ هل تتراجع عنه ؟ هل تتخلى عن املها فيه او عن اصطفائها له ، أو عن ابتهاجها به ، او عن تيني عبقريتها لعبقريته ، أو عن تيني اشواقها لنظافته او لاخلاقيته او لجماله ؟ هل تعلن الالهة توبتها من ايمانها بالانسان ومن اعجابها به ، ومن احتفالها بمستقبله وبمقدمته ؟ هل تعلن الالهة توبتها ؟

هل تصفي الالهة نفسها لو انها نزلت الى الارض لترى الانسان ولتعامله، ولتشقى بمعاملته وبرؤيته، لتفجع بمعرفتها لمستوياته ولحدوده؟ هل تصفي حينئذ نفسها باسا وخجلا ورفضا واشمئزازا ؟ هل تتخلى حينئذ عن جميع خططها ، أو هل تفاق كل الكون الذى صنعته محبة وهدية للانسان ، وثمنا لحبه ولتقبله ولشكره ؟ هل تدمر كل الكون باسا واشمئزازا وخجلا ورفضا وهربا لو انها واجهت الانسان وعرفت كل كينوناته ؟

هل تغلق الالهة حينئذ كل اسواقها وكل معاملاتها وكل رحلاتها الفكرية ؟ هل تتوب حينئذ من جميع أشواقها ؟

هل تزيل جنتها وجحيمها ؟ هل تغلق جنتها ونارها اللتين انما اعدتهما للانسان ، واللتين انما بنتهما لتكونا سكنا للانسان ؟

هل تحذف الجنة والنار من أعمال الالهة الانشائية ؟ هل يصبح مستقبل الانسان بلا جنة ولا جحيم ؟

هل تعترف الالهة حينئذ بخطئها وتعبر عن هذا الاعتراف بالخطأ بأسلوب يتلاءم مع مكانتها وقدرتها وموهبتها ومع مستوى الخطأ الذي وقعت فيه والذي تريد الكفير والتراجع عنه بعد الاعتراف به ؟ هل تعترف بخطئها هذا وتعبر عن اعترافها هذا بأن تصفي ، بأن ترسل كل شيء ، لتعود الى معاناة وحدتها الفاعلة . لتعود بلا انسان قد خدعت به ، وبلا كون كبير جدا قد خلقته لتهديه الى هذا الانسان الذي قد خدعت به ، ليكون — اى الكون — لعبة التجربة الكبيرة . لكي يرضى ويعتف ويصفق ويصفي لها ، لكي تتقابل وتسعد وتتعزى عن عذاب وحدتها الرهيبة الكئيبة النافية الغائبة المجدبة ، عن عذاب كينونتها الالهية الحزينة المشوهة ؟ هل تعترف الالهة بخطئها وتعبر عن اعترافها بأسلوب يتلاءم مع مكانة الالهة ؟

هل تتنزل الالهة الى الارض لكي تعرف الانسان ، لكي تعرف كيف خدعت ، ولكي تعترف بأنها قد خدعت ، ولكي تتراجع وتكفر عن خديعتها ، عن وقوعها في الخديعة ، ولكي تعبر عن تراجعها وعن تكفيرها تعبيرا يتلاءم مع مكانتها وموهبتها وقدرتها وعن مستوى الخديعة التي وقعت فيها وعن قيمة الثمن الذي دفعته لحسابات هذه الخديعة ؟

هل تصفي حينئذ كل شيء ، هل تزال حينئذ كل شيء ؟ هل تعود الالهة حينئذ الى معاناة وحدتها التي لا مثيل لقسوتها وبلادتها ، بلا انسان وبلا كون وبلا شيء ؟ هل تعود الالهة لتكون وحدها ؟

* *

ان المفترض الدائم ، او المقرر المعترف به دائما ان قول الانسان — مسموعا ومقروءا — اكبر دائما من حجمه ، اجمل وانظف دائما من ذاته ، اصدق واذكى دائما من حياته .

ان المعتقد الدائم ان الانسان في تعاليمه وفي كتبه المقدسة وفي اشعاره وخطبه وفي كل ما يقول ويكتب يبدو اكبر جدا ، واصدق ،

وانظف ، واذكى جدا ، واجمل جدا .. يبدو اكبر واجمل وأظرف واصدق واذكى واشرف واشجع واقوى من حجمه ، ومن ذاته ، ومن اخلاقه ومن جميع احتمالاته .

ان المعتقد الدائم ان الانسان يخدع بأقواله عن حقيقته ، يخدع كثيرا ويعيدا ، واننا او سمعنا وقرأنا انه من بعيد دون ان نواجهه او نعامله او نعايشه لوجدناه شيئا كبيرا جدا ، او لوجدناه حتما اكبر وأفضل من مواجهته ومعاملته ومعايشته . ان المعتقد الدائم ان كل الناس يستطيعون ان يعرضوا انفسهم باقوالهم افضل واعظم جدا مما يستطيعون عرضها بحياتهم .

ولكن قد يكون هذا الاعتقاد من الاخطاء الشائعة العالمية التي لها اسباب كثيرة . قد يكون الصواب ان اقوال الانسان لا يمكن ان تكون جهاز خداع به ، بل انها قد تكتشفه اكثر مما تخدع به ، بل دون ان تخدع به . ان اقوال الانسان قد تكون ـ بكل اساليبها وتوتراتها وتناقضاتها وتمجيجها وبكل ما فيها من غضب وبذاءات وعدوان وحقد وفضاعة وغرور وكبرياء وبلادة وانانية ومن رواسب أخرى كثيرة ، غير كريمة ـ انها قد تكون أفضل الانسان عاجزة عن ان تخدع به ، بل قد تكون أقواله هذه عاجزة عن ان تكون محايدة ، اى عاجزة عن ان تكون لا له ولا ضده . اى ان اقوال الانسان هذه قد تكون هجاء له ، قد تكون تدليلا قويا على مستويات هي اقل جدا من مستوياته . قد تكون حقيقته افضل واكبر مما تعرضه اقواله هذه التي حسبت واهية انه اكثر وافضل مما يملك ويستطيع ويستحق . قد تكون حياته افضل جدا مما يمكن ان تفسره اقواله .

قد يكون الانسان مظلوما بأقواله ، لا خادعا بها . قد تكون اقواله خادعة عنه لا خادعة به ، قد يرى الذين يسمعون للانسان ويقرؤون له دون رؤية وتجربة ومعايشة ـ او حتى هذا ـ قد يرون انه أصغر واضأل مما يراه الذين يعايشونه ويعاملونه ويواجهونه ـ او قد يكون هذا هو المنتظر والمتوقع .

قد يكون تشويها باهظا للانسان ان يسمع ويقرأ دون ان يرى ويجرب . قد تكون رؤيته وتجربته انفذا وانصافا له من سماعه وقراءته .

اهل الذين يخدعون بالانسان لا يخدعون به لانهم استمعوا اليه او قراوا له ؛ بل لعلهم خدعوا به لانهم محتاجون الى الانخداع ؛ لانهم يريدون ان يخدعوا ؛ لانهم لا يجدون غير ان يخدعوا ؛ لان الانخداع عمل من اعمالهم ؛ لانه حاجة من حاجاتهم ، لانه فن واسلوب من فنون واساليب حياتهم .

ولعلهم لم ينخدعوا ، وانما تحدثوا عن انهم قد انخدعوا .

نعم ؛ قد يكون الانخداع حاجة او فنا او ضرورة او وظيفة او اسلوبا او اعلانا عن الذات او عن شيء ما ، ولعل الذين انخدعوا لم يتخدعوا وانما تظاهروا بانهم قد انخدعوا . هل يوجد من لا يتظاهر بالانخداع ؟

ان احدا لم يحاول او يرد ان يفهم او يفسر الانسان باقواله ، انه لتفسير لا بد ان يكون فاجعا ومهينا لو ان احدا فسر الانسان تفسيرا ذكيا وصادقا باقواله . لقد كان الذين يفسرون الانسان ويفهمونه — اي يحاولون فهمه — يفسرونه ويفهمونه كما يريدون ؛ او كما يستطيعون ؛ او كما يقال لهم ، ان احدا منهم لم يفسر الانسان أو يفهمه او يحاول فهمه كما قرأه وكما استمع اليه ، ولا مما قرا له او استمع عنه .

ان الناس لا يفسرون الاشياء أو انفسهم بالاقناع بل بالشهوة او الحاجة او التقليد او الهوى او الظروف او بالعجز والانانية والمصلحة .

هل حاول احد ان يفهم او ان يفسر الانسان — كمستوى فكري ونفسي واخلاقي — من خلال فهمه وتفسيره وقراءته لخطب وتعاليم اي زعيم من الزعماء او نبي من الانبياء او معلم من المعلمين ؛ أو واعظ من الوعاظ ؛ او كاتب او شاعر او فنان من الكتاب والشعراء والفنانين — من خلال ما سيؤدي فهمه وسمعه واخلاقه ووقاره وحياءه وتهذيبه وتواضعه من صغار وغباء وفحش وعدوانية وتلوث وكبرياء وافتضاح وأعياء وحقد وبغضاء وتساقط وجوع نفسي وعفن واخلاقي ولغوي .

— من كل هذا الذي سيجده ؛ هذا الذي سيصدمه ويروعه في خطب وتعاليم جميع الزعماء والانبياء والمعلمين والوعاظ والكتاب

والشعراء ، وجميع من يتحدثون ويعلمون ؟

هل حاول احد ان يفهم الانسان او ان يفسره كاخلاق وسلوك ومنطق واسة وعواطف من خلال ذلك ؟

ان احدا ما لو حاول ان يفهم الانسان من كلام وخطب وتعاليم اى نبي ، مما يمكن فهمه بلا تعقيد او تفسير ساذجة من بعدون هذه الخطب والتعاليم والكلام لكان ذلك اسلوبا موحشا من اساليب التشويه للانسان والعدوان عليه ، ومن اساليب الحقير والاحقر له بل من اساليب الاهانة والكذب على مستوياته التي بحياها مهما كان تواضع هذه المستويات ولكن احدا لم يكن قاسيا كل هذه القسوة التي تجعله يفسر الانسان بكلام وخطب وتعاليم انبيائه ومعلميه .

انه لا حد لما يمكن فهمه من ضعة ، الانسان وضآلة مستوياته لو انه فسر بما يمكن ان يفهم عنه فهما مباشرا وحسرا من كلام وخطب وتعاليم اى نبي او معلم او واعظ او فنان او شاعر او اي متحدث ، ان ايحاءات هذه الخطب والتعاليم تعطى عن الانسان مستويات لا حد لضعفها وضآلتها وبدائيتها وعفويتها لانها تعطى مثل هذه المستويات عن قائليها وكاتبيها ومعلميها الذين يتحولون الى مستويات للانسان لانهم هم مستويات انسانية بل اعلى هذه المستويات .

انك — او وعيت — ان تقبل ان تفسر مقاساتك او ان تجيء مقاساتك النفسية او العقلية او الاخلاقية او السلوكية على مستوى المقاسات الاخلاقية او السلوكية او العقلية او النفسية التي يمكن ان تفسر بهما مقاسات اي نبي او اي معلم ، او اي شاعر أو فنان او واعظ لا بد ان توحي بها وتدل عليها بسهولة جدا خطبه وتعاليمه وكل كلامه عنه . ان هذه الخطب والتعاليم ستعطى عنه مستوى نفسيا وفكريا واخلاقيا وسلوكيا . وان هذا المستوى سيتحول الى مستوى للانسان ، الى مستوى ظالم للانسان ، مشوه محقر له جدا . وانك انت لن تقبل ان تفسر بهذا المستوى الذي يمكن ان يفسر به مستوى اى نبي أو زعيم او معلم مما توحي به تعاليمه وخطبه عنه .

ولكنك انت لم تفطن — لاسباب خارجية — الى المستويات الضعيفة

التي لا بد أن تفهم من الانبياء والزعماء والمعلمين والشعراء والمفكرين مما يقولون ويكتبون ويعلمون أي التي لا بد ان يفسرها ويدل عليها ويوحي بها ما يقولون ويعلمون ويكتبون . ان تعاليم الانسان وخطبه وكلماته لا بد ان تصبح تفاسير ومستويات له باسلوب ما مهما كانت كاذبة ومنافقة وغير مراد بها ان تكون مستوى او تفسيرا له .

ان الانسان لن يحيى باقصى من ان يفسر بما توحي به اقواله وتعاليمه ، بل بما توحي به كتب وتعاليم وخطب ومواعظ وشرائع انبيائه ومعلميه وقديسيه وشعرائه وفنانيه ، اي بما يختفي باعلان وجهر ، بل بما يختفي بافتضاح ومراوغ وراء هذه الكتب والتعاليم والخطب والمواعظ والشرائع ، او بما تعلن عنه هذه الشرائع والمواعظ والخطب والتعاليم والكتب من مستويات لا يمكن ان تهبط اليها اية حياة مهما كان هبوطها . ان كل ما في الطبيعة من ضعف ونذالة لعاجز عن الهبوط الى مستويات الضعف والنذالة التي يمكن قراءتها وفهمها بل ورؤيتها في تعاليم واقوال وخطب وشرائع البشر .

ان حياة الانسان ، اي انسان لافضل وانظف واقل فحشا وبذاءة وألما ودماءة من أقواله وتعاليمه ولغاته مهما كانت تلك الاقوال والتعاليم واللغات مبالغة في الثناء على نفسها ، ومهما كانت تلك الحياة مبالغة في التحقير لنفسها .

هل عرف اي انسان ان اضعف ما في البشر هي اقوالهم ؟ هل عرف اي انسان ان اقوال البشر تهبهم من الضعف والنقائص اكثر واكبر من ضعفهم ونقائصهم ؟ هل عرف اي انسان ان اقوال البشر تتهمهم بالضعف والنقائص اكثر مما يتهمهم ضعفهم ونقائصهم ؟

هل عرف اي انسان أن أقوال البشر تسيء اليهم اكثر واقسى مما تسيء اليهم حياتهم ، وتعتدي عليهم وتشوههم اكثر مما تعتدي عليهم واكثر مما تشوههم ذنوبهم وخطاياهم التي تمارسها حياتهم ؟

هل عرف اي انسان ان الانسان سلوكا واخلاقا وثيابا افضل وانظف وأشرف منه اقوالا وتعاليم وشرائع وخطبا مهما كان المظنون

دائما عكس ذلك ، بل مهما كان الاقناع الدائم العالي نقيض ذلك ! مهما كان ذلك غير وارد في اي ذهن او حساب !

اننا لو قرانا بموهبة قارىء محدق ناقد مفسر اقوال وتعاليم وخطب ومواعظ وتشريعات اي معلم من المعلمين ، روحانيين انخالدين لوجدنا في اقواله وتعاليمه وخطبه ومواعظه وتشريعاته من الحقد والقسوة والجوع والمفولة وكل معاني الضعف والضآلة ما لا تستطيع اية حياة ان تعيشه ، بل ما لا تستطيع حياة كل البشر ان تجتره ، او ان تستطيعه ، او ان تعرف كيف تستطيعه او كيف تتسهيه او كيف تواجهه ، او كيف تراه او كيف تستطيع رؤيته — لوجدنا في تفاسير اقواله وتعاليمه وخطبه ومواعظه وشرائعه — لوجدنا في ذلك من البيان والحواقز ما لا تستطيع اية حياة ان تتكاثف مع ما فيه من وحشية واثم وخراب وتفاهة .

ان انسانا واحدا لو استطاع أن يتحول الى اقواله — ان انسانا واحدا من المعلمين والقادة العظام لو استطاع ان يتحول الى اقواله وتعاليمه وشرائعه ، واستطاع ان يحول ذلك الى فعل ، لاعطى الحياة من التعذيب والتخريب ما لا تستطيع كل الطبيعة ان تعطي الحياة من التعذيب والتخريب .

ان كل تخريب وتعذيب في العالم لا يساوي ما في تفاسير اقوال وتعاليم اي معلم من التخريب والتعذيب .

ان اي انسان ، اي معلم عظيم لا يستطيع أن يكون اقواله — لا يستطيع ان يكونها ، ولا يستطيع ان يستطيعها ، ولا يستطيع ان يريدها . ان هذه لمن اعظم مزاياه . ان اي انسان ، اي معلم عظيم خالد لو تحول الى اقواله لدمر من نفسه ، اهرب من نفسه ، اقاتل نفسه . ان تفاسير اقوال اي معلم لا تستطيع اية حياة ان تكونها ، ان تستطيع مواجهتها . ان تفاسير اقوال المعلمين ، تفاسيرها النفسية والاخلاقية لشيء رهيب ، رهيب .

ان البشر لم يقراوا اقوالهم واقوال معلميهم ولم يقرؤوها ولم يحاسبوها ، ولم يفهموا كل دلالاتها وقراءاتها وتفاسيرها ، لم يفهموا ما وراءها من شرور وحفارات وتفاهات وعدوان وبغضاء وضآلة وحوافز

وثبات مصابة بكل العاهات . انهم لم يفهموا معانيها التي تكاد تكون منطوقة ، مجبورا بها — لم يفهموا أو يحاولوا أن يفهموا تفاسيرها التي هي أقوى من كونها منطوقة ، من كونها مجبورا بها . ان محتويات هذه الأقوال ، محتوياتها النفسية والأخلاقية لشيء رهيب فهمه وتفسيره ، أشيء رهيب التحدث فيه .

ان البشر لم يقرأوا أقوالهم وأقوال معلميهم العظام ، ولم ينظروا الى ما تعني ، والى ما في ضمائرها ، بل الى ما في حروفها وأصواتها وأشباهها من تفاسير رهيبة . أبدا يحاولون بكل أساليب التقوى والاصرار على التفسير لا يفعلون ما يقولون وعلى الذين لا يساوون أقوالهم وتعاليمهم ، كأن أقوالهم وتعاليمهم هي كل التقوى والمجد والبطولة والذكاء .

انهم يرون ان الذين يفعلون أقوالهم ، أو الذين يساوون تعاليمهم ومواعظهم هم النماذج والمثل الأخلاق والقوة والابداع والتدين .

لهذا يذهبون — بحثا عن الكمال — ينصحون كل الناس ويطالبونهم — بأسلوب وعظي دولي — بأن يكونوا أقوالهم ، أي بأن يكونوا كل ما تعني وتحمل أقوالهم من تفاسير وايحاءات ودلالات ، ومن حوافز وأهداف ونيات .

انه المحال كل المحال ان يحدث هذا ، لو كان ممكنا ان يحدث ، ما أبشع ما يتمنى الانسان أحيانا لنفسه ، ما أبشع ما يختار الانسان أحيانا لنفسه ، ما أجمل أن يعجز الانسان أحيانا عن الاختيار لنفسه .

ان البشر ليسوا أفعل أفضل من أقوالهم — أنهم أيضا أفضل من حوافزهم ونياتهم وأهدافهم .

ان حياة الانسان لأفضل دائما من أقواله ومن نياته ومن حوافزه وأهدافه .

ان حياة الحجر ، بل حياة الوحش لأفضل من تعاليمه ومواعظ وخطب أتقى وأصدق المعلمين . ان حياة الحجر ، بل حياة أي وحش

لاقل اثما واكثر تقوى واسبل اخلاقا من نيات وحوافز واهداف اتقى المسلمين حوافز ونيات واهدافا . ان اقوى اعداء الانسان وحشية ، ان اقوى وحوشه هي نياته وحوافزه واهدافه ، هي تعاليمه واقواله — انها اقوى وحوش الحياة .

ان التفاسير المحتملة والمفروضة في انياب واظفار اي وحش ، وفي قسوة وكآبة اي حجر لاكثر واصدق تقوى وفضيلة واقل وحشية وافتراسا من التفاسير المحتملة والمفروضة والمحواة في اقوال وتعاليم ونيات وحوافز واهداف اي قديس ، بل اي قديس عظيم .

ان اقوال الاله ، اجزل الآلهة المحسوبة الموصوفة عليها لا يستطيع كل ما في الكون من قسوة وبغضاء وكآبة وافتراس وجنون ان يتحول الى تفاسير لها . ان كل دمامة وقسوة لتتحول في مقارنتك الى جمال ورحمة لو انك حدقت في تفاسير اقوال الآلهة لترى ما فيها من وحشية وقبح وكآبة .

ان اي اله لا يستطيع ان يتحول الى اقواله الموصوفة المحسوبة عليه انه لافضل من اقواله مهما كانت وحشيته . انه لا يستطيع ان يقوى على ان يعيش اقواله مهما كانت قوته . ان البعد بين الاله واقواله ليس اقل من البعد بين الاله في ذاته وبين الاله في تصور المؤمن به — ان البعد بينه وبين اقواله ليس اقل من البعد بين ما يمكن ان يفعل وبين ما ينتظر منه المؤمن فعله . ان المؤمنين بالآلهة ليصلون لالههم ، ليعبدون لهما ويؤمنون بها ، ليهللوا باقوالها ، وانتظارا تصدق وتحقق اقوالها . انهم ليتضرعون اليها طالبين ان تصدق اقوالها . ان اعجابهم باقوالها وانتظارهم لصدق اقوالها سببان من اسباب ايمانهم بالهتهم ورضاهم عنها وتفاؤلهم بما ينتظرون ، بما يتنظرون ان تمن من اجلهم .

ان هؤلاء المؤمنين لا يعلمون ، وانهم لم يحاولوا ولم يريدوا ان يعلموا ان اقوال الآلهة لا يمكن ان تكون صادقة لان صدقها شيء فوق قدرة كل شيء ، فوق قدرة نفس هذه الآلهة . لان صدقها شيء لا تحتمله الاشياء ، ولا يستطيعه قوانين الاشياء ، لا يستطيعه ولا تجرؤ عليه وحشية الاشياء ، لا يستطيعه او يجرؤ عليه وحشية شيء حي ولا وحشية الآلهة نفسها . ان صدق الآلهة في اقوالها شيء ضد الآلهة

نفسها ؛ وضد الانسان ، وضد المؤمنين بها ، وضد كل شيء . ان صدقها يعني عذاب كل شيء .

ان المؤمن ليبالغ كثيرا في هجاء الله حينما يعتقد انه ـ اي ان الله ـ يعمل ما يقول ، او انه سوف يفعل ما يقول . انه ، اي المؤمن، ليتمنى لنفسه اشد اساليب الوحشية في المحاسبة والعقاب حينما يتمنى ان يكون الله صادقا فيما يقول ؛ حينما يتمنى ان يكون سلوك الاله نفسيراً وتطبيقا صادق لاقواله . ان الاله الصادق هو اخطر وابشع شيء في هذا الكون . ان اغبى امانيك هي تمنيك ان يكون الهك صادقا .

ان كل اله طيب ومحسن ـ بقدر ما ـ لانه لا يفعل اقواله . ان مزية كل اله هي انه خارج على اقواله . ان الكون باق ، وان الاشياء باقية ، وان الانسان باق بقدر ما تخالف الآلهة اقوالها ؛ او لان الآلهة مخالفة دائما لاقوالها .

ان شيئا من الوفاء والرحمة والحب موجود في الكون وفي الحياة لان الآلهة لا تعيش اقوالها .

لقد ظللت محتفظا بالهك لان الهك ظل محتفظا بالخروج في سلوكه على اقواله .

* *

ايها الانسان . ايها الاله . انا نطالبك ان تكون مهذبا ورحيما ونقيا . ايها الاله ، ايها الانسان . لتقل ما تشاء ، ولتكن نياتك وحوافزك واهدافك ما شاءت . ولكننا نطالبك بان تكون مهذبا ورحيما ونقيا ، لهذا نطالبك بان تكون دائما خارجا على اقوالك وتعاليمك واشعارك وخطبك ، وخارجا على حوافزك ونياتك واهدافك .

انا نطالبك ان تكون في سلوكك خاضعا للقانون الذي تخضع له النبتة في نموها ، والنهر في جريانه ، وقطرات المطر في تظافتها ، والسحاب الوحش في براءتها ورحمتها . . ونرفض لك ان تكون خاضعا لاقوالك وتعاليمك ، أو لحوافزك واهدافك ونياتك .

انا نريدك ان تكون مهذبا ورحيما وتقيا ، لهذا لا نريدك ان تكون صادقا ، وانت دائما غير صادق ، ان هذه هي مزيتك العظمى . انا لا نريدك كذلك ان تعيش حوافزك او نياتك او اهدافك ، وانت حتما لا تستطيع ان تعيشها ، لهذا كانت معايشتك ممكنة ، لهذا لم تقتل كل الناس ، ولم تذل كل الناس ، ولم تمتلك كل الناس ، لهذا بقي سواك ، بقي فيك ما يحتمل .

انك ايها الاله ، ايها الانسان ، لاطف واتقى وأذكى دائما من اقوالك وتعاليمك ومن حوافزك ونياتك واهدافك . ان اعضاءك ان سلوك اعضائك ايها الانسان ، ايها الاله ، الطف واشرف واذكى واتقى دائما من اقوالك وتعاليمك ، ومن اهدافك وحوافزك ونياتك ، ان حوافزك واهدافك ونياتك هي اردأ واخطر ما فيك ، انها اردأ واخطر ما في الحياة وما في الطبيعة .

انك لا تستطيع ان تكون صادقا ، انك لا تستطيع ان تكون نياتك او اهدافك او حوافزك . ان هذه احدى مزاياك العظمى ، انت تكون حياتك فقط ، انا لا نريدك ان تكون صادقا ، لانا نريدك ان تكون مهذبا ورحيما وتقيا ، انا لا نريدك ان تعيش حوافزك ونياتك واهدافك ، لانا نريد ان تبقى سواك ، وان يبقى فيك ما يحتمل او يقبل او يعايش ، ولانا لا نريد ان تكون اخطر واردأ ما في الحياة والطبيعة ، ولانا لا نريد ان تذل كل الناس ، او تخطو فوق كل الناس ، او تستعبد كل الناس ، او تقتل كل الناس ، او ان تلغي بكل الناس نحت طموحك العدواني ، انه لا خلاص لك ولا لنا من ذلك الا بان تكون غير اقوالك وغير حوافزك ونياتك وخارجا عليها .

ايها الانسان ، ايها الاله ، انا نريدك مهذبا ورحيما وتقيا ، لهذا نريدك خارجا على اقوالك وتعاليمك ، نريدك عاصيا لحوافزك ونياتك واهدافك .

لانا لا نريدك ان تكون اخطر واردأ ما في الحياة ، اخطر واردأ ما في الطبيعة .

ايها الانسان ، ايها الاله ـ انا نريدك رحيما مهذبا تقيا .

لهذا فريدك ابدا عاصيا ، عاصيا لنفسك . انه لا جمال ولا رحمة للاله الا بأن يكون عاصيا . آن عصيان الاله لاخلاقه ولرغباته ولوعوده ولطموحه هو أنقى وانبل ما فيه وما ينتظر منه .

* *

اننا لا بد ان نفترض أن ذلك الكيان الفلكي الذي هبط او سقط — بالافتراض — الى الارض ليواجه الانسان — اننا لا بد ان نفترض ان ذلك الكيان الفلكي او الانسان الفلكي الذي قد سقط او هبط — بالافتراض — الى الارض قد أصبح اعجب غريب في هذا الكون . واصبح أقسى مواجه في هذا الكون مواجهة . اقسى من كل المواجهين رفضا وكفرا واشمئزازا لما يواجه ومما يواجه . أننا لا بد أن نفترضه أغرب محكوم عليه . لا بد ان نفترضه اقسى محكوم عليه تعذيبا وترويعا وتفجيرا للدمامات والبذاءات والتفاهات والحقارات والاهوال في تعذيقاته وفي مشاعره وفي أعصابه المفزعة ، المقتولة .

اننا لن نتصور ان اية عيون في كل تاريخ الكون وفي كل تاريخ العيون قد تفجرت فيها من الذنوب والفضائح واهوال الجحيم مثلما ما سوف يتفجر في عيني ذلك الكائن الفلكي الذي هبط او سقط — بالافتراض — الى هذه الارض ليكون محكوما عليه بمواجهة الانسان . أن مواجهة الانسان لا تطاق أهوالها لولا التعود عليها .

اننا لن نتصور سائحا اشقى او اكثر غربة من ذلك الكائن الفلكي . . اننا لن نتصور رحلة مثل هذه الرحلة في مشاهدها المفاجعة الحزينة المبكية .

ما اقسى وأغرب وافظع هذا الذي يرى ، هذا الذي يحدث امامه بكل التهاويل والاهوال . انه آلان ، وبلا تروض للرؤيه طويل يرى كيف يجيء الانسان وكيف يذهب . كيف يبدأ مجيئه وكيف يكون هذا المجيء . ومن اين يجيء هذا المجيء . ما هذا الاسلوب الذي يتون به ، وكيف ينتهي ، وكيف يكون هذا الانتهاء — كيف اسلوبه ، الى أين ، لماذا .

ما التدبير ، ما التفسير ، ما العظمة ، ما التفاهة ، ما الحقارة ، ما

السخف ، ما العبث ، ما الجنون ، ما الهوان .. ما النظافة ، ما القذارة من الفاعل ، من المستفيد ، من المفعول من اجله .

ما القصة . من يريد هذا ، ومن يقبل هذا ، ومن يستطيع التحديق في هذا . من يقبل ان يكون ذاتا لهذا ، ومن يقبل ان يكون شريكا في هذا ، ومن يقبل ان يساعد على تكرار هذا . من يقبل ومن يستطيع ومن يريد ..

من الفاعل ، ومن المفعول من اجله ، وهل يوجد فاعل او مفعول من اجله . ما التفسير ، وهل يوجد تفسير ، هل يطاق المشهد ، كيف يطاق لولا التكرار ، ان التكرار ايضا كل الخوف والدماء .

انه الآن ، وبلا تذييل للرؤية طويل ، يرى الانسان كيف يعاني وجوده وكيف يعيش وجوده ، وكيف يجوع وكيف يمرض ، يعالج جوعه ، كيف يحب ، وكيف يغازل حبه ، وكيف يمارسه ، وكيف يصنع اساليبه ، وكيف يصنع ويشرع اساليب ممارساته له . كيف يتحدث عنه ، وكيف يحوله الى فنون واديان وآداب ولغات وفضائح .. كيف ينعب ، وكيف ينام ، وكيف يمارس نومه ، وكيف يتضح في نومه ، ما اتسع المرئي وما اصغر المرئي ، ما اصغره ، ما ابشع ما يتشوه ويصغر ويحقر ، ما ابشع الدمامة ، ما ابشع ما يرى .

انه الآن ، وبلا تذييل طويل لرؤيه يرى الانسان في المعبد ، يراه امام الهته ، يراه يصلي ، ويبكي ويركع ، يراه يخاف فيتافق ويكذب ويهون ، يراه يتضرع ويدعو ، — يراه يقصر ، ويقصر ، ويقصر ، يراه يسقط ويسقط ويسقط — يراه يجهل ، ويجهل ، ويجهل ، يراه يشتم الاخرين ويراه يطالب الهته ان تكون معه ضد الاخرين ويراه يصلي لالهته لتعادي من اجله الاخرين ، يراه يبكي ، يراه يحدق بلا رؤية وبلا شجاعة وبلا كرامة وبلا اباء وبلا ذكاء ، يراه يحدق ويبكي ويركع ويتضرع ويصلي ويتلو ويكذب ويخاف ويهون ويتافق ويجهل — يراه يقصر ، ويقصر ، ويقصر — يراه يسقط ويسقط ويسقط ، بلا ظهر وبلا ذكاء ، وبلا شجاعة وبلا كرامة ، وبلا رفض ، وبلا وقار وبلا اي حدود لقامته او لارادته الركوع .

يراه في المعبد ، يراه امام آلهته ، يراه يشتم الهته ويحتقرها ويفضحها ، لانه يصلي لها ولانه يتملقها ولانه يدعوها ولانه يرشوها ولانه يفسرها ولانه يصغرها .. انه يصغرها حين يفسرها ، انه يفسرها حين يصلي لها وحين يدعوها وحين يرشوها .

ما اصغر الانسان في المعبد ، ما اصغره ، ما اقصره ، ما اجهله ، ما اغباه ، ما اعظم ما يهجو الانسان نفسه ، وما اعظم ما يهجو آلهته ـ ما اعظم ما يهجو نفسه وآلهته في المعبد ، ما اعظم ما يهجو نفسه وآلهته امام الهته .

ما اصغر الانسان في المعبد ، ما اقصره وما اجهله وما اتفهه وما اهونه امام آلهته ، يبكي ويدعو ويركع .

انه يرى الانسان في المعبد ، انه لا يستطيع ان يراه في المعبد . انه يتحول الى دمامات لا تطيقها عيناه . ان الانسان يتحول في المعبد وامام الهته الى تشوهات لا تطيقها عيناه ، لا تطيقها عيناه ذلك الكائن الفلكي ، انه يتحول في المعبد وامام آلهته الى ذنوب وعاهات لا تطيقها عينان لا تطيقها آية عين سوى عين الانسان ، سوى عين الانسان التي فطنتها الرؤية ـ التي فطنتها ، فقاومها رؤيتها لها وقاومها مع نفسها .

انه الآن ، وبلا تحليل طويل امينه يرى الانسان يمارس حكامه وزعماءه وقادته . انه يراه يمارس طاعته لهم وايمانه بهم وخوفه منهم وهتافه لهم ، ومسيرته تحت اقدامهم . انه يراه يمارس محاكماتهم وسجونهم ومعتقلاتهم وحماقاتهم ومغامراتهم وكل اساليب جنونهم . انه يراه يمارس كل تفاسير ومعاني ولغات البكاء خوفا منهم ، وابتهالا اليهم ، وموتا من اجلهم . انه يرى حكامه وقادته وزعماءه يمارسونه ـ يمارسون انفسهم به . انه يراهم يمارسون احقادهم وطموحهم ومخاوفهم وصغائرهم وكبرياءهم وجوعهم وبكاءهم وهمومهم وهرائهم وجراحهم وآلامهم وبقعهم وحبهم وصداقاتهم وعداواتهم ومنافساتهم وكل ذنوبهم وشرورهم به وفوقه ومعه وضده وبواسطته وتحته وبين ابنائه وفي بيته وفي حقوله ومصانعه ، وفي قراه ومدنه ، وضد اربابه واديانه واخلاقه ، وضد كرامته وشرفه وشجاعته وذكائه ، وضد تعاليمه واديانه واخلاقه وحياته .

انه يراه ؛ يرى الانسان يصنع المعابد والسجون والمعتقلات والقيود والسلاح والحروب والخصومات والعداوات لكي يعيشها ، ولكي يعاقب بها نفسه ؛ ولكي يمارسها ضده وفيه وبه وفوقه وبواسطته وفي بينه ، وضد ابنائه واهله ، وضد قراه ومدنه ومصانعه وحقوله ، وضد اربابه وادیانه واخلاقه ، وضد شرفه وكبريائه وذكائه وشجاعته ، وضد كل انسانيته وحيائه .

ـ لكي يمارسها ضده وفيه وبه وبواسطته وفوقه زعماؤه وقادته وحكامه وكل مجانينه وطغاته . انه يحفر القبر لكي يضعه فيه اعداؤه . انه يحفر القبر ثم يضع نفسه فيه ارضاء لاعدائه ، انتقاما لشهوات اعدائه . انه يضرب القيود والسلاسل على نفسه لئلا يهرب من اعدائه او يقاومهم .

انه الان ، وبلا تدليل طويل لعينيه يرى الانسان يمارس مذاهبه ومفاهيمه واربابه ونظمه وتطريباته ، ويمارس قوميات وطنياته وخطوعه اتاريحه بكل هذا القبح والعدوانية والوحشية التي يمارسها بها .

انه يراه يمارس احقاده وعداواته ومنافساته ومخاوفه واكاذيبه وبذاءاته ومطامعه وكبرياءه وانتصاراته وهزائمه ، ويمارس زعاماته وقياداته وحكوماته وتعاليمه بكل هذا الغباء والعدوانية والوحشية التي يمارس بها كل ذلك .

انه يراه ؛ يرى الانسان يمارس همومه وآلامه ومشاكله واحتياجاته وعجزه بكل هذا التضعف والبكاء والانهيار والتعب ـ ويمارس مسراته ولذاته وضحكاته وقهقهاته بكل هذا التزق والتفاهة والافتضاح ـ ويمارس صداقاته والتزاماته وعلاقاته بكل هذه الاكاذيب والمجاملات والخداع والابتذال ، ويمارس عداواته وبغضاءه وخلافاته بكل هذه البذاءات والصليل والصهيل والحقد المتوحش الغبي .

انه الان ؛ وبلا ترويض طويل لعينيه يرى الانسان بكل مسافاته وحدوده وبكل تفسيره وآرائه ، انه يراه في ذاته وفي تيانه ؛ في حوافزه واعداقه ؛ في تعاليمه التي يتحدث دائما عن انتصارها على شهواته ؛

في انانياته التي يتحدث دائما عن مقاتلته لها وعن انتصاره الدائم عليها — يراه في كل حياته ، آخذا منها ، آخذة منه — يراه في كل الانسان التي يدفعها ، وفي كل الانسان التي يقبضها .

انه يرى الحوافز التي تدفعه ، والاهداف التي يندفع اليها — انه يراه حافزا وهدفا . انه يرى نيابه ، يرى ما يريد . وما يعني وما يساوي ، يراه فاديا وانانيا ، يراه نعما بسامة ، اجيرا وعملا .

انه يرى كل لغاته وتعاليمه وشعاراته ومذاهبه ونظرياته وحروبه وخلافاته وخصوماته وعداواته وصداقاته وآلهته وعقائده وزعاماته ونيابه وحوافزه واهدافه ونظاماته وقفزاته وعبقرياته — منحولة الى ثمن ، الى ثمن ذليل ، صغير ، حقير ، مهين — منحولة الى ثمن يعيشه ويقبضه ، دون ان يتحدث عنه ودون ان يستطيع التحدث عنه — يقبضه ويعيشه ويلعن التحدث عنه ، ويخجل من التحدث عنه .

انه ثمن يعيشه ويقبضه ولكنه قد يعجب من يتحدثون عنه ومن يحدثونه عن اسمه . انه يعيش ما يرفض ان يسمى .

انه ثمن لا يختلف نوعه مهما اختلفت مقاديره ، انه ثمن لا يختلف مهما اختلفت اللغات والشعارات والمذاهب والنظريات والآلهة والمعلمون والخلافات والخصومات والحروب والعداوات والصداقات والحوافز والنيات والنظامات والقفزات والعبقريات والاهداف التي هي دائما سعي اليه وبحث عنه .

انه يرى الانسان : الصيغة والتفسير ، الاسلوب والفكرة — التفسير الذي هو الصيغة ، والفكرة التي هي الاسلوب . انه يرى الانسان : العمل والاجر ، الاجر الذي هو العمل ، الاجر الذي هو الاجير ، الاجر الذي هو ان يظل اجيرا . انه يرى الانسان الذي يظل يعمل بلا اجر ، والذي يظل يعمل ليكون اجره ان يظل يعمل . انه يرى الانسان الاجير بلا اجر غير ان يظل اجيرا . ان يرى الانسان الذي يجعل لنفسه فكرة وتفسيرا ، ثم لا تكون التفسير والفكرة سوى الصيغة والاسلوب — سوى ذات الانسان بكل احتياجاتها وتعاملها مع هذه الاحتياجات ، وبكل صيغ

واساليب هذا التعامل مع هذه الاحتياجات .

ما اشنع وافظع هذه الصيغ والاساليب،هذه الاحتياجات والتعامل، ما اقسى التحديق في ذلك ، ما أقسى تفسيره ، ما اقسى البحث عن حوافزه واهدافه ونياته وغاياته . ما اقسى فهم ذلك ؛ ما اقسى رؤيته . ما اقسى ان ترى الانسان ، آن تراه صيغة واسلوبا . ما اقسى ان تفسره؛ ان تفسره فكرة ومنطقا ، ان تفسره حوافز واهدافا ؛ نيات وغايات واخلاقا؛ ان تفسره اجرا واجرا . ما اقسى ان تفسر الانسان صيغة واسلوبا ،سلعة وثمنا ، آخذا وماخوذا منه ، مستدنا ومنتهبا ... ما اقسى ان تفسر الانسان

ما اقسى ان ترى الانسان وان تفسره وان تستطيع رؤيته وتفسيره وان تجرؤ على ذلك .

ان هذا الكائن الفلكي هو أول من يرى الانسان . ان احدا قبله لم يره ؛ ان الانسان لم ير نفسه ؛ انه لم ير شيئا ان العيون لا ترى ما توجد فيه ، ما يوجد قبلها . انها لم تر الشمس ولا النجوم لانها قد وجدت قبلها، لانها وجدت فيها .

لقد كانت نفس الانسان تتحول دائما الى جدار ضخم لتقف بينه وبين نفسه ، لتقف بين عينيه وبين نفسه . لقد كانت ذاته تحول دائما بينه وبين ذاته . لقد كانت رؤيته لذاته تمنعه من رؤية ذاته . لقد كان دائما يرى ذاته لا ذاته . لقد كان يرى امانيه ومخاوفه واحتياجاته وتصوراته حينما كان يريد ان يرى ذاته ؛ ان يرى نفسه . ان العيون لا ترى ما ترها انها لا ترى الا مأمورة .

لقد كان الانسان يرى صورته التي في نفسه وفي تمنياته، لا صورته التي في ذاته او التي يعيشها وتعيشه . ان في نفسه، في نفس كل انسان مرآة هي خصم ونقيض للمرآة التي امامه . ان في داخل كل انسان مرآة قد تحاسب على انها محابية كذابة منافقة مزيفة ؛ وقد تحسب رحيمة مهذبة جيدة الاخلاق . ان في داخل كل انسان مرآة يرى بها ما يريد لا ما هو موجود . ان في داخل كل انسان جهاز تزييف لصانعه ، جهاز تضليل لرؤيته ، لرؤيته ما امامه . ان الانسان يريد فيرى اكثر من ان يرى فيريد .

ان ذلك الكائن الفلكي يحدق الان . ان ما يحدق فيه يكبر على كل وصف ، انها صور تهزأ من كل ما عرف من لغات الهجاء والبلاغة والرفض.

ان أمامه قوما مبتهجين جداً ، قوما قد اخرجهم ابتهاجهم عن كل وقار . انهم قادة وزعماء يحتفلون بما يسمونه نصرا . انهم زعماء وقادة قد قتلوا اعدادا هائلة من شباب المجتمع الذي يحكمون ويقودون ،وخربوا مدن وحقول ومصانع البلد الذي يحتلون ، كما قتلوا اعداداً هائلة من شباب قوم آخرين يسمونهم اعداءهم ، كما دمروا مصانع وحقول ومدن اولئك الاخرين الذين يدعونهم اعداء ولكنهم انتصروا ، لهذا هم مبتهجون جدا ، لهذا يحتفلون بانتصارهم .

وكيف انتصروا ، وعلى من انتصروا ؟ انهم قاتلون ومخربون ـ قاتلون لشباب شعبهم ولشباب شعوب اخرى ، مخربون لحقول ومصانع ومدن شعبهم ، ولحقول ومدن ومصانع شعوب اخرى . انهم قاتلون ومخربون . لهذا يحتفلون لانهم منتصرون ، لانهم قاتلون ومخربون .

اذن كيف انتصروا وعلى من انتصروا ؟ واي نصر هذا الذي به يحتفلون ؟ انهم لم يصنعوا الا الهزيمة والخراب ـ الا الهزيمة للانسان والا الخراب لحياته . ولكنهم ايضا مبتهجون ومنتصرون لان ابتهاجهم او انتصارهم لا يكون الا بالخراب والهزائم .. الخراب والهزائم للحياة وللانسان .

لقد انتصروا هم ـ لقد انتصر القادة والزعماء ـ لقد انتصروا على الانسان،لقد انتصروا على ذكائه وعلى شجاعته وعلى حياته وعلى انسانيته. انهم يحتفلون ويبتهجون بانتصارهم الشامل العالي على الانسان في كل معانيه ومستوياته ، تحت كل قياداته ومذاهبه وتعاليمه وحضاراته وشعاراته .

ان القادة والزعماء دائما منتصرون على الانسان مهما كانت مذاهبه ومستوياته وحضاراته . انهم منتصرون عليه انتصاراً عالميا . انهم يحتفلون بكل ما في الابتهاج من جنون وغباءات ـ يحتفلون بانتصارهم العالمي الدائم على الانسان .

ان انتصار القائد او الزعيم على القائد الاخر أو على الزعيم الاخر هو كل الانتصار في حساب الزعماء والقادة ، في حساب كل الزعماء وكل القادة مهما هزم الانسان نفسه ومهما خربت حياته .

ان الانتصارات والهزائم لا تعني في لغة الانسان وحساباته سوى انتصارات وهزائم الزعماء والقادة . انهم هم المالكون للحروب ولحساباتها ؛ لهذا فهم الذين ينتصرون او ينهزمون في حساباته وحياة الانسان ولغاته ، اما البشر فهم ادوات لهذه الانتصارات والهزائم ؛ انهم دائما منهزمون مهما انتصر او انهزم القادة والزعماء . ان انتصار الانسان في اية معركة منتصرة لا يساوي اكثر من انتصار الفرس او الدابة التي يقاتل بها أو عليها الفارس أو اللص المنتصر . انه انتصار لا يصيبه منه الا ان تفقد حياته او تعذب .

ان الانتصار لا يعني الا أن جنون او طموح قائد او زعيم قد انتصر على جنون او طموح قائد او زعيم آخر او على جنون او طموح قيادة او زعماء آخرين . وان الانهزام لا يعني الا ذلك ايضا . أن انتصار اي زعيم او قائد لا يمكن ان يكون فيه أي انتصار للانسان الا بقدر ما يكون فيه من انتصار للفئران والبراغيث . ولكن أليس فيه انتصار ضخم لهذه الحشرات؟ أليس يقدم لها الغذاء الوفير ؟

ان الانسان خاسر ومهزوم دائما في جميع انتصارات القادة والزعماء وفي جميع انهزاماتهم لان كل عداوة وخصومة بين الزعماء والقادة هي هزيمة وخسران للانسان . والانتصار لا يكون الا على عداوة او خصومة صنعها القادة والزعماء ، أو بين الزعماء والقادة . اذن فالانتصار لا يكون الا لعداوة او خصومة ، كما لا يكون الا على عداوة او خصومة . وانتصار العداوات والخصومات التجارية لن يكون فيه اي انتصار للانسان ، كما ان انهزام هذه العداوات والخصومات لن يكون فيه كذلك اي نصر او مجد او ربح للانسان ، كما ان انهزام هذه العداوات والخصومات لن يكون فيه كذلك اي نصر او مجد او ربح للانسان ، انه لو هاجمنا وحش فقاتلناه فقتلناه فاننا لن نكون منتصرين او كاسبين شيئا ، ولكننا قد تخلصنا فقط من الشر بعد ان نكون قد دفعنا الثمن أحيانا . اذن لقد أخذ منا ولم نأخذ نحن شيئا .

ان الانتصار على اسوأ طاغية عرفه التاريخ ليس فيه اي نصر او كسب للانسان . ان الذي حدث ان الانسان قد دفع حسابات وجود مثل هذا

الطاغية ، وحسابات مقاتلته والانتصار عليه . وهل في هذا أي كسب أو نصر للانسان ؟ أن ربح الانسان وانتصاره في الا يوجد مثل هذا الطاغية ، وفي الا يوجد من يثيرون جنونه وطموحه واحتلامه ، وفي الا يوجد ممن يوجدون الظروف أو يوحون بالظروف التي توجده وتحركه وتصنع منه مجنونا عالميا . ان المجانين العالميين لا يوجدون أنفسهم ولكن العالم يوجدهم ، ولكن مجانين آخرين او اشياء مجانين آخرين يوجدونهم ، أو يساعدونهم على أن يوجدوا ، ويحرضونهم على أن يوجدوا وعلى أن يجنوا وأن يطيروا بالمزيد من الجنون ، وعلى الا يخجلوا او يخافوا من جنونهم . أن المجنون العالمي لا يكفيه أن يكون مجنونا لكي يمارس جنونه ويعرضه كخلق دولي او كخلق يمكن ممارسته ضد كل العالم ، بل لا بد لكي يمارس المجنون جنونه من استفاقة ذلك عالميا على نحو ما . ان جنونا ما لا يوجد وحده ولا يعيش وحده ، انه يحتاج دائما الى الاشياه والانداد ، والى المحرضين ، والى العالمين احيانا . ان المجنون لا يقبل أن يكون وحده ، انه لا يستطيع ولا يعرف أن يكون كذلك . ان المجنون العالمي لا يجن من داخله وان الجنون العالمي ليس مرضا ذاتيا . ان المجنون العالمي لا بد أن بلده مجانين وأن يعيش بين مجانين وأن يكون حوله مجانين .

ان المجنون لا يقبل ولا يستطيع أن يكون الها اي لا يقبل ولا يستطيع وحدانية الاله .

ان هذا الجنون كائن اجتماعي ، انه عالمي الابوة والسلوك والمنطق والارض . ان الارض العاقلة لا تلده ، ان الارض العاقلة لا تلد المجانين .

انها اذا ولدت مجنونا فانها لن تجعله وحيدها .

أن الارض لا تعرف التوحيد في ولاداتها للمجانين . انها في مستقبلها اما أن تصاب بالعقم فلا تلد مجنونا واحدا ، واما أن تظل ولودا تلد المزيد من المجانين .

أن الارض لا بد ان تظل تلد الحشرات بلا حساب او ان تعجز عن ولادة حشرة واحدة .

★★

أن ذاك الكائن الفلكي يحدق الان ، يحدق في قائد يكاد يقفز الى النجوم من الفرح ، يكاد يتعرى من القلق .

انه قائد يجلس الى مكتبه الذي يدير منه عمليات القتل والتخريب. انه لا يكاد يفهم او يرى شيئا من الانشاء . ان كل ما في الغابات وفي الطبيعة الصحراوية من وحوش وحشرات عدوانية سامة قد تحولت الى نشوة في اعصابه وقلبه ووجهه وفي كلماته واشاراته واوامره .

ان كل همجية الطبيعة قد تحولت الى نشوة همجية في كلماته وحركاته وتعبيراته وفي صفيره وعيبه ومشاعره .

لماذا لا ان القتلى في جيشه كثيرون جدا ، وان الدمار في بلاده هائل: هائل . ولكن القتلى في جيوش من يراهم اعداءه اكثر ، والخراب في بلاد اولئك الاعداء اقدح . لهذا يجب ان يجن سروراً لانه منتصر ، يجب ان يجن سروراً لانه منتصر انتصاراً شخصياً . ان كل انتصار في حسابه ليس سوى انتصاره الشخصي ، وان كل معاني الهزيمة ليست الا هزيمته الشخصية .

ان الخراب في بلده قد اصبح شاملا ، وان الموت في جيشه قد اصبح فناء .

ولكنه مع ذلك يجب ان يتمرى من السرور لان الدمار والخراب في جيوش وبلاد من يراهم اعداءه اشمل وأقدح هولا . انه منتصر ، منتصر على خصومه واعدائه من القادة والزعماء . ان انتصاره انتصار شخصي ، ذاتي ، فردي . انه انتصار قائد على قائد آخر او على قادة آخرين . أنه منتصر عليهم بالعبقرية والتدبير والنشاط والهمة وبالرؤية البعيدة او بالحظوظ . ان انتصاره بالحظ يعني احتراما كونيا لشخصه، يعني التفات الكون وقواه الخفية اليه . ان كل قائد ينتصر بالحظ الغبي لا بد ان يعتقد انه قد انتصر بالقدر او بالتدبير الذكي .

انه انتصار شخصي ، ذاتي ، انه انتصار قيادة وزعامة . ان هذا هو الانتصار ، هو كل الانتصار في كل العصور . لهذا يجب ان يجن سروراً. ان ينشر اعضاءه الداخلية فوق المتابر من الابتهاج .

ان انتصاره ليس الا تدبيراً اعمى وليس الا تحية ترفعها الاقدار الذكية الى عبقريته والى شخصه المقصود بالعناية .

اما القتل والخراب في جيشه وبلده ، وفي الجيوش والبلاد الاخرى فيجب ان يتحولا الى تحية لانتصاره الشخصي ، لمجده الشخصي . ان انتصاره ومجده الشخصيين يستطيعان ان يتحولا الى كفارة واعتذار عن كل الآلام والاحزان والخسائر ، وعن كل موت وخراب يشملان العالم ، ويصيبان الشمس والقمر .

ان مجده وانتصاره ثمن ليس بالقليل لكل ما في الطبيعة او في الناس من مظالم وذنوب وآهات وعاهات .

لقد كان التاريخ في كل خطواته واهتماماته ومنطقه كأنه لم يكن يعنى او يريد الا ان يصنع الموت والخراب وكل الآلام والاحزان للانسان ليجعل منها تحية وهتافا وتتويجا لانتصارات وامجاد القادة والزعماء الشخصية . لقد كان التاريخ يتصرف وكأنه يرى ان اي مجد او نصر لاي قائد او زعيم يستطيع ان يغفر كل ما في الكون والحياة من عاهات وشقاء وجنون . كأنه — اي التاريخ — يرى ان اي انتصار او مجد او سرور بسبب اي قائد او زعيم يستطيع ان يغفر كل ما في وجه القمر وكل ما في وجوه الاشياء وما في اخلاق الاشياء من دمامات ووقاحات ومن عار وخطايا .

لقد كان التاريخ يتصرف وكأنه قد قرر ان يجعل انتصار او مجد اي زعيم غفرانا لكل ذنوب وخطايا كل الآلهة .

لقد كان التاريخ يهتف دائما لنفسه وهو يصنع ابشع الآلام والاحزان والخراب والموت لانه كان يعتقد انه بذلك يصنع المجد والانتصارات للزعماء والقادة المجانين — لانه — اي التاريخ — كان يعتقد انه بذلك يحيي الزعماء والقادة ويهتف لمجدهم وانتصاراتهم . ان المظالم والذنوب ليست فقط مغفورة بامجاد الزعماء والقادة وبانتصاراتهم ، بل انها اي المظالم والذنوب تمجيد لهذه الامجاد والانتصارات واعلان عنها . وهل لاي انتصار او مجد اي مجد أو ذوى بدون الآلام والذنوب ؟

لقد كان التاريخ يعارض ادواره وكأنه يرى ان امجاد وانتصارات الزعماء والقادة لا يمكن ان تكون ، او ان تكون عظيمة ، او ان تكون مقبولة او معروفة او معترفا بها ، او ان تكون مرضية لهم ، او صائغة لهم الكبرياء ، الا اذا صنعت الموت والدمار والويلات والآلام الشاملة للانسان . ان ذلك

هو الذي يصنع لامجادهم وانتصاراتهم الدوي والخلود . لقد كان التاريخ دائما عميلا وقحا للطغاة ضد الانسان .

وهل انتصارات الزعماء والقادة وامجادهم انتصارات وامجاد حكمت تعقيدات الطبيعة بان يكون الالام والويلات جمالا ودويا لها وفيها او شرطا في وجودها ، ام ان انتصارات وامجاد الزعماء والقادة ليست الا الاما وويلات فقط زعمت امجادا وانتصارات ؟.

هل مجد الزعيم او القائد مجد صنع الما وزرعة الم ولم يكن ممكنا الا بالم ، او مجده الم قرىء مجدا ؟ ام مجده الم فقط اشتد واشتد حتى دعي مجدا وخطب له كمجد ، ومارسه التاريخ وهابه وتحدث عنه كمجد ؟

هل امجاد الزعماء والقادة امجاد تصنع الالام وتصنعها الالام ، ام هي فقط الام تصنع الاما وتصنعها الام وتسمى امجادا ؟

هل الالام التي يصنعها القادة والزعماء تصبح امجادا وانتصارات بقدر ما تصبح شاملة وبانعظة ومجنونة ؟ هل الفرق بين الالم والمجد هو فرق بين الم وألم ، هل هو فرق بين من يصنعون الالم والالم ؟ فالالم الذي يصنعه الزعماء والقادة يصبح مجدا ويتعامل معه التاريخ كأعظم مجد يهابه التاريخ ويمجده ويتعالقه ؛ اما الالم الذي لا يصنعه الزعماء والقادة فيظل الما ؛ فيظل الما فقط ؟

هل امجاد الزعماء والقادة امجاد لنا ام هي امجاد للحشرات والخراب والموت والجميع الالام ؟

هل وجد اي مجد او انتصار لاي زعيم او قائد دون ان يصنع الما او دون ان يكون الما فقط ؟ هل تساوي انتصارات وامجاد الزعماء والقادة شيئا اكثر معنا تساويه الالام التي يرتكبونها بالانسان ، او تعني شيئا غير هذه الالام ؟ هل يهاب اي زعيم او قائد ان تشتري مجده الشخصي أو انتصاره الشخصي حتى ولو كان الثمن هو تحويل كل العالم الى ايتام وارامل ، والى قبور وخرائب ؟

هل يعني التاريخ حينما يتحدث عن اي مجد او نصر لاي زعيم او قائد

غير ان يتحدث عن آلام واحزان وحماقات عانى منها الانسان في بعض مواقعه أو في كل مواقعه ، او عانت منها الحياة أوهل تفهم نحن من يحدث التاريخ هذا شبيها غير أنه يعني التحدث عن هذه الآلام والاحزان والحماقات!

وهل يمكن الا يكون الخراب والعذاب هما كل ما تعنيه او بعض ما تعنيه كلمات زعيم وقائد ، او كلمات مجد وانتصار ، محولين الى حسابات للزعماء والقادة ، مسحوبين من حسابات الانسان ؟

هل يمكن أن تفسر كلمات زعيم وقائد ومجد وانتصار بغير : خراب وعذاب ؟ هل يمكن ان نصدق اي تفسير لهذه الكلمات يكون غير خراب وعذاب ، للانسان والحياة في كل اوطانهما ؟

* *

انه ، اي ذلك الكائن الفلكي يحدق في قوم نفيض اعصابهم وتعبيراتهم وضحكاتهم بالرضا والغبطة لانهم هم اصحاء حتى ولو اصبح كل الناس من حولهم مرضى ، او لانهم هم اعزة ومحايون حتى ولو اصبح كل الناس من حولهم اذلة ومحقرين ، او لانهم هم طلقاء وناجون حتى ولو اصبح كل الناس من حولهم مكبلين ومطاردين وهالكين ، او لانهم هم آمنون حتى ولو اصبح كل الناس من حولهم خائفين ، او لانهم هم سعداء حتى ولو اصبح كل الناس من حولهم اشقياء ، او لانهم هم جيدو الحظوظ حتى ولو اصبح كل الناس من حولهم تتخطاهم كل الحظوظ ، او لانهم هم قادرون حتى ولو اصبح كل الناس من حولهم عاجزين ، او لانهم هم واجدون حتى ولو اصبح كل الناس من حولهم فاقدين ، او لانهم هم وحدهم الذين يأخلون ويملكون ويربحون وكل من سواهم هم الذين يعانون ويسخرون ويشقون ويؤخذ منهم ، او لانهم هم قد اصبحوا العصا واصبح كل من سواهم الظهر ، او لانهم قد اصبحوا الاقدام واصبح كل من سواهم هم الاحذية والارض — او لان كل من عداهم قد اصبحوا النشيد والصلاة والموكب الذليل ، أما هم فقد اصبحوا لغة النشيد وموضوعه وتفسيره ومفسريه ، كما أصبحوا المعبد ، وكما اصبحوا غاية الموكب وهدفه وحداته — او لانهم هم قد اصبحوا الذنب ، وكل من عداهم قد اصبحوا الاستغفار والتوبة والتكفير .

انه يحدق في قوم يرقصون ويغنون ويقهقهون ويغازلون وسط عالم

من الاحزان والدموع والاهات والآلام والصاعات والذنوب والعار والخوف والضياع والاشلاء والحفارات والشفاعات واليتم الكوني والانساني ، اليتم الفردي والاجتماعي ، العقلي والنفسي ، الاخلاقي والمذهبي والديني ، اليتم الشامل في كل الاتجاهات والتفاسير ، اليتم في كل معانيه واحزانه ودموعه . ليتحول كل شيء الى بذاءة ووحشية . انه سوف ينظر الى وجهه في المرآة باعلان وقناع امام قوم مشوهين . ليتحول كل شيء الى عار .

انه يحدث في قوم يتيهون بمجد وصلابة وشموخ منزلهم أنواف المتعصب بوضاءة بين البيوت التي قد تهدمت كلها لتحول جميع سكانها الى جثث . انه يحدث في هؤلاء القوم الذين يصلون ويهتفون للقدر الطيب العادل الذكي الذي حمى منزلهم مما اصاب به كل المنازل حوله — او لانه حمى منزلهم مما اصاب به تلك المنازل . انهم يبتسمون للقدر ويمجدون مزاياه الدينية والاخلاقية والذهنية لو انه سلب من كل الناس رؤيتهم وقدرتهم وصحتهم وسعادتهم واعضاءهم وذكاءهم ومسراتهم وشهواتهم وكل حظوظهم ليحولها الى مزيد من الرؤية والقدرة والصحة والاعضاء والسعادة والذكاء والمسرات والشهوات والحظوظ لهم هم تخصيصا ومحاباة . انهم يمجدون القدر او الطبيعة او الاله الذي يفعل ذلك . انهم يمجدون ذكاءه ومنطقه وعدله . انهم يصلون ويبتسمون له ، انهم يتحولون الى متفائلين والى انبياء للتفاؤل لان ذلك قد حدث .

انه اي ذلك الكائن الفلكي يحدق في قوم يعيشون كل هذا الهوان او كل هذا الشقاء ، او كل هذه المظالم - او كل هذه الاحزان ، او كل هذه الحفارات والشفاعات والصاعات والتشوهات ، او كل هذه الامراض والآلام ، او كل هذا اليأس ، او كل هذا الضعف والانين ، او كل هذه المخاوف والمخاطر ، او كل هذه الذنوب ، او كل هذه الاكاذيب والخرافات ، او كل هؤلاء الطغاة والمعلمين والوعاظ ، او كل هذه المنابر والمعابد ، او كل هذه الحروب والخصومات والاحقاد ، او كل هذا العبث وتكراره ، او كل هذا التكرار للذات وللممارسات وللاشياء ، او كل هذا الالزام بلا اقتناع او تفسير او تساؤل او رفض أو نقد او اشتراط .

ان ذلك الكائن الفلكي يحدق في قوم يعيشون كل هذا بالفرض والاكراه ، دون ان يغضبوا او ينكروا او يرفضوا او يفهموا او يسألوا ، او ينكروا لانهم لم يفهموا او يسألوا ، ودون ان يحاسبوا أو يعاقبوا او

يحاربوا او يتوقفوا عن المسير ، او يبطئوا في المسير ، او يهابوا المسير ، او يحاولوا ان يصرفوا نهاية المسير او هدف المسير او تغيير المسير ، ودون أن يحاولوا وقف الافواج والمواكب الضالة المتتابعة وراءهم في نفس الطريق ، بنفس الاسلوب والمنطق ، الى نفس الممارسة والمعاناة والمصير ، دون ان تختار او ترى او تعرف لماذا ولا الى اين ولا من اين ولا الى متى ولا من الآمر أو المدبر او المريد .

بل ان ذلك الكائن الفلكي يحدق في قوم يعيشون كل هذا وهم يغنون ويتناسلون ويصرخون اغتباطا وابتهاجا ، ويمجدون انفسهم وحظوظهم وكبرياءهم وذكاءهم وشجاعتهم وقدرتهم على الرفض والاباء والاختيار لانفسهم ، بل ويمجدون الآلهة والطبيعة والاقدار على ذكائها وتدبيرها وحبها واخلاقيتها وعلى محاياتها وعشقها لهم . ان من أعظم واشهر مواهب البشر قدرتهم على التمجيد . انهم يمجدون كل ما يحدث لهم وما يحدث بهم وما يحدث ضدهم . انهم لا بد ان يمجدوا اما انفسهم أو الطبيعة او الآلهة مهما فعلت بهم ومهما شاهت اخلاقها . انهم لا بد ان يمجدوا شيئا حتى ولو حماقات الطبيعة او الالهة وتشويهاتها لهم . انهم لا بد ان يمجدوا ولو جنون الطبيعة .

ان البشر لا يستطيعون ان يعيشوا او يرضوا عن انفسهم او يقبلوها بلا تمجيد ولو لتذياب الذي يتحدى كل تفوقهم عليه . ان ذلك الكائن الفلكي قد أصبح اعظم واشقى محتاج الى العيون . انه لا يجد عيونا يواجه بهـا مشاهدة الفاجعة ، اي يورعها على هذه المشاهد . لقد عجزت عيناه . لقد لبددتا ، لقد هرمتا ، سحقتا . لقد ضاعت عيناه في تحديقاتهما الى كل الذوات والممارسات والاساليب التي يعيشها الانسان وتعيشه ، والتي ينويها ، والتي هي كل حوافزه واهدافه ونفاسيره ومستقبله وتقواه . لقد ضاعت عينا ذلك الكائن الفلكي في تحديقاتها الى الانسان .

انه يريد ان يتحول كل شيء الى عيون ، انه محتاج الى ان يصبح كل شيء عيونا لتركيبه فيه ، لتكون قدرته على الرؤية بلا حدود . انه اول من يعاني عذاب الرؤية على هذا المستوى . ان الرؤية عذاب ودمامة متوحشة اكبر من أن تطاق . انه لم يوجد قبل هذا الكائن الفلكي من يعاني عذاب الرؤية ووحشية دماماتها ، انه لم يوجد قبله من يرى . ان رؤية الانسان ، رؤية الحياة اقسى من ان يتحملها اي كائن . ان رؤية ذلك شيء صعب

فهمه وصعب تصوره . ان احدا لم يجرب ذلك ، ان تجربة ذلك شيء فوق كل امكانيات التعذيب .

ان الانسان ـ وهذا قد تكرر ـ لم ير ، ولم يعد ان يرى ، ولم يشعر او يفهم انه يجب أن يرى او انه يمكن ان يرى . انه لم يفهم ما هي الرؤية ، وما هو العجز عن الرؤية ، او انه لم ير ، او انه عاجز عن الرؤية او ان الرؤية شيء غير ما يفعله او اكثر مما يفعله او اقصى مما يفعله ، او شيء لا يستطيع أن يفعله او يريد أن يفعله ، أو كيف يستطيع ان يفعله ، او كيف يريد ان يفعله ، انه لم يعان الرؤية ولم يعان التصور بعقدها او بالعجز عنها او بالارادة لها او بالشوق الى ما يختبيء وراءها ، الى ما فيها من اسرار ورؤى ، ومن ذنوب ونشوات ، ومن قسوة وعار ، ومن رغص واشمئزاز ، ان اي شيء ان يبدو لنا طيبا او مقبولا الا اننا لا نحدق فيه .

ان التحديق في الاشياء عدو لها ، تحقير لها ، ان التحديق عدو للانسان ، انه هجاء وتحقير للبشر ولكل شيء .

انه لا يوجد في العالم بعد وحواجز عالية ومنيعة بين شيء وشيء مثل البعد والحواجز التي بين الانسان ورؤيته لنفسه ، او بين الاشياء ورؤية الانسان لها .

انه بعد وحواجز لا تقتحم ولا يستطاع اقتحامها ، ولا يراد اقتحامها ، ولا يفكر في اقتحامها .

انه بعد وحواجز لا يعرف انها موجودة ، ولا يرفض او يغضب ان تكون موجودة ، ولا يراد أن تكون غير موجودة ، ولا يحتمل ان تزول او ان يضعف وجودها ، انها حواجز المستحيل وبعده ، وهل يوجد بعد او حواجز ابعد او اقوى من بعد المستحيل ومن حواجز المستحيل ؟

ان البعد والحواجز التي بين الانسان وعينيه هي كل بعد المستحيل وحواجزه ، انها اذن كل البعد وكل المستحيل .

* *

ولكن ذلك الكائن الفلكي لم يجد عيونا اخرى ليواجه بها موقفه الصعب . انها المرة الاولى التي يحتاج فيها الكائن الى مزيد من العيون،الى غير عينيه ، الى أكثر من عينيه لكي يستطيع ان يرى الانسان،ولكي يستطيع ان يرى الدمامات والآلام والتشوهات والذنوب وما لا يستطيع ان يفهم او يقبل او يغفر .

انها المرة الاولى التي يريد فيها اي كائن اكثر واقوى من عينيه الذي يرى ما يرفض.وينكر ، لكي يرى ما يؤذي رؤيته وما يمذيه ،وما يشمئزلكي يتحجر فيها كل ما في الطبيعة من حجيم وقبح ، لكي يتفجر فيها كل ما في الانسان من تفاهة ودمامه وتلوث وتشوه وعذاب ، وبلاه . ثم في هذا من العذاب والجنون .

لقد ظل ذلك الكائن الفلكي يرى بعينيه ، بعينيه فقط ، ما لا يستطيع ان يراه بكل العيون — لو ركبت فيه كل العيون، وما لا تستطيع كل الاشياء ان تراه ، أن تتحمل رؤيته لو تحولت كل الاشياء الى عيون .

هل تستطيع كل الاشياء لو أصبحت كلها عيونا ان ترى القبح الذي امامها والذي يحيا داخل عيونها ؟

لقد آستهلك عينيه ، لقد قتلهما سريعا . لقد اصبح عاجزا عن الرؤية مثل الانسان ، ثم اصبح رافضا للرؤية كرفض الانسان . ان الانسان كما لا يستطيع ان يكون رائيا فانه لا يستطاع ان يكون مرئيا . ان رؤية الانسان قاتلة ، انها تقتل الرائي والمرئي والعين المرئي بها . انه لهذا لم يحتمل ان يكون الانسان رائيا او مرئيا او موجودا لذلك .

لقد ظل يصرخ ويهتف : اهذا هو الانسان ، اهذا هو الانسان — اهذا هو كل الانسان ، اهذا هو كل الانسان . لقد ظل يصرخ ويهتف في ايامه الاولى التي هبط او سقط فيها الى الارض . لقد ظل يصرخ ويهتف،معاينا كل اهوال الرؤية المحدقة في القبح الدمامات والحقارات والتفاهات والبشاعات والذنوب والعباء والسخف والعبث والضآلة — المحدقة في الالم والاحزان واساليب التعذيب والتحقير والضياع — المحدقة في اشمل اساليب الاذلال والترويع والاستسلام والركوع — المحدقة في الانسان

الذي لم يكن احد قد رآه والذي لم يكن قد راى نفسه والذي لم يجرب احد عذاب وفجيع رؤيته .

لقد ظل يرى بعينيه ـ بعينيه فقط ـ ما لا يستطيع ان يتحمل معاناة رؤيته بكل العيون لو ركبت فيه كل العيون ، بكل الاشياء ، بكل الوحوش، لقد تحولت كل الاشياء وكل الوحوش الى عيون .

ان كل ما في الكون من وحشية لو تحول الى عين لترى الانسان كما رآه ذلك الكائن الفلكي لفظاعتها وحشية المنظر . . لقد ظل يرى بعينيه ـ بعينيه فقط ـ كل الانسان ، كل الانسان حتى مات عيناه .

لقد ماتت عيناه ، وماتت ارادته للرؤية وقدرته على الرؤية . لقد اصبح مثل الانسان ، لا يستطيع الرؤية ولا يريدها ، ولا يشعر انه فاقد لها ، او انها شيء موجود ، او انها شيء يستطاع ، او انها شيء يطلب ، او انها شيء يفقد . لقد ماتت فيه « فلكيته » . انه لم يبق كائنا فلكيا ، لقد مات فيه الكائن الفلكي . لقد مات فيه ذلك الكائن الغريب الفجوع بمواجهاته . لقد اصبح كائنا مستوطنا ، لقد استوطن ذات الانسان فقد انبهاره .

لقد اخذ يتحول الى انسان ، الى انسان يعيش وجوده دون ان يراه او يخافه او ينكره او يستبشعه او يخجل منه او يدانقشه او يسائله او يطالبه بالتفسير . لقد اخذ يتحول الى انسان يتقبل وجوده كيفما كان دون ان يطالب بالثمن او ينتظر الثمن او يفهم انه يجب ان يكون له ثمن .

لقد تحول الى انسان ، لقد صار انسانا ، يبتلع كل ما في اعضاء الانسان ، وما في جوعه وشاته وسلوكه وحوافزه واهدافه واخلاقه وحبه وتاريخه من تشوه وقبح وتلوث واكاذيب وتفاهات وبشاعات ، ومن احزان ودموع وآلام ومخاطر واهانات وضعف ، ومن طغاة وزعماء وحكام ومعلمين، ومن مذاهب واديان ونظم ونظريات ، ومن آلهة وغيب واحلام واحتلام وتاريخ، ومن صلوات وتضرعات ومخاوف روحية وعقلية لا حدود لشبائها ولا لكآبتها ولا لوحشيتها ولا لما فيها من معاني التحقير والاذلال وارادة الانتقام ـ دون ان يصاب بالغثيان او بالعجز عن الهضم .

انه بالقانون والظروف التي اصبح بها الانسان انسانا اصبح ذلك الكائن

الفلكي انسانا . انه لشيء رهيب ان تصبح انسانا ، ان ذلك يعني ان تصبح كائنا لا يستطيع ان يرى نفسه وكائنا لا يستطيع شيء أن يراه . ان رؤية الانسان لنفسه كرؤية اي شيء له انما تعني الموت . انه لا بد ان تموت العيون التي ترى الانسان ، حتى ولو كانت عيونه هو ، بأية وسيلة من وسائل الموت . وا اسفاه . لقد اصبح ذلك الكائن الفلكي انسانا ، لا يستطيع ان يرى او يفكر او يشتز او يستفظع او ينقد . هل يوجد عدوان على اي كائن او اذلال لاي كائن اقسى من تحويله الى انسان ؟

* *

أيها الانسان .. انت قاتل ، قاتل للذين يحدقون فيك وللذين يحدقون فيك ؛ وايضا انت قاتل للذين تظنهم يحدقون فيك او فيك . انك تقتل المحدقين ولن تحسبهم محدقين . انك تقتلهم بأساليب مختلفة من اساليب القتل . انك تقتل من يحدقون فيك او فيك او من تحسبهم يحدقون بالصلب او بالتسميم كما قتلت المسيح وسقراط . او بما معناه الصلب والتسميم دون ان يكون لفعلتهما . ان تاريخك ليس الا طريقا طويلا حزينا ايها المتزاحم بضحاياك المحدقين او الذين حسبتهم محدقين ؛ بضحاياك الذين قتلتهم بالصلب او بالتسميم او بما معناه الصلب والتسميم دون لفعلهما ودون اسلوبهما ، او بما هو دونهما ، او بما هو ابشع في محتواه وتفسيره منهما . ان شيئا واحدا لا تستطيع غفرانه او تحمله او مواجهته ، هو ان تكون محدقا او محدقا فيك .

ولكن لك اسلوب آخر في قتل هؤلاء هو اكثر اساليب فتكك شمولا ، انه الاسلوب الذي قتلت به هذا الكائن الفلكي الذي اصبح انسانا . انه اسلوبك في تحويل جميع الافراد الى متلاشين معك وبك ، او محاولاتك الشاملة الرهيبة لجعلهم كذلك . انه اسلوبك الدائم العالمي الذي يحاول الا ينجو منه احد . وهل يستطيع ان ينجو منه احد كل اساليب ومعاني النجاة ؟

انك تقتل او تحاول ان تقتل جميع الافراد والجماعات بان تجعل التلاؤم معك وبك عليهم طبيعيا لا يستطيعون الافلات منه ، او لا يريدون الافلات منه ، او لا يعرفون كيف يكون الافلات منه ، او لا يجرؤون على محاولة الافلات منه او حتى على التفكير في هذه المحاولة للافلات منه . ان كل انسان مفروض عليه التلاؤم على نحو ما وبأسلوب ما وعلى مستوى ما ، اذن كل انسان مقتول على نحو ما ، او على مستوى ما ، او بأسلوب ما . ان انسانا ما لا

يستطيع ان يحيا كل ما فيه من احتمالات الحياة ، من احتمالات الرؤية والتفكير والاحتجاج والارادة والرفض والغضب . ان انسانا واحدا لا يستطيع أن يحيا كل حياته وطاقات حياته . ان في فرض التلاؤم كل اسباب القتل وكل نتائجه ومعانيه . أن من أسباب القتل ارادة منع الرؤية أو منع الاشمئزاز او الغضب او الاحتجاج أو الرفض ، او منع المنافسة او الخوف او النقد ، أو منع كل احتمالات المقاومة بكل اساليبها ومستوياتها . ان من يقتل انما يقتل لاحد هذه الاسباب . ان القاتل ليس قاتلا في حوافزه وتعيينه ولكنه مقاوم لشيء او رافض لشيء او مريد منع شيء .

وفرض التلاؤم ليست له اسباب غير هذه الاسباب . فالذين يفرضون التلاؤم او يريدونه انما يفرضونه ويريدونه ليقاوموا الرؤية او الرفض او الاشمئزاز او الغضب او الاحتجاج او المنافسة او الخوف او النقد او المقاومة لان كل ذلك يعقد عليهم امورهم أو استقرارهم او امنهم ، او رضاهم عن انفسهم وعما عندهم وعما يفعلون ، او يفسد عليهم اعجابهم بذلك . ان فرض التلاؤم اسلوب من اساليب القتل ، انه اسلوب من اساليب القتال ضد عدو ما ، عدو متصور او عدو موجود . ان فرض التلاؤم حرب لا حملاة .

اذن فاسباب وحوافز القتل هي اسباب وحوافز فرض التلاؤم وارادته .

اما نتائج القتل فهي ليست غير انتفاء او زوال او موت هذه المخاطر والمحذورات التي هي الرؤية والغضب والرفض والاحتجاج والنقد والاشمئزاز والخوف والمنافسة وكل اساليب واحتمالات المقاومة .

وهل يمكن ان تكون نتائج فرض التلاؤم هذه غير النتائج التي يعطيها القتل او التي يراد منه أن يعطيها ؟

اذن فنتائج القتل هي نفس نتائج فرض التلاؤم . اذن فالتلاؤم قتل باسلوب ما ، قتل بكل اسلوب ، بكل اساليب القتل . انه قتل بكل اسباب القتل ومعانيه ونتائجه .

ان فرض التلاؤم يحمي أبشع واكبر الفجاءات والتفاهات والنشاشيح والطغيان والهوان والذنوب والدمامات والمظالم والحقارات والآلام والعفونات من ان تكون مرفوضة او مقاومة او منقودة او محتجا عليها او مشمئزا منها .

بل يحميها من ان تكون مرئية او مسؤولة او صانعة للتساؤل .

بل ان فرض التلاؤم يحول كل ذلك الى جمال وذكاء ومنطق وتفوق و يمان ومجد وعبقرية وانسانية ووطنيـــه ومذهبية — بل يحوله الى آلهة وانبيـــاء ومعلمين وصلوات ومعـــابد .

وهل يعمل القتل غير هذا ؟ بل وهل يستطيع القتل ان يفعل كل هذا ؟

اذن فرض التلاؤم هو قتل اكثر من القتل . والخاضع للتلاؤم هو مقتول اكثر واعنـف من المقتول . ان قانون التـلاؤم ليس قتلا فقط بل وعـوان وهزيمة وتحقيـر وتشـويه .

اننا بتلاؤمنا لا نكون موتى فقط . بل نكون اكثر موتا وأبشع موتا مـن الموتى . ان الموتى يسيحون فقط عاجزين عن المقاومة وعن جميع اسـاليـب الرفض . أما المتلائمون فان عجزهم عن الرفض وعن المقاومة هو بعض ما يكونون او اصغر ما يكونون . انهم يتحولون الى جنود وانصار والى انبيـاء ومعلمين لما يجب رفضه ومقاومتـه .

ان المتلائمين لا يحبـون فقط عاجزين من مقاومة او عن رفض الطغيان والغباء والظلم والفسـاد والعبث والتفاهات والآلام والحقارات والحـروب والعدوان والمعـاناة فقط كالموتى ، ولكنهم يحبون اكثر من ذلك وشرا مـن ذلك . انهم يتحولون الى انصار ومعلمين وحماة لما يعجز الموتى عن مقاومته ورفضه . ان المخلصين للتلاؤم تظل يعلـون تعاليمهم ويموتون دفاعا عنهم ، واعجابا بهم ، وثناء عليهم ، وانبهارا بمزاياهم . انه لا يوجد مقتول او مهزوم أو مهان او مستعبد او مضلل او مفقوء العينين مثل الانسـان لانه لا يوجد متلائم ومفروض عليه التلاؤم مثل الانســان .

* *

أيها الانسان .. انت قاتل ، قاتل لنفسـك ، ولكل أفرادك ، ولكل مـن يعايشونك او يمارسـونك بالرؤية والمواجهة والتفكير . انت لا تكون الا قاتلا ، لا تكون الا قاتلا مقتولا . أنت قاتل لانك فارض للتلاؤم ، ومقتول لانك مفروض عليك التلاؤم . انت ابدا قاتل مقتول .

انت تقتل لنفسك ، ولافرادك ، ولكل من يهبطون اليك من العوالم المجهولة كما قتلت هذا الكائن الفلكي الذي هبط اليك . انت تقتل بالصلب والتسميم ، او بما معناه الصلب والتسميم ، او بما هو ابشع من الصلب والتسميم . ان القتل بالصلب والتسميم بل وبالحروب هو اقل عنفا وشمولا من القتل بالتلاوم .

انت تقتل كل من يحدقون فيك او منك ، او من تحسبهم كذلك بالصلب والتسميم وبما معناه الصلب والتسميم ، وبما هو اقسى من الصلب والتسميم. حتى الآلهة ، لقد قتلتهم لانهم كانوا يحدقون فيك . لقد قتلت فيهم الرؤية والرفض والاشمئزاز والجمال والعدل والمنطق والرحمة . حتى الآلهة لقد قتلتهم لانهم كانوا يحدقون فيك .

وانت تقتل كل افرادك ومجتمعاتك ممن لا يحدقون ولا يستطيعون ان يحدقوا ولا يريدون ان يحدقوا ، ولا يعرفون كيف يحدقون . . تقتل هؤلاء بفرضك التلاؤم عليهم . تقتل رؤيتهم وغضبهم ورفضهم واشمئزازهم وتفكيرهم ومنطقهم وذكاءهم وانبهارهم وحماسهم وتطاقتهم وكبرياءهم وشرفهم وكرامتهم وشجاعتهم وصدقهم واحترامهم لانفسهم ولذاتهم واحوافزهم ولاهدافهم ولاعضائهم ولشهواتهم وجوعهم . انك تقتل هؤلاء بالاسلوب الذي قتلت به الآلهة . لقد قتلت في الآلهة كل اساليب المقاومة والغضب والرفض ، وهكذا قتلت هؤلاء ؛ وهكذا قتلت في هؤلاء .

انت تقتل هؤلاء : تقتلهم وتقتلهم حتى يقبلوا وجودهم ووجود ما حولهم وكل وجود يفرض عليهم ، حتى يقبلوا املاء اعضائهم واملاء جوعهم واملاء عجزهم وآلامهم ومخاوفهم وضروراتهم وورطاتهم وعارهم — حتى يقبلوا املاء كل ذلك على حياتهم وعلى كل ما يزعمون لانفسهم من كرامة وذكاء وشرف وإباء وشجاعة وكبرياء ورفض وشموخ — حتى يتقبلوا كل ذلك كقناء عليهم ؛ ومحاباة لهم ، وكتضحية لا مثيل لها من اجلهم . . حتى يتقبلوا كل ذلك كاعظم تمجيد لوجودهم،كاعظم تحية لهم من الالهة او من الطبيعة — حتى يتقبلوا كل ذلك وكانهم بتقبلهم له انما يهبون الشمس مزيدا من الضوء والنخامة والارتفاع والكبرياء .

انهم يتقبلون لانهم مقتولون ، لا لانهم قاهرون ، او مقتنعون او مجبون او راضون . انهم يتقبلون آلهتهم ومذاهبهم ومثلهم وقيمهم واخلاقهم

وتعاليمهم وعقائدهم وأديانهم وأوطانهم وزعمائهم وأنبيائهم ومعلميهم وكل أساليب ومستويات ونماذج حياتهم وأهدافهم وحوافزهم ونياتهم وافتتاعاتهم وممارساتهم . انهم يتقبلون كل ذلك بالاسلوب وبالنطق الذي يتقبلون به وتوع الذباب على طعامهم وعلى عيونهم وكما يتقبلون ان الذباب ليس الا هدية المسرم الالهـــة .

انهم يتقبلون كل ذلك كما يتقبلون اعضاءهم ، وكما يتقبلون جوع اعضائهم ، وكما يتقبلون بذاءة وفحش ووحشية ونلوث اعضائهم . وانهم يتقبلون اعضاءهم وجوعها وبذاءاتها وفحشها ووحشيتها ونلوثاتها كما يتقبل الموتى قبورهم وأكفانهم .

انهم يتقبلون كل ذلك كما تتقبل اعضاؤهم اخلاطها وتلوثاتها وفحشها وبذاءاتها ووحشيتها .

انهم يتقبلون ذلك لانهم مقتولون قد ماتوا ، لا لانهم غافلون او مقتنعون او معجبون او راضون . انهم يتقبلون كل ذلك كما تتقبل الآلهة احزانها والامها ومستوياتها ـ انهم يتقبلون كل ذلك بالاسلوب والنطق اللذين تتقبلهم بهما الآلهة وتتقبل تعاملها معهم وتعاملهم معها وتلوثهم امامها .

ايها الانســان . . هل انت الانسان ؟ هل انت كل الانســـان ؟ هل انت ذاته ؟ هل انت نهايته ؟ هل انت الطريق اليه ، هل انت الهرب منه ؟ هل انت تفسيره ؟ هل انت صيغته في مرحلة وطور من مراحله واطواره ، أم انت الصيغة الدائمة والتفسير الدائم له في كل صيغه ومراحله ؟ هل انت تطوير لنفسك وخروج عليها ، أم انت تضخيم لنفسك وتمكن فيها ؟ هل انت بحث عن المفارقة أم تمكين للبقـــاء ؟

هل انت العيث الذي يتحول الى منطق ، أم انت العيث الذي يتعاظم عبثه ؟ هل انت الذنب الذي يتحول الى توبة واستغفار ، أم انت الذنب الذي يتحـول الى قسوة واصرار ؟

هل انت التلوث الذي يتحول الى نظافة ، أم انت التلوث الذي تزداد قدرته على التلوث وتزداد أعشاؤه وشبابه المتلوثة ؟

هل انت الدمامة التي تتحول الى جمال ، أم انت الدمامة التي يتعاظم حجمها وتتكاثر وجوهها الدميمة ؟

هل انت الانانية التي تتخلى عن نفسها ، أم انت الانانية التي تزداد استمساكا بنفسها وخضوعا لطغيانها وعدوانها ؟

هل انت الجوع الذي يتداوى من جوعه ، أم انت الجوع الذي تتكاثر احتياجات جوعه ؟ هل انت الخوف الذي يتداوى من خوفه ، أم انت الخوف الذي تزداد موهبته على ان يضاعف من اسباب خوفه ؟

هل انت الآلام والمشاكل والهموم والمخاطر التي تضيق حدودها وارتحالاتها فوق الارض ، أم انت الآلام والهموم والمشاكل والمخاطر التي تمتد حدودها وانطلاقاتها الى ما فوق النجوم ؟ هل انت كائن تكبر أعضاؤه وتتسع قدرة خطواتها ، أم انت كائن تتخلى اعضاؤه على اخلاقها ؟

* *

ايها الانسان .. انت كائن يكبر ، فهل انت تكبر في حجمك وفي قدرتك ، أم تكبر في معناك وتفسيرك ؟ هل انت كائن يكبر في صفاته أم كائن يكبر في قدراته ؟

انت كائن يتوالد ، فهل انت تلد ذاتك في حجم وقدرة اكبر على ان تكون ذاتك ، أم تلد كائنا آخر ، ذاتا مناقضا في تفاسيره ، وفي حوافزه واهدافه ونياته ؟

هل انت تلد نفسك أم تلد نقيضك ؟

هل انت كائن يكبر ، أم كائن يحطم ؟ هل انت كائن يتعاظم بمعناه أم كائن يتعاظم وجوده ؟ هل تعاظم وجودك يعد من تعاظم بمعناك وتفسيرك ونياتك وحوافزك واهدافك ؟ وهل تعاظم وجودك دون تعاظم معانيك وتفاسيرك ، ودون تعاظم نياتك وحوافزك واهدافك ، شيء ينفعك او يريحك او يمجدك ، او يجعلك شيئا تفسر به حكمة الآلهة وعبقرية الطبيعة ، أو شيئا يجعل لوجود الآلهة او لوجود الطبيعة تفسيرا مفهوما أو مقبولا او ، مقدورا ، او يجعل لوجودك

ولاعجابك بوجودك تفسيرا من اي نوع وباية لغة ؟

ان وجودك يتعاظم ويتغير ، ولكن معناك وتفسيرك لا يتعاظمان ولا يتغيران . ان تفسير او معنى اي شيء لا يتغير مهما تغير وجوده . ان العبقرية هي تعاظم وجود لا تعاظم معنى ولا تعاظم تفسير . ان العبقرية هي تعاظم اعضاء لا تعاظم ذات ، انها تعاظم حركة لا تعاظم بمعنوى . ان العبقرية تجعلك كبيرا في حركتك دون ان تجعلك كبيرا في حبك او في حزنك او في جوعك او في كبريائك او في خيالك .

ان كل شيء هو وجوده فقط ، لا تفسيره ولا معناه لانه لا تفسير ولا معنى له سوى وجوده . ان معنى وتفسير الشمس ليسا اكثر او افضل من معنى وتفسير اصغر هباءة . ان الفرق بين الشمس وبين اصغر هباءة هو فرق وجود لا فرق تفسير ولا فرق معنى .

وماذا يعني فرق الوجود دون فرق في التفسير او المعنى ؟

ماذا يعني ان تكون ذاتك او اعضاؤك في حجمها وحدودها اضعاف اضعاف ذاتك واعضائك اذا ظل معناك وتفسيرك دون تغيير ؟ اذا ظلت نفسك ، ومثلت احتياجاتك ومخاوفك ومجاعاتك وضعفك دون تغيير ؟

ليس الوجود الكبير ، ليس الحجم الكبير قد يتحول الى تعقيد اذا لم يكن لهذا الوجود الكبير او الحجم الكبير معنى او تفسير ، اي اذا لم يكن لهما معنى او تفسير ملائم ، اي اذا لم يكن لضخامة الحجم والوجود ضخامة مماثلة في التفسير والمعنى ؟

ليس الحجم الكبير او الوجود الكبير بلا تفسير او منطق كبير تشويها كبيرا؟

وماذا يعني ان تكون هذه الشجرة كبيرة بلا حدود اذا لم يكن لوجودها معنى او تفسير ، واذا كانت خصائصها النسبية والذاتية لن تتغير ؟ ماذا يمكن ان تستفيد هذه الشجرة او يستفيد اي شيء من كونها اي كون الشجرة كبيرة بلا حدود ؟ ماذا ربح الكون او الآلهة او البشر من كونه اي من كون الكون بهذا الحجم الساخر من منطق الالهة والمشفق لمنطق الانسان ؟

هل يستفيد الفيل من وجوده أكثر مما تستفيد النملة او العصفور من وجوده الصغير ؟ هل يستفيد منطق الاله او منطق الطبيعة من وجود الفيل اكثر مما يستفيد من وجود العصفور ؟ هل يرضى الاله عن نفسه لانه خلق الجبل الكبير اكثر مما يرضى عن نفسه او اكثر مما يعجب بنفسه لانه خلق الجبل الصغير ؟

هل ترضى الطبيعة عن نفسها او تعجب بنفسها بهذا الاسلوب او انها تعلمت ذلك ؟

ان وجودك ايها الانسان يتفاوت كتفاوت وجود الفيل ووجود النملة ، او كتفاوت وجود اكبر كوكب ووجود اصغر هباءة ، دون اي تفاوت في تفسيرك او معناك او في خصائصك النفسية والذاتية والخلقية . انك تتحضر وتتعاظم في وجودك وفي حضاراتك ولكن هل تتحضر او تتعاظم في معنى وجودك او في منطق وجودك او في تفسير وجودك ؟ ألبس ذلك كالضخامة في عضلات الاله دون اية ضخامة في منطقه او في اخلاقه ؟

* *

ان العبقرية ليست تفاوت تفسير او معنى ، بل تفاوت وجود . انها تعاظم اعضاء او كينونة ، وليست تعاظم قيمة او شرف او طهارة او كبرياء .

ان هذا هو انت ايها الانسان . . انك انت هذا فقط ، فقط .

هل انت اذن عظيم ؟ هل انت ربح او مجد لنفسك او لغيرك ! هل انت كائن فيه اي تمجد لعبقرية الاله او لعبقرية الطبيعة او لاية عبقرية ؟

كيف رأته كل العقول

« . . كيف أمكن ان يتفق الناس الكثيرون جداً المختلفون المتباينون جدا في جميع مستوياتهم وظروفهم العقلية والثقافية والعلمية والنفسية والاخلاقية والتاريخية والبلادية بل وفي اهوائهم وهمومهم ومصالحهم ومواجهاتهم ونجاربهم ؟ كيف امكن ان يتفق كل هؤلاء على الانضواء باله واحد او بنبي واحد او بزعيم او بمذهب او دين واحد او باعداد هائلة من المعتقدات المتنافرة المتنافية المتناقضة المبلدة الهمجية التي ترفض كل العقول مطلقها وترفض كل العيون دمامتها وترفض كل الاخلاق والحضارات وحشيتها ؟ كيف امكن ان ترى عيون كل هؤلاء الناس هذا الاله او هذا النبي او هذا الزعيم او هذا القديس او هذا البطل او هذا الدين او هذا المذهب بكل هذه المزايا والاخلاق والتفوق والقوة والمجد والخلود ؟ كيف امكن ان يروه جميعا نفس الرؤية الواحدة ؟ كيف توحدت كل عيونهم في عين واحدة وعقولهم في عقل واحد ونماذجهم في نموذج واحد ؟ لقد توحدوا في ايمانهم ورؤاهم لانهم لا بد ان يتوحدوا في مواقفهم وسلوكهم . ولم يتوحدوا في مواقفهم وسلوكهم لانهم متوحدون في ايمانهم او رؤاهم . . . »

* *

انت محكوم عليك بان تعيش مع الآخرين ، بل في الآخرين ، وكما يعيش الآخرون . اذن انت مقضي عليك بالبحث عن التوافق معهم وبالتزام هذا التوافق في جميع نماذجه واساليبه المختلفه ، اي في السلوك وفي التفكير وفي الايمان والاقتناع والاسجاب ، وفي الرفض والاستنكار ، بل وفي البغض لانك محكوم عليك بالبحث عن التوفيق بين افكارك ومظرياتك وبين ظروف حياتك وتصرفاتك ، بل محكوم عليك بالتزام وتحقيق هذا التوفيق . لان الشقاق بين هذا وهذا يعذبك وقد يفضحك احيانا .

ان خروجك في سلوكك على المجتمع شيء لا تستطيعه ، ولعلك احيانا لا تستطيع ارادته . وان خروجك في فكرتك او في مذهبك او في اعتقادك على سلوكك شيء يشقيك ويؤلمك : وقد يوجوك ويحولك الى متهم .

انه المأزق قد حكم عليك بمواجهته . لقد واجهته باحثا عن الراحة لا عن

الصدق ، وبالاستسلام لا بالمقاومة . لقد واجهت هذا المأزق كما كان ينتظر منك ومن كل من كان في موقفك أن يواجهـــه .

انك لا تعتقد بما يعتقده الناس من أديان او مذاهب او تعاليم او اخلاق لانك مقتنع به او تفاهم له او حتى مفكر فيه او متصور او محترم له ، بل لانك محكوم عليك بالتلاؤم معهم في سلوكهم وحياقاتهم وفي عبادتهم لاوثانهم . لقد فرضت عليك الحاجة الى التلاؤم السلوكي الحاجة الى التلاؤم الفكـــري او الاعتقادي او المذهبي . لقد اعتقدت ما اعتقد الآخرون ، لانه محكوم عليك أن تفعل ما يفعلون أو أن تبدو كما يبدون . انك لم تتظاهر او تنافق فقـــط بل لقد اعتقدت معهم داخلك . لقد عاش الآخرون في عقلك كما عاشـــوا في ســـلوكك ومواقفـــك .

لقد آمنت بجمال الوثن وبألوهيته ، وزعمت ذلك لانه قد حكـــم عليك بالسجود له . لقد كان ذلك اكثر راحة وايسر لك وتوافقا ذاتيا من ان تسجد له مع اقتناعك واعلانك بانه لا جمال فيه ولا الوهية له .

لقد كان الايمان من الداخل يهبك الراحة والرضا عن النفس اكثر مـــا يهبك ذلك النفـــاق .

لقد ادركت ان من الصعب او من المستحيل او من القتل او من العذاب او الهوان او الضياع والمطاردة الخروج على سلوك الجماعة او على السلوك المفروض عليك ، لهذا ادركت ان من التشويه والتبديد والتوبيخ لك ان تكون أفكارك او مذهبك او عقائدك خارجة على السلوك الذي لا تستطيع الخروج عليـــه .

لقد اضطررت الى التوفيق بين آرائك وسلوكك ، اي بين ذاتك وذاتك ، او بين ذاتك ورؤيتك لذاتك ، او بين ما يراه الناس منك وما تراه انت مـــن نفسك . لقد كان معنى هذا ان تفكر تفكير الجماعة ، وان ترى بعينها ، وان تفسر وتؤمن بمنطقها اذ لم يكن بد من ان تصلك سلوكها .

انك اذا كنت ممنوعا من رؤية الاشياء او من رؤية اي شيء فان المعقول لك ومنك حينئذ ان تغلق عينيـــك بل ان تفقأهمـــا .

ان العيش والتوافق مع الآخرين لا بد ان يعني فقء العينين أو اغلاقهما .

انه لا يوجد من لم يتقاوا عيونهم أو يغلقوها . انه لم يوجد من لا يحتاجون الى ذلك . وانك اذا كنت لا تستطيع أن تنقد أو ترفض ، ولا تستطيع أن تؤمن أو تقبل فان التملق حينئذ الا تحاول أن تفكر أو تفهم .

وانك اذا كنت لا تستطيع الا أن تصغي للطغيان في جميع معابده العالية فان المريح الملائم لك حينئذ والاكثر سترا لعارك وهوانك ، وتخفيفا من تعذيب اخلاقك لك ومن احتجاجها عليك ، هو أن تذهب تحاول البحث عن اسباب الاقتناع بمزايا الطغيان ، بمزاياه المذهبية او الدينية او القومية أو الوطنية او الانسانية ، وان تجد هذه الاسباب المقنعة . ان عارك المحول الى مذهب أو دين أو نظام تؤمن به قد يكون اقل تعذيبا لك من عارك بلا دين او مذهب .

انك تحت الظروف المحرضة قد تنافق وتستطيع ان تنافق ، ولا بد أن تنافق ولو احيانا . وهل يوجد في الناس من لا ينافقون او من يستطيعون الا ينافقوا ؟ ولكن النفاق ليس نشوة روحية او مجدا روحيا . انه ليس استمتاعا أو انتصارا او مجدا من اي نوع . ولكنه اى النفاق تعذيب وتشويه ومعاناة باهظة . وقد يكون اسلوبا من أساليب التضحية او الفداء او النضال النفاق . قد يكون اسلوبا من أساليب البكاء أو من أساليب الشتم للذات . قد يكون المنافق انسانا يبكي نفسه ويهجوها بأقسى الاساليب واشدها حزنا ومرارة .

لعل المنافق ليس الا انسانا يعاقب نفسه وذكاءه وضميره واخلاقه وبقاياها ويتحداها وينشق عليها . لعله يرثيها بصدق وتداعة ودموع فيها كل الاحزان .

ان المنافق قد يكون مظلوما ومعتدى عليه ومضطهدا وفدائيا وانسانيا مهما بدا غير ذلك أو تنوض ذلك . هل يوجد احق بالرثاء او الاعجاب أو الحب من انسان لا يستطيع أن يقتنع ثم لا يستطيع او لا يجرؤ أو لا يقسو ليقول انه غير مقتنع ؟

لهذا كان من الاسهل عليك والارفق بك — ولو احيانا — أن تخضع منطقك لسلوكك أو لموقفك المفروض عليك بديل أن تنافق وان تقاسي كل

هوان النفاق وهوانه وحقارته وتهديداته واحتمالات انفضاحه او انتفاضحك به . ان المنافق ليس الا انسانا يبكي ويصلي مهما بدا يغني ويضحك ويمشي . انه متعذب مثل شهيد . .

ان توحد مذهب المجتمع او توحد دينه او الهه او زعامته او تماثيله وتقاليده لا يؤكد حقيقة فكرية ، بل يؤكد سلوكا جماعيا محقوما او مفروضا . ان هذا التوحد المثير يؤكد اننا لا بد ان نكون ادوات مخلوقة مسحوقة في الجهاز الكبير الرهيب ، اي ان تكون بلا حرية مهما كانت الحريات موجودة ومشروعة ومنادى بها وممارسة ، ومباحة ، ومعروضة في جميع الاسواق والمعابد ، وفي جميع القوانين ؛ ومن فوق جميع الاجهزة والمنابر ، بلا اي منع او محاسبة . اننا لا نعيش الحرية بقدر ما تكون موجودة او مبذولة او مطلوبة بل بقدر ما نستطيعها او نريدها او نسعد بها ، ان الحرية ليست دائما ربحا او شهوة .

ان حرية اي انسان في المجتمع او امام املاء المجتمع لا تساوي اكثر من حرية اي عضو من اعضاء الجسم في الجسم وامام املاء الجسم وضغوطه عليه . انها حرية قانونية او افتراضية فقط . ان هذه الحرية ليست حتى الحرية ولا اقوى او افضل انواع الحرية . انها كحرية الجسم في الا يشيخ او يمرض او يضعف او يموت .

ان عقل الانسان وحريته وشجاعته مسحوقة ومهانة ومهزومة تحت وقع واملاء هذا الجهاز الرهيب . ان ضرورة التوافق او التوحد مع الاخرين او مع المجتمع هي اقوى واشمل واخلد واشهر الاعداء لحرية الانسان .

انهم ليسوا الطغاة هم اقوى من يسلبوننا الحرية . ان الطغاة ليسوا سوى عمل صغير رديء في الجهاز الضخم الذي يأكل حرياتنا .

ان التوحد او التوافق في اية فكرة او سلوك لا يعني فهما موحدا ولا مستوى موحدا او حتى مقاربا من مستويات الذكاء او عمق الحساسية او من مستويات القدرة على الرؤية او على النظافة والنزاهة والمقاومة امام الحقائق والاحداث ، او امام المشهد او الموقف الواحد . ان المتوحدين او المتوافقين ليسوا متوحدين او متوافقين في تفاسيرهم اكثر من المختلفين المتنازعين المتقاتلين .

ان هذا التوحد او التوافق انما يعني ان حاجة الآحاد الى التوحد والتلاؤم في سلوكهم ومواقفهم هي التي تصوغ افكارهم وعقائدهم وتوحدها . انه يعني ان عمل الناس هو الذي يصنع مذاهبهم واديانهم وتعاليمهم الموحدة . انه يعني ان ضغوط المجتمع على آحاده هي التي تصوغهم صياغاتهم المذهبية والدينية والتعليمية والسلوكية وجميع صياغاتهم .

ان البشر ليسوا وحدات مفروضا عليهـا او مطلوبا منها ان تتوحد في سلوكها وفي صيغها ومواقفها الاجتماعية لانها وحدات مفروض عليها ان تتوحد في اقتناعاتها العقلية . ولكنهم وحدات مفروض عليها ان تتوحد في اقتناعاتها العقليـة لانهم وحدات مفروض عليهـا ان تتوحد في سلوكها وفي صيغها الاجتماعية . انهم مستعبدو العقول والعقائد لانهم مستعبدو الصيغ والسلوك والمواقـف والاخـلاق .

ان البشر وحدات ايا سلوك وصيغ اجتماعية تتحول الى صيغ فكرية ومذهبية ودينية وتعليمية ، وليسوا وحدات لها اقتناعات عقلية او مذهبية او دينية او تعليمية . ان الاقتناعات العقلية والمذهبية والدينية و التعليمية ليست ماخوذة من ذاتها ولا موجودة من اجل ذاتها او في ذاتها .

* *

انه ليصعب جدا تصور هذا . كيف امكن ان يحدث هذا الذي يصعب تصوره ، بل ان يصبح هذا الذي يصعب تصوره هو الذي يحدث دون منازع او بديل . كيف حدث ان هذا الذي يصعب تصوره هو الذي يحدث دائما في كل التاريخ وفي كل المجتمعـات ؟

كيف امكن ان يتفق كل هؤلاء الناس المختلفين المتفاوتين جدا في جميع مستوياتهم وظروفهم العقلية والثقافية والعلمية والنفسية والاخلاقية والبلادية والتاريخية ، بل وفي اهوائهم ومصالحهم وهمومهم وتجاربهم ومواجداتهم ؟

نعم ، كيف امكن ان يتفق جميع هؤلاء على الاقتناع بالله واحد او بنبي واحد او بزعيم واحد او بمذهب او دين واحد ، او باعداد هائلة من المعتقدات المتناهية المتناقضة البليدة المهجنة التي ترفض بطلتها كل العقول ، وترفض دماستها كل العيون ، وترفض وحشيتها وبذاءتها كل الاخلاق ؟ كيف امكن ان يتسع نعش واحد او قبر واحد لتوضع فيه كل الجثث في وقت واحد وحالة واحدة ؟ كيف امكن ان يحتشد كل الناس بهذه الذات الواحدة ، بهـذا

الاسلوب الوحد ، في هذه الليلة الواحـــدة ؟

كيف أمكن ان ترى عيون كل هؤلاء الناس هذا الاله او هذا النبي او هـذا الزعيم او هذا القديس او هذا البطل او هذا الدين او هذا المذهب بكل هـذه المزايا والمواهب والاخلاق والذكاء والصدق والخلود والتفوق والقوة والمجد ؟ كيف امكن ان يروه جميعـــا نفس الرؤية الواحده ؟ كيـف توحدت عيونهم في عـين واحـــدة ؟

كيف أمكن أن يحدث هذا ، ان يحدث هذا الذي يصعب تصوره ؟

من الممكن ان يقال انهم اتفقوا على ذلك بالتلقين . وحتما لقد تلقوا ذلك تلقينا . وفي كل التاريخ كان للتلقين اقوى واذكى وسائل الاقناع . انه اقوى واذكى من كل منطق . ان البشر لم يجدوا او يواجهـوا منطقا له العالميـة التي لمنطـق التلقـين .

لقد كان التلقين سلاحا لا مثيل له بين الاسلحة . انه سـلاح يطلق على كل انسان ، ويصيب كل انسان ، ويستسلم له كل انسان . لقد كان التلقين هو السلاح السري الذي صنع امجاد وانتصارات جميع الانبياء والزعمـاء والدعـاة الفاتحـين .

ولكن كيف امتلك التلقين كل هذه القوة الخارقة ؟ هل كان يمكن ان يكون له كل هذا الجبروت الاملائي لولا قوة السلوك الجماعي وما له من طغيـان وسلطان له كل جبروت الاملاء والانصيـاع ؟

لماذا احتاجت المجتمعـات الى التلقـين وابتكرته ومارسته ؟ ولماذا جاء مقبولا وقويا في جميع المجتمعـات ؟

هل يمكن ان يقنع التلقين العقول ، او ان يفهم الملقنون ما يلقنون لولا قوة الاملاء في سلوك الجماعة والمجتمع ؟ وهل الملقنون في مستوى عقلي او علمي او ثقافي واحد لكي يتساووا في الفهم والاقتنـاع ؟

اذن كيف تقبلوا التلقين وتساووا في تقبله ؟ ولماذا جاء التلقين ، وجاء بهذه الصيغة دون غيرهـا ؟

ان التلقين وصيغته ليسا الا بحثا عن سلوك ما بصيغة ما ، وليسا الا تعبيرا عن هذا السلوك ومن صيغتـــه .

انهم لم يتدلوا التلقين الا بقانون الخضوع لسلوك الجماعة ، وبقانون الحاجة الى التلاؤم والتوافق مع الجمـــاعة .

ان قوة التلقين ليست الا تعبيرا عن قوة الحاجة الى التلاؤم والتوحد مع الجماعـــة في تفاهاتهـــا .

انه لمحتوم ان نختلف ونتفاوت بل ونتناقض في فهم ونقـــد وتقبل مـــا نتلقن لو كنا نتلقى الهنا ومذاهبنا وعقائدنا عن التلقين وبالتلقين وحـــده ، لا بامتلاء سلوك المجتمع علينا ولا عن هذا الامتلاء .

ان الانسان جماعي السلوك والوثائق والحماقات والفضائح . لهذا كان محتوما ان يكـون جماعي الالهـــة والانبياء والزعماء والمذاهـــب والاديان والمقياسات . ان قيمة جماعية الفناء لا تساوي اكثر من قيمة جماعية السلوك والمواقف . ان الفناء الذي نؤمن به الجماعة يتحول الى قيمة لانه يتحول الى تفسير وتسويغ وتمجيد للسلوك الجماعي الغبي او العدواني او الفاضـــح او الدائـــــه .

اننا محتاجون الى ان نكون سيغة واحدة في معاداتنا للاخرين وفي حقدنا عليهم وفي توحيد مواقفنا منهم وفي قوة اصواتنا في سبهم واتهامهم ؛ لهذا كنـــا محتاجين الى ان نكون منطقا واحدا في تفسيرنا لاله او للمذهب او للنظـــام الذي ســـوف نقتل باسمـــه .

ان جماعية الانسان هي التي اقنعته وتظل تقنعه دائما بالهته وانبيائه وزعمائه وبادياته ومذاهبه وتاريخه وتقاليده وضدانيه ؛ وليس الذي اقنعـــه ويقنعه هو ما رأى او علم او جرب في وجوه او في عقول او في اخلاق وضمائر ومواهب اربابه وانبيائه وزعمائه وتاريخه واديانه ومذاهبه وتقاليده وتدابيره من جبال وصدق وذكاء وتظلفة وعبقرية وصداقة وحب ووضوح واشراق . ان هذه الجماعية هي التي اقنعتـــه بذلك ، وهي ايضا التي وحدته في فهمـــه وفي تفســـيره لذلـــك .

ان هذه الجماعية الانسانية هي أقدر على الاقناع وعلى صياغة المنطق من جميع الآلهة والانبياء والزعماء والاديان والمذاهب والتعاليم ؛ ومن جميع ما في الكتب المنزلة من جبروت وارهاب وفصاحة ووعد ووعيد ؛ ومن تهاويل وأهوال ؛ ومن نيران وجنات وسموات ؛ ومن آلهة لا مثيل لها في الشراسة والقوة والجوع والطغيان والانانية والكبرياء ووحشية الضمير والاخلاق . ان جماعية السلوك هي التي سوغت وتسوغ دائما للبشر جميعا الكفر بالالوهية . وليس منطقهم الضال او المخدوع او الكاذب المأفوك هو الذي سوغ لهم ذلك . انه لولا جماعية السلوك وما لها من املاء لما استطاع اي منطق ولا أي شيء ان يجعلهم يجرؤون على خوض حروبهم .

ان الانسان ليس كائنا يفكر ويقتنع ثم يقتنع بانه قد اقتنع ، ولكنه كائن يتلاءم . ان تلاؤم الانسان واحتياجه الى التلاؤم هما الهزيمة الشاملة الدائمة العالمية لذكائه ولكبريائه ولتفكيره ولحريته ولشجاعته وقوته وموهبته .

ان ضرورة التلاؤم في اخلاق البشر وفي سلوكهم وفي ثيابهم وخوفهم وجوعهم وفي أفكارهم ومشاعرهم ؛ وفي جميع مواقفهم ومواجهاتهم هي اطغى قوة في التاريخ قد أذلت وهزمت عقولهم وروضتها وصاغتها في نماذجها البليدة الموحدة المستسلمة العدوانية الحمقاء . انه لا شيء يستطيع ان يعتدي على حرية الانسان وعلى ذكائه بل وعلى اخلاقه وشهامته وعلى احترامه لنفسه ، مثل هذا الشمول و لديمومة مثل احتياجه الى التلاؤم .

* *

أجل ؛ انه ليرهق الانسان ويحرجه ويؤلمه ، بل ويتهمه احيانا أو دائما ان ينشق على ذاته بقدر ما يرهقه ويعجزه ويرهبه ويقتله احيانا ان ينشق على مجتمعه . ان هذا لا بد ان يحدث ؛ أو هو خليق بأن يحدث . دائما او احيانا الى ان يخضع ويهزم ذاته وكل ما فيها من اشواق وتطلعات واحتياجات واحتمالات اخرى ، ليكون متوافقا مع ما يستطيع او خاشعا له ، اي ليكون آمنا ومستقرا ومستقرا ومحترما او متقبلا ، أو واجدا نفسه في الاخرين ومعهم ، أو محاولا لذلك . ان كل انسان محتاج الى ان يجد نفسه على نحو ما وباسلوب ما مع الاخرين وفي الاخرين .

ان الذي لا يستطيع أن يقف الموقف الذي يتمناه ويمجده سيحاول الا يكون تفكيره تفكير ذلك الموقف الذي يتمناه ويحترمه ولا يستطيعه . انه

حينئذ سيحاول ان يجعل تفكيره يتلائما مع الموقف الذي يستطيعه .

ان الناس يضلون ويفسدون ويهدمون وينبلدون ويعجزون بتفكيرهم حينما يقعون تحت ظروف تضطرهم الى ان يكونوا كذلك بسلوكهم ومواقفهم. انه لشبه المستحيل ان تكون ضال الموقف ، بليده ، غويه ، ثم تكون مستقيم المنطق ، نكيـه ، ذكيـه .

انني محكوم عليهم بأن نكونوا رجعيين في حياتهم ، اي بأن يحيوا كما يحيا الرجعيون ؛ او بالاساليب والمستويات والاخلاق التي يحيا بها الرجعيون محكوما عليهم بأن تكون افكارهم من الداخل رجعية ، او بأن يحاولوا ويتمنوا ان تكون افكارهم كذلك ، ولو غالبا او احيانا ؟

انه ليس فينا من يريد او يتقبل بلا اضطرار او الزام ان يرى نفسه او يراه الاخرون خارجا في اهوائه ، او في مواقفه ونباته ، على عقائده ، او على نظرياته ، او على مذهبه ودعاواه . لهذا فاننا اذا لم نستطع ان نعمل ونكون كما نفكر فاننا سنحاول ان نفكر — من داخلنا — كما لا بد ان نعمل ونكون ، او كما سنستطيع ان نعمل ونكون . اما ان نعمل ونفكر دون ان يتدخل الاخرون، او دون ان نحسب لهم حسابا فهذا هو احد المستحيلات المقنعة باستحالتها . ان عيوننا ومشاعرنا وافكارنا لا بد ان تحدق في الاخرين مرهفة او باهلة او بانهزام او بنفاق كلما حاولنا ان نتحرك او نفكر . . .

ان قدرتنا على ان نكون تتدخل دائما في قدرتنا على ان نفكر . ولكن هل تتدخل قدرتنا على ان نفكر في قدرتنا على أن نكون ؟

انا محكوم علينا بأن نحاول موافقة الاخرين فيما يرون اذا لم نستطع مخالفتهم فيما يعملون . ان الذي لا يستطيع ان يحول خلافاته الفكرية او المذهبية او الدينية الى مواقف باسلة متحدية معلنة لا بد ان يجد ضرورات وضغوطا واسبابا كثيرة وقوية تدعوه او تحتم عليه التخلص من تلك الخلافات ، او تفتح امامه الباب لكي يفعل ذلك .

انه لشيء مؤلم ومحرج ومذل مخيف اذا ان نتصور انفسنا او ان يتصورنا الاخرون غير احرار ، او غير صادقين ، او غير مختارين لسلوكنا او لآرائنا التي نرى بها لربابنا وزعمائنا وانبيائنا ومذاهبنا واديانا . نحن نريد دائما ان

نبدو لانفسنا وللاخرين في اجمل واصدق واقوى واشجع الصيغ الانسانية .

اننا لهذا لا بد ان نحاول الهرب من هذا التصور لانفسنا او من هذا الموقف . انه تصور او موقف لا بد ان يجعلنا نتعذب وتعاني من الشعور بالعار والمذلة والهزيمة مهما كانت ضآلة احترامنا لانفسنا . وسيكون اسلوبنا او احد اساليبنا في الهرب من ذلك هو ان نحاول اكراه تفكيرنا على التوافق مع السلوك والتفكير اللذين لا نستطيع مخالفتهما .

ان سلوك الانسان مقيد اكثر واشمل من تقييد تفكيره . لان السلوك مكشوف ومتصادم ومناقض اكثر . ولكن تفكيره محتاج ايضا الى التقييد بسلوكه . لهذا فان التفكير خاضع للقيود لان السلوك خاضع لها اكثر . وهل يمكن ان يخضع التفكير لاي شيء اولا خضوعه للسلوك ؟ انه سيجد اكثر اكثر منه . ولكن هل يخضع له لولا خضوعه للسلوك ؟

انه اذا كان محتوما علينا ان نعمل ونفكر مكرهين فان من الافضل والاجمل بنا ولنا ان نحتال على الاقتناع بما اكرهنا عليه ، لنكون مختارين او نبدو كذلك . اننا نقتنع بما اكرهنا على الالتزام به بلا تدبير . ان الفروق بين اقتناعات الناس المذهبية والدينية والسلوكية هي فروق كينونات لا فروق تفكير .

ان الانسان قادر على اخضاع سلوكه . وانه ايضا لقادر على اخضاع تفكيره . انه ليخضع تفكيره وليس تعبيره فقط عن تفكيره .

ومهما تحدث الانسان عن افكاره الحرة وعن شجاعته فليست شجاعته وجرياته الا تعبيرا عن خضوعه . ان الخضوع اسلوب من اساليب الحرية ، كما ان الحرية اسلوب من اساليب الخضوع . ان خضوع القهر في جرياته صبغة من صبغ الحرية ، وان حريته في جرياته صبغة من صبغ الخضوع .

ان الخضوع والحرية كلاهما حرية ، او كلاهما خضوع ، او كلاهما حرية وخضوع . ان الفكر المتوقد المتألق المتطلع المحدق بشراسة ليس حرا في الا يكون كذلك ، وان الفكر الخامد الغائر المغمض حر في ان يكون خامدا غائرا مغمضا . . . . ان كلا المفكرين حر او كليهما غير حر ، او كليهما حر وغير حر .

كيف يمكن أن يجمع كل هؤلاء البشر بمثل هذا الاسلوب والمنابع والاقتناع على الايمان بأساطيرهم وتعاليمهم المختلفة ، حتى لكأنهم قطيع من الماشين أو الدواب ، توضع كل احجامها واشكالها على مقاس واحد ؟ من وهب عقولهم كل هذه القدرة على الاقتناع الموحد ؟ كيف استطاعت عقولهم أن ترى وتسمع وتؤمن وتقتنع دون أن تستعمل نفسها ؟

نعم ، لقد وجدوا أنفسهم مقتنعين أو وجدوا عقولهم مقتنعة ، ولم يتساءلوا ليكونوا كذلك .

هل كان ممكنا أن يوحد الناس ايمانهم وعقائدهم ورؤيتهم لأربابهم دون أن يكونوا محتاجين الى أن يوحدوا صلواتهم ومعابدهم وعاداتهم وخطواتهم الحمقاء ؟ كيف كان يمكن أن ترى هذا الاله جميعا ، وأن تراه بهذه الصيغة وبهذه الصفات والاخلاق والشهوات والارهاب ، وبهذا الاحتياج الى صلواتنا وعباداتنا ، والى هزائمنا وضعفنا وقلقنا له ، لولا حاجتنا الى أن نقف في طابور واحد ، والى أن نبكي بلغة واحدة ، والى أن نكذب ونتضرع ونمارس العار والتفاهة والهوان والغباوات بأسلوب واحد وصيغة واحدة ؟ لقد رأيناه هكذا لاننا مضطرون الى أن نمارسه ونمارس أنفسنا هكذا . لقد أصابت الضحالة كل عقولنا لانها لا بد أن تصبب كل سلوكنا . لقد توحدنا في المنطق لنتوحدنا في السلوك . اذا لقضية مفهومة أو يجب أن تكون مفهومة . انها لقضية لا بد أن تظل غير مفهومة ولا ينبغي أن تكون مفهومة مهما كانت معروضة ويجب أن تكون مفهومة .

ان الذين يفرضون علينا سلوكا معينا هم حتما يفرضون علينا تفكيرا معينا أي مذهبا معينا أو دينا معينا أو تعاليم ونظريات معينة ، أي يفرضون علينا الاقتناع بذلك ، أي انهم يصنعون لنا هذا الاقتناع ، وليس فقط يطالبوننا به ، أو يريدونه لنا ، أو يفرضون علينا اعلانه فقط .

اذن فالبشر ليسوا كائنات معتقدة أو مقتنعة أو مؤمنة ، بل هم كائنات ملتزمة أو منتمية ، تدعو التزاماتها وتتابعها اعتقادا وايمانا واقتناعا ومذاهب وايمانا ونظريات .

ان المراد هنا الالتزام بالاخرين والوقوف في الطابور الطويل لا بالاخلاق أو بالمثل . فالمذهب والاعتقاد هما تنازل من المجتمع ونوبان فيه ، وهزيمة

نتلقاها منه ، وليسا اي المذهب والاعتقاد فيها او اقتناعا او بحثا عن الافضل أو الاصدق أو الاذكى . ان المذهب والاعتقاد اسلوب من أساليب الوقوف في الطابور الطويل ، وليسا موقفا ذهنيا أو اختراقا ذهنيا .

ومع أن قانون الطوبان في المجتمع حازم ومذل لشجاعة الانسان ولحريته وذكائه وكبريائه الا ان هذا القانون مفيد أحيانه ولحاجته الى النظام والاستقرار ، والى الشعور بالامن الروحي والفكري والاخلاقي . ان الاستعباد الروحي والعقلي حاجة انسانية تجيء باسلوب عدوان وطغيان وخداع وأكاذيب .

ان الانسان محكوم عليه بالا يجد نظامه واستقراره الا في خروجه على نماذجه التي يفكر بها ويمجدها ويتحدث عنها وينظمها ، مع زعم أنه يحبها .

انه محكوم على الانسان بأن يكون فوق جميع النماذج المعروفة والمستطاعة في طموحه وافكاره ، وفي نماذجه المذهبية والدينية والتعليمية - وتحت جميع النماذج المعروفة والممكنة في هواته وخضوعه ، وفي نبضاته وتصديقه وانقباضاته .

ان ضرورة التوافق والتوحد مع الآخرين تحول الانسان الى نموذج بلا تشبيه في فقده للشجاعة والذكاء والحرية والاحترام للنفس . انها تحوله الى كائن لا مثيل له في العدوان عليه . ولعله لا يوجد كائن غير الانسان او مثل الانسان يسعد ويستريح ويستقر ويتهذب ويتدين بالعدوان عليه .

انك لن تجد او ترى أو تتصور صيغة للتعبير عن الفقد لجميع مستويات واساليب الشجاعة والحرية والكرامة والذكاء والرفض مثل ان تجد ملايين البشر يصلون لاله واحد ، في معبد واحد ، وبنشيد واحد ، وبلغة واحدة ، وبقامة واحدة ، وبالقناع واحد ، ورؤية واحدة ، وبمستوى واحد من الخوف والاستسلام والامل والانتظار . وانك واجد دائما هذه الملايين من البشر يصلون هذه الصلاة بكل صفاتها واساليبها وظروفها لمثل هذا الاله .

او مثل ان تجد كل هذه الملايين من الصيغ البشرية تؤمن بمزحة او ببطولة او بعبقرية زعيم واحد ، هائلة مطيعة مصلية له ، فاقدة كل ذكائها ومنطقها وحرياتها ورؤاها ووقارها ، متوحدة في اقتناعها به ، وفي اصابتها كلها بنوع الجنون والغباء ، وبكل الجنون والغباء اللذين يصاب هو بهما ، متدافعة

ومتداعية ومتناصحة ، ومقنعا بعضها بعضا بمزايا وشرف وبطولة احدى حماقات الموت والخراب الكبرى التي يسوقها اليها زعيمها الواحد او الههـا الواحد . وانك لواجد دائما ذلك يكل بشاعاته وقنوبه ومهاذاته . انه لا يوجد كائن غير الانسان أو مثل الانسان تتحول جميع جبهاته وقاماته الى جبهـة واحدة وقامـة واحـدة .

ان الانسان حتى في اعلى واعظم مستـوياته ليس الا حشرة موهوبه وسعدة للموت في احد المعابد ، مؤمنة بمسلمة لاحد الآلهة ، او للموت في احدى الحماقات أو الحروب الكبرى ، مصدقة بطيعة هاتفة لاحد الزعماء ، او لاحد المذاهب او لاحد الشعارات ، مقتنعة ببطولة موتها وبذكائه وبشرفه وبخلوده وبعالميته وبنموذجيته المذهبية او الدينية أو الاخلاقية او الوطنية أو الانسانية . ان الموت في احدى الحماقات الكبرى بطولة وشرف وخلود وذكاء . لقد عد ذلك كذلك واقتنع به كذلك لانه وقوف في الطابور الطويل الذليل .

ولكن كلا . ان الانسان ليس حشرة فقط . انه ليس حشرة لها كبـرياء الحشرات ، ولها رفضها ووقارها وعصيانها الفكري والروحي والنفسي . ان الحشرات لا تطيع الاكاذيب والعباوات طاعة فكرية او روحية او نفسية ، انها اذن لاتبل عصيـانا .

ان الانسان حشرة اكثر انتفاخا وهوانا واستسلاما وطاعة وتصديقا . انه حشرة تؤمن وتصلي وتهتف وتحول هوانها واستسلامها وانتفاخها الى مذاهب وأديان وتعاليم . انه ليس حشرة تخاف وتجوع وتهون وتنتفخ وتتلوث بصمت أو بوقار أو بغضب او بلا دعاوى وتفاسير وتسويغات عقلية ودينية واخلاقية . انه حشرة تعلن عن معانيها ومستوياتها وضعفها بالايمان والهتاف وبالصلوات في المعابد ، وفي مواكب ومغامرات الطغاة والقتلة والمجانين .

انه حشرة مؤمنة بمسلمة هاتفة . انه اذن اكثر من حشرة . ان الحشرة لا تحول اخلاقها الى ايمان وصلوات وهتافات موحدة ومقاتل عليها وباسمها .

انه ليست للحشرات جباه تسجد عليها وبها ، ولا حناجر تحولها الـى هتاف وتسابيح وأناشيد للطغاة وللآلهة وللمهرجين وللاكاذيب من كل جنس ، وليست لها اي للحشرات تفاسير تفسر وتسوغ بها الجنون والغباء وجميـع الحماقات والسخـافات ، ولا منطق لتحـوله الى ايمان واقتناع وتعصـب

وبغضاء . أن الحشرة حشرة فقط - انها حشرة لحساب ذاتها فقط . اما الانسان فاكثر من ذلك جدا .

ان الحشرة ليست لها آلهة ولا معلمون ولا طعامة ولا وعاظ ولا خطباء يحولون عاهاتهم وآثامهم وهمومهم وجميع سخائرهم الى عقائد وتعاليم لها .

ما أضخم واربح الحسابات المدفوعة اثمانا للالهة وللمعلمين وللزعماء وللملفاء وللعقائد و لتعاليم وللايمان . ما أكبر واكثر الاشياء والتفاسير المدفوعة ثمنا وحسابات وطعاما لهؤلاء .

ان الحشرات آمن ليست لها كل دمامات الانسان وهزائمه ومشاكله . ان الحشرات تهون وتهزم وتنطوت باعضائها ولكنها لا تفعل ذلك بتفكيرها او بروحها أو بمشاعرها أو بتعاليمها وشعاراتها ، كما يفعل الانسان . ان الحشرة لا تفرض أخلاقها تحت اسم اية فكرة على مجتمعها كما يصنع النبي والزعيم والانسان .

★ ★

من الذكاء والقوة ان تكون متواضعا اذا تكلمت ، عظيما كمرا ذا فعلت وفكرت ، ان تكون متواضعا في حديثك لانك كبير في افكارك وانعالك .

انك اذا تكبرت حين تتكلم وانت قوي وذكي هجوت قوتك وذكاءك ، واذا تكبرت حين تتكلم وانت ضعيف وغبي حرضت على الاستهزاء بضعفك وبغبائك ، وعلى التحديق فيهما وعلى رؤيتهما بقسوة .

لماذا تتكبر متحدثا ؟ هل لانك تريد ان تنتصر او تخدع او تزداد طولا او جمالا او رهبة او محبة في القلوب والعيون ، أم لانك تريد ان تزداد طولا ؟ هل تكبرك في حديثك اعلان عن عظمتك ومجدك ، أم تثبيت لهما ، أم بحث عنهما ، أم مغازلة لهما ، أم تحريض على السخرية بك ؟ هل تكبرك متحدثا يهب وجهك جمالا او عقلك ذكاء او قامتك طولا أو جيبك اتساعا ؟ هل تكبرك بالحديث يتحول الى مجد لاربابك أو لابائك أو لتاريخك او لذهنك او لدينك ؟

هل ذلك تدبير منطقي أم هو عرض للذات بأسلوب او باية صيغة ؟ هل المتكبر بحديثه يقصد ان يثني على نفسه أم ان يحترمها ؟ هل هو منتهى الغباء أم منتهى المعاداة لنفسه ؟ .

ان المتكبر متحفظا ليس الا انسانا يحقر نفسه بقصد تعظيمها وتمجيدها واسترضائها . انه انسان يلعن الاخرين ويصنع اشمئزازهم واحتقارهم بقصد اقناعهم بمزاياه وبقصد اجتلاب رضاهم واعجابهم به وعنه . انه كائن تحت جميع مقاييس الذكاء ومقاييس الباحثين عن المجد وعن الحب لانفسهم ...

ان المتكبر يلعنه انسان يعلن عن نفسه على مستوى الذباب ، وبلغة الذباب ، وبذكاء الذباب . ان الذباب يعلن عن مزاياه وعن مجده وقوته وعن اعدائه باثارة مشاعر الاشمئزاز والتحقير والغضب . انه لا يختلس الذهب في ذلك الا الآلهة والزعماء المتحدثون عن امجادهم ومزاياهم بالاساليب تهتز جميع الاساليب الذبابية .

ان الزعيم المحول لامجاده وانتصاراته الصادقة او الكاذبة الى اناشيد والى دعايات فاجة ليس اقل وقاحة او بذاءة او اثارة للغثيان والاشمئزاز والغضب من الذباب المحول لامجاده وانتصاراته ولمعاركه ضد الانسان وضد الحياة والنظافة الى طنين والذي يسقوط على وجوه الناس وعلى طعامهم وافكارهم واخلاقهم وكبريائهم .

ان مثل هذا الزعيم ليس افضل اخلاقا ، ولا اكثر ذكاء او تمجيدا لنفسه من مثل هذا الذباب الساقط بأعقابه وبذاءاته على وجوه الناس ، وعلى طعامهم ، وعلى اخلاقهم وكبريائهم ، وفوق عقولهم ومذاهبهم وادبائهم ، وتحديا لايمانهم بنظافة الحياة او بذكائها او بشرفها او بشموخها او بمنطقها ، او بأن فوقها كائنا صديقا او نبيلا او نظيفا او ذكيا او ابيا او غيورا . وهل يوجد مثل الزعماء سقوطا ببذاءاتهم وولاعاتهم على وجوه الناس وعلى اخلاقهم وذكائهم وشرفهم بل وعلى طعامهم ؟

ان التحدث عن النفس باعجاب وانشاد من لا يجرؤ عليه او يرضاه او يستمع اليه او يطالب به الا الاله او الزعيم او الذباب او من كان في مستوى الاله او الزعيم او الذباب . وهل يوجد من هو في مستوى الآلهة او الزعماء او الذبـــاب ؟

لهذا لقد ظل الذباب والآلهة والزعماء في كل التاريخ اكثر الاشياء تحريضا على الغثيان والاشمئزاز والغضب ، واكثرها هجاء لمجد الانسان والحياة . لقد ظل الذباب والآلهة والزعماء اقسى واشمل هجاء وسباب لكل ما يحتمل ان يكون في الحياة او في الانسان من جمال او ذكاء او نظافة او كبرياء او عبقرية او موهبة .

رأسك أكثر أعضائك انخفاضا

« . . هل يوجد من يتفوق او نفرض عليه ان يتفوق على الحشرة في دوائها وثلوثها وانهزامها وسقوطها مثل الذكي حينما يعمل في مجتمع يحكمه طاغية او يحكمه حاكم فاسد او متخلف او حاكم جاء ليعلم الارض اخلاق السماء وليعلن فوقها امجاد الالهة ؟ . . ان الاوغاد الاذكياء هم افضل المتعاملين والمتنافسين على الركوع تحت الاقدام الهمجية القوية او تحت الاقدام الغبية الغبية او تحت كل الاقدام الباحثة عن كل الراكعين . ان الاوغاد الاذكياء هم اعظم الناس حظوظا في كل التاريخ ، ولدى كل الاهواء حتى لدى اهواء الانبياء والقديسين .

« . . انه لم يوجد ولن يوجد في كل التاريخ وفي كل المستقبل الا نبي واحد يعلم الناس ويفسر ويسوغ ويشرع لهم الاكاذيب والغباوات وطاعة الطغيان وعبادة الاوثان . ان هذا النبي الواحد هو رأس الانسان . ان جميع المعلمين والمفسرين والمشرعين يتعلمون نبواتهم من هذا النبي الواحد . . ان رأس الانسان لا بد ان يتحول الى نبي محلل لجميع التناقضات والانحدارات التي تهوي اليها وتعيشها اعضاؤه واخلاقه .

« . . ان الذكاء لا يملك دموعا غزيرة او نظيفة بل لا يملك اية دموع ليذرفها على مجده المهان المهزوم الراكع . ان الذكاء لا يملك اية احزان اخلاقية او دينية او انسانية ليقاسي منها حينما يفقد كل اساليبه ومستويات الشجاعة والكبرياء والغضب . . ان الذكاء لا يرفض ان يكون وغدا ، وغدا . انه لن يتعذب من الشوق او من الخجل لانه لم يصبح حرا او شجاعا او شريفا او صادقا ؟ . . »

* *

ان الطاغية هو الصوت الجميل البليغ الذي ينادي بحنان وتهذيب وتقوى أوقح واقبح الحشرات لتتجمع حوله . واحيانا الحاكم كيفما كانت صفاته حتى ولو غير طاغية ، أي حتى ولو كان عاجزا عن امتلاك قوة الطغيان

ووحشيته يتحول الى هذا الصوت الجميل البليغ في احساس ومشاعر واخلاق اوقح واقبح واضعف الحشرات .

انه لا يوجد مثل صوت الطاغية في حنانه ورقته وجاذبيته حينما يهتف بالذل الحشرات لتجمع حوله .

ان الطاغية ـ واحيانا كل حاكم حتى ولو غير طاغية ـ هو اللغة التي تعرفها وتعرف مقاطعها وعباراتها كل الحشرات ، والتي لا يسعد بها ولا يطرب لها الا اردأ الحشرات . انه اللغة الكونية او النشيد الكوني لكل الحشرات من كل الاجناس والانواع .

انه اللغة العجيبة والحروف العجيبة التي تعرفها وتقرؤها جميع الحشرات حتى الحشرات التي لا تعرف أو تتكلم اية لغة ، وحتى الحشرات الامية التي لا تعرف او تقرأ اية حروف ولا اية كتابة . انه لا توجد موهبة مثل موهبة الذل وافسق الحشرات في معرفتها لغات الطغاة ولغات المتخلفين في المجتمعات المتخلفة ، وفي قدرتها على الاستجابة لهم .

ان الطغاة هم النداء الابدي الهاتف بكل مواهب واخلاق الحشرات بأن تعالي الى الطعام والمكان والمجد والشهرة . وقد يقال ولو احيانا : ان جميع الحكام هم هذا النداء الابدي .

أن الطاغية ، وايضا كل حاكم متخلف في كل مجتمع متخلف هو النموذج الفكري والاخلاقي والنفسي الذي تتفق عليه اخلاق واحاسيس واهواء وطبيعة كل الحشرات في كل نماذجها .

انه اسخى هبات الطبيعة لمواهب الحشرات الخالدة في كل البشر في كل العصور والمجتمعات .

انه النشيد الكوني الهاتف بلغات جميع الحشرات . انه النشيد الذي ينادي كل الحشرات بكل لغاتها :

بنادها : ان تعالي وتكاثري وتجمعي ثم تعالي ـ تعالي الى صديقك التعالي الخالد خلودك .. أن تعالي يا اقبح واوقح الحشرات ، يا اضعف

الحشرات ، يا اصغرها رؤوسا ..

.. ينادي : الا ياتي الا اكثر الحشرات دمامة وسما وتلوثا،والا اصغرها رؤوسا او اكثرها جبن رؤوس وعوان رؤوس ، ان ضالة حجم الرؤوس شرط مفضل فيك ايتها الحشرات ، او فالشرط الافضل هو ان الرؤوس وجيئا . ان ضالة حجم الراس فيك ليست حتما شرطا افضل من جبنه وهوانه .

اذن تعالي يا اقبح واوقح واضعف واحمر الحشرات رؤوسا ـ تعالي الى طعامك الجيد ، الى طعامك الذي لم تخلق الالهة او تعرف طعاما افضل منه للحشرات .

ان الالهة لا تحلبي الانذال التشيطين المقحمين مثلما تحلبهم حينما تصر على ان تستمر تخلق الطغاة وتصوم الانتصارات والامجاد .

انه حيث يوجد الطاغية او الحاكم في المجتمع المتخلف ، او الحاكم دائما فلا بد ان يوجد حوله موكب طويل ذميم كشب متبدل ومتعاقب من الحشرات السامة البليئة .. من الاعوان الذين لا بد ان يكونوا ضعفاء وفاسدين ومهزومين وبلا رؤوس او برؤوس صغيرة او مقطوعة او مهينة جبانة . انه لا طاغية بلا مواكب من الحشرات الملوثة السامة .

وقد يقول اخرون : بل انه لا حاكم يستحون هذه المواكب ، مواكب الحشرات السامة الملوثة .

ان هؤلاء الاعوان لا بد ان يكونوا ضعفاء او مهزومين لئلا يعصوا او يقاوموا او يحاولوا ـ ولا بد ان يكونوا فاسدين لئلا يغضبوا او ينكروا او يشمئزوا او يتعذبوا باخلاقهم او بضمائرهم ـ ولا بد كذلك ان يكونوا بلا رؤوس ، او ان تكون رؤوسهم صغيرة ، او مقطوعة ، او جبانة ذليلة لئلا يفهموا او ينقدوا او ترفض رؤوسهم اجسامهم او تحتج عليها او لا تتلاءم معها .

لهذا فان الذكي في مجتمع الطاغية او في مجتمع الحاكم المتخلف او الفاسد لا بد ان يكون محتاجا الى ان يقهر ويعاقب ذكاءه بالغباء والتخضع

والتعايي تكي يغمر له ذكاؤه او لكيلا يفطن الى ذكائه، ولكي يتحول اي الذكي من وحش مخيف ومعاد آلى وحش صديق واهب للامان او الى أرنب ذليل يصنع الرثاء والشفقة ، بدل الخوف منه والاحترام له .

انه لا شيء يحتاج الى ان يشوه نفسه ويعاقبها ويتوب منها مثل الذكاء حول الطاغية وحول الحاكم المتخلف والفاسد .

انه لا احد يحتاج الى ان يقطع راسه ، أو الى ان يعلمه كل اساليب ومستويات الغباء والهوان والجبن والنفاق والحقارة — الى ان يذله بكل معاني الجبن وصيغه وتفاسيره وتعبيراته ودلالاته — الى ان يجعله اي يجعل راسه صغيرا ، صغيراً ، لا يستطيع احد ان يراه ، أو يشعر بوجوده ، او بانه قد خلق .

— نعم ، ان اخفاء الراس فن قديم وحديث وخالد من فنون الانسان — الانسان البدوي والحضاري .

— نعم ، انه لا احد يحتاج الى كل ذلك مثل الذكي حينما يصبح احد اعوان الطغاة او أحد اعوان الحكام المتخلفين او الفاسدين ، او احد اعوان الحكام كيفما كانوا وكانت صفاتهم ومستوياتهم .

انه لا أحد يحتاج الى ان يعاقب راسه ، والى ان يجعله بالمحاولات الذليلة اصغر الرؤوس واكثرها ازدحاما وايمانا بالغباء مثل الذكي حينما يصبح احد هؤلاء الاعوان .

انه حينئذ لا بد ان يتعلم الغباء باساليب اكثر هوانا وحقارة من اساليب جميع الحشرات في تعلمها الثلوث والسقوط والترفع عن الكبرياء . ان الذكاء لا بد ان يصبح احيانا او دائما جريمة لا بد من اجتنابها او اخفائها او انكارها كالجريمة في المجتمع الذي يعاقب الجريمة بقسوة وشمول وتفوق . ان الذكاء قد يصبح عدوانا او عارا يتاب منه بهوان . انه حينئذ قد يتحول الذكاء في اعوان الطغاة وفي اعوان الحكام الجاهلين والفاسدين ، او في اعوان الحكام جميعها — قد يتحول الى مزية وآلى مطلب كبر من مطالب هؤلاء الطغاة والحكام الجاهلين والفاسدين — اي حينما يصبح عارا او عدوانا او ذنبا يتاب منه بهوان ويصبح اخفاؤه او انكاره او اذلاله صلاة وتقوى يمارسها

بضراعة جميع المصابين به .

ان الذكاء ـ اي اذا كان متملقا متخضعا منافقا مهينا مهزوما ـ يصبح اقدر على ارضاء وخدمة الطغاة وعلى ارضاء وخدمة جميع الحكام والاقوياء وعلى تلبيتهم واقدر على معايشتهم وعلى معرفة ما يريد شهواتهم وحماقاتهم واهوائهم ، وعلى مساعدة هذه الشهوات والحماقات والاهواء على ان تتحقق وتنتصر . ان الذكاء حينئذ اي اذا كان مالئا لهذه الصفات يصبح موهبة لهؤلاء الطغاة والحكام ، لا موهبة لنفسه ، ولا للاذكياء ، ولا في الاذكياء . ان مثل هذا الذكاء يصبح نقمة جبارة جدا لنفسه .

ولكن كيف ؟ اليس محتوما ان يصبح الذكاء في كل موقف وفي كل مكان نقمة لنفسه ؟ هل يستطيع الذكاء ان يمشي او ان يتحرك او ان يقبل نفسه او ان يتعامل مع نفسه او مع اي شيء لو لم يصبح نقيض نفسه ؟

ان الطغاة وايضا جميع الحكام الفاسدين والجاهلين والمتخلفين قد يحتاجون الى مثل هذا الذكاء ، اي الى الذكاء الذليل المهزوم كما يحتاجون الى الحرس القوي المخلص والى الجيش القوي المخلص ، والى الضمائر التي فقدت كل اسلحة المقاومة وشهوانها والقدرة عليها .

انهم ايحتاجون الى ذلك كما يحتاج الوحش المفترس الاكل للحوم الى الاظفار والانياب والى العضلات والضربات القوية .

ان افضل الاعوان للطغاة ولاكثر الحكام واحيانا للحكام جميعا هم الاعوان الاذكياء الصغار ، هم الكلاب المخلصة الذكية ، هم الحشرات الجيدة السم والتلوث .

ان الحشرة الذكية ـ الحشرة جدا في اخلاقها وضميرها هي النموذج الاعلى لاعوان الطاغية ولاعوان اكثر الحكام او لاعوان كل الحكام . كما ان الكلب القوي المخلص الذكي هو النبل واتقى الكلاب في حسب صاحب كلاب الصيد .

ان الاوغاد الاذكياء هم افضل المتنافسين على الركوع تحت الاقدام الهمجية القوية أو تحت الاقدام الغبية الغبية ، او تحت كل الاقدام الباحثة

عن الراكعين .

ان الاوغاد الاذكياء هم اعظم الناس حظوظا في كل التاريخ ولدى كل الاهواء حتى لدى اهواء الانبياء والقديسين .

ولكن الا يخشى ان يرفض احيانا الطغاة والحكام الفاسدون والمتخلفون الذكاء مهما ناهق وذل وهزم ؟ الا يجدون في نفاقه واستسلامه وهزيمته هجاء وسبابا واتهاما لهم ؟

الا يزعجنا احيانا من يرون عاهاتنا وضعفنا وذنوبنا وخطايانا مهما مدحونا ؟

اليس الذي يمدحنا كاذبا هو اكثر المتعاملين معنا فضحا وتحقيرا واذلالا لنا واعلانا عن قبحنا ؟

اليس الاعمى افضل من المبصر في جميع حسابات وتقديرات الكائن المشوه ؟

اليس الذي لا يرى دمامتنا اكثر محاباة وسلاما لنا من الذي يراها ثم يذهب يبالغ في امتداح جمالنا ؟

اليس الذي يرانا في جميع حالاتنا وكينوناتنا ويفهمنا في جميع تفاسيرنا ومنطقنا يخيفنا ويزعجنا مهما كانت صداقته لنا او علاقاته بنا ؛ ومهما كان ضعف أخلاقه ومقاومته ؟

اليس الاله الاعمى ارحم بنا واقل تخويفا وفضحا لنا من الاله المبصر المحدق فينا الرائي لنا من داخلنا وخارجنا مهما حاولنا وكذب لنا وعلينا؟

اليست العيون الرائية المغمضة تتفجر في اعصابنا ومشاعرنا كالاسلحة المتفجرة فوق اهدافها ؟

اليس السلاح يخيف احيانا حتى ولو كان مغمدا ، حتى ولو كان في ايدي جنودنا او عبيدنا الاذلاء المهزومين ؟ اليس السلاح الفتاك المهزوم قد

يتحول الى اخطر الاسلحة ؟

اليس الذكاء المهين قد يصبح اكثر انواع الذكاء تهديدا وخطرا وانتقاما

اذن اليس الاذكياء اكثر ارهابا واحراجا وتهديدا لنا وعداوانا علينا مهما كانوا اوغادا ومنافقين ؟

اليس الاعمى مهما كان معاديا أرحم بعاهاتنا وتشوهاتنا ودمامتنا من المبصر مهما كان صديقا ؟

* *

انه لما كان الحاكم الطاغية او الحاكم الفاسد او الحاكم دائما طاقة مغناطيسية هائلة ؛ يجذب اليه كل ضعف وفساد ونفاق وكذب وخسة وهوان فكري ونفسي واخلاقي وذاتي ، ويهتف بكل ذلك ؛ بكل اللغات ، بتاديه ليتجمع حوله ، لكن محتوما ان ينيخ حول هيكله جميع سدنة وكهنة وعبدة الاوهام والعقائد الضعيفة او المستضعفة ؛ بل وكهنة وسدنة جميع التعاليم والمذاهب القوية والضعيفة ، ليتصروه ؛ لكي ينتصروا به . انه لمحكوم على جميع معلمي المذاهب والنظم وعلى جميع معلمي الالهة والانبياء ان يعبدوا الاقوياء والمتسلطين .

ان هؤلاء المعلمين ان لم يعبدوا هؤلاء الاقوياء والمتسلطين فلا بد ان يعبدوا الاقوياء والمتسلطين الاخرين .

ان اللاهوتيه لا بد ان تكون هي احدى الشرط او القرق الدائمة المؤمنة الموثوق بها للحاكم الطاغية او للحاكم الفاسد او لكل حاكم . لانها اي اللاهوتية بظروفها وخصائصها وتفاسيرها المختلفة لا بد ان تكون محتاجة الى الصلاة بكل ايمان واخلاص وهوان في الطعيد الذي يبنيه السلطان ؛ والى ان تحرق كل شموعها امام كل هيكل ترفع فوق محاريبه صور السلطان وتنقش على جدرانه قصائد الامتداح له . انه في كل التاريخ لم توجد لاهوتية واحدة تعبد الاله وحده دون ان تعبد السلطان .

ان كل لاهوتية في التاريخ لم تكن تعبد الا السلطان وحده مهما عبدت سواه او مهما تظاهرت بعبادة شيء سواه .

أنها اي اللاهوتية لا قوة لها من ذاتها ، ان قوتها دائما وهمية أو تاريخية . انها لا تملك اية قوة او اية حقيقة سوى زعمها أنها تتحدث عن قوة وعن حقيقة ، وسوى تسليم الناس لها بصدق حديثها عن تلك القوة وتلك الحقيقة . انها اذن مضطرة لكي تتحرك تتحدث وتكذب وتسرق وتخدع وتخيف وتستغوي . وانى نترك نصدق في زعمها انها تتحدث عن قوة وعن حقيقة ، بل عن كل القوة وكل الحقيقة .

نعم ، انها مضطرة لكي نتركها كذلك ، الى ان نتعبد في جميع معابد القوة ، وفي جميع مغارات الاستبداد القوي ، وفي جميع هياكل الفساد المنتصر القادر ، والى ان نجتنب كل كذبها وقبحها وغبائها وهوانها لاهواء الطغاة ولاهواء جميع الحكام والاقوياء الذين يقودون ويحكمون المجتمع الذي تكذب هي عليه وتتحدث اليه عن القوة وعن الحقيقة التي تزعم انها تتحدث عنها وانها قد جاءت من عندها لتبلغ عنها ولتعلم بها ولتهب باسمها ، لتهب باسمها كل ما ليس موجودا وكل ما لا يمكن ان يكون موجودا .

انها مضطرة الى ان نتعبد كل اساليب التعبد بكل اساليب الهوان والانهزام ، تحت كل الاقدام القوية اليمجية او الاقدام الغنية الغبية ، او تحت كل الاقدام الباحثة عن كل الراكعين تحت كل الاقدام ، لكي نترك نكذب وتسرق وتتسلط وتضلل ، بل ولكي توهب المجد والاقتدار ، لكي يهبها المجد والاقتدار والدعاية الاقوياء الذين تهبهم عنوانها وتعاليمها ونفاقها وكل ذكائها وغبائها . ولانها ان لم تفعل ذلك أزيلت ، او تركت فزالت . لان الاوهام والاكاذيب وحدها بدون طغيان حقيقي قوي ينصرها ويبشر بها ويتقبلها ويتقبل منها لا تستطيع ان تنتصر ، بل ولا أن تبقى او تعيش . انه لا بد من القوة الضالة للاوهام والاكاذيب . ان الوهم لا يمكن أن يعيش او ان يواجه نفسه ، او ان يواجه من يراد منهم الاقتناع به دون ان تكون معه اية حقيقة . ان الوهم لا يعيش وحده . ولكن هل تعيش الحقيقة وحدها ؟ وان الوهم لا يستطيع أن يحمي نفسه ، ولكن هل تستطيع الحقيقة ان تحمي نفسها ؟

ان اللاهوتية لتعلم انه لا قوة ولا مجد ولا سلطان ولا بقاء لها ، بل ولا قدرة لها على الخداع المصدق او المقبول الا في حماية الطغيان والقوة الضالة ، اي الا في حماية حقيقة ما . ان في بقاء القوة أو في بقاء الحقيقة الضالة ، وفي انتصارها بقاءها هي وانتصارها هي والا فلا شيء أمامها الا الموت

المحتوم او الهزيمة المحتومة او الهوان الذي هو أقسى من الموت ومن الهزيمة . انه لا شيء يحتاج الى ان يوهب كل مجده وكل قوته من خارجه لا من قوته ولا من منطقه ولا من اخلاقه بل ولا من انتصاره مثل اللاهوتية .

حتى الالهة والانبياء ، انهم لا بد ان يتحولوا الى صلاة وخضوع للطغاة ولكل الحكام والمتسلطين والمستبدين القادرين باي اسلوب من أساليب القدرة ومعانيها .

ان كل شيء لا بد ان يمجد طغيانا ما حتى الالهة والانبياء لا بد ان يمجدوا الطغيان . ان كل العقول والتعاليم لا بد ان تهون وتتعبد .

انه لا يخضع للطغاة ولكل الحاكمين والقادرين ، ولا يناصق ويصلي ويكذب لهم ، مثل الالهه والانبياء . انه لا يوجد ، ولم يوجد في اي عصر او مجتمع اكثر او اصدق خضوعا للطغاة ولكل الحاكمين والقادرين من الالهة والانبياء . ان الالهة والانبياء لا يشترطون لخضوعهم وهوانهم تحت الاقدام القادرة او الباطشة اية شروط . انهم اي الالهة والانبياء يخضعون وينافقون ويكذبون لمن يستطيعون ان يضربوا او يهبوا ، ان يحموا او يتركوا او يدمروا حين يخضع وينافق ويكذب من ينحنون عنهم وباسمهم ، اي بخضوع ونفاق وكذب من يعلمون عنهم ، ومن يتحدثون من فوق منابرهم ، ومن يفسرون تعاليمهم واخلاقهم وتاريخهم وتياتهم وسيرهم وكتبهم وكلماتهم ، ومن يهبطون من سمواتهم على صهوات جيادهم ، رافعين راياتهم .

ان كل الناس يكذبون وينافقون ويخضعون باسم الالهة والانبياء . اذن هل يوجد مثل الالهه والانبياء في كذبهم ونفاقهم وخضوعهم ؟

ان الالهة والانبياء لا يوجدون ولا يفهمون ولا يفسرون ولا يمارسون انفسهم الا في ذوات وحياة ومنطق واخلاق من يعلمون عنهم ومن يفسرونهم ومن يحفظون كتبهم ويروونها ويعلمونها ويكونونها . وهؤلاء هم النماذج الكاملة والشاملة والدائمة للنفاق والهوان والركوع تحت كل الاقدام الضارية او الواهية او الجاهله القادرة .

اذن فالالهة والانبياء هم هذه النماذج الشاملة الكاملة الدائمة للنفاق والهوان والركوع تحت جميع الاقدام القوية الهمجية .

اذن تجلد ايها المؤمن ، تجلد .. تجلد امام اكبر المفاجآت الاليمة البعيدة عن كل الظنون .

.. تجلد ايها المؤمن بكل احتمالات التجلد فيك .

تجلد لان الهتك وانبياءك لم يكونوا في كل التاريخ ولن يكونوا في كل المستقبل الا عبدة ودعاة لكل الاوثان والكل الطغاة ، لان من لا يوجدون ومن لا يعيشون ومن لا يدهمون الا في ذواتهم وفي تفاسيرهم وفي تعاليمهم لم يكونوا ولن يكونوا الا كذلك .

اجل ، اذن تجلد ايها المؤمن ، تجلد ، اذن حاول ان ترثي لهم اي لالهتك وانبيائك ، لا ان تجن اعجابا وانبهارا بهم .

بل اياك ايها المؤمن و لتجلد ، انه يحق عليك ان تنمزق غضبا وغيظا وخجلا ، لا ان تتجلد ، حاول ايها المؤمن ان ترثي بصدق وعمق لالهتك وانبيائك لانهم ليسوا سوى عبدة اوثان وطغيان ، لان جميع من يجيئون باسمهم ، ليعملوا باسمهم ليسوا الا عبدة اوثان وطغيان .

اذن حاذر ايها المؤمن ان تتجلد ، حاذر ، فالتجلد هنا عار وبلادة .

انك ايها المؤمن تقول : ان آلهتك وانبياءك لم يجيئوا ولم يكونوا الا لكي يزيلوا كل الطغيان وكل الاوثان ، ولكنك ترى انهم ليسوا سوى عبدة اوثان وطغيان .

اذن احزن من اجلهم ومن اجل نفسك ايضا ، احزن كثيرا وبعمق ايها المؤمن المفجوع بالهته وبانبيائه وبنفسه ايضا وبذكائه .

لقد كنت ايها المؤمن دائما فظا في معاملتك لالهتك ولانبيائك وفي مشاعرك ازاءهم ولهم ، لانك قد ظللت دائما تعبدهم وتخافهم ، وكانت الرحمة والتهذيب والمنطق ان تحزن وترثي لهم بكل احزانك واشفاقك .

ان الالهة والانبياء معبودون ومخضوع ومنافق ومكذوب لهم ، وان الانسان هو العابد الخاضع المنافق الكاذب لهم ، ان الالهة والانبياء اذن لموهوبون كل الحظوظ والتمجيد والتكريم ، اما الانسان فهو الواهب كل ذلك

والمسلوب كل ذلك والفاقد لكل ذلك .

لقد كان هذا هو الاعتقاد الذي لم يكن ممكنا افتراض او تصور غيره او نقيضه . اذن لقد كان كل المجد للالهة وللانبياء ، وكان كل العار والهوان للانسان .

ولكن ، كم يمكن ان يكون الزعاج المؤمن البريء حينما يتبين ان الالهة والانبياء هم العابدون والخاضعون والمنافقون والكاذبون ، وان الانسان هو المعبود المخضوع المنافق المكذوب له ؟

نعم ، كم يمكن ان تكون فجيعة المؤمن حينما يتبين ان الالهة والانبياء لم يكن لهم من دور في كل التاريخ ، ولن يكون لهم من دور في كل المستقبل غير ان يصلوا ويخضعوا ويتافقوا ويكذبوا للاقوياء ، وغير ان يتحولوا الى اساليب صلاة وخضوع ونفاق وكذب ، يمارسها الضعفاء تحت اقدام الاقوياء ؟

كم يمكن ان تكون فجيعة المؤمن حينما يكتشف ان آلهته وانبياءه لم يكونوا في كل تاريخ العلم بهم الا تفسيرا وتسويغا وصلاة لطغيان يمارسه الاقوياء ، وتفسيرا وتسويغا وامتداحا وتعليما لهوان يمارسه ويعلمه ويتعلمه الضعفاء ؟

نعم ، هل كان الالهة والانبياء في كل التاريخ الا تفسيرا وتسويغا لطغيان الاقوياء ، والا تفسيرا وتسويغا لهوان الضعفاء ؟

اذن كل رثاثي لراس الانسان . ان راس الانسان ، ان اجهزته الراسية التي هي الهته وانبياؤه ومذاهبه وادياته وافكاره هي اكثر اعضائه حيوانا وهوانا .

اذن كل احزاني لراس الانسان ولاجهزته الراسية .

لتحزن ايها المؤمن ، ايها الانسان ، ان شيئا ما في هذا الكون لم يمارس من الهوان والاكاذيب والنفاق والقدر ، استجابة لشهوات واهواء الطغاة والجهلاء القادرين ، مثلما مارسته تعاليم الانبياء ومذاهب المعلمين .

اذن ليكن حزنك غاضبا وضاجا ايها المؤمن ، ايها الانسان ، لان اجهزتك الراسية هي اكثر اجهزتك هوانا وجبنا وعارا .

اذن ايها المؤمن ، ايها الانسان ، كن حزينا ورائيا وباكيا وخجولا لالهك ولانبيائك بدل ان تكون لهم عابدا او معظما او حامدا . انه لا احد يستحق الرثاء والبكاء مثلهم .

* *

ان اللاهوتية ليست هي فقط لاهوتية القدس او السماء ، انها ايضا لاهوتية المذاهب والتقويمات والنظم والنظريات ، ولا توجد فروق بين هذه اللاهوتيات في احتياجها الى ممارسة الاكاذيب والنفاق والهوان والخداع والغوايات والتفاهات .

ان اللاهوتية المذهبية او القومية قد تكون اكثر نفاقا وهوانا واحراقا للشموع من اية لاهوتية دينية او سماوية ، ان المنكر لجميع الهة السماء ليس دائما اكثر رفضا لاهوتية من المؤمن بهذه الالهة ، بل انه لا ينتظر منه من ذلك ، ان اللاهوتية لا تصنع خارج الانسان ، اذ انه هو الذي يصنعها داخل ذاته وحياته ، اذن لن تكون هناك فروق بين صفاتهما لوجود الفروق بين اربابها وجنساتها .

واللاهوتية قد تعيش في مجتمعات غير استبدادية او غير عبودية ، انها حينئذ لا بد ان تلقي بكل نفاقها واكاذيبها وبكل مواهبها الدليلة تحت اوامر وشهوات افسد واظلم ما في هذه المجتمعات من مذاهب وعقائد وجهالات واهواء ومصالح ومن بقايا تاريخ كئيب بليد ، انها لا تعيش تحت مذهب واحد او نظام واحد او مستوى واحد فقط ، انها تعيش كل المذاهب والنظم والمستويات ، وتحت كل المذاهب والنظم والمستويات ، انها عالية الثمن والانتساب والاخلاق .

ان المفروض ان يتجه الطغيان بل واسلوب الحكم كله الى مقاومة الضعف والفساد والتلوث والجبن والنفاق والهوان العقلي ، والى مقاومة اسباب واعراض كل ذلك — ان المفروض ان يتجه الطغيان بل كل حكم هذا الاتجاه حتى ولو خداعا في اجهزته الدعائية ، حتى ولو تضخيما وتجميلا

انفسه ولعهده . ان كل نظام وحكم محتاج الى ان يخدع بعهده ونظامه وبنفسه ، ومحتاج الى اساليب عرض قوية مثيرة مخيفة في قوتها وروعتها. انه محتاج دائما الى السحر والى السحرة والى كل حيلهم وفنونهم . انه لا نبي ولا دجال بلا اجهزة عرض . ايهم احوج الى اجهزة العرض : الانبياء ام الدجالون ، الصادقون ام الكاذبون ؟

اليست القوة والاستقامة حاجتين من حاجات الطغاة بل من حاجات كل حاكم وكل نظام لان القوة تتحول الى قوة وحماية له ؛ ولان الاستقامة تتحول الى جمال فيه والى ثناء عليه والى تمجيد له ؟ ولان الاستقامة ايضا حتى الاستقامة الذهبية او العقلية قد تتحول الى قيد لحركات وتطلعات ولاحتمالات المستقبل ، والى عريمة واذلال لطموحه ولذكائه ، والى كسر لشهواته التي قد تتحول الى مغامرات او مخاطرات او مقامرات .

ان الملتزم بالاستقامة الدينية او الذهبية هو افضل من يريد التعامل عليه وبه اللصوص والمجانون والطغاة والقتلة .

نعم ، ان كل هذه حسابات محسوبة ومنظورة الطغاة بل لكل الحكام وكل المتسلطين . لكن لعل امام كل حسابات صحيحة او خادعة حسابات اخرى مضادة او منافسة او محيرة ، صحيحة ايضا او خادعة . هل يوجد في هذا العالم اي موقف دون نقيضه ؟

هل توجد اية فكرة دون فكرة مناقضة ؟ هل يمكن ان توجد الافتراضات الملائمة دون الافتراضات الاخرى ؟

اذن فان حسابات الطغاة او حسابات جميع الحكام والمتسلطين قد ترى ان في فساد وضعف وهوان وغباء افراد المجتمع الذي يحكمون او الذي يعيشون فيه خيرا وحماية وامانا لهم ، وان في زوال ذلك او في نقيضه خطرا وتهديدا وتحديا لهم . وحينئذ لن يكون كل المجد والانتصار لفساد المجتمعات ولهوانها وضعفها او لفساد وهوان وضعف الافراد في المجتمعات. ليكن كل المجد والانتصارات للغباء وللهوان العقلي .

ليكن الغباء والهوان هما كل المجد وكل العلم لكل العقول ولكل الاخلاق .

لتتحول حينئذ جميع الاجهزة الدعائية والتعليمية الى محاباة ذكية وقوية وشاملة لشيوع الضعف والفساد والغباء والهوان الفكري .

ليتحول كل الذكاء وكل المواهب الى مباراة رهيبة للتفوق في فنون الضعف والفساد والانحلال والتفاق العقلي والنفسي والاخلاقي؛ بل المذهبي والديني .

والذي ليمت او لينف من المجتمعات جميع الافراد الاذكياء الاصحاء الاتقياء الاقوياء في فرديتهم او في محتوياتهم الذاتية او الانسانية .

ليمت او لينف بعيدا ، بعيدا هؤلاء الافراد ؛ فانهم تهديد شديد مخيف للطغاة ولكل الحكام الجاهلين والفاسدين ولكل المتسلطين . ان الافراد الاقوياء في فرديتهم لتهديد دائم لمجد الالهة ولمجد الانبياء ولمجد الطغاة ولمجد الايمان والصلوات والمحاريب والمنابر .

ان الحاكم الطاغية او الفاسد او الجاهل او المتاخر او كل حاكم يرفض او يخشى او يقاوم ان يكون في دولته افراد اقوياء يرفضون ويأبون ويتكرون ويتكبرون على الهوان والاستسلام والطاعة والتقبل مهما ناضل واحب وتمنى ان تكون دولته اقوى من جميع الدول وفوق كل الدول . انه لا يخاف حينما تكون دولته كذلك ، بل انه ليجد كل المجد والسعادة لنفسه حينما تكون كذلك . ان قوة دولته ليست في جميع حساباته الا قوة له هو، لذاته ، لشخصه ، لعرشه ، لتاريخه ، لخوفه وامانه وتالهه وكبريائه ولتجدياته ومناقباته .

ان الطاغية لا يجد في دولته القوية الا اظفاره وانيابه وعضلاته القوية. وهل الدول الا اظفار وانياب الطغاة ؟

اما الذي يخيفه جدا ، وحقا ودائما فهو ان يكون في دولته افراد اقوياء .

ان اوضح واطغى طاغية ليتقبل ان يكون له اكبر جيش يخيف به كل العالم ويذل به كل امجاد التاريخ ؛ وينقبل اي الجيش من شجاعته ان يموت كل فرد منه في اية مقامرة يساق اليها دون ان يرفض او يهاب . ان

الطغاة ليتزينون بالجيوش القوية ويشعرون نحوها كما تتزين الفوانى بالحلى واضخم انواع الحلى وكما تشعر نحوه اي نحو الحلي .

ولكنه اي ذلك الطاغية يرفض بل ويجن في رفضه ان يكون حوله او في مجتمعه فرد واحد قوى شجاع في ايمانه وفي شعوره وفي طهارته وفي عقله وفي تحديقه وفي رؤيته وفي تعبيره . ان ذلك الفرد القوي يخيف الطاغية ويصنع له الهموم والهواجس اكثر مما يفعل له ذلك جيشه القوى . بل انه يرى في جيشه القوي الحماية والزينة له ، لشخصه ، بينما يرى في ذلك الفرد الخوف عليه والهجاء لمجده . ان مثل هذا الفرد لا بد ان يصنع للطاغية الغضب والغيظ ان لم يصنع له الخوف والخطر . أما الجيوش القوية فانها لا بد ان تصنع لطغاة الحماية والزينة او المجد والكبرياء او القوة والطغيان .

في اغلب المجتمعات ، وباسلوب ما في كل المجتمعات ، او في كل المجتمعات على مستوى ما وبنية ما ، يعامل راس الانسان على انه عضو زائد لا وظيفة ولا تفسير ولا منطق او معنى لوجوده ، او لبقائه ، او للتحدث عنه او للاقتناع بوجوده ، او للتفكير فيه او في وجوده — او على انه وجود مرضي كالخراج الفظيع الذى يزرع الالام والمخاطر والاذى على ما حوله . انه اي راس الانسان لا يعامل او يرى في اغلب المجتمعات او في كل المجتمعات ولو باسلوب ما على انه عضو او كائن طبيعي او شرعي له كل الحق في الوجود والنمو والكينونة والبقاء .

ان اغلب المجتمعات ، او كل المجتمعات باسلوب من الاساليب ، او على مستوى من المستويات ، او بنية من البنيات ، لا ترى في راس الانسان الا انه احدى غلطات الارباب التي ارادت ان تعاقب بها هذه الحياة ، او ان تعاقب بها موهبتها هي ، او ان تمتحن بها اعجاب الانسان بارباب وايمانه بهم ، او ان تعاقب به نظافة الانسان واستقامته وتقواه .

ان هذه المجتمعات لا تجد في راس الانسان الا انه آفة بليغة ، تنوي فيها كل احتمالات الاخطار والالام ، ويجب التداوي والتحصن منها بكل الاساليب والوسائل والعقائر ، وان المطلوب والمفروض دائما هو التفكير في هزيمته واذلاله اي راس الانسان ، وفي تحويله الى عضو ميت ، الى جثة محتقرة ومعروفة ، وانه لا يمكن ولا يجوز لا مذهبيا ولا دينيا ولا اخلاقيا

ولا وطنيا ولا حضاريا السماح له بالبقاء الا اذا ظل محدودا مكانيـة دون ان يعني اية معان او تفاسير زمانية او حركية . فاذا حاول ان يكون عضـوا حيا ، وعضواً زمنيا ، او عضوا له وظيفة وراى وغضب ورفـض ورؤيـة وتحديق في الاشياء او في المذاهب او في الاديان او في الزعامات او في الآلهة او في الانبياء او حتى في نفسه وجب ان يعاقب ، ووجب ان يكـون عقابه هو اشد عقاب .

انه حينئذ يجب كرد علمه ويجب ان يكون الرد بالمشرط ، ولكن ليس بمشرط الطبيب بل بسلاح الجزار ، بل باسلوب الجلاد . هل يوجد او هل وجد مجتمع واحد راى في راس الانسان عضوا مثل سائر اعضائه له كما لها ان يتخلق ويكون ويعبر عن نفسه ويتعامل بها كما تفعل كـل اعضائه او اكثرهـا ؟

لقد عجز الطب في كل تاريخه حتى اليوم ان يمنـع الانفجارات والتوترات والالتهابات والحرائق التي تصيب اعضاء الانسان . ولكن كثيرا من المجتمعات التي يحكمها الطغاة او التي يحكمها الحكـام المتخلفـون والفاسدون والجهلاء قد استطاعت ان تحمي الراس الانسـاني من كـل انفجار والتهاب وتوتر وتوقد واحتراق وغضب . لقد حمت الراس من ان يكون حيا بصلب بما تصلب به الكائنات الحية ، وبمرض كالاحياء بالاحتجاج والغضب وبالممارسات المتفجرة المختلفة الاليمة الغاضبـة . ان هـذه المجتمعات قد استطاعت ان تحمي نفسها وان تحصنها بكل اساليب التحصين ضد الالم والخطر اللذين يصنعهما ويعرض بهما راس الانسان . ان لهـذه المجتمعات اذن واطفالها مجد التفوق على الاطباء العالميين الذين لم يعرفوا او يستطيعوا ان يحموا اعضاء الانسان من اسباب او احتمالات الانفجار او التوتر او الالتهاب .

ومع الاعتراف بانتصار كثير من الطغاة والمجتمعات على راس الانسان فلا بد ان يقال ايضا .

لقد ظل وجود الراس الانساني مشكلة هائلة واليمة في اكثر العصور والمجتمعات او في كل العصور والمجتمعات . ان اي مجتمع من المجتمعات لم يستطع ان ينجو من معاناة هذه المشكلة . لقد كان وجـود الراس فـي الانسان ورطة هائشتها وتعذبت بها كل المجتمعات في كل العصور وناضلت

بجنون ضدها .

ما اعظم واكثر ما انفق البشر في كل التاريخ من العمل والذكاء ، ووضعوا من الخطط والاساليب ، واستحدثوا ومارسوا من الالام والاحزان والمظالم ، وسفكوا من الدماء ، واستقبلوا من الانبياء والوعاظ والمعلمين ، وانزلوا على انفسهم من الاديان والمذاهب والكتب المقدسة .

ـ نعم ، ما اكثر ما فعلوا كل ذلك لمقاومة رأس الانسان ، وخوفا منه ورفضا له ، ولما فيه من احتمالات قد تنفجر . لقد كانوا يشعرون انهم يعيشون تحت خطر يعيش فوقهم وفيهم . لقد كان تهديد الرأس للبشر اعجب تهديد عاش فوقهم وداخلهم وحاربوه مثل عدو يعيش خارجهم .

ان البشر لم يحاربوا اعدادهم وآلامهم مثلما حاربوا رؤوسهم حتى ولا في كثير من المجتمعات المتقدمة جدا . انه لا يوجد اي قوم في اي مجتمع لا يحاربون رؤوسهم ولا يخافون منها باحد اساليب الحرب والخوف ، او باحد مستوياتهما ، او بكل اساليبهما ومستوياتهما . ان كل البشر مهما عاشوا السلام وارادوا السلام فانهم لا بد ان يعيشوا كل الحرب او بعض الحرب ، وان يريدوها كلها او بعضها ضد رؤوسهم .

ان رؤوس البشر هي العدو او الخصم الذي لا يمكن ان يعامل في اي مجتمع بسلام دائم شامل او بهدنة دائمة شاملة .

ما اكثر الطغاة بن والناس الصغار البسطاء الذين يتصرفون وكأنهم يريدون ان يلعنوا الاله او الطبيعة لانه او لانها قد خلقت للانسان رأسا او لانه قد خلق برأس .

ما اكثر الذين يشعرون ان الآلهة او ان الطبيعة قد كانت حقيرة ورحيمة بالبشر لكي تخلقهم بلا رؤوس ، او برؤوس ليست مسكونة او مشحونة بهذه المادة او الطاقة الفاسقة الشيطانية الفاهمة لكل اللغات ، والمبصرة لكل المسافات ومن وراء كل المسافات ، والسامعة لكل الهمسات بل ولكل النيات ، والمكتشفة قبل الرؤية وبلا رؤية ، والتي تستطيع ان ترى في الظلام بقدرما تستطيع الرؤية في النور ، والتي تستطيع ان ترى الصغير جدا كما ترى الكبير جدا ، وترى الصغير جدا بالحجم الذي ترى به الكبير

جداً او بالقدرة التي ترى بها الكبير جداً ، وبالاحساس والاشتاع اللذين ترى بهما الكبير جـــداً .

ان الراس جهاز لا يشبهه جهاز آخر في كشفه وهجومه وبذاءتـــه وعدوانه . انه لا يستطاع الاستتار او الهرب منه او من نظراته او لمحته .

انه لا يوجد اعداء واصدقاء ، او محاربون ومسالمون لراس الانسان . ان كل الناس لا بد ان يعادوا ويحاربوا الراس الانساني عـــلى نحو مـــا او باسلوب منها .

ان الراس الانساني هو الكائن المحارب عالميا وابديا مع الاختـــلاف المحتوم والتفاوت المحتوم في اساليب محاربته .

ولكن هل يوجد من يحاربونه او يعادونه كالطغاة والمعلمين ، لانـــه اي الراس الانساني لا يعادي ولا يحارب اي قوم مثلما يحارب ويعادي الطغـــاة والمعلمين ؟

ان الحرب والعداوات بين راس الانسان وبين الطغـــاة والمعلمين هي اشهر واخلد واعنف الحروب والعداوات .

وهل ذلك صحيح ؟ الا يمكن ازعم بان الطغاة والمعلمين لا يســالمون ولا يستخدمون ولا يصادقون شيئا كالراس الانســاني ؟ هـــل احتمى الطغـــاة والمعلمون ، او قاتلوا بشيء مثلما احتموا وقاتلوا براس الانسان ؟ هل وجـــد طغاة او معلمون لا يحمون ويغـــرون طغيانهم وجهلهم براس الانسان ؟

الم يجرب الطغاة وكل المتسلطين القادرين طويلا ، طويلا راس الانســان فيجدوا فيه كل المزايا والعون لهم ؟ الم يجدوه في تجاربهم الطويلة الباهظة صديقا وخادما مخلصا لهم ولكل ما يريدون منه اكثر مما وجدوه عـــدوا او مناقضا او رافضا او مقاوما ؟ بل دون ان يجدوه كذلك ، اي عدوا او مناقضا او رافضا او مقاوما ؟

هل وجد طاغية واحد في التاريخ لم يجد مواكب من الرؤوس لتبارك وتفسره ، وتقدسه وتطيعه بل وتؤلهه ؟

لهذا فلعله لا يوجد ، ولعله كذلك لم يوجد من يريدون أن يكون رأس الانسان موجودا وقويا ومنتصرا وهازما كل الأعداء والخصوم ، مثل الطغاة لانه لم يوجد ولن يوجد من يستفيد منه مثلهم . لعل الطغاة وكل المتسلطين القادرين بل وكل المعلمين الدجالين لو كانوا هم الذين دبروا هذا الكمبيوتر وارادوه وخلقوه لكان الراس الانساني هو اول ما يدبرون ويريدون ويخلقون . انه اعظم واقدم واقوم صديق ذليل مطيع بل خادم مهين جهان لهم ، لعل الآلهة لم ترد ان يوجد راس الانسان ولم تدبر ايجاده ولم توجده الا لانها قد فهمت ذلك من اخلاقه ومن استعداده قبل ان يكون وقبل ان تجرب التعامل معه ورسه .

لقد جرب الطغاة راس الانسان فوجدوه لهم اكثر مما وجدوه ضدهم او عليهم . لقد وجدوا راس الانسان ، مهما كان شامخا وعظيما ، جنديا محاربا لتوكيد طغيانهم اكثر مما وجدوه ثائرا او محاربا لهم ، بل او محايدا . ان الراس ليس هو الذي يرفض او يقاوم اي حينما يوجد المقاومة والرفض ، ولكن الذي يفعل ذلك هو اخلاق ذات ، كالحيوان الذي يقاوم ، به لا يقاوم براسه بل باخلاق ذاته . ان الانسان قائد براسه لا مقود به او له . ان الشجاعة والرفض ليسا منطقا او تفكيرا ولكنهما مستوى ذات او حالة ذات بقدر ما فوه العقل مستوى ذات لا مستوى راس .

ولو اريد الدفاع بمحاباة عن راس الانسان لما قيل اكثر او افضل من :

انه هو الشيء ونقيضه : هو الخطر والواقي من الخطر ، هو السلاح والمحطم للسلاح ، هو المنطق واتفاني للمنطق ، هو المنطق والمنطق المضاد . انه هو الخطيئة والتوبة منها ، والمرض والطبيب ، والاله والدين والنفي لهما . انه الخرافة والبلادة ، وانه الذكاء والحقيقة .. ان راس الانسان هو اي حين الدفاع عنه وباسلوب المحاباة له — هو العدو للطغاة وللمعلمين المجهلاء ، المقاوم والفاضح لطغيانهم وجهالاتهم ، ولكنه ايضا وبنفس القوة هو الصديق الحامي القادي الساتر للتويهم وفضائحهم وغباواتهم ، والساتر المتستر عليها وعليهم . انه المفسر لهم اجمل واكذب التفاسير .

ان هذا اقوى واصدق ما يمكن ان يحكم به على الراس الانساني ، اي حينما يراد الدفاع عنه والمجاملة له . اما الحكم عليه بلا مجاملة وبلا نية الدفاع عنه فقد يكون شيئا اخر ، قد يكون اقسى جدا ، ولكنه قد يكون

اصدق جدا .

اذن لقد كان رأس الانسان نفيا لرأسه . لقد كان رأس الانسان هو الخوف والامان ، الذكاء والغباء ، الشجاعة والجبن ، الكبرياء والهوان .

لقد كان هو الطاعة والعصيان ، الصلاة والزندقة ، المقاومة والاستسلام . انه العدو والصديق ، او لا العدو ولا الصديق . لقد اذن الطغاة والمعاونون للرؤوس بان تبقى ، بان تبقى جماجم ميتة ، واماكن غير مسكونة او مشحونة ، ان تبقى مثل أسلحة بلا ذخيرة ، وبلا اجهزة اطلاق او تسديد او تفجير . انهم لم يأذنوا لها بالوجود او بالبقاء الا مشترطا عليها بان تظل كذلك . بل كلا ، انهم لم يتركوها ، لقد فرغوها ، انهم لم يتركوها مفرغة ، بل لقد شحنوها بمادة اخرى . انهم لم يقتلوها او يسكتوها او ينهوها فقط ، بل لقد امروها وجندوها وحولوها الى اقذر قوة محاربة . لقد زيفوها وحولوها الى اهون هوان والى اشهر هزيمة ، والى اردا قصة عالمية في الجبن والهوان . ان رأس الانسان لا يقتل او يبتر كما تقتل حياته او تبتر اعضاؤه ، بل انه يحول الى عدو محاوب . انه يسخر ليكون انذل وارذا الجنود ليحمي وينصر اردا وانذل الطغيان .

ان شيئا ما في هذه الحياة ، بل في هذا الكون لم يزيف مثلما زيف رأس الانسان . انه لا يزال يزيف باسلوب عالي ، باسلوب لا يزيف بمثله شيء في هذا العالم .

ان الطغاة والمعلمين لم يقطعوا كل الرؤوس ، ولم يأمروا بقطعها كلها ، بل لم يريدوا قطعها او موتها او نفيها او صمتها او حيادها ، بل لقد ارادوها لهم فوجدوها كما ارادوها .

ان الطغاة والمعلمين لم يريدوا من الرؤوس ان تكون كما يريدون فيجدوها كما ارادوها فقط . بل لقد ارادتهم هي وبحثت عنهم وسعت اليهم ووقفت على ابوابهم طالبة الاذن والسماح لها بان تؤمن وتطيع وتصلي وتهون بلا حساب . لقد وجدوها دائما اكثر وافضل مما ارادوها وامروها .

انهم لم يجدوها جبانة وذليلة ومهزومة فقط ، او مطيعة ومخلصة لهم فقط ، او منفذة لاوامرهم وتعاليمهم وشهواتهم فقط ، او قارئة حافظة

لخطبهم وبياناتهم الرسمية فقط ، او قاهمة ما يستطيعون او ما يريدون فهمه فقط ، او مدافعة مقاتلة منهم ودونهم فقط ، او معلية في الهياكل والمعابد التي يشيدونها فقط ، او مؤمنة بالارباب والانبياء الذين يأمرون بالايمان بهم او يريدون ان يكون الايمان بهم فقط . انهم لم يجدوها كل ذلك فقط . بل وجدوها اكثر واعظم لهم .

لقد وجدوها اكثر من جبانة ومهزومة ومطيعة ومخلصة ومنقادة وحافظة وقائلة ومصغية ومؤمنة ومبشرة وقاهمة ومدافعة ومقاتلة .

لقد وجدوها مكتشفة ومبتكرة وواضعة ومشيدة للمعابد والهياكل وللارباب والانبياء وللتعاليم وللتفاسير وللتصويفات وللافكار وللنظريات والمذاهب والتصوف والبيانات ولاساليب البلاغة وللفنات والتعبيرات والصفات الجديدة ، بحثا عن المزيد من التمجيد والتمكين والسيادة والاعطياء لهم .

— نعم لقد وجدوها مكتشفة ومبكرة ومشيدة ووآضعة ابتداء واختراعا لكل ذلك لتكون ذليلة ومهزومة وكاذبة وخادعة وعابدة ومتوثنة اكثر وابعد واعمق مما يريدون او يأمرون او يعلمون او يعرفون او ينتظرون .

ان راس الانسان ليس مطيعا فقط بل معلم للطاعة ، وليس كاذبا فقط في تمجيد الطغيان بل ومعلم مشروع للكذب .

انه ليس في اعضاء الانسان ما يشبهه او يساوي راسه في الجبن والنفاق والكذب والهوان والغواية ، وفي تعظيم ذلك وتغييره وتسويقه وفي الدعاية له . ان جميع اعضائه للعالي عاره وافتضاحه وهزائمه . ان كل اعضاء الانسان لتتقلى من هوان راسه .

انه لا يوجد ولم يوجد آلا نبي واحد يعلم ويفسر ويسوغ ويشرع الاكاذيب والقباوات وتمجيد الطغيان وعبادة الاوثان . ان هذا النبي الواحد هو راس الانسان .

ان جميع الانبياء يتعلمون فنون نبواتهم واخلاق نبواتهم من هذا النبي

الواحد ، ان هذا النبي الواحد هو المسوغ والمفسر لكل الاخطاء والبلادات ، والعاهات والمذلات والاهانات والاكاذيب مهما كان مقهورا مأمورا .

اجل ، ان الذكاء لا يملك دموعا غزيرة او نطيفة ليذرفها على مجسده المهان المهزوم الراكع .

ان الذكاء لا يملك اية احزان اخلاقية او دينية ليغاسي منها حينما يفقد كل مستويات واساليب المقاومة والرفض .

انه اي الذكاء ليس اكثر مناقضة او مقاومة او رفضا للطغيان او للفساد او لتجهل الحاكم او الضارب او الواهب او الفارض لارادة السماء على شهوات الارض .

انه ليس اكثر نفيا او كرها لاخلاق الحشرة او لضميرها او لتقواها او لنظافتها ، او لنوع شهواتها او لنوع جوعها وطعامها ، او لاسلوبها في ممارساتها .

ان الحشرة الذكية ليست اكثر الحشرات نظافة او رفضا ، وان الانسان الذكي ليس اسمى الناس او اتقاهم او اتجمعهم اخلاقا او عقلا او نفسا او نية او ضميرا . ان الذكاء قد يكون اجرا واقدر على السقوط والتلوث وعلى ممارسة العار والجرائم والذنوب . ان الذكاء لا يرفض ان يكون ذلا ووغدا وذليلا . انه اي الذكاء لا يرفض ان يكون اكثر نذالة وعارا وذله من الغباء . بل انه لا يرفض ان يكون غبيا وان يعيش الغباء اكثر من الغباء .

هل يوجد شيء يحتاج الى ان يذل ويهون ويكذب ويسقط ويمارس كل الجرائم ومستويات العار مثل الذكاء الخارق او الموهبة الكبيرة في مجتمعات الطغاة او في مجتمعات الحكام المتخلفين او الحكام الذين يحكمون الارض بتوقيع السماء ؟

هل يجرؤ او يقدر شيء على ممارسة كل هذه الرذائل ، او يمارسها مثل الذكاء الخارق او الموهبة الكبيرة في مثل هذه المجتمعات ، هل ينتظر من احد ان يتألق ويتعاظم في صنع المهانة والسقوط مثلما ينتظر ان يتألق

ويتعاظم في صنعهما الذكي والموهوب الموجودان في مثل هذه المجتمعات؟

هل يوجد احد يحتاج الى ان ينفوق ، او يفرض عليه ان يتفوق على الحشرة في هوانها وتلوثها وانهزامها مثل الذكي او الموهوب في مجتمع يحكمه طاغية او يحكمه حاكم فاسد او متخلف ، او يحكمه حاكم جاء ليعلن فوق الارض مجد السماء ؟

هل يوجد كائن مشوه او بذيء او مهزوم او ذليل او وقح مثل الذكي او الموهوب حينما يصبح موظفا وعاملا في جهاز الطاغية او في جهاز الحاكم الفاسد او المتخلف ، او في جهاز الحاكم الذي يجيء ليفرض على الارض اخلاق السماء ؟

انه لن يوجد من يستطيعون ان يشوهوا الارض ويلعنوها مثل الاذكياء والموهوبين العاملين في اجهزة الطغاة او في اجهزة الحكام والمعلمين المتحدثين عن اخلاق السماء او في اية اجهزة قوية ضابطة . ان الاذكياء والموهوبين هم دائما الخطر او الخوف الاكبر مهما كانوا دائما هم الامان او المجد او الامل الاكبر .

السيف واهبا للآصفاء

« . . ان الناس لم يتحولوا الى موكب بليد ذليل وراء اي نبي ليؤمنوا بمعجزاته وليشهدوا لنبوته وليصنعوا له الانتصارات والمعجزات مثلما فعلوا وراء السيف . ان السيف هو اوقع الانبياء والمعلمين والزعماء وصناع المذاهب والتعاليم والمعتقدات ولكنه اصدقهم واقواهم منطقا واكثرهم اتباعا . انه الكذاب الذي لا يوجد اصدق منه والفاجر الذي لا مثيل له في تقواه الدينية والمذهبية والاخلاقية والنفسية . ان البشر لم يجدوا في اكذب كاذب اصدق الصادقين وفي اعجر فاجر اتقى الاتقياء مثلما وجدوا في السيف . لقد كان السيف هو العقول والاذان والعيون التي رأى بها الناس والتي بها سمعوا وصدقوا كل فنون ومستويات الجمال والصدق والذكاء والتهديب والاعجاز التي وجدوها في اربابهم وانبيائهم وزعمائهم وفي سائر من علموهم المذاهب والاديان والتعاليم .

« . . من هذا النبي او الزعيم او الكاتب او المعلم الذي يجيء ليعلم قوما او ليعلم قومه كيف ينتصرون او يتفوقون على قوم اخرين ؟ ما اخلاقه وما ديته وما شهامته وما ذكاؤه ؟ هل يوجد في بذاءات البشر او في ذنوبهم مثل ان يوجد فيهم من يذهبون يعلمونهم كيف ينتصر او يتفوق بعضهم على بعض ؟ كيف استطاع البشر ان يتقبلوا زعماءهم ومعلميهم وكتابهم وقادتهم؟ ان هؤلاء هم الذين يعلمونهم كيف ينتصر ويتفوق بعضهم على بعض وهم الذين يمتدحون لهم هذه الوقاحة وهذا العنوان البذيء ؟ ان السيف هو الواضح لصفات الاله المفسر لها . انه المدرس للاله صفاته واخلاقه . . » .

* *

ان شر ما في الحكم المكسوب بالسيف انه يبدو وكأنه لا خيار فيه ، فاما ان يبقى بالسيف او يزول بالسيف . وكم ذا يعني او ماذا يعني بقاؤه بالسيف وزواله بالسيف واكتسابه بالسيف ؟ ما الثمن ، وما الوسائل ، وما الاسلوب وما التفسير ؟ ماذا يعرف الانسان عما دفعه وفعله لكسب الحكم بالسيف او لبقائه اي لبقاء الحكم بالسيف ، او لازالته بالسيف ؟ ولو عرف ما دفعه وفعله ثمنا لذلك فماذا يمكن ان يصنع ؟ هل يقاوم ؟

أن السيف لا يستطيع ان يتخلى عن منطقه بالمنطق ، بأي منطق غير منطقه ، انه لا يستطيع ان يفهم او يحترم او يطيع او يخاف سوى نفسه ، انه لا يستطيع ان يكون مهذبا او ذكيا ، وانه لا شيء غير نفسه يستطيع ان يضمه او يعلمه او يهزمه او يحطمه ، انه لا يستطيع ان يفهم او يتواضع او يتأدب الا بالعجز ، وانه لا يستطيع ان يحيا او يتعامل الا بالخوف والتخويف ، اي بان يكون خائفا وبان يكون مخيفا ، ان السيف حاكما لا لا يستطيع ان يكون غير ذلك او افضل من ذلك سواء أوصل الى الحكم بالاكتساب والسرقة ام بالوريث ، وانه كما يكون موصلا الى الحكم بالسرقة يكون موصلا اليه بالتوريث .

ان الواصل الى الحكم بالسيف لن يستطيع ان يظل انسانا يتعامل مع الاشياء ومع الاحداث والمواقف ومع الاخرين بأسلوب الانسان او بمنطقه او بمشاعره او باخلاقه او بذكائه ، أن الخوف والتخويف هما كل اسلوبه ومنطقه وحساباته في تعامله مع اي شيء وفي فهمه لاي شيء ، ان كل اساليبه وحساباته ومنطقه ونظامه ووسائله لن تكون الا خاضعة للخوف والتخويف ، ومجرد مقومة بهما .

هل يستطيع من يصنع الخوف ان يكون بلا خوف او أقل خوفا ممن يوقع بهم الخوف ؟ هل يمكن ان يصنع الخوف من لا يخاف ؟

انه اي الصاعد الى الحكم بالسيف ليس الا كائنا يحيا فوق السيف ويمشي وينام ويجلس ويتعامل فوقه ويرى ويفسر ويفكر ويحاسم ويخاطب ويخطب ويواجه التاريخ والمستقبل والاحداث والناس به .

وهل يمكن ان يظل مثل هذا الكائن انسانا ؟ او هل يمكن ان يوجد نشوه في الحياة أو في الاشياء او في الناس ، او شبيه للحياة او للاشياء او للناس مثل هذا ؟ هل يوجد خصم لنفسه وخصم للاشياء مثل هذا الكائن ؟

اذن هل يمكن ان يوجد من يشوه نفسه ويخاصمها ومن يشوه الاشياء والناس ويخاصمها ويخاصمهم مثل القافز الى الحكم ومثل الجالس على الحكم بالسيف ؟

* *

... ان اسلوب الوصول الى الحكم بحد السيف او بضربة السيف او برفعه او بامتشاقه اسلوب لا بد ان يتحول الى منطق لا مثيل له في النذالة والجنون والوقاحة والتدمير . ان وراثة الحكم بالسيف ليست بريئة من نذالة ووقاحة وذنوب الوصول الى الحكم بالسيف . ان توريث السيف ووراثته مثل سرقته . انه لا بد ان يتحول الى سباق مفتوح بين جميع من يستطيعون حمل السيف او ان يتعلموا حمله ، بل بين كل من يظنون انهم يستطيعون حمله او تعلم حمله .

ان معنى ذلك ان يتحول التدبير للجنون المدمر وممارسته سباقا مفتوحا يدخله كل من يريده او يستطيعه ، او يظن انه يستطيعه ، بل ومن لا يستطيعه ولا يظن انه يستطيعه لكي يموت فيه . ان الموت في ممارسة مثل هذا الجنون قد يكون موتا مثيرا في اقرانه وفي مواجهته . قد يكون الموت في ممارسة الجنون هو افضل واذكى واقوى اساليب الموت ، بل قد يكون اكثرها واقدرها على نفي رهبة الموت .

ان جميع المتوترين والحاقدين والفاشلين والاغبياء والحمقى والمحتلمين والباكين والطامحين والباحثين عن الاثارة والمتلذذين بصناعة الالام وبرؤية المتالمين والباكين والمهزومين ، وكذا جميع الهاربين من الخمول ومن الاضاع ومن التاريخ ومن المولد ومن النفس ومن المشاعر ومن الاستقرار ومن التجارب المهينة المذلة .

ـ نعم ، ان جميع هؤلاء حينئذ لا بد ان يتحولوا الى باحثين عن السيف وعن كل قطعة حديد ليجعلوا منها سيفا . ان ذلك هو الذي لا بد ان يحدث وان يكون المنطق والامل في المجتمعات التي تحكم بسرقة السيف او بتوريثه ووراثته .

ـ انه حينئذ لن يكون هناك مجتمعات او قوانين او مذاهب او اديان او اخلاق على اي مستوى ، بل نفوس وغزاة وقتلة ومجانين ووحوش .

ـ انه ليس هناك حينئذ الا حاملون السلاح او باحثون عن السلاح ، ومسوقون محكومون بالسلاح ، منتصرون ومنهزمون ، ضاربون ومضروبون خائفون ومخيفون ، ومخيفون خائفون ، اقوياء وضعفاء ، واصلون ومتربصون ، قاتلون ومقتولون ، قاتلون ومنتظرون للقتل ، قاتلون قبل

يصيحون قتلى ، وقتلى كان ممكنا ومستطاعا ان يكونوا قاتلين . اواه .. أليس هذا الجنون هو الذي تعيشه اكثر المجتمعات وهو الذي عاشه كل التاريخ او اكثر التاريخ ؟

انه حينئذ لا يوجد بشر لهم منطق او تقاليد او حضارة او كرامة او تاريخ او تعاليم او تعاقد من اي نوع ، وانما يوجد شيء واحد ، انما يوجد سلاح يتقاتل ويتآمر ويدبر بعضه ضدبعض ، ويتربص بعضه ببعض ، في أيدي سفاحين ومجانين ومتآمرين وقاطعي طرق .

وهل يمكن أن يكون سارقو السيف او وارثوه أفضل في تفاسيرهم او في نياتهم او في سلوكهم من السفاحين واللصوص وقطاع الطريق ؟

انه لو جاز لك ان تقفز الى الحكم بالغزو فاما ان يجوز لك ذلك وحدك دون كل العالمين ، او انه يجوز لكل من استطاعه كما استطعته تحت الدعوى التي ادعيتها ، أو الشعار الذي رفعته ، أو المذهب أو الاعتقاد الذي زعمت الايمان بعه .

وهل يمكن ان يوجد من يقول باحد الافتراضين ؟

أن الافتراض الثاني يساوي الزعم بان كل من قال انا نبي او انا اعظم عبقري فهو كذلك ، او الزعم بان كل من حمل أي سلاح قاتل ودمر فان له أن يقتل ويدمر بكل استطاعته تحت السيف الذي يدعيه . انه يساوي الزعم بانه يجوز لك ، بل يجب عليك باسلوب فردي ان تقتل وتجرح وتضرب وتشتم وتعاقب وتطارد وتهين وتصادر وتسرق وتخرب كلما استطعت ذلك وكل ما تستطيع من ذلك ، تحت اية دعوى تدعيها ، او منطق تراه ، او تفسير تفسر به عملك ، او بلا أية دعوى أو منطق او تفسير فسير قدرتك على ذلك وارادتك له . كيف يجوز لك ان تسرق الحكم او ان ترقه بالسيف لانك استطعت ذلك ولا يجوز لك ان تسرق وتقتل من استطعت قتله وسرقته كلما استطعت ذلك ؟ ان الافتراض ليس له أية دعوى او منطق او تفسير سوى القدرة عليه والارادة له . ان الانسان يشتهي لانه يشتهي لا لان له دعوى او تفسيرا او منطقا ، ولا لان له مذهبا او دينا . وان له مذهبا ودينا لانه يشتهي لا لانه يجب ان يكون له مذهب او دين .

هل يمكن أن يكون قتلك لاي انسان ، او سبك او ضربك او سرقتك له ، او قطعك لاحدى يديه او لاحدى رجليه تحت اي سبب تزعمه او تعتقده — نعم ، هل يمكن ان يكون عملك هذا او عملته اضعف منطقا او تفسيرا او تسويغا اخلاقيا او قانونيا من قفزك الى الحكم فوق السيف تحت احدى الدعاوى او الاسباب التي تزعمها او تعتقدها او تعللها ؟ او هل يمكن أن يعد كونك قاتلا او سارقا بالوراثة اقل أخلاقية أو شرعية او منطقية من كونك حاكما بالسيف الموروث او وارثا للحكم المصنوع بالسيف؟

وقد تزعم او تظن ان كل من كان في مثل اخلاصك وصدقك وغيرتك وذكائك فان له ان يقفز الى الحكم بالسيف . ولكن هذا يساوي الزعم بان كل من نظر في المرآة فاعجب بما رأى فان له أن يقتل السلطان او ان يفرق النهر او ان يتزوج الشمس . وهل القفز الى الحكم بالغزو اسلوب من اساليب العشق للذات ؟ أي هل من يفعل ذلك يرى أنه قد اختير واعد ليكون سيفا نبيا ، اي ليكون مداويا للحياة وللناس بالسيف ؟

انه لا يمكن الزعم بان الوصول الى الحكم بالغزو جائز بلا أية شروط . ان ذلك اذن مشروط بشروط حتى في منطق وتصور القافزين الى الحكم بالغزو .

ولكن ما هذه الشروط فيما يزعم القافزون على العروش بالسيف ؟ انها شروط لا تسلوي اكثر من التحدث عنها ومن القفز باسمها . انها شروط لا يمكن ان تكون معروفة او معترفا بها او معلوما وجودها واجتماعها فيمن تشترط فيهم . انها شروط ذاتية يمكن ان يدعي اكثر الناس وجودها وتجمعها فيهم ، كما قد يعجز كل انسان من ادعائها او عن ان يكون مصدقا في ادعائها .

أن القضية اذن هي أن تفعل بالغزو كل ما تريد وتستطيع دون اية شروط سوى ان تتحدث عن اية دعوى او عن اي سبب او عن اي شيء . ان ما تتحدث عنه ليس هو السبب بل هو التسويغ .

انك لا تغزو فقط بل تغزو ثم تقول وتدعي ما تشاء . انك لست قاتلا او سارقا او معتديا فقط ، بل ومدافع عن ذلك ، مشرع له ، مفاخر به . انك اكثر من قاتل وسارق ومعتد حينما تصبح مداويا بالسيف او حينما

تصبح سيفا نبيا . ان السيف النبي اكثر علوا وا وقاحة واكثر ذنبا من السيف اللص او السيف القاتل او السيف القاطع للطريق .

انك تقتل وتسرق وتعتدي وتخرب ثم تذهب تزعم كيف يجب ان نفعل ذلك ، وكيف كنت فاديا وبطلا حينما فعلته ؛ وكيف يجب ان يكون مقتولا ومسروقا ومخربا ومعتدى عليه كل من فعلت به ذلك .

انه لو جاز لاي نبي او لاي قديس ان يصعد الى الحكم بالغزو لجاز ذلك بنفس المنطق والمستوى لاي لص ولاي قاتل ولاي قاطع طريق ، تحت نفس الادعاء او المنطق او النية .

انه اذا استطاع النبي او القديس ان يفسر ويسوغ قفزه الى الحكم بالسيف واستطاع دفاعه عن ذلك بأي منطق او بأية دعوى فان جميع القتلة واللصوص وقطاع الطرق يستطيعون ان يفعلوا ذلك ، اي ان يقفزوا على الحكم بالسيف بنفس الحجة وبنفس القدرة على الاقناع . ولا يوجد منطق او نموذج او قياس او قانون يستطاع بالحس والحدس ان يفهم به الفرق بين هذا وهذا .

انه لا توجد علامات سماوية تعلن عن الفرق بين النبي واللص ، اي بين النبي القافز على الحكم بالسيف وبين اللص القافز نفس القفز تحت نفس الدعوى . ولهذا فان اي قافز على الحكم بالغزو لا بد ان يكون فيما منطق الاشياء او في منطق العقل خارجا على القانون ، وقاتلا ولصا ومخربا ومعتديا وعدوا للمجتمع حتى ولو كان اعظم الانبياء او اعظم القديسين ، بل حتى ولو وهب الانبياء والقديسين جميعا نبواتهم وقداساتهم ؛ او وهب السماء شمولها واقمارها ، ووهب الارض حقولها وانهارها ، او وهب الانسان كل آثامه واوهامه وشهواته واكاذيبه وعباداته السعيدة .

ان القافز على الحكم بالغزو مجرم يجب عقابه ورفضه مهما كمان مظاؤه او كان شخصه او شخصيته او نيته او منطقه او مواجهاته واحتجاجاته ، لانه يكل التفاسير والمعاني والقيم التعليمية والتعليمية خروج على المجتمع ، وافساد او اسقاط لكل نظام او اخلاق او التزام او امان او ضمان او ثقة في المجتمع .

انه اي القافز بالسيف على الحكم يتحول الى تشريع وتحريض على

وجود اللصوص والقتلة وقطاع الطرق والغزاة ، وعلى تكاثرهم وتعاظمهم ، انه يتحول الى تشريع لعملهم وتدريب عليه وتمجيد له .

انه دعوة ملحة للصوص والقتلة والغزاة وقطاع الطـــرق ليجيئـوا ويتعلموا ويتكاثروا ويزدادوا جراة ووقاحة ومجدا وسلطانا .

انه لهذا لا بد أن يكون خارجا على جميع المذاهب والاديان والنمـــاذج الاخلاقية والفكرية حتى ولو كان اي الفائز على الحكم بالغزو هو اعظـــم الانبياء او اعظم القديسين . لما وارث الحكم الفوز عليه بالسيف والمحمي بالسيف ، او الوارث للسيف المفوز به على الحكم والمحمي به الحكم ، او الوارث للحكم من الفائز على الحكم بالسيف والمحمي بالسيف ، فهذا قد يكون اقل ضجيجا وتهديدا ولكنه لن يكون افضل ، واتقى ، كما انه لن يكون اقل اهانة لكرامة الانسان وكبريائه .

* *

ان من اوضح واقبح اخلاق السيف انه لا يستطيع ولا يريد ان يقـول لنا ان حامله لص او قاتل او مخرب او تافه او بليد او كاذب حينما يكـون كل ذلك . بل انه حينئذ لا يستطيع ولا ينوي أن يتوقر او يتادب او يتجمل فيصاب بالصمت او يختار الصمت .

انه حينئذ لا بد أن يتحول الى ضجيج ، معتنا بكل اللغات والاصوات والاساليب بأن حامله ليس الا بطلا او نبيا ، بل بطلا نبيا ، بل ليس الا اعظم مفكر وفيلسوف وعبقري .

ان السيف هو افجر واوضح واقوى المفكريـن والفلاسفـة والانبيـاء والمعلمين والقديسين والخطباء ، وأقدرهم على الاقناع في كل التاريخ . انه النبي الذي لا مثيل لمعجزاته في القدرة على الاقناع .

ان الســيف هو اقوى واكثر الانبياء معجزات . ان نبوته لا مثيل لهـا في كثرة وقوة وصدق معجزاتها وفي قدرتها على ان تكون مرئية ومعلومـة ومرهوبة ومصدقة .

انها النبوة التي يؤمن بها ويرى معجزاتها كل من لا يؤمنون بالنبوات

وكل من لا تستطيع عيونهم ان ترى المعجزات .

ان سكان الارض لم يتحولوا الى موكب يليد ذليل كئيب وراء اي نبي ليهتفوا له ، وليصدقوه ، وليشهدوا لنبوته ، وليصنعوا له الانتصارات والمعجزات ، مثلما فعلوا وراء السيف .

ان السيف هو اقوى واشهر معجزات الانبياء ، كما ان معجزاته هي اقوى واذكى واعظم مجدا وقدرة على الاقناع من معجزات جميع الانبياء . انه اوضح الانبياء والمعلمين وصناع المذاهب والتعاليم ، ولكنه اصدقهم واقواهم منطقا واكثرهم اقناعا . انه الكذاب الذي لا يوجد اصدق منه ، والفاجر الذي لا مثيل له في نقاء الذمة او المذهبية او الاخلاقية او النفسية .

ان البشر لم يؤمنوا بصدق وبتقوى فاجر كذاب مثلما آمنوا بصدق السيف وبتقواه .

ان السيف هو اقبح نبي صنعه البشر ليفضحوا بانفسهم ، ليفضحوا به جميع مستوياتهم الانسانية ، وليدللوا به على انهم ما كون جميع مستويات الهبوط في الذكاء ، وفي الرجولة ، وفي الشجاعة ، وفي الوقار والكبرياء والعظمة ، وفي النبل النفسي والاخلاقي . انه اقسى واقوى شاعر عالمي لهجاء الانسان .

ان البشر لم يخترعوا السيف ويصنعوه ليظل سيفا فقط بل ليصبح سيفا ونبيا . وهل يستطيع السيف ان يظل سيفا فقط ؟

لقد كان اختراع السيف النبي او السيف فقط اسلوبا فظيعا من اساليب الهجاء والتحقير للانسان . لعل الانسان لم يستطع ان يهجو ويحقر عقله واخلاقه مثلما فعل ذلك حينما اخترع السيف وتعلم وضعه في يده ، وحينما حوله الى معلم ومقنع بالاديان والمذاهب ، وبالالهة والانبياء ، وبالمعلمين ، وبالزعماء والقادة ، وبالتحدث عن بطولاتهم ومزاياهم .

لقد كان السيف هو العقول والاذان والعيون التي راى بها الناس وسمعوا واقتنعوا بمعجزات وجمال وصدق وذكاء الالهة والانبياء والزعماء

وسائر المعلمين للمذاهب والاديان .

ان السيف هو افجر واكبر واقوى كذاب حاهل صاغ للانسان آلهته وانبياءه وزعماءه وقادته ومعلميه ، وصاغ له اديانه ومذاهبه وتعاليمه ، ووهبه القدرة على رؤية مراياهم ومزاياها وعلى الاقتناع بهم وبها .

ان الالهة لم تصدق نفسها ولو تر جمل وجودها بكل هذه الروعة والاقتناع والاعجاب لولا السيف .

انه لم يكذب احد في التاريخ مثلما كذب السيف ، وانه ايضا لم يصدق اي كذاب في التاريخ مثلما صدق السيف !

ان السيف هو اكذب كذاب واصدق صادق ، لقد عومل كذبه بكل مستويات الحفاوة والتصديق .

ان السيف لم يكن في اي وقت ولا يمكن أن يكون ضرورة او حاجة او وظيفة او قيمة في حياة الانسان ؛ ولكنه اي السيف هو الذي يجعل نفسه كذلك او يبدو كذلك . ان السيف لن يكون له معنى في يدك الا لانه موجود في يد اخرى . انه في يدك وفي اليد الاخرى لن تكون له اية وظيفة أو قيمة من اي نوع في الحياة ؛ ولن يكون منطقا أو احتياجا في اي شيء أو لاي شيء . انه لم يوضع في يدك وفي اليد الاخرى بمنطق أو تدبير او احتياج من الحياة .

انه داء دائما ، انه لا يكون دواء لاي شيء .

ان السيف هو النبي الذي لن تكون له اية رسالة مهما كانت معجزاته. ان جميع الانبياء في كل التاريخ لا يملكون المعجزات التي يملكها اصغر سيف يحكم به اصغر دجال يفقد كل مستويات الشجاعة .

* *

ان كثيرا من انتصاراتنا اللامعة والمدوية والباهظة الثمن لا يعني اية قيمة موجودة او مرجوة . أن الانتصارات على الآخرين او على الاعداء

والخصوم ليست الا عملا من اعمال الهزيمة . انها ليست الا استيبا باهظا وشريرا وبليدا من اساليب البحث عن الهزيمة أو الخلق لاسبابها . انها ليست علاجا لاى شيء ولا مجدا لاي كائن .

ان هذه الانتصارات ليست الا بكاء وعذابا وضياعا وهزائم قد جاءت باسلوب آخر ، او قرئت بلغة اخرى . ان الاحساس باليأس وبالورطة وبالعجز هو الذي يدفعنا اليها او يدفعها الينا . انها لتبتكر لنا الاعداء وتجد في تحويلهم الى اعداء اقوياء . وانها لتحول انفسنا الى حرائق رهيبة تتلظى بالمخاوف والتوقعات وبكل الانفعالات الشريرة الباطشة .

ان انتصاراتنا على الاخرين ليست الا عذابا لتفكيرنا ولاخلاقنا ولميولنا ولجمالنا ولسرورنا ولقدرتنا على الحب ولحاجتنا الى الامن والاطمئنان.

وهل يمكن ان يعاقب البشر انفسهم باقسى او اردأ من معاقبتهم لانفسهم بانتصارهم على الاخرين ؟

ان انتصاراتنا على الناس عقاب لايمانها واحلامنا ؛ انها تشويه لهم ولها . حتى انتصاراتنا على الاعداء والخصوم والمنافسين ، انها لكذلك .

ان كل انتصار على البشر ، حتى على الاعداء والخصوم لا بد ان يحمل في احشاء كبريائه جنين هزيمة ، هزيمة مختومة او متوقعة . ان جميع المنتصرين على الناس لا بد ان تعيش فيهم احتمالات الهزيمة . انهم لا بد ان يواجهوا الهزيمة او لا بد ان يظلوا يستحقونها . ان استحقاق الهزيمة هو ممارسة للهزيمة بالمنطق والخيال والتوقع والتفكير والقانون . وهذا قد يكون اقسى اساليب المواجهة للهزيمة .

ان اي انتصار ليس الا هزيمة واستحقاق هزيمة . انه هزيمة للانسان الذي انهزم ، واستحقاق هزيمة للانسان الذي انتصر . اذن فان كل انتصار لا بد ان يتحول الى هزيمة واقعة ، والى هزيمة مستحقة . وكلتا الهزيمتين واقعتان بالانسان . ان الانسان لا ينتصر الا اذا انهزم او الا لانه قد انهزم.

اذن فكلما انتصر الانسان اي انتصار فالمعنى المحتوم لذلك انه قد اصيب بهزيمة واستحق هزيمة .

ان الذين ينتصرون انتصارا لا يتحول الى هزيمة واقعة والى هزيمة اخرى متوقعة او مستحقة هم الذين لا يقفون موقف الخصام المحتاج الى الانتصار او الباحث عن الانتصار ، واذا وقفوا موقف الخصومة او وضعوا في موقف الخصومة عالجوا هذه الخصومة او تصرفوا في مواجهتها مثل قضاة واطباء نفسانيين وفكريين وانسانيين ، ومثل اصدقاء ومتعاونين ومنقذين ، لا كاعداء وخصوم وباحثين عن الاذلال والقهر والتفوق العدواني ، لا كوحوش ولا كابطال يريدون الانتصار على الناس وعلى الاعداء والخصوم ، ويريدون ان يصنعوا هذا الانتصار باعلان ومباهاة وضجيج وبادلال لا كرامة ولا رحمة ولا بطولة ولا نهذيب فيه . لانه لا يسعدهم ولا يرضي نزقهم ان يخرجوا من اية خصومة خروجا لا جراح فيه ، اي خروجا لا نصر ولا هزيمة فيه .

ان الباحثين عن الانتصار لا يبحثون عنه لانهم يريدون فقط ان يكونوا منتصرين - بل ولانهم يريدون ايضا ان يكون الآخرون منهزمين . انه ليس المطلوب الانتصار فقط بل والهزيمة لانسان ما او لقوم ما .

ان انتصارك لا يساوي في نفسك انتصارك بل وهزيمة انسان آخر . فهل يوجد اذن اقبح من انتصارك ؟

ان شهوتك ليست فقط ان تكون قويا وسعيدا بل وان يكون أولئك الاخرون او اي آخرين ضعفاء واشقياء . قد يكون عذاب الاخرين شهوة من شهوات مجدك . قد يكون جوع الاخرين معنى من معاني استمتاعك بطعامك وبشبعك .

انه دائما يوجد قوم لا يستطيعون ان يكفوا عن الاحتلام بالانتصارات الاعلانية الفذة المقرعة ، وعن السعي وراءها . ان هؤلاء هم قدر شرير على الانسانية . انهم الخبث وافدح اعدائها واعداء انفسهم .

ان انتصارات هؤلاء القوم تتحول الى جراح لا تعالج الا بجراح اشد منها . انها تتحول الى داء لا يستطب منه الا بالقتل .

ان انتصارات السيف هي الفئة التي لا تداوى الا بالسموت والهزائم وبالاحزان والآلام . ان انتصارات السيف هي التعبير البذيء المهين عن

هزائم الانسان .

هل في جميع وفاحات البشر وفاحة تساوي وفاحة من يذهبون يتحدثون عن انتصاراتهم على الاخرين ويحتفلون بها ، ويحولون الاحتفال بها الى اعياد موسمية ووطنية وقومية ، والى مهرجانات خطابية ودعائية ، تدق فيها وفيها كل الطبول ، اعلانا عن هزيمة وهمر قوم او انسان او شعب او مذهب او قائد او دين بل او اله ؟

ان هؤلاء لا يحتفلون او يفرحون بانتصارهم بل وبهزيمة اقوام آخرين وبهزيمة اديانهم او مذاهبهم او اوطانهم .

اذن هل يعرف المحتفلون بانتصاراتهم ماذا تعني احتفالاتهم ؟ هل كل البشر اطفال وحمقى ووحوش ؟ ولكن كلا .

هل الوحش يريد الانتصار او يتفذى به او يبحث عنه ؟

هل الوحش يسعد بالانتصار سعادة دينية او مذهبية او خلافية او وطنية او قومية او عرقية او نفسية او فكرية كما يسعد الانسان هذه السعادة ؟

اذن هل الانسان وحش ، او هل الوحش انسان ؟

هل توجد وحشية بل او نذالة او بلادة او وقاحة تساوي فرح الانسان بانتصار آلهه او نبيه ؟

انه يعتقد ان الهه او نبيه يفرح بانتصاره على الانبياء او على الآلهة الاخرين . اذن هل توجد وحشية او بلادة او نذالة او وقاحة مثل وحشية الانسان او مثل بلادته او نذالته او وقاحته ؟

ان الوحش يفترس بلا رحمة او تقوى . ولكن الافتراس ليس بحثا عن الانتصار ولا ارادة للانتصار . ان الافتراس اذن افضل جدا او اقل نذالة جدا او اقل وحشية جدا من ارادة الانتصار ومن البحث عنه .

ان الوحش لا يفترس ليصنع الهزيمة والهوان للاخرين مثلما يصنع الانسان ومثلما يريد وينوي ويشتهي .

ان ارادة الانتصار والبحث عنه والتغذي به ، بل والمباهاة به مستوى انساني فقط ، بل ومستوى آلهة أيضا . ان الالهة والبشر هم وحدهم الذين يريدون الانتصار على الآخرين ، ويبحثون عنه ، ويتغذون ويسعدون به . انهم اي الالهة والبشر لا يريدون الانتصار فقط لانفسهم بل والهزيمة الخصوم والمنافسين والاخرين . انهم يتغذون بالانتصارات وبالهزائم . ان الانتصار ليس انتصارا فقط في حسابهم بل وهزيمة .

ان هزائم الاخرين هي التي تهب انتصاراتهم قيمها ونفاسيرها المعنوية والدينية والنفسية والفكرية .

ان ارادة الانتصار في حسابات الآلهة والبشر لا تساوي فقط النتيجة التي يعطيها الانتصار . ان الالهة والبشر يريدون الانتصارات دون ان يحسبوها بنتائجها او دون ان تكون مساوية لنتائجها او مرتبطة بها ، بل ودون ان تكون لها نتائج من اي نوع سوى ارادتها ، بل وحين يكون توقع النتائج مفسدا .

ان الانتصار مطلوب ومراد بلا ثمن او تفسير او منطق خارجي . انه هو ثمن نفسه ، وهو منطقها وتفسيرها . انه في حساب الالهة والبشر لا يساوي ما يهب بل يساوي الشعور به ، ويساوي ما يعني من هزيمة واذلال للاخرين او للخصوم والمنافسين والاعداء . ان اذلال الخصوم والمنافسين دون انتصار لافضل في حساب الالهة والبشر من الانتصار لو جاء بدون اذلال لهؤلاء الخصوم والمنافسين .

ان الالهة والبشر لا يطلبون الانتصارات أو يسعدون بها لانها تفوق ذاتي ، ولا لانها تمجيد للتقوى او للحق او للعدل أو للجمال او للعبقرية والذكاء ، بل لانها تحقير وقهر لكائنات اخرى . ان التحقير والقهر هما أعظم ما تتغذى به شهوات الآلهة وشهوات البشر . انهم لن يجدوا مذاقا لكلمة « انتصرنا » لولا المذاق الذي يجدونه في كلمة « قهرنا وحقرنا » .

اذن هل الالهة والبشر وحوش ؟ هل الوحوش تسعد باذلال الاخرين وتحقيرهم مهما سعدت بافتراسهم او جاعت الى لحومهم؟ هل هي تريد ذلك

او لبحث عنه او نفعله ؟ هل هي تجد فيه اي مجد مذهبي او ديني او اخلاقي او وطني او قومي ؟

ان الوحوش تفترس فقط دون ان تشعر بالسعادة او المجد او بالكبرياء لانها قد استطاعت ان تذل وتحقر وتقهر شيئا او احدا ، ودون ان تقيم المهرجانات الموسمية احتفالا باذلالها وتحقيرها وقهرها لكائنات اخرى، ودون ان تصنع الاشعار وتنشدها ثناء على نفسها وعلى اربابها وانيابها وزعمائها ومذاهبها ، ودون ان تجد في ذلك اي مجد من اي نوع كما تجد الالهة والبشر في افراسهم .

ان الالهة والبشر لو انتصروا على الاعداء والخصوم والمنافسين ثم لم يقتنعوا بان الهوان والتحقير قد اصابا اولئك الخصوم والمنافسين والاعداء لما وجدوا لانتصارهم النشوة ولا القيمة ولا الجزاء المطلوب والمتوقع .

اليس الانسان اذن يبالغ في الثناء على نفسه وفي الدفاع عنها وفي محاباتها حينما يصفها بالوحشية ؟ او لعله بذلك يضعف نفسه ويسلبها صفاتها وخصائصها التي لا يملكها سواه حتى ولا الوحش . لعل الانسان يتواضع كثيرا ويصغر كثيرا حينما يصف نفسه بالوحشية او بانه وحش لانه هو اكثر من ذلك جدا . انه اكثر من وحش وان وحشيته اقوى واشمل واقسى من جميع الوحشيات . ان الانسان ليس وحشا بجوعه فقط كالوحوش التي في الغابة بل هو وحش ايضا باخلاقه واديانه ومذاهبه وافكاره وطموحه وغرائزه .

هل يمكن ان يشفى الانسان من هذه الوقاحة البديلة ، اي من ارادة الانتصار على الاخرين ، او على الاعداء والخصوم والمنافسين ، ومن مشاعر الابتهاج والسعادة بهذه الوقاحة،ومن ارادة الاذلال والقهر والتحقير لهؤلاء؟

هل يمكن ان يشفى من العمل لهذه الوقاحة ومن المباهاة النفسية او المدينية او المذهبية او الاخلاقية او الوطنية او العرقية بها ؟

هل من الافضل للانسان ان يشفى من هذه الوقاحة ؟

هل تسعد الحياة او الانسان لو شفيت او شفي من الوقاحات ؟

وهل يمكن ان يتقبل الالهة او الانبياء او الزعماء ان يكون البشر لهم رعايا واتباعا لو كانوا اي البشر غير مرضى بالوفاحات ؟ هل يعجبون حينئذ بهم او يرضون عنهم او يباهون بكونهم رعايا واتباعا لهم ؟

وهل يكون البشر رعايا او اتباعا او عبيدا جيدين لو كانوا مهذبين ؟

هل التهذيب معنى جيد في الاشياء او في الحياة او في البشر ؟

هل الحياة محتاجة الى التهذيب أكثر من احتياجها الى الوفاحات ؟ وكيف تعرف احتياجها ؟

* *

ان اهواء الناس ومشاعرهم حتى الاقوياء منهم متحارة دائما او في الافتراض الدائم الى الضعفاء والمقهورين ، اكثر واصدق من انحيازها الى الاقوياء الظاهرين المزهوين بقوتهم وانتصاراتهم .

ان الضعيف المعذب يشعر الناس بتفوقهم وقوتهم وبانه محتاج الى رحمتهم ورعايتهم وحمايتهم دون ان يخيفهم او يحرك غيرتهم أو منافساتهم . اما القوي فانه ينازعهم القوة والتفوق ، وقد ينتزعهما . انه منافس للاقوياء وملل للضعفاء . انه اذن لينحدى الاقوياء والضعفاء . انه يشعرهم ويقنعهم بانهم محتاجون الى محاباته والى غفرانه ، والى رحمته او عدله أو كرمه او تواضعه . انهم محتاجون دائما الى الخوف منه والى التفكير فيه ، والى الصلاة والنفاق له باسلوب ما او بعديد من الاساليب . انهم لا يستطيعون الا ان يحاسبوا مشاعرهم وتفكيرهم ومواقفهم ولغاتهم ازاءه . انه موجود دائما بقوة وبارعاب داخل وجودهم . ان القوي استعباد لوجود الناس . انه عدوان عليهم . ان وجود انسان أقوى من انسان لهو اعلى مستويات العدوان والظلم .

ان في هذا كل معاني الاذلال وتفاسيره لكل معاني الانسان ولكل تفاسيره .

اذن كيف يمكن الا يحب الناس اصدق واقوى بغضائهم واحقادهم للاقوياء

والمنتصرين على الناس ؟

انه مهما كانت مظاهر او اساليب التقدير او الاحترام او الحب للاقوياء وللمنتصرين على الناس ، على الخصوم والاعداء والمنافسين فان مشاعر الناس واهواءهم ونياتهم تقاومهم وتعاقبهم وتتخطاهم ، وتنحاز كما تغضب وتثار ولو سرا وهمسا ، للضعفاء والمقهورين .

ان تفسير هذا او اسبابه هي مشاعر الاتقان بالذات التي مكان الاخرين ، ورؤيتها اي الذات بالتصور في مثل ظروفهم اي ظروف الاخرين ، وتخيلها معانية ومواجهة ما يعانون ويواجهون .

اننا احيانا او دائما نضع انفسنا او نجدها او نحسها بالشعور والتصور في مواقف الاخرين وداخل مشاعرهم وذواتهم .

اننا لا نستطيع ان نحيا خارج الاخرين كما يستطيع ذلك النمل والبراغيث .

ان الذين يستطيعون ان يحيوا خارج ذوات الاخرين ومشاعرهم ليسوا الا نملا وبراغيث جاءوا باحجام البشر وسيقهم .

ان الانسان كائن منتقل او شامل بالفكرة والمماثلة والاحتمال وبالرؤية المتحركة . انه لا توجد اية حدود عازلة من اي نوع بين ذاتك وذوات الاخرين ، او بين ذاتك وجميع الذوات الاخرى المشابهة او الشبيهة .

ان موت ومرض مثيلك هما حتما موت ومرض لك ما لم تكن تملة او برغوثا .

لهذا فاننا قد نتعذب ؛ بل يجب ان نتعذب حينما نرى او نعلم ممن يتعذبون او يبكون او يحتقرون ويهزمون ، او يظلمون ، او يمرضون ويموتون . كما قد نلعن ونكره ، او كما اننا لا بد ان نلعن ونكره ، او كما يجب ان نلعن ونكره الظالمين والقهارين المذلين . ان هؤلاء بالتصور والاحتمال والمماثلة وبمنطق الانتقال كانهم يظلموننا ويقهروننا ويذلوننا نحن . ان وقوع الاذلال او الظلم في عيني او في علمي معنى من معاني وقوعه في ذاتي .

كيف وقع الظلم والقهر والاذلال على اولئك ولم يقع علينا ؟

ما الفرق ؟ الا يمكن ان يقع علينا بالمنطق او بالقانون او بالعدل الذي وقع به عليهم ؟ الا يمكن ان يقع علينا دون ان يقع عليهم بالاسلوب الذي وقع به عليهم دون ان يقع علينا ؟ لقد اصيب هذا الانسان بهذا المرض، اذن يمكن ان اصاب انا به ؛ بل يمكن أن أصاب به دون من اصيب به .

اننا حينما نشاهد قويا متجبرا يضرب او يدوس ضعيفا نجد اننا باسلوب ما او على مستوى ما نقاوم ما نشاهد . اننا لا بد ان نقاوم ذلك بأحد اساليب المقاومة مهما بدا او مهما حسبنا او حسب الآخرون اننا لا نقاومه، بل مهما بدا أو حسبه او حسبنا اننا نساعد القوي المتجبر على الضعيف المقهور .

اننا لا بد أن نقاوم ذلك ولو بمنطقنا او باشمئزازنا او بخوفنا أو بوعظنا او بغيرتنا وحسدنا ؛ بل او بتوريطنا المدمر لذلك القوي المتجبر وبمساعدته على السير اكثر في طريق الهلاك والسقوط . أن مساعدة الجبار على السقوط اسلوب غير مقصود او مدبر لمقاومته . انه قد يكون اقوى اساليب مقاومته .

اننا لا بد ان نقاوم هذه المقاومة حتى لو بدا اننا لا نقاومها ؛ بل حتى ولو لم نقاومها . ان حرس الطاغية الجبار وشعراءه ومستشاريه يقاومونه كما يفعل اعداؤه ولكن باسلوب اخر ؛ باسلوب قد يكون اكثر فتكا به وأسرع الى التعجيل بنهايته مهما كانت نذالة هؤلاء .

لماذا نفعل ذلك ؟ هل لاننا طيبون ؟ قد نظن ان الامر كذلك ، او حتى ان يكون كذلك .

ولكن التفسير لهذا الموقف او لهذا الانحياز او لهذه المقاومه هي ان القوي المتجبر يتحدانا ويخيفنا ويذلنا وينتصر علينا . انه يجعلنا بالاحتمال والقياس والمشابهة ، نحن المهانين المقهورين المظلومين المعتدى عليهم ، اذن لا بد ان نقاومه باسلوب ما من أساليب المقاومة،وان ننتصر لضحاياه المغلوبين الذين يعيشون فينا ونعيش فيهم على نحو ما وبتفسير ما . أن كل انسان واي

انسان يعيش في كل انسان بأسلوب ما وبتفسير ما .

اننا نضرب ونشتم ونحقر حينما يفعل ذلك بغيرنا او بمثيلنا . ان ضارب وشاتم ومحقر وهازم غيرنا او مثيلنا هو فاعل بنا ذلك في التشبيه والمقارنة والتصور والاحتمال .

انه اذا كان موت مثيلك يعني حتما موتك فان ظلم او اهانة مثيلك تعني ظلمك واهانتك ولو بالاحتمال .

ان غيرنا او مثيلنا هو نحن بأسلوب آخر او في ذوات او ظروف اخرى . اننا لسنا انفسنا فقط . بل نحن ايضا الآخرون .

اننا اذن نقاوم دفاعا عن انفسنا حينما نقاوم الاقوياء والطغاة دفاعا عن الضعفاء المقهورين . حتى ولو كنا نحن طغاة اقوياء في مواقف اخرى مشابهة .

ان التداخل الملحوم بين ذات المظلوم المهان الباكي وبين ذات الراني اي بين ذات المتألم وذات المشاهد له هو الذي وهب وسماح كثيرا من الظواهر الاخلاقية والانسانية مع جميع ما يبدو فيها من عواطف بشرية نبيلة وبريئة ، ومن رحمة ورثاء للمحزونين والمظلومين والمتعذبين والباكين .

ما كان اغزر الدموع التي ذرفها البشر ويذرفونها دائما ، وكأنها دموع تذرفها عيون واحزان الملائكة فوق خدود والام الالهة .

كأنها اصدق الدموع والاحزان الانسانية رحمة بالمعذبين وحنانا على الآخرين ، بينما هي دموع واحزان ذاتية ، تذرف وتقاسي خوفا على النفس أن يصيبها ما اصاب اولئك الاخرين المعذبين .

ما كان اغزر واصدق الدموع والاحزان الانانية التي جاءت وقرئت وقصرت وكأنها اتقى الدموع والاحزان الانسانية .

ما اكثر الانبياء والمعلمين الذين جاءوا ليبكوا آلامهم وهمومهم يعيشون

وقلوب الاخرين . ما اكثر الذين يركبون عيونهم في وجوه الاخرين .

ما اكثر الذين يعلنون عن احزانهم وجراحهم بالاعلان عن احزان وجراح من قد يدخلون الجحيم . ما اكثر الذين بكوا وتروعوا وتعذبوا استقظاما لجحيم الاخرين لانهم يخشون ان يكون ايضا جحيمهم ، او لانهم تصوروا جحيمهم وتحدثوا عنه باسلوب التحدث عن جحيم الاخرين والتصور له .

ما اكثر الذين راوا الاله حزينا وغاضبا لانهم كانوا محزونين وغاضبين وخائفين . ما اكثر الذين راوا الشيطان لابسا كل ادوات الحرب لقاتلة الانسان لانهم هم كانوا يقاسون الخوف من شيء ما . ما اكثر الذين خافوا على الانسان من الشيطان لان شيطانا ما كان يعيش في داخلهم .

ما اكثر الذين تخلقت في عقائدهم واقتناعاتهم كل صور الجحيم لان حياتهم كانت تعيش كل معاني الجحيم . ما اكثر الذين تحولت الامهم ومخاوفهم وهمومهم الى الهة وانبياء ومذاهب ، والى اخلاق الهة وانبياء ، والى منطق وتعاليم الهة وانبياء ، والى مخاوف وهموم وآلام الهة وانبياء .

ما اكثر الذين سفكوا الدموع والاحزان رثاء لدموع واحزان الالهة وخوفا عليها من شرور واثام الزنادقة والفاسقين لان عيونهم وقلوبهم هم كانت مملوءة بالدموع والاحزان ، او بالخوف من هؤلاء الزنادقة والفاسقين ، او بالغيرة منهم ، او بحسدهم ، او بالمنافسة لهم ، او بالعجز عن مباراتهم ، او بالرهبة منها . ما اكثر الذين تعذبوا لانهم وجدوا من يتعذبون ، ولانهم لم يجدوا فروقا او حدودا طبيعية او انسانية او حدودا من اي نوع بينهم وبين من يتعذبون .

ان الذين تعذبوا خوفا من الموت لم يعلموا انهم لا بد ان يموتوا الا لانهم وجدوا من يموتون .

ولكن الظروف والاحداث والمشاعر المتناقضة والمتحاربة بلا تقوى او شرف قد تضلل هذا التداخل في المشاعر والقوات بين الباكين والمشاهدين، بين القوات والمشاعر المتلقية وبين القوات والمشاعر المتوقعة او المماثلة او التي اخطاتها الضربات التي اصابت مثيلها .

إذاً فقد نفقد احيانا العطف والانتصار للضعيف المغلوب المظلوم ونهب كل عطفنا وهوانا وانتصارنا النفسي والفكري والسلوكي للاقوياء المنتصرين الباغين المتحدين لكل احتمالات الكرامة والشرف والشجاعة والكبرياء فينا بقوتهم وطغيانهم وبانتصاراتهم المهينة لنا ولكل الناس .

اننا قد نريد ان نصبح عضلات في اليد الضاربة المهددة لنا ، انفسنا حينما نفعل ذلك أحيانا كثيرة بتدبير .

اننا قد نشعر او نقدر او نتوقع أحيانا ان احتمالات القوة والانتصار محسوبة او مرصودة او مدخرة للضعفاء الذين يساومون الهوان والتعذيب ، وان هؤلاء الضعفاء المقهورين قد اصبحوا بالاحتمال والتوقع وبالمنطق ايضا هم اقوياء الغد وطغاته ، واصبحوا لذلك مهددين لنا بالخطر المتوقع واننا نحن الذين اصبحنا نعيش احتمالات الضعف والهزيمة ، او اننا قد اصبحنا بالاحتمال والتوقع نحن الضعفاء المهزومين .

ان الخوف بالتوقع او الخطر المتوقع قد يكون في حسابنا أكبر من الخوف الواقع او من الخطر المتوقع .

انه حينئذ قد يختل او لا بد ان يختل هذا التداخل في المشاعر والنيات الذي يصنع كثيرا من تعبيراتنا الاخلاقية والانسانية ؛ والذي يجعلنا

ننتصر بمشاعرنا ونياتنا للباكي ضد الضارب ، انه حينئذ يحدث العكس .
اننا حينئذ نذهب لننتصر وننحاز للقوي الضارب ضد المضروب المغلوب . وشواهد هذا الانحياز او الانتصار للاقوياء الضاربين ضد الضعفاء المضروبين شواهد كثيرة في الحاضر وفي كل التاريخ . حتى لقد اصبح ذلك يشبه القانون في اخلاق الانسان . ولكن هذا قد يكون في المعنى انحيازا ضد الاقوياء المنتصرين والضاربين بالاحتمال والتوقع . ان هذا قد يكون احد التفاسير او كل التفاسير في هذه القضية .

نعم ؛ لقد ظل البشر او اغلبهم في كل التاريخ او في اغلب اخلاق التاريخ ينحازون ضد الانسان الضعيف المعتدى عليه ، انتصارا وتعصبا للالهة القوية الضاربة المعتدية . لقد ظلوا ينحازون ضد انفسهم وهم المقهورون المظلومون الباكون المعتدى عليهم ، دفاعا عن قاهرهم وعن صانع

دموعهم وهزائمهم وهوانهم ، وتمجيدا وتنزيها له . اي دفاعا عن الاله وتمجيدا وتنزيها لاخلاقه ولذكائه ولعبقريته من كل اتهام . وهل يوجد انحياز للاقوياء المنتصرين القهارين المذلين مثل انحياز البشر او المؤمنين منهم الى الالهة ؟ وهل يوجد خروج على المنطق وعلى الاخلاق مثل هذا الانحياز؟

كيف حدث هذا الذي حدث ؟

لقد كان المتوقع ان يتحالف كل البشر ، حتى المتعادون المتقاتلون جدا ضد الاله . انه قاهرهم ومذلهم وخصمهم جميعا . انهم جميعا مظلومون ومغلوبون وباكون ومضروبون ، حتى الظالمون الغالبون الضاربون المبكي منهم . لقد ظلمهم وغلبهم وضربهم وابكاهم جميعا الاله . اذن لقد كان المفروض ان يتجمعوا ضده .

ولكن لقد انحاز جميع المضروبين المغلوبين المظلومين الباكين الى ضاربهم وظالمهم وغالبهم وصانع دموعهم . لقد انحازوا ضد انفسهم تعصبا وانتصارا للقهار الاكبر ، للقهار الذي يتحول جميع القهارين محاسبين بقهره الى اتقى واقدس قديسين . انه المبتكر لكل معاني القهر والمعلم له والمحوج اليه والخالق لاسبابه وتفاسيره .

لقد جاءت هنا اخلاق البشر ومشاعرهم وعقائدهم وافكارهم خارجة على نفسها وعلى كل التوقعات والافتراضات .

وهل يستطيع اي شيء ان يخرج على نفسه مهما جاء خارجا على نفسه ؟

ان ها هنا ضاربا كبرا ، كبرا . ان ها هنا ضاربا لكل الناس ، بل لكل الكائنات ولكل الاشياء . اذن يجب ان يعاوده وان يتهمه وان يرفضه كل شيء بقدر ما هو عدو ان على كل شيء .

ولكن لقد حدث ان تعصب له وان انحاز اليه وان يراه ومجده وصلى له وقاتل دونه ودفاعا عن اسمه وعن شرفه كل شيء .

انه الضارب الكوني العالمي الذي لا مثيل له في جودة حظوظه وفي

اعجاب المضروبين به .

ولكن كيف ؟ وهل قاوم البشر او عصوا او رفضوا شيئا مثلما قاوموا وعصوا ورفضوا الاله ؟

وهل وجد معصي مرفوض مقاوم مثل الاله ؟ هل وجد مهزوم مثله ، مهزومة اوامره وارادته وتعاليمه ؟

انه قد يفترض ان الاقوياء الاذكياء القادرين الصادقين يريدون ويستطيعون بل ويحاولون ان يحسوا المخاطر بكل قوتها وتحمسها ، وان يحدقوا فيها بكل رؤيتهم ، وان يقدروها بكل حساباتها واحتمالاتها ، وان يعترفوا بها من فوق جميع منابرهم بكل اصواتهم . كما انه قد يفترض ان الضعفاء والهاربين والاغبياء ومن لا يستطيعون ان يكونوا صادقين ، قد يجدون او يظنون او يعتقدون ان الاحساس بالمخاطر ، وكذا رؤيتها او التحديق فيها او التحدث عنها او الاعتراف بها ، خيانة للوطن او للدين او للمذهب او للاخلاق او للاله او للزعامة ، وهزيمة او دعوة للهزيمة . ان ذلك لافتراض ، انهما افتراضان . ان قوما قد يعتقدون ان رؤية الخطر الموجود ايجاد له ، وان الاعتراف بوجوده ايجاد ثان له . اما الكف عن رؤيته وعن الاعتراف به فقتل له .

اذن انه لعدو كل من يرى المخاوف او المصاعب او المشاكل او المتاعب او الاخطار ، وكل من يتحدث عنها ، او يعترف بها او يحولها الى حسابات او توقعات ، او الى قضايا تحاور او تفسر او تقرأ بجهر .

وكذلك كل من يرون الدسائس او الوقاحات او الاهانات او المظالم ، وكل من يتحدثون عنها او يعترفون بها .

ان هؤلاء — ولعل كل الناس كذلك ولو احيانا — يريدون ان يؤخذوا ويذلوا ويضربوا ويموتوا ويعانوا ويواجهوا كل ما لا بد منه في الظلام ومباغتة دون ان يروا او يعرفوا او يعترفوا او حتى يتوقعوا .

انهم لا يريدون ان يسمعوا او يروا او حتى يتوقعوا ما يقاسون ويواجهون ويفعلون .

انهم يريدون ان يهزموا ويستسلموا ويتعذبوا دون ان يقال لهم ذلك .

انهم يريدون ان يهولوا دون ان يحدقوا في هوانهم او يعترفوا به او يحدثوا عنه .

اليس ذلك اقل تعذيبا وترويعا وارعابا لهم ، واكثر تلطفا ورفقا بهم ؟

اليس القتل او الموت دون تلاوة الحكم به ودون اسماع الحكم به اقل وحشية واكثر تهذيبا ورحمة وذكاء ؟

اليست المواجهة الفكرية والشعورية معاناة مثل المواجهة الواقعية ؟

ان اكثر الناس او كل الناس يريدون أن يرضوا عن انفسهم وعن ظروفهم واحتمالاتهم وتوقعاتهم . انهم محتاجون الى الاقتناع بصداقة الاشياء لهم لكي يستريحوا اليها . انهم لا يستطيعون ان يشعروا انهم يسكنون فوق زلزال ، او انهم يحيون ويتقبلون اي مستوى من الهزيمة او الحزن او الضعف او الهوان او الاستسلام او التفاهة .

ان كل شيء يجب ان يرى ويسمع ويفسر ويتوقع بغير صورته وبغير صوته وبغير منطقه واحتمالاته واخلاقه . ان كل شيء يجب أن يزور ، ان يفسر تفسيرا رحيما ومريحا وملائما . انهم يجب أن يجاملوا انفسهم بالتفاسير حيث لا يجاملوا بالواقع .

حتى السيف يجب ألا يفسر الا مزورا . يجب الا يفسر الا بانه بوابة ومذاهب وافكار واخلاق ومنطق وحب آلهة وانبياء وزعماء . ان جميع المواجهات غير الملائمة وغير الجميلة وغير الذكية وغير المجيدة او الشجاعة يجب ان تحول الى ملائمة وجميلة وذكية ومجيدة وشجاعة ، وان تفسر بانها كذلك . آن التفاسير قد ابتكرت ردا على الواقع الكريه البليد . انها هي الحلل الجميلة التي تستر وتزين قبح الاشياء وتشوهاتها وبذاءاتها . انها اشهر واقوى محاماة للالهة والانبياء والزعماء .

اليس الاعتراف بالمواجهات والممارسات بكل ما فيها من قبح ورهبة وبشاعة وتفاهة وترويع ، وكذا التحديق فيها والاحساس بها والتحدث

بصدق وذكاء عنها — نعم ، اليس ذلك مستوى من مستويات القوة والتكامل والتحضر النفسي والفكري والاخلاقي ؟

هل يمكن ان يرفع الانسان الى جميع مستوياته الانسانية والابداعيه والاقتحاميه الباسلة لولا احساسه الحاد لشلل الحصى المحدق الشديد الوقع بالمخاوف والاخطار ، وبالبشاعات والدمامات والتفاهات ، وبجميع المواجهات والممارسات الصعبة والتي لا تحرض على المباهاة او الاعجاب او الكبرياء ؟

اجل ، قد يكون هذا الاحساس تعبيرا عن القوة والتكامل ودليلا على وجودهما دون ان يكون خالقا لهما .

٨ـ لعل الفروض او من الصعب احدى الحقائق المتفق عليها ان الذين يعيشون ويواجهون المخاطر والمزالق والدمامات والاكاذيب والمظالم الواقعة او المتوقعة بافكارهم وتصوراتهم وباهتماماتهم واحاسيسهم وبتحديقاتهم وحساباتهم الحادة ، لا بد أن يكونوا اقدر واجرا على فهمها وعلى معالجتها والانتصار عليها .

ان رؤية المخاطر والبشاعات والمزالق وجميع المواجهات والممارسات المذلة او الصعبة او التافهة ، وكذا الاعتراف بها ، لن يجعلاها اكبر او اقوى او اخطر من ذاتها او من قوتها وحقيقتها . وان العجز عن هذه الرؤية وعن هذا الاعتراف ، وكذا الخوف منهما ، لن يجعلاها اصغر او اضعف او اسهل او اكثر تهذيبا او رقيا .

ان الانسان الذي يرى الاخطار ويحسها ويعترف بها لن يكون اعجز عن مقاومتها من الكائنات التي لا ترى الاخطار ولا تحسها ولا تعترف بها ..

ان العدو او المرض الذي لا نراه ولا نعترف به لن يصبح اضعف او ارحم أو اقبل لاننا لا نراه ولا نعترف به ، كما ان رؤيتنا له واعترافنا به لن يصنعاه شيئا اقوى أو اذكى او اكثر وحشية وبطشا .

ان العمى لن يكون واقيا من الوقوع في الحفر او من وجود الحفر

تحت اي مذهب من المذاهب او دين من الاديان .

ولكن من المحتمل ان القدرة والجسارة على رؤية الاشياء المزعجة وعلى الاعتراف والاحساس بها منفصلة عن القدرة والجسارة على المقاومة وعلى الرفض والانتصار . انهما قد تكونان موهبتين منفصلة احداهما عن الاخرى .

اننا قد نكون قادرين جدا وبمبالغة كأنها الداء على رؤية الاخطار والبشاعات والالام وجميع الاشياء الرديئة والذميمة ؛ وعلى الاحساس والاعتراف والتحدث بها بكل جلون التهويل والتضخيم ؛ دون ان نكون قادرين قدرة مساوية او مقاربة على مقاومتها او معالجتها ، او حتى مريدين لهذه المقاومة والمعالجة . كما اننا قد نكون قادرين على مقاومتها ومعالجتها ، وراغبين جدا في ذلك ، ثم لا نكون قادرين على رؤيتها او على الاعتراف والاحساس بها او على التحدث عنها بنفس المستوى .

قد تكون قدراتنا ومواقفنا ليست محكومة او محسوبة بعيوننا او بتوقعاتنا او بمشاعرنا او بافكارنا . قد تكون الحقيقة اننا لا نستطيع او نفعل او نريد بقدر ما نرى او نحب او نرفض ، ولا نرى او نرفض او نحب بقدر ما نفعل او نستطيع او نريد .

قد تكون المواهب غير متكافئة او متلازمة او متحالفة او مؤثرا بعضها في بعض . اليست حاسة البصر منفصلة عن حاسة السمع ؟ اليست الحواس منفصلا بعضها عن بعض ؟

انهم لموجودون دائما اولئك الذين تكون ابصارهم حادة جدا دون ان يملكوا اية قدرة او اية شجاعة او اية موهبة على اي شيء او في اي شيء. انهم لكثيرون جدا اولئك الذين يرون او يسمعون بقوة دون ان يقدروا على فهم شيء او التفكير في شيء او الغضب من شيء او الرفض لشيء او الاشمئزاز من شيء .

ان البصر الحاد او المنطق الحاد او الانفعال الحاد لا يعني الفعل الحاد او القدرة المتحمة او المنتصرة او الحادة . كما ان البصر الكليل او الانفعال الكليل او المنطق او التفكير الكليل لا يعني حتما القدرة الكليلة .

ان كل هذه قد تكون افتراضات صحيحة او مجربة معروفة .

ولعل من المكرر التأكيد بان الانسان كائن يعيش وكانه وحدات مستقلة او ممزقة او منفصل بعضها عن بعض دون تخاطب او تفاهم او توافق او تلاق بل او تعارف . انه ليبدو اى الانسان وكانه كائنات كثيرة متناقضة ومتفاوتة ومختلفة دون ان تكون لها أية قيادة .

هل توجد في ذات اي انسان قيادة واحدة او قيادات متوحدة تقود كل معانيه وقواه واهوائه واحتياجاته وهمومه ، ليبدو انسانا واحدا او شيئا واحدا لا اشياء كثيرة او اناسا كثيرين متباعدين متعادين متناقضين جسدا ؟

ان الانسان قد يناقض ويخالف بعضه بعضا اكثر وافوى مما يناقض او يخالف انسانا اخر . انها قد تكون المسافة الفاصلة بين ذات الانسان وذاته اوسع واعمق من المسافة الفاصلة بين ذات الانسان وذات الانسان الاخر .

ان الانسان ليبدو غريبا بعضه مع بعض وغريبا في نفسه اكثر مما يبدو كذلك مع انسان اخر او في قوم اخرين . انه مهما استطاع او لم يستطع التلاؤم مع كل احد ومع كل شيء فانه لن يستطيع التلاؤم مع نفسه ومع ذاته ومع اعضائه ..

ان الانسان هو اكثر الكائنات رؤية وتوقعا للمخاطر وللالام والهزائم والمظالم والفياحات ، واعترافا بها ، وتحدثا عنها ، واستقباحا لها .

انه هو وحده الذي يملك ويعيش هذا المستوى او هذه الرهبة فوق هذا الكوكب الذى نعيش فوقه .

ولكن لماذا تكون رؤية الاشياء الرديئة والاليمة والمهينة ، ويكون توقعها والتحديق فيها والاعتراف بها والتحديث عنها شيئا طبيا مهما كان مستوى حضاريا او انسانيا او نضاليا او مساعدا على الارتقاء ؟ اليس ذلك اقسى من كل ما يحدث ؟ بل اليس ذلك يكون مع كل ما لا بد ان يحدث ؟

اليس توقع الالم والتحديق فيه والتحدث عنه والاحساس به والانتظار

لجبنه ، القراءة لاسبابه اقسى من جميع صيغه وظلماته ؛ البست كل قسوه الموت هي في توقعه وفي الانتظار له وفي الخوف منه وفي التحدث عنه ؛ هل الموت شيء حقير او اكبر من ذلك ؛ هل الهوان او الحقارة شيء قطيع لولا الاستفظاع له او لها ولولا التحديق فيه او فيها ؟

اذن الست بالاصابة بالعمى وبالصمم وبالصمت هي اعظم هدايا الله الى وادنى وافضل الاساليب في مواجهة وفاجات ودمامات وذنوب الاشياء والناس والحياة ؟

* *

اذا اعترفت بقوة ومزايا خصمك وانت قوي وذو مزايا فلن يقتلك او يذلك اعترافك ، ان اعترافك حينئذ تزكية وقوة لرجولتك . واذا اعترفت بقوته ومزاياه وانت بلا قوة او مزايا حتك اعترافك على البحث عن القوة والمزايا ووهب شجاعتك وصدقك الاحترام . او اصبح نوعا من التعبير عن ضعفك وعن فقدك للمزايا ، او اصبح سببا لتبجح ضعفك وضعف مزاياك او اصبح شيئا من التهذيب او التقوى في ضعفك وضعف مزاياك .

واذا خشيت الاعتراف بقوته ومزاياه وانت قوي وذو مزايا كانت خشيتك قباء دون ان تهبك حماية او تكريما ، ودون ان تهب خصمك ضعفا او تحقيرا . واذا لم تعترف وانت ضعيف وفاقد للمزايا كان ذلك معنى من معاني الانتحار او الفرار من المقاومة او الالتزام بها . وكان ذلك ايضا سخفا ووقاحة وبلادة وتحريضا على الاستهزاء بك . ما اقبح واوضح وجهك حينما تكون بلا اية قوة او مزايا ثم تضج في جحد قوة ومزايا ذوي القوه وذوي المزايا . وفي تحقيرهم ونعتهم دون غيرة منهم .

انك اذا اخطأت في تقدير عدوك قويا وهو ضعيف كان افضل واكثر شهامة وذكاء ، واقل سوءا وبقاءة من ان تخطيء في تقديره ضعيفا وهو قوي . ان تصغير الخصم او العدو عزاء لا مثيل له في التفاهة ، يحاول الانسان ان يجامل به نفسه . انه مجاملة للنفس تتحول الى استهزاء بها وتحريض على التحديق في تفاهتها .

ان عينيك مفتوحتان ومسددتان الى الخارج . ان ذلك يعني انه قد

اريد منهما ولهما ان تريا الاعداء والخصوم وكل الاخرين وكل الاشياء الاخرى اكثر مما اريد منهما ولهما ان تريا أنت .

ان عينيك مصوبتان الى الخارج ، الى الاهداف الخارجية ، لا اليك . ولكنك انت معصي تركيبهما ، ولا تريد منهما ولهما ان تريا شيئا سواك .

لقد افسدت عينيك . ان كل الناس قد افسدوا عيونهم .

لقد غيرت اتجاه عينيك كما غير كل الناس اتجاه عيونهم . لقد حولت عينيك لتكونا مصوبتين بمحاباة وتزوير اليك ، لا الى الخارج بصدق او شهامة . لقد جعلت من عينيك جهازا مشوها . وهكذا فعل كل الناس . لقد جعلت من عينيك اذل واوقح كذابين يعيشان في وجهك . ان وجهك هو اشهر مكان يعيش فيه الزور وشاهدو الزور .

ولكن ما أفظع هذا — ما افظع ان نفترض لك عدوا او خصما من البشر ، تحتاج الى ان تتعلم كيف تتحدث عنه ، وتنظر اليه ، وتفكر فيه ، وتنتصر عليه ، وكيف تتقي انتصاره عليك .

ان هذا الافتراض افتراض همجي . ان المفروض ان يتحطاه الانسان . ولعله محتوم ان يتخطاه .

هل يوجد قبح او بلادة او ذلالة او جنون او عجز او سخف مثل ان يكون انسان لانسان اخر عدوا او خصما او محاربا ؟

هل يوجد في كل الذنوب وفي كل الوقاحات والخسران مثل هذا ؟

ان مخاصمة الانسان للانسان وعداوته له لتتحولان الى اقسى واصدق هجاء لجميع مواهب ومزايا وقدرات البشر . كيف ابتكر الانسان العداوة والمخاصمة والبغضاء للانسان ؟ اي شيطان وهبه عبقرية هذا الابتكار ؟ كيف لم تتدخل وتحمه الارباب ؟

ثم لماذا تنصح انت وتعلم كيف تكون ضد خصمك او عدوك لتتفوق او تنتصر عليه ، ولا ينصح ويعلم خصمك او عدوك هذه النصيحة او هذا

التعليم لكي يتفوق ويتنصر عليك ؟ لماذا يكون طبيعيا ان تنتصر عليه ولا يكون طبيعيا ان ينتصر عليك ؟

لماذا انت تريد هذا دون هذا — أو لماذا تتحدث وتكتب وكأنك تريد هذا دون هذا ؟ ما هذا النبي او الزعيم او الكاتب او المعلم الذي يجيء ليعلم قوما او قومه كيف ينتصرون أو يتفوقون على قوم آخرين ؟ ما اخلاقه او دينه او شهامته او ذكاؤه .

هل يوجد في دماغات البشر أو في ذنوبهم مثل ان يوجد فيهم من يعلمونهم كيف ينتصر او يتفوق بعضهم على بعض ؟ اذن هل يوجد مثل الانبياء والزعماء والقادة قبحا ورداءة لانه لا يوجد مثلهم من يعلمون الناس ويريدون لهم ان ينتصر ويتفوق بعضهم على بعض .

كيف وجد هذا ؟ كيف وجد من يعلمون البشر ضد البشر ؟

كيف هبط البشر الى هذا ؟ وكيف استطاعوا تقبله ؟ كيف تقبلوا انبياءهم وقادتهم ؟

كيف استطاع البشر تقبل معلميهم او زعمائهم او كتابهم ؟ ان هؤلاء هم الذين يعلمون البشر هذا الجنون والعار .

الانسان تعيس، لهذا يصنع الحضارات

« .. ان عبقرية اي انسان ومزاياه لا تساوي اكثر من قدرته على العصيان ومن ارادته وممارسته له ومن اساليبه المختلفة في ممارسته له. ان ابداع اي مجتمع في الف عام لا يساوي اكثر من عصيان هذا المجتمع في نفس هذه المدة . ان اي ابداع او تجاوز ليس الا عصيانا ما . ان عصيان الانسان هو تخطي ما كان ؛ هو تخطي قدرة الطبيعة . اما عصيان الحشرة فانه التلوث بما كان . انه الخضوع لطبيعة بكل صيغها واساليبها وبداءاتها . ان الانسان اقوى واشمل عصيانا من الحشرة اذن ؛ بل انه هو الذي يعصي دون الحشرة . ان الحشرة لا تعصى . ان عصيان الاعضاء ليس عصيانا ، انه تلوث واستجابة للجوع الى المعونات . انه طاعة لاملاء الطبيعة واستسلام لشروطها. انه ركوع الى الارض . ان الانسان هو وحده الذي يعصي في هذا الكون لانه هو وحده الذي يتجاوز قدرة الطبيعة واشواطها ؛ ويخرج عليها ويرفضها ؛ وهو وحده الذي يتجاوز نفسه ويخرج عليها ويرفضها .

« .. ان العصيان هو رفض الطبيعة والذات وتخطيهما . وليس العصيان هو الاستجابة لهما او التوافق معهما او الوقوف عندهما او الخضوع لضعفهما او لجوعهما .. ان الاستقامة والتقوى ليستا الا عصيانا ما .. ان عصيان الانسان هو عصيان كينونة وعصيان منطق وعصيان قدرة وطموح .. ان جميع أساليب الابداع والتغيير ليست سوى اساليب عصيان .. » .

* *

احذر . انه محتوم عليك بل ومطلوب منك ان تعادي جميع الناس ، وان تبغضهم وان تراهم اشرارا أغبياء هالكين معادين للشمس . وانه ايضا محتوم عليك بل ومطلوب منك ان تكذب وتنافق وتمالي لكي تخفي ذلك عن الناس الذين تشعر نحوهم هذه المشاعر والذين تراهم هذه الرؤية . انه محتوم عليك ومطلوب منك ان تمارس هذا الكذب والنفاق وهذا الاخفاء لنفسك لكي تستطيع ان تحيا وان تتعامل وتتلاءم مع الناس ومع الحياة. احذر ، انه مطلوب منك ومحكوم عليك بان تحيا هذه الذلالات والمداورات والذنوب وهذا القبح والكذب .

احذر الايمان بالاله الشامل الكامل او بالمعتقدات الشاملة الكاملة .

وكذا ايضا بالمذاهب الشاملة الكاملة . احذر الايمان الشامل الكامل باي شيء ..

ان ايمانك هذا يجعلك محكوما عليك بل ومطلوبا منك ان تعادي وتبغض جميع الناس الذين لا يؤمنون مثل ايمانك ، وان تراهم اغبياء واشرارا وخاسئين وهالكين ومعاندين للنجوم . ولكنك محتاج الى ان تحيا والى ان تتعامل وتتلاءم مع هؤلاء الناس الذين لا يؤمنون أيمانك . اذن انت محكوم عليك بان تكذب وتنافق وتداهن لكي تستطيع ان تخفي نفسك عنهم وعليهم . ان ايمانك بمثل هذا الاله او بمثل هذه المعتقدات والمذاهب يفرض عليك أن تعيش دائما الحرج والعار والخجل من نفسك أمام الاخرين وفي تعاملك معهم . انه مطلوب منك ومحكوم عليك ان تعتقد وان تقتنع وان تشعر ، وانه كذلك مطلوب منك ومحكوم عليك ان تخفي او تنكر اعتقادك واقتناعك وشعورك هذا ، وان تداهني لكي تستطيع الخروج على اعتقادك واقتناعك وشعورك هذا .

ان هذا هو معنى أيمانك بالاله الشامل الكامل الاعظم او بالمذهب او الدين الشامل الكامل أنخالد الحق . فهل تعلم ان الامر كذلك ؟ هل تقبلت ان تكون كذلك ؟ هل فسرت ايمانك هذا تفسيره الصحيح ؟ هل استطعت قبوله بتفسيره الصحيح ؟ هل غفرت لنفسك مؤمنة هذا الايمان ؟

ان ايمانك هذا يتحول الى عدوان على نفسك وعلى اخلاقك ، والى تعذيب وتشويه لنفسك ولاخلاقك . وانه ايضا اي ايمانك هذا ليحول الناس الى اعداء والى تشوهات وعاهات وبلادات وغوايات ، والى آثام في منطقك وفي رؤيتك .

ان نفسك اذن لمسكونة باقبح واوقح واردأ السكان . انها مسكونة بمن الجحيم والكره العالمي بعض عطاياهم .

انك اذا كنت متدينا او مؤمنا فان معنى هذا في زعمك انك تملك كل الحق ، او اكبر الحق ، او اصدق واخلد الحق — وان مخالفيك ، جميع مخالفيك يملكون كل الباطل ، او اكبر واخلد واقبح واغبى الباطل . انك

حينئذ ـ في اقتناعك ـ تملك وتميز كل منطق الكون وكل ذكائه وجماله؛ وان جميع مخالفيك حينئذ ملزمون بان يتعلموا منك ويتبعوك ؛ وان يسروك او يروا فيك كل تفسير الاشياء ومنطقها ؛ والا وجب هلاكهم واحتقارهم ؛ او قتالهم احيانا . ان قتالهم هو اقوى معاني الهك وايمانك فيك ، اي ما لم تكن عاجزا او خائفا او منافقا . وحينئذ تكتفي باحتقارهم وبغضائهم . ان البغض والاحتقار للمخالفين هما اقل درجات الايمان .

انك حينئذ ملزم بان تدعو كل الناس الى جنتك وبان تدخلهم فيها او تحاول ذلك ؛ باكيا وحزينا ومحسورا اذا لم تستطع ادخالهم فيها . انك حينئذ ملزم بان تحول كل الناس الى رعايا في مملكة آلهتك . ان الهك ليفرض عليك ان تحول كل المخالفين الى رعايا له . انه يلزمك ان تتحول الى حاشد قطعان لتتجمع في محرابه او في مجزره . ان عليك ان تجعل كل القطعان له .

انك حينئذ ملزم ان تؤمن بان جميع الالهة الغيبية الصديقة الشرعية القانونية الانسانية ساكنة فيك وحدك ؛ في معبدك وفي قلبك وفي اهوائك وكلماتك ؛ بل وفي سلاحك وشتائمك حينما تتعامل بالسلاح والشتائم . وانك انت وحدك ومن معك اصدقاء هذا الكون ومجده ؛ واصدقاء ومجد ارباب هذا الكون ؛ وحلفاؤه وخلفاؤه . ان شتائمك واحقادك حينئذ هي التفسير الشامل الصحيح لاخلاق الاله والكون ولضميريهما دون شتائم واحقاد مخالفيك او خصومك او اعدائك . ان شتائمك واحقادك حينئذ هي وحدها التي تتحول الى ثناء على الاله وعلى الكون ؛ والى اتقى الصلوات لهما .

اما المخالفون لك فانهم الاعداء لهذه الارباب ؛ المشوهون لمجدهما واخلاقها ولذكائها ؛ المثيرون لغضبها ولاحزانهما ؛ المفسدون لحكمتها وجمالها ؛ المرهقون لاعصابها ؛ المحاربون لها ؛ المستحقون لكل عقابها ونعمائها ؛ المخرجون لها عن تهذيبها ووقارها ؛ المشككون لها في عبقريتها وبراعة تدبيرها ؛ الذين فرضوا عليها ان تعاني كل معاناتها لكي تصنع لهم النار وكل العذاب والاهوال . ما اظلم الذين يضطرون الاله الى ان يعاني ويتعذب لكي يخلق ويعد اماكن ووسائل التعذيب لهم . ما اظلم هؤلاء للاله . ما اشد عدوان المعذبين على الاله .

ما اشد ما تعذب وعانى الاله في تشييده وتخطيطه للنار وكل وسائل العذاب . ما اشد ما اعتدى عليه الغواة الخارجون عليه حينما اضطروه الى ان يدبر ويفكر لكي يصنع لهم بقوة وعبقرية جميع اساليب العذاب واماكنه وظروفـــه .

نعم : ان مكان الجحيم وجميع المستحقين للعقاب لمقتلون على الاله وظالمون له لانهم يتسببون في صناعة الجحيم والعقاب لهم .

ما اوجب ان تتحول جميع الاشياء الى دموع واحزان ، لترفع الى الاله عزاء ورثاء لمعاناته وعذابه ، لترفع الى الاله الذي خلق كل هـذا العذاب وكل هذه الاهوال .

كم كان شعاؤه لكي يعد هذا العذاب بكل اساليبه وظروفه واماكنـه وحراسه ومنفذيه . كم كان شقاء الاله .

انه لمحتوم عليك ومطلوب منك — حين تؤمن بالاله الشامل الكامـل الاعظم او بالمذهب او الدين الشامل الكامل الخالد الحق — ان تقتنع بانـك افضل الناس واعقلهم واذكاهم واحظاهم واقربهم الى قلب هـذا الكون واجملهم في عينيه . وبان مخالفيك هم شر الناس واغباهم وابعدهم عـن قلب هذا العالم واشـهم دمامة في عينيه . ما اعظم وقاحتـك حينئذ . ما اعظم وقاحة من يعتقد بانه وحده يملك الاله الصحيح أو الدين الصحيح او المذهب الصحيح الشامل الخالد .

انك حينئذ انت وحدك ، اي ومن معك ، جمـال الاله وعدله ونقـاوه وذكاؤه وشرفه ومجده ومسرته وعزاؤه ومحبته وصداقته ، وانك حينئـذ انت المعرض الشامل الاعظم لكل ما في قلب الاله وعقله ويديه وعضلاته من قدرة وعبقرية وطهارة ونظافة وسمو وحب ومنطق ومعرفة وفنون وصدق واخلاص .

انك حينئذ انت ، اي ومن يؤمن ايمانك ، انت الواهب والموهوب لكل الهدى والذكاء والمعرفة والاستقامة ، وانك مخصوص ومقصود بكل المحاباة وبكل الصداقة الخاصة التي هي اكبر وابعد واعمق من جميـع التقاسـيم ومن جميع الاشكال المنطقية المعروفة والمجهولة ، وان الخامن القاصد لـك

بكل ذلك هو كل ما في هذا الكون من اسرار وقوى وعبقريات وابداع سماوية .

انك حينئذ انت كل التفسير والمفسر والتسويغ والمنطق والصواب والحق والجمال في كل شيء وكل شيء .

انك لا تريد ولا تستطيع ولا تهم ولا تفعل الا بسلطان وقدرة وارادة عليا . وان هذه القدرة والسلطان والارادة العليا تريد وتفكر وتختار لك ؛ وانها تحكمك وتضبطك وتهديك وتصنع لك الانتصارات ، وتهيئ كل ذاتها وعبقرياتها واشواقها واهتماماتها وتحديقاتها ، دون ان تهب مخالفيك او ان تصنع لهم من ذلك شيئا . انك لو اردت لنفسك الضلالة والغوايـة والسقوط والهزائم لما استطعت .

انك المعشوق المتفرد في هذا الكون وان عشاقك هم كل ما في هـذا الكون من قوى وارادات ما .

ان المؤمن بالاله الشامل الكامل الاعظم او بالدين الشامل الكامـل الخالد الذي هو الحق وحده والحق كله ؛ محكوم عليه بل ومطلوب منـه ؛ بل ومأمور أبدا ـ ليس بان يعتقد بانه مفروض عليه ان يفنى في عبـادة الهة هذا الكون الوحش البليد الدميم الـذنيء ؛ بل محكـوم عليه ومطلوب منه ومأمور ابدا بان يعتقد انه لا وظيفة لهذه الآلهة ، اي لالهه هذا الكـون سوى فنائها واستغراقها وانضباحها في عبادته هو اي في عبادة من يؤمن مثل هذا الايمان بمثل هذا الاله او بمثل هذا الدين ـ وسوى خوضهـا وتدبيرها وارادتها للحروب الدائمة والعداوات الدائمة ضـد مخالفيـه وخصومه واعدائه ؛ اي ضد مخالفي وخصوم واعداء من يؤمن مثل هـذا الايمان بمثل هذا الاله او بمثل هذا الدين . انه لا عمل للالهة غـير الشوق اليك والمحاباة لك . ان هذا ما يجب عليك اعتقاده حين تكون مؤمنـا . ان الايمان فضح للالهة وليس احتراما لها . ان المؤمن انسان يهجـو وليـس انسانا يصلي أو يسجد . ان هذه هي بعض المركبات او بعض الشروط او بعض الحتميات التي يتركب منها او يلتزم بها كل ايمان وتدين من هـذا الوزن وبهذا النموذج وبهذا المستوى ومن هذا النوع .

ان كل ايمان او تدين بهذا الاسلوب لا بد ان يكون هذا تفسيره ومعناه

مهما كان الاله او المذهب المنصب فوقه .

ان المؤمن المتدين لن يراد منه ولا له ، ولن يستطيع ان يتنظف او يتوب من هذه الرذائل والاثام والوقاحات العالمية التاريخية . ولو انه تنظف او تاب من ذلك ، أو حاول او اراد ان يفعل ، لما ظل مؤمنا ولا متدينا . ان التهذيب او الحب أو التواضع أو الاحترام في نفس المؤمن المتدين او في سلوكه او في لغته لن يكون الا ضعفا في الولاء للاله أو للمذهب . ان تسامح او ذكاء او انصاف أو تنزه او تورع المؤمن المتدين لن يكون الا اخذا من ايمانه وتدينه وعلوآنا عليهما .

ان شرف الانسان وانسانيته هما دائما هزيمة واضعاف لايمانه ولتدينه . .

ان الانسان لن يستطيع ان يظل آنسانا بكل حدود وتفاسير الانسان الجيدة والرديئة وهو يؤمن بالله أو بدين او باي معتقد او باي مذهب من ذلك الطراز الشامل الكامل الابدي الذي هو كل الحق ، والذي كله حق . انه اذا آمن مثل هذا الايمان فلا بد ان يتخلى عن حدود الانسان وتفاسيره ، أو ان يحاول ذلك ويريده ويتمناه ، لكي يصبح بحدود وتفاسير ذلك الاله او الدين أو ذلك المعتقد او ذلك المذهب الذي آمن به وتدين له .

انه حينئذ لن يظل انسانا بحاسب الانسان ويفهمه ويفسره ويغفر له ويرى اسبابه وظروفه وهمومه كمايفعل مع نفسه ولنفسه وفي تعامله معها . ان ايمان الانسان بمثل هذا الاله او الدين او المذهب لا بد ان يصنع منه عدوانا فكريا او نفسيا او اخلاقيا او دمائيا او لغويا او كل ذلك .

آنه حينئذ لا بد ان يتحول ، أو لا بد ان يطالب او يؤمر بان يتحول الى دين أو الى مذهب أو الى اله حاقد معاد محارب اناني كالح غاضب ، او الى دين او مذهب او الى اله من هذا الطراز . ان الانسان يظل مفتوح الحدود والابواب رحبة واستقبال حتى يؤمن ، فاذا آمن سدت واغلقت كل حدوده وآبوابه بالالهة وبالاديان وبالتعاليم والوصايا المتوحشة المعادية .

وهل يوجد ، او هل يمكن ان يوجد مذهب او دين او اله ليس حاقدا ومعاديا ومحاربا وغاضبا وآنانيا وكالحا ؟ هل يمكن ان يكون الدين او

المذهب او الاله انسانيا ؟ هل وجد في التاريخ مثل هذا الدين او المذهب او الاله اي في سلوكه ونياته وضميره وتاريخه حتى ولو كان كذلك في لفافته وشعاراته ؟ ان الآلهة والاديان والمذاهب المصادقة المحبة جدا في اغانيها وشعاراتها لا بد ان تكون نقيض ذلك في نياتها او في شعائرها او في اخلاقها او في نتائجها .

ان الدين والاله والمذهب يقتلك ويعاديك ويشتمك ويبغضك بحجة الحب والاحترام والحماية لك والغيرة عليك والدفاع عن حياتك ورخائك وعن اخلاقك . انه يخرج على جميع معاني الانسانية ومستوياتها بدعوى التمسك بها والبحث عن اعظم مستوياتها ومعانيها . انه يعلمك الحقد والبغضاء والعدوان والفحش والبذاءة باسلوب من يملك الحب والصداقة والهذيب والوقار والسلام والرأفة والعدل .

ان المتدينين المؤمنين بالاله الشامل الكامل او بالمعتقدات الشاملة الكاملة لن يستطيعوا ان يكونوا عالميين او انسانيين في اخلاقهم او في افكارهم او في معاملاتهم او في مشاعرهم او في نياتهم او في اماني هم او في تفاسيرهم للاشياء او لانفسهم او للاخرين . انهم ان يستطيعوا ان يروا الاشياء والناس ، وان يقرؤوها ويقرءوهم ، وان يفهموها ويفهموهم ، وان يحسوها ويحسوهم بعيونهم وعقولهم واحاسيسهم ، باحجامها واحجامهم ، وبتفاسيرها وتفاسيرهم ، وباحتياجاتها واحتياجاتهم ، وبخصوصها وخصوصهم . انهم ان يعاملوا الاشياء والناس كذلك .

انهم لن يروا الناس او يفهموهم بعيون كونية او طبيعية ، وبمنطق كوني او طبيعي . انهم لا بد ان يروهم ويفهموهم ويفسروهم خارج الكون ، اي خارج الطبيعة وخارج الانسان . انهم لا يستطيعون ان يكونوا كونيين او عالميين او انسانيين في رؤاهم او في افكارهم او في همومهم او في احاسيسهم او في رضاهم وغضبهم او في حبهم وبغضائهم .

انهم لا بد ان يتحولوا الى حدود ومقاسات شريعة معادية لكل من ليسوا على مقاسات اربابهم وانبيائهم واديانهم ونصوصهم التاريخية المحفوظة . انهم لا بد ان يتشوهوا وان يرفضوا ويعادوا ويتهموا كل ما ليس في انفسهم واخلاقهم وعقولهم من ضيق وضعف واوهام وتصوص تقرؤها وتحفظها وتفسرها ايلة واضعف المحاريب والمنابر ، تتلقاها عن

اضعف واصغر الشفاد والعقول والاخلاق والشخصيات .

.. انهم لن يكونوا الا كذلك في افكارهم ونياتهم وتقواهم . اما في سلوكهم فقد يخرجون على ذلك ليكونوا في حساب انفسهم وفي حساب معتقداتهم عصاة . ان السلوك لا يستطيع التقيد او الالتزام بالعقيدة او بالفكرة او بالاله او بالمذهب .

لهذا فانه لمحتوم ان يصبح جميع المؤمنين والمعتقدين والملتزمين فكريا او مذهبيا عصاة . انه لمحكوم عليهم ان يعصوا — ان يكونوا اشد الناس عصيانا .

ان كل صاحب عقيدة او دين او فكرة لا بد ان يكون عاصيا . ان اشد الناس عصيانا هم اقواهم ايمانا واعتقادا ، هم اقواهم عقائد واكثرهم عقائد . ان كل عقيدة وفكرة لا بد ان تهان ويعتدى عليها بعصيانها وبالعجز عن التوافق معها وبالكذب عليها وبها .
ولعل البشر لا يعتدون على شيء او يحقرون شيئا او يكذبون على شيء مثلما يفعلون ذلك بمعتقداتهم وافكارهم .

ان الالتزام السلوكي خاضع لظروفه وضروراته ، وليس خاضعا للالتزام الاعتقادي . لهذا فانه محكوم عليك ان يكون عصيانك لعقائدك اشد كلما كانت عقائدك اقوى ، لان عجزك عن الالتزام سلوكيا بالعقائد القوية والكثيرة سيكون اكثر من عجزك عن الالتزام اي سلوكيا بالعقائد الضعيفة والقليلة . انه لا شيء يعصى ويخرج عليه ويعجز عن التوافق معه مثل العقائد القوية الكثيرة ، او مثل المعلمين المبالغين في تقواهم التعليمية .

ان هذا يعني ان النبي بل وان اي معلم واي قدس لا بد ان يكون اكثر واشد عصيانا من جميع اتباعه ومن جميع من يدعوهم الى الايمان وبخاطبهم بتعاليمه . ان النبي او المعلم او القدس لا بد ان يكون اكثر واشد من جميع الناس عصيانا اي في حساب تعاليمه او نبوته او قداسته، وتعاليمه او لنبوته او لقداسته . كما ان الزعماء والقادة والرؤساء لا بد ان يكونوا اعصى من كل الناس لنماذجهم ومقاييسهم ولاشتراطاتهم وللاشتراط عليهم والاشتراط فيهم . ان الانبياء والقديسين وجميع المعلمين لا بد ان يخضعوا في سلوكهم للظروف والمواقف والاحتياجات والضرورات

التي يخضع لها اقوى الناس واضعفهم ، اتقاهم وافجرهم . وحينئذ لا بد ان يكون انشقاقهم اي الانبياء والقديسين وجميع المعلمين على تعاليمهم ونبواتهم وعلى قداساتهم ، وعصيانهم لها اشد انشقاق وعصيان . وهذا يعني حتما ان يكون الانبياء والقديسون وسائر المعلمين هم اشد الناس واكثرهم عصيانا وخروجا على العقائد والاديان والنصوص ، اي في سلوكهم . لقد جاءوا باشياء لا يستطيعون التزامها بسلوكهم بقدر ما عجز عن التزامها اشد الخارجين عليهم خروجا . أفلن سيجدون اكثر الناس عصيانا اي خروجا على انفسهم .

هل تستطيع ان تصدق او تتقبل أن الانبياء والقديسين وسائر المعلمين هم اكثر الناس واشدهم عصيانا وخروجا على العقائد والاديان والنصوص والمذاهب التي جاءوا بها او علموها او دعوا اليها وتوعدوا الخارجين عليها بكل الاهوال والوان العذاب ؟

هل تصدق او تتقبل انهم لا بد ان يكونوا اكثر الناس خروجا على انفسهم وعصيانا لها ؟

هل تستطيع ان تصدق او تتقبل أن الزعيم او القائد العظيم جدا والنظيف جدا والطيب جدا سيكون حتما اشد الناس واكثرهم عصيانا وخروجا على الدساتير والقوانين والتعاليم والاخلاق التي يضعها او يعلمها او يدعو اليها او يلزم بها هو ، اي في سلوكه وممارساته بل وفي نياته وشهواته ؟ هل تصدق أو تتقبل ان القائد او الزعيم العظيم النظيف الطيب جدا لا بد أن يكون اكثر الناس خروجا على نفسه وعصيانا لها ، اي لما يدعو اليه ويعلنه ويعلمه ؟

انه لمطلوب منك بل ومرجو لك الا تصدق او تتقبل هذا أو هذا مهما كان علمك بهما أو مشاهداتك لهما .

انه ليس شيئا مفروضا او طيبا او مقبولا أن تصدق أو تتقبل دائما كل ما هو صدق او ما هو واقع ، او كل ما تشاهده وتعلمه . أن الحقيقة ليست هي دائما ما ينبغي تصديقه أو احترامه او رؤيته او البحث عنه . ان الحقيقة ليست هي دائما افضل الاشياء او اكبر الاشياء او اظهر الاشياء .

ان تصديق كثير من الصدق ليس الا وقاحة او بلاهة او ذلة او

قسوة او عدوانا رهيبا ، او ليس الا كل ذلك . ان تكذيب الصدق قد يكون هو التقوى والحب والتهذيب ولو احيانا .

ان رؤية الاشياء دائما رؤية صحيحة وصادقة ليست دائما مستوى دينيا او اخلاقيا او حضاريا او حتى علميا .

* *

وانهم ايضا اي المؤمنين بالاله الشامل الكامل او بالدين الشامل الكامل المخالد الحق ، لن يكونوا احرارا او عدولا ، او معاصرين ، او واجدين لانفسهم او لاحتمالاتهم ، في افكارهم او في تحديقاتهم ورؤاهم ، او في احاسيسهم ، او في تفاسيرهم . انهم لن يدركوا او يقتنعوا بان لهم القدرة او الحق في ان يكونوا كذلك . انهم لا بد ان يتذكروا ويرهبوا ويلعنوا هذا المستوى من الكينونة وكذلك ايضا المؤمنون بالمذهب او بالنظام الشامل الكامل . انهم لن يكونوا اكثر تسامحا او حرية او عدلا من اولئك .

انهم لكل هذا لا يستطيعون ان يتصوروا الحكم او القوانين او الشرائع او الاقتناع او الايمان الا طغيانا او خلافة او نبوة او نصوصا او اوامر او تلقينا او تسليما او مبايعة او طاعة او وحدانية في الراي او في العقيدة او في المذهب او في الخطة او في الكلمة او في القيادة او في المحراب او المنبر ، وهل يستطيع من وجد الاله الشامل الكامل ان يجد شيئا سواه او ان ينتظر شيئا سواه او ان يحيا ويفكر ويتعامل مع الاشياء والناس باسلوب انساني ؟

انه اذا لم يكن تصورهم كذلك فخارجون على اربابهم وانبيائهم واديانهم وعلى تفاسيرهم لاربابهم وانبيائهم واديانهم . انهم لو جاءوا افضل من ذلك لكانوا عصاة لايمانهم .

ان اروع ما في الانسان او اوجد ما فيه قدرته المطلقة على ان يخرج على اربابه وانبيائه وعلى اديانه وعقائده وتعاليمه دون اية معاناة . انه لا توجد اية علاقات من اي نوع وعلى اي مستوى بين حياة الانسان ومواقفه وشهواته ونياته وامانيه وقدراته وجسارته وفاحاته ، وبين اربابه وانبيائه واديانه وتعاليمه ، اي وبين ايمانه .

ولكن هل اربابه الانسان وانبياؤه واديانه وتعاليمه الا لغة مهجورة من

لغات شهواته وامانيه وجساراته وفاحاته ؟

ان الانسان ليس اقل خروجا على افكاره في نباته وسلوكه وشهواته من خروج افكاره ونباته وشهواته على افكار ونيات وشهوات خصمه أو مخالفه في الاله او في الدين او في المذهب ؛ او على اله او دين أو مذهب خصمه او مخالفه . ان اي انسان ليس أكثر طاعة لدينه او لاله او لتعاليمه من طاعته لدين او لاله او لتعاليم خصمه أو عدوه .

ان خصمك ونقيضك في الاله او في الدين او في النبوة ليس اكثر عصيانا منك لالهك أو نبيك او دينك ، او خروجا عليه ، او عجزا عن الاتباع له ، اي في سلوكه ونياته وشهواته وقدراته وجساراته ، ولست انت اكثر طاعة منه لالهك او لنبيك او لدينك .

ان احدكما ليس اقرب أو ابعد من الآخر الى الآلهة او الانبياء او الاديان، اي في السلوك والشهوات والنيات .

ان احدكما ليس اقرب او ابعد في معناه أو تفسيره مهما بدا انه اقرب او ابعد جدا في أسلوبه او صيغته .

* *

وانهم ايضا اي المؤمنين هذا الايمان لن يكونوا متغيرين أو متطورين أو متخطين او مريدين ذلك بتفكيرهم ؛ او مجيزين لـه . واذا فعلوا فبالكره منهم ، وباسلوب المعصية ونياتها ، وبتفكير منطقهم لهم .

ان افكارهم اذا تغيرت او تطورت او تجاوزت او ارادوا لها ذلك فليسوا الا عصاة . انهم يمارسون التغير والتطور والتخطي الفكري او يمارسهم أو يحدث فيهم كما يمارسون الاثام والمعاصي لا كما يصلون ويحجون ويصومون ويخافون من الاله .

وحتما سيمارسون هذه المعاصي بالتفكير كما يمارسونها بالاعضاء ، لان الفكر ، كالاعضاء والشهوات والنيات ، لن يخضع للتعاليم ، لن يطيع دائما. انه لا بد ان يعصي .

ان قليلا من الناس ليعصون بافكارهم اعنف مما يعصي الاتقياء او

الاكثرون باعضائهم وشهواتهم .

ان الانسان كائن لا بد ان يعصي بكل اتجاهاته وتفاسيره ومعانيه . انه اكثر الكائنات واوسمها عصيانا مهما كان اكثرها تعاليم ضد العصيان ومهما كان عدد اربابه وانبيائه وكتبه المنزلة .

ان اعظم واقوى وافضل بل واتقى ما في الانسان انه كائن عاص عاص بكل اتجاهاته وتفاسيره ومعانيه . انه كائن لا يستطيع ان يكون الا عاصيا ؛ حتى اتقى اتقيائه واقدس قديسيه لا يستطيعون ان يكونوا الا عصاة . ان كل الناس عصاة ولكن تختلف الاعضاء التي يعصون بها او التي تعصي فيهم . ان اتقى انواع العصيان هو عصيان الراس والوهية وعصيان التاريخ وعصيان ما كان . ما كان اقبح واصغر الحاضر والمستقبل لو لم يكن الانسان موهوبا ارادة العصيان والقدرة عليه . ان كل حضارات الانسان وقدراته ومستوياته العظيمة ليست الا هبات العصيان واشواطه . ان كل حضارات الانسان لا تساوي اكثر من خطواته واشواطه العاصية ، العاصية على كل الاتجاهات وبكل المعاني والتفاسير ، لكل اربابه وانبيائه ومعلميه ولوجوده ، لكل ما كان من وجوده . ولكن كم هي الفروق بين المعاصي في الاساليب والمستويات والموضوعات والممارسات ؟ وكم هي الفروق بين هذه الفروق في النتائج وفي الانجازات الحضارية والانسانية ؟

لعل الفرق بين المعصية والمعصية ليس اقل من الفرق بين الانسان والانسان الاخر ، او بين العبقرية والتفاهة ، او بين الحضارة والبداوة .

ان الفروق بين المعصية والمعصية ليست اقل من الفروق بين اعظم شيء واصغر شيء .

ان المعصيتين لا تتساويان الا بقدر ما يتساوى العقل والعقل او التفكير والتفكير او المنطق والمنطق او الوهية والوهية او الضربة والضربة او المحاولة والمحاولة الاخرى او الكتاب والكتاب الاخر .

وكم هي المسافات بين الشيء من هذا وبين الشيء الاخر منه ؟

ان انسانا ما يعصي ليكون قوة ومجداً للحياة وللانسان ، وان آخر

يعصي ليكون ضعفا وعجزا وتشوهات في الحياة وفي الانسان ، كما ان انسانا ما يفكر ليكون حرية وذكاء وقوة واخر يفكر ليكون غباء وضعفا وتخلفا ومزيدا من العبودية والهوان ومن التسويغات والتفسيرات لكل اساليبه ومعاني الاستعباد والطغيان والهزائم .

ان انسانا يفكر ليكون تفكيرا ، وان اخر يفكر ليكون رفضا للتفكير

وان انسانا يعصي ليكون اعظم واقوى وابقى مما كان ، وان انسانا يعصي ليكون اضعف وافجر وافه واغبى مما كان .

ان أقوى واعظم ما في الانسان هو عصيان فكره وموهبته .

ان هذه المعصية ، اي معصية الفكر والموهبة ، هي الامنية التي كان جميع الانبياء وجميع المصلحين يريدون ان تكون كل نفوسهم ومجدهم وتعاليمهم قد استطاعوا تذهيبها بعاقبوتها احتراما وشهوة وتقديرا لها وعجزا عنها بالشتائم والتعاليم والتحريم ، نعم ، ان ما نشتهيه ونعجز عن بلوغه قد يكون من العدل او ما نفعله خروجا على العدل ان نعاقبه بالشتائم وبالتعاليم المتعصبة المحرمة . اننا قد نعلم قدر ما نريد ونعجز عنه كما قد نشتهيه .

ان عبقرية اي انسان ومزاياه لا تساوي اكثر من قدرته على العصيان ومن ارادته ومن ممارسته ومن اساليبه المختلفة في ممارسته ، أي في ممارسته العصيان .

ان ابداع اي مجتمع من المجتمعات لحضارة في الف عام ان يساوي اكثر من عصياته في نفس المدة المذكورة . ان اي ابداع او تجاوز ما ليس الا عصيانا ما .

ان عصيان الانسان هو تخطي ما كان ، هو تخطي اشواط الطبيعة . اما عصيان الحشرة فانه التلوث بما كان ، انه هو الخضوع للطبيعة بكل سيغها ومستوياتها واساليبها .

ان الانسان اذن أقوى واشمل عصيانا من الحشرة ، بل أنه هو الذي يعصي دون الحشرة . ان الحشرة لا تعصي . ان عصيان الاعضاء ليس

عصيانا : انه تلوث وطاعة للجوع الى المغونات . انه طاعة لاملاء الطبيعة واستسلام لشروطها . انه ركوع الى الارض .

ان الانسان هو وحده الذي يعصي في هذا الكون لانه هو وحده الذي يتخطى الطبيعة ويخرج عليها ويرفضها ، وهو وحده الذي يتخطى نفسه ويخرج عليها ويرفضها . ان العصيان هو رفض الطبيعة والذات وتخطيهما، وليس العصيان هو الاستجابة لهما او التوافق معهما او الوقوف عندهما او الخضوع لضعفهما أو لجوعهما .

ولكن هل العصيان الا طاعة ؟ وهل الطاعة الا عدوان ؟ اليس من يعصي جدا مطيعا جدا ؟ اليس من يطيع جدا عاصيا جدا ؟

اليست الطاعة والعصيان ينتهيان الى تفسير واحد ؟ اليس احدهما يعني الاخر حتما ؟ هل يوجد من يستطيع أن يكون عاصيا فقط او مطيعا فقط أو لا مطيعا ولا عاصيا ؟

اذن اليس الانسان هو اكثر الاشياء طاعة لانه اكثرها عصيانا، او بقدر ما هو اكثرها عصيانا ؟

اليس هذا صحيحا بقدر ما هو صحيح ان يقال : أن الانسان هو اكثر الاشياء عصيانا لانه اكثرها طاعة أو بقدر ما هو اكثرها طاعة ؟

هل نعصي هذا الا لاننا نطيع هذا ، وهل نطيع هذا الا لاننا نعصي هذا؟

اذن هل يمكن ان يقال : هذا الانسان مطيع وذاك عاص ، او هذا اكثر من ذاك طاعة او عصيانا ؟

* *

وافهم ايضا الى المؤمنين بالاله الشامل الكامل الخالد أو بالدين الشامل الخالد لن يستطيعوا ولن يريدوا ايضا ان يكونوا وطنيين او قوميين بالتفسير الحضاري للوطنية وللقومية .

ان الوطنية والقومية في التفسير الحضاري لهما زندقة وجاهلية ووثنية وعصيان للاله والانبياء والاديان في عقيدة المؤمنين المتدينين .

انهم يرفضون ان يكونوا قوميين او وطنيين بقدر ما يرفضون بل ويخافون أن يكونوا عالميين او انسانيين . ان كل ذلك وثنية وعبادة للاصنام والطواغيت .

ان الذين يرفضون القومية والوطنية لانهم يؤمنون بالانسانية والعالمية ويريدونها ويناضلون لتحقيقها او يطمحون اليها هم غير الذين يرفضون الوطنية والقومية لانهم يريدون ان يكونوا او يظلوا اتباع دين او نبي او اعتقاد ما كان في التاريخ ، او لانهم يريدون ان يكونوا او ان يظلوا مستوى تاريخيا قد كان هنا ، قد كان هنا احد الانبياء أو احد المعصومين او احد الحكام او الزعماء او احد الطغاة او احد المتسلطين يعلمه أو يعرفه أو يعتقد ويطغى ويسرف ويحكم باسمه ، او يعينه لانه يلائم هواه ويرضي شهواته وطموحه واستغلاله واستعلاءه .

ان الذين يرفضون الوطنية والقومية لانهم عالميون او انسانيون ولوفي امانيهم او طموحهم او في ايمانهم قد يكونون هم الوتبه البشرية التي قد يثبها البشر في مستقبلهم المحتوم الافضل . أما الذين يرفضون الوطنية والقومية ويرفضون ايضا العالمية والانسانية فهؤلاء هم اردأ المستويات التاريخية التي عاشها البشر او تصنوها او تحدثوا عنها ، او أتي حديثهم عنها ومناهم بها وارادها لهم المعلمون والزعماء الثائرون او الطامحون او الكاذبون او الجهلاء . ان الوطنية والقومية قد تكونان عدوانا وتعصبا وجاهليه، ولكن رفضهما باسم الاله او الدين قد يكون أكثر عدوانا وتعصبا وجاهلية لان ذلك ابعد عن المنطق الحضاري .

ان الايمان على هذا المستوى نفي ورفض للقومية والوطنية بقدر ما هو نفي ورفض للعالمية والانسانية ، وبقدر ما هو نفي ورفض للحرية العقلية والنفسية والاخلاقية والارادية والسياسية والادبية والقانونية بل والعاطفية .

ان هذا الايمان رفض ونفي شاملان للانسان ولكل احتمالاته . انه تفريغ له من معانيه .

أنه نفي ورفض لكل معاني ومستويات الطموح الحضاري والانساني والكوني . انه نفي ورفض للرؤية وعدوان عليها . انه نفي ورفض لعيني الانسان وعدوان عليهما بقدر ما هو رفض ونفي لعقله وعدوان عليه .

ان الايمان بالاديان او بالالهة المتماثلة الكاملة ليس الا محاولة من محاولات الاعتقال أو التحديد لطموح الانسان ولاحتمالات وطاقات التحديق والتحليق والتخطي فيه .

* *

وانهم ايضا أي المؤمنين هذا الايمان لن يستطيعوا ان يكونوا بل ولن يريدوا ان يكونوا متسامحين او نافرين او محبين او مقتسمين أو قلرئين لعيون الاخرين او لآلامهم واحزانهم ، او محدقين فيها بحنان او باشفاق او باعتذار او بعدل أو بقدرة على الرؤية .

ان قلوبهم وعيونهم ووجوههم واحزانهم لن تظل قلوبا وعيونا ووجوها وأحزانا او لن تتحول الى ذلك .

ان آلهتهم وانبياءهم ومذاهبهم واديانهم ومنابرهم ومحاريبهم ومواعظهم وبغضاءهم وشتائمهم وغيرتهم الدينية لتقتل في قلوبهم وعقولهم وعيونهم واخلاقهم وفي وجوههم كل لغات وتيات وتفاسير الابتسام والاعتذار والغفران والحب والتسامح والتحديق والاشفاق والحنان والقراءة لوجوه الاخرين او لقلوبهم أو لعقولهم او لآلامهم واحزانهم او لنصوصهم او لمخالفاتهم وصرخاتهم أو لهمساتهم وتوادهم .

حتى وجوههم ، انها ان تظل وجوها ولن تتحول الى وجوه وان تسري في صيغ أو تعبيرات وجوه .

انهم لا بد ان يكونوا بغضا وسبابا واتهاما ورفضا ونفيا وتحقيرا لكل من لم يجيئوا على نموذجهم الفكري والديني والتاريخي والتعليمي . بل انهم لا بد ان يكونوا كل هذه الشرور في معاملتهم لكل احد وفي شعورهم نحو كل احد . ان هذا النموذج من الايمان لا بد ان يكون اعلان حرب وبغضاء شاملة على كل العالم بل وعلى الكون كله .

ان كتبة الجحيم واهوال الحساب والعقاب التي يتحدثون عنها ويحدثون بها ويعلمونها ويتعلمونها ، والتي يتصورونها ويخافونها ويخوفون بها ، وان اوصاف واخلاق الالهة التي يقرؤون عنها ويتناقلونها ويدرسونها ويمجدونها بها ، اي التي يمجدون الالهة بوصفها بها ، وان وحشية الغضب الذي تصحبه الالهة وتعلمه من يؤمنون بها .

ـ نعم ، ان كل ذلك لن يبقى فيهم معنى او تعبيراً جميلا او نبيلا او ذكيا او عادلا او عاطفا او فاخرا او متسامحا او محبا او راقيا . ان كل ذلك لن يترك في وجوههم او في عيونهم او في قلوبهم معنى او تعبيرا تعشقه او تتخاطب معه النجوم او تعيش فيه الرحمة او المحبة او الصداقة او التسامح .

كيف تستطيع ان تصحح او تحب او تصادق او تسامح او تعذر او تعتذر او ترحم او تشفق او ترى جراح من حولك او جراح البعيدين عنك او جراحا تغطي كل وجه الشمس او وجوه كل الاشياء ـ كيف تستطيع شيئا من ذلك او كل ذلك وانت تختزن وتعيش وتمارس في قراءاتك وتعاليمك وصلواتك ومحفوظاتك كل هذه الالهة والانبياء والمعلمين والمحاريب والمنابر والمواعظ والكتب المقدسة ، وكل هذه الاوصاف للجحيم والعقاب والحساب وللغضب والقسوة وللرؤية المظلمة من فوق هذا الكون بكل اخلاقها وشمولها ووحشيتها ومطالباتها وانانياتها وشهواتها ! اواه . ما اقسى هذه العيون المتطلعة الينا بتحديق وديمومة وبذاءة . اواه . اننا لا نستطيع الاستتار او الهرب منها او تعليمها معنى الحياء او التهذيب .

ان كل هذا يتقاتل ويعيش ويتجمع داخل نفسك . حتى هذه العيون . انها تعيش داخلك . اذن كم انت مكان للجحيم ، وكم انت واهب للجحيم . ما اشد اذن عذابك . وما اشد ما تتمنى ان تكون شاملا في تعذيبك . كيف تستطيع الا تتحول الى اضخم مكان يستقبل الجحيم ويصنعه ويهب به ويعذب به ويعذب به ! اواه . ما اقسى واوجع هذا . ما اقسى واوجع ان يكون كل شيء نافذة تطل منها عين آله بهذا الحجم والفضول والهمجية .

هل وجد او يوجد جحيم يستقبل من الوقود مثلما تستقبل ؟

كيف يعيش في نفسك اي نوع من الحياة وفيها كل هذا الجحيم بكل وقوده هذا ، بكل اهواله هذه ؟ ان نفسك يجب أن تتحول الى اقسى صحراء

لا يعيش فيها اي اسلوب من اساليب الحياة .

كيف تنبت الحياة في عقول او قلوب او اخلاق او في نظرات من يؤمنون بالاله الذي يصنع الجحيم ويتحدث عنه ويعاقب به ويتحول الى مالك له وينظر اليه باعجاب وابتسام وعبقرية ؟ كيف يمكن ان ترى عيون هؤلاء المؤمنين أو اخلاقهم او ضمائرهم الدموع أو الجراح او الاحزان او الالام في وجوه النجوم او في اخلاقها او في ضمائرها أو في تاريخها او في تفاسيرها؟

ان المؤمنين بمثل هذا الاله لا بد ان يبصق ويصوغ الجحيم كل اخلاقهم وعواطفهم وافكارهم ولغاتهم وتفاسيرهم للناس وللاشياء . ان الجحيم لا بد أن يبصق كل اخلاقه واخلاق اهواله في أخلاق المؤمنين به المتحدثين عنه المتوعدين لحياتهم ولمماتهم باهواله .

ان المؤمنين لا بد ان يتحولوا الى بصاق الجحيم والى بصاق من الجحيم . أن الجحيم لا بد ان يبصقهم وان يبصقوه .

احذر أن تكون مؤمنا لئلا تكون ياصق جحيم ومبصوق جحيم . اذن كيف لو كنت قديسا او نبيا ؟

انت مؤمن . اذن هل انت الا صبغة من صبغ الجحيم ، وتفسير من تفاسيره ، وحديث من أحاديثه ، ومخزن من مخازنه ، ودرس من دروسه ، ومعرض من معارضه ؟

انت نبي . او انت قديس فقط ، او مؤمن فقط ..

اذن هل انت الا معلم للجحيم متعلم له ؟ هل انت الا قارىء لاوصافه، حافظ لاوصافه ، مفسر لاوصافه ، معلم متعلم لها ؟

هل يمكن ان تكون نبيا او قديسا او حتى مؤمنا فقط دون ان تكون تذكيرا او تخويفا بالجحيم أو تصويرا له او حديثا عنه او منبرا من منابره او محرابا من محاريبه ؟

* *

وانهم ايضا اي المؤمنين بمثل هذا الاله او بمثل هذا الدين لا بد ان يقاسوا من مشاعر التحرج والعصيان والمخالفات الاخلاقية والنفسية والدينية ، ولا بد ان يتعذبوا ويكابدوا من رهبة الخروج والتطاول على الارباب والتعاليم والمقدسات وعلى الاباء والاسلاف ، انهم لا بد ان يعانوا كل ذلك حينما يجدون انه قد اصبح محكوما عليهم بقدر الطبيعة وبقدر الحياة والكينونة ان ياخذوا عن قوم اخرين شيئا من مزاياهم او من تفوقهم او قوتهم او من رذائلهم المنتصرة . انهم قوم خارجون على الالهة ، ولكنهم يعلمون المؤمنين بها القوة والذكاء والاخلاق والمزايا الاخرى . ان الذين ليس لهم اله يعلمون من لهم كل الاله .

وقدر الطبيعة والحياة والكينونة هذا لا بد ان يحكم عليهم دائما بهذا الخروج والتطاول على اربابهم وانبيائهم واديانهم وتعاليمهم وعلى آبائهم واسلافهم وعلى كل ما يملكون ويمجدون في تاريخهم من امجاد ومزايا وعبقريات وتفوق على العالمين .

انهم بقدر ايمانهم باربابهم وانبيائهم محتاجون الى ان ياخذوا ويتعلموا من اعداء اربابهم وانبيائهم وايمانهم .

اذن ما اشد عذابهم واقسى قدرهم .

انت تملك كل الالهة والملائكة والانبياء . وهم لا عمل ولا اهتمامات لهم سوى ان ينتظروك ليعلموك ويهبوك ويستمعوا بتواضع وضراعة اليك .

اذن كيف تتعلم من البشر ؟ كيف تقبل او تجرؤ ان تفعل ذلك ؟ وكيف تستطيع ان تغفر لنفسك لو فعلته ؟

ان الله واقف على بابك يادب لا مثيل له في تهذيبه وحبه وتملقه ، يريد ان يهبك ويعلمك . ولكنك تذهب تعاني لتتعلم من نفسك او ممن يتعلم من الشيطان .

اذن هل يوجد اوقح او اغبى او اكبر زندقة منك ؟

هل يوجد من يحتاج الى ان ياخذ ويتعلم من اعدائه واعداء ايمانه مثل

المؤمن يتقوى الالهة واقوى الاديان ؟

انك اذا فعلت ذلك ـ وانت حتما تعمله ـ فان يوجد لديك الا تفسير واحد هو انك زنديق، زنديق، زنديق. زنديق يضع الاله والانبياء والملائكة والاديان على لسانه دون أن يتذوقهم او يفكر في ان من الممكن تذوقهم . وهل يوجد من يستطيع ان يتذوق الالهة أو الانبياء او الملائكة ؟ وهل هم شيء يمكن تذوقه؟ هل لهم اي مذاق في اخلاق الحياة او في منطقها او في احاسيسها؟

* *

وانهم ايضا اي هؤلاء المؤمنين لن يكونوا رافضين او مغيرين لصيغة الكون او لصيغة الاله التي سوف يواجهون ويجدون . انهم ان يحاولوا ولن يريدوا ان يضعوا للاله او للكون افكاراً واخلاقا او عقولا او نيات او احاسيس او مذاهب أو اعضاء او عيونا او شخصية او ذاتا جديدة . انهم لن يقبلوا أو يتصوروا او يمارسوا صوغ الكون او الاله صياغة جديدة مخالفة ، اقوى وافضل . وهل عبقرية الانسان الا ان يهب الكون والحياة والاله صيغا جديدة ، رافضا جميع الصيغ القديمة ؟

انهم حتما لا بد ان يؤمنوا بما يجدون من صيغ الاله وصيغ الكون وان يتعبدوا لهذه الصيغ مهما كانت خروجا على جميع المعاناة العقلية والنفسية والاخلاقية والعلمية . وانهم لهذا لن يستطيعوا ان يكونوا شامخين او اقوياء او مبدعين او مغيرين الحياة او للاشياء او لانفسهم . انهم لا بد ان يكونوا عاجزين لان اساليب ومستويات ومعاني العجز ، بل انهم لا بد ان يجدوا في عجزهم عدا اعلى مستويات التقوى والايمان والتهليب والتقديس للالهة . ان عجز المؤمن امام الطبيعة عبادة للاله لان عجزه هذا ليس الا عجزا امام الاله وامام قدرته وارادته وتدبيره وذكائه وحكمته .

ان الايمان يعني الاقتناع بكمال الاله وبكمال وابدية الاشياء التي ارادها ودبرها وصاغها الاله ، وهذا الاقتناع يعني حتما الرفض لمحاولة والارادة تغيير صيغة الاله وصيغة الكون الذي خلقه الاله . ان الاله كامل الذات كامل العبقرية والتدبير والتخطيط والاخراج . وهل يشرع او يجوز تغيير الكامل ؟

اذن فالمؤمن لا بد ان يهاب سلوكا وفكرا واعتقادا رفض الصيغة او

الذات او الشخصية التي ولد بها الاله نفسه ، وكذلك رفض الصيغة او الذات او الشخصية التي ولد بها الاله لكوانه . نعم ، ان المؤمن لا بد ان يكون كذلك بتفكيره او باعتقاده ، مهما كان غير ذلك أو نقيض ذلك بسلوكه او بمحاولاته او بأمانيه وضروراته .

آن الحضارة والابداع لا يعنيان في جميع تفاسيرهما وصيغهما سوى رفض الصيغة التي ولد بها الاله نفسه او ولد بها الطبيعة والاشياء الاخرى ـ رفضها بالتغيير والتجاوز وبالتفكير والارادة والمحاولات الدائمة والشجاعة والجرئة .

ان اعنى واعلى حاجز يعوق المؤمن عن الاقتحام والتجاوز هو ايمانه بالصيغة التي وجد بها الاله وبالصيغة التي اوجد بها الاله الاشياء . انه اعنى واعلى حاجز امامه حتى وان لم يره أو يشعر به أو يحترمه او يقف امامه ، يرفض او يخاف اقتحامه وتجاوزه .

وقد تكون من اعظم مزايا الالهة انها احيانا او دائما قد تظل ايمانا فقط دون نتائجه أو التزاماته ، دون ان تكون شيئا في حياة من يؤمنون بها . آنك قد تؤمن بالاله دون ان تتعامل الاله الذي آمنت به مع حياتك . وقد تكون هذه هي اعظم وانبل مزية للاله .

ان عجز المؤمنين هذا قد يكون هو احد التفاسير او الاسباب لتزاحم وتواضع جميع المؤمنين المتدينين في جميع العصور والمجتمعات حول كل المهرجين والدعاة والصارخين الضالين ، وتساقطهم بتهافت وهوان ومسكنة تحت كل الاقدام والمنابر ، وامام جميع الهياكل والمعابد ، يصلون ويؤمنون ويتضرعون ويبكون بكل اللغات والدموع والاحزان والانهار ، وبكل الفلوات والتفاهات والاكاذيب الصغيرة .

انهم يتحولون الى منابر مباحة مهانة ، ليست عليها ولا لها اية حراسة او منعة ، ليصعد فوقها كل كذاب واي كذاب ، وكل ملوث واي ملوث ، ليتحدثا عن مزايا الصدق والنظافة ، وليصعد فوقها كل مهزوم صغير قصير القامة صغير الهامة ، لكي يبدو اكبر واطول من هامته وقامته وحقيقته ، ولكي يبدو وكأنه اكبر وانظف من ذاته وتشوهاته وتفاهاته ومن كمل مصنوياته . اواه . ويلتاه . ما أقبح واكذب المنابر ، كل المنابر . ان كمل

المنابر تتحول الى ضخامة للهامات الضئيلة والى طول في القامات القصيرة. اذن كم انت آثمة ايتها المنابر .

ان المؤمنين يتحولون الى منابر من هذا المستوى ليتحدث من فوقها اليها عن السماء كل من لا يعرفونها ، اي كل من لا يعرفون السماء ، وكل من لا يحترمونها او يطيعونها أو يخافونها او يضعون لها آيـة حسابات فـي سلوكهم او في تفكيرهم او في نياتهم أو في رجائهـم وتأميلاتهـم . ان المؤمنين في جميع العصور لم يكونوا سوى منابر ذليلة يخطب من فوقها جميع الكاذبين والملوثين والنافهين والاغبياء — يخطبون فوقها بمنطق جميع الالهة وبمنطق الازل والابد وكل الكون .

انه لا يوجد ولم يوجد من يصغرون ويهونون ويذلون وينافقون لاهداء آلهتهم وانبيائهم وعقائدهم اكثر من المؤمنين باقوى الآلهة وبأقوى الاديان والمعتقدات . انه لم يوجد من عبدوا الطغاة والاقوياء الفاسقين والظالمين ، او نافقوهم واطاعوهم وخضعوا لهم وخرجوا على اربابهم ومعتقداتهم مـن اجلهم اكثر مما فعل كل ذلك او مثلما فعل كل ذلك المؤمنون بالاله الشامل الكامل او بالدين الشامل الكامل الخالد الحق.

لانهم كانوا ضعفاء وعاجزين . والضعفاء العاجزون لا بد ان يعبـدوا القادرين وان يذلوا لهم وينافقوهم مهما لعنوهم وابغضوهم واحتقروهم من داخلهم . انهم لا بد ان يعبدوا الاوثان مهما لعنوها وكفروا بها . انه لايعبد الاوثان قوم مثلهم . ان البشر يعبدون بالعجز لا بالايمان . ان الضعفـاء العاجزين لا بد ان يفعلوا ذلك مهما كانت شراسة وغيرة وانانية وقوة الالهة او العقائد التي يؤمنون بها ويتحدثون عنها ويخطبون لها . ان اي طاغيـة منظور لقادر ان يطرد من نفس المؤمن ومن حياته جميع اربابـه وانبيائـه وقديسيه غير المنظورين .

ان هذا يعني ان الالهة والاديان والعقائد القوية الشاملة تعطي نقيض ما تريد ونقيض ما تعلم وتطالب به . انها تريد ان توهب وحدها كل شيء ، وانها تطالب بكل شيء وتعلم انه لا شيء لاحد أو لشيء سواها .

ولكنها تصنع الضعفاء والعجز لمن يؤمنون بها ويتعلمون منها ويتبعونها. والضعيف العاجز لا بد ان يكون ملكا للاوثان القوية مهما كان رايـه فيهـا

ومشاعره نحوهـــا .

أذن فالالهة والاديان القوية الشاملة لا بـد ان تكـون نفيـا ورفضـا لنفسها . انها لا بد ان تتحول الى عزيمة وآلى عقاب لمجدها . انها تقبض لارادتها ولتعاليمها .

ان الاله القوي الكامل الشامل لن يكون الا عزيمة لنفـــه ونفيا لهـا ، وان الدين القوي الخالد الحق المطلق لن يكون الا كذلك ، اي لـن يكون الا عزيمة ونفيا لنفسه من حياة المؤمنين به ومن اهتماماتهم . آن الاله وكـذا الدين لا بد أن يكون محتاجا آلى ان يهزم او يقتل او ينتحـر او يتخفـى أو يهرب أو يخاف من المقاومة بقدر ما يكون قويا وشاملا . .

انه لو كان ممكنا ان يتسلل الاله الكامل الشامل او الدين الشامل الكامل متخفيا حذرا الى أخلاق وحياة مجتمع ما او انسان ما لما كانت هذه الاخلاق والحياة اخلاق او حياة من يؤمنون به ــ اي آذا كان ذلك الالـــه او الدين يريد ان يعيش ذاته وشراسته وقيوده وتعاليمه القوية الباهظة ، وليس لغته ومنابره وكتبه المنزلة فقط .

لقد استطاع الاله والدين آن يعيشا بين المؤمنين بهما لانهمـا كانـــا يعيشان فوق منابرهما وفي كتبهما المقدسة فقط ، لا في حيـاة ولا فـي اخلاق ولا في نيات اولئك الذين يعيشان في أفواههم وتعاليمهم وصلواتهم .

* *

انها لمحاولات ليس فيها من المنطق او من العزاء او من الجمال اكثـر مما في اداء الصلوات او مما في الدعوات والتضرعات الموجهة الى مسامع وضمائر وقلوب الالهة، آن نحاول مطالبة المؤمنين بالاله القوي الكامل الشامل او بالدين الشامل الكامل الخالد بأن يكونوا عالميين او انسانيين او متسامحين او احرار العقول او القلوب او الضمائر أو الاخلاق ، او آن يكونـوا مؤمنين بالتطور او بالحب او بالصداقة الانسانية او العالمية ، آو ان يكونوا مفكرين او مبدعين او مغيرين وخلاقين ، او آن تكون لهم عيون طبيعية او كونية ترى ذوات الاخرين ووجوههم واشياءهم واسبابهم بالقانون او بالمنطق الـعلمي

ترى به ذواتها ووجوهها واشباهها واسبابها هي ـ ترى بهـا الاشيـاء باحجامها وابعادها والوانها وبجمالها ودماماتها وبذنوبها وتفواها ـ تراهـا بمنطق واحد او بقانون واحد او بضمير واحد . انه لمستحيل ان تكون لهم عيون صادقة او عادلة أو سوية او انسانية : او ان تكون لهم وجوه او آذان او لغات او تفاسير كذلك . وهل يوجد حتى من غير هؤلاء المؤمنين من يمكن ان يروا الاشياء باحجامها او الوانها او ابعادها او بصفاتها او من يمكن ان تكون لهم عيون صادقة او عادلة او مهذبة ؟ .

انه لمحال ان يكونوا كذلك ثم يظلوا مؤمنين غير مفارقين لايمانهم بكـل آلهتهم واديانهم . ان مطالبتهم بأن يكونوا هذا وبان يظلوا مؤمنين لا تعني الا مطالبتهم بان يكونوا مؤمنين وغير مؤمنين في موقف واحد ووقت واحد.

انهم حينئذ يطالبون بأن يكونوا مؤمنين جدا ومفكرين جـدا او بأن يفكروا بلا ايمان ويؤمنوا بلا تفكير ؛ او بأن يكونوا جحيميا وبان يكونـوا حدائق مثمرة ؛ او بان تعيش في داخلهم الحياة بكل قوتهـا واساليبهـا والجحيم بكل قسوته واساليبه ؛ او بأن يعيش الاله في انفسهم بكل وحشيته وانانيته مع الانسان بكل قوته وعبقريته ومنطقه .

انهم حينئذ يطالبون ناقصي واردا اساليب المحال .

ولكن اليس كل انسان مطالبا بان يكـون وبان يفعـل اقصى واردا اساليب ومعاني المحال ؟

لقد ظل المؤمنون بالاله الشامل الكامل او بالدين الشامل الكامل في كل التاريخ بكل تماذجهم ومستوياتهم ومكاناتهم لا يتغيرون ولا يتحركـون الا على حساب ايمانهم وبهزيمة او اضعاف ايمانهم . انهم اذا تغيروا أو تحركوا فلا يوجد الا تفسير واحد لذلك ، هو ان ايمانهم قد اصيب ووقع عليـه عدوان حتما . ان الايمان شيء يغري بالاعتداء عليه . انه يحرض دائما ضد نفسه . انه يصنع الاعداء ويبحث عن الهزائم لانه يتحدى كل الطبيعة وكل القوى المتحركة المحاربة .

لقد ظل هؤلاء المؤمنون يتحدون كـل الحوافز والظروف والمواعـظ والتهديدات والتحريضات والتجريبات بقـدر مـا ظلوا مؤمنين محسكين

بايمانهم او ممسكا بهم ايمانهم .

لقد ظلوا لدليلا قويا ودائما على ان المؤمن لا يمكن ان يكون الا مؤمنا اى ما دام مؤمنا . انه اما مؤمن فقط ؛ واما شيء اخر غير مؤمن .

وهل يوجد من يستطيع ان يكون مؤمنا فقط ؟ اذن هل يوجد من يستطيع ان يكون مؤمنا مهيمنا ملأ حياته بالارباب والاديان ؟

انه اذا وجد انسان مؤمن فلا يوجد لذلك الا معنى واحد ، هو انه قد وجد انسان فقط ، انسان غير مؤمن . انه قد اصبح غير مؤمن لانه قد اصبح انسانا . لقد طرد الانسان فيه المؤمن الذي كان فيه ، او الذي ظن فيه .

ان الانسان في الانسان ليطرد دائما المؤمن في الانسان، اي انه ليحاول ذلك وانه لا بد ان يفعله .

انه انسان فقط ، يتحدث عن المؤمن الذي كان يعيش يوما ما في داخله ، والذي كان يوما ما يذل ويهين ويهزم الانسان الذي كان يمكن ان يكون في داخله ، او الذي كان في داخله ثم ارتحل عنه ببطء او بسرعة ، بهدوء وصمت او باعلان وضجيج — او يتحدث عن المؤمن الذي لم يكن قط في داخله كما لا يمكن ان يكون فيه ابدا . ان الانسان لا يستطيع ان يعايش المؤمن في ذات واحدة ، وان المؤمن لا يستطيع ان يعيش في ذات تعيش . انه اي المؤمن لا بد ان يتحطم ويموت في الذات التي تعيش حينما تتصادم بكل الاشياء لانها تعيش . ان الذات التي تعيش لا تستطيع ان تبقي على حياة المؤمن فيها مهما ارادت وحاولت .

* *

وهذه العيون والوجوه والقلوب والالفاظ والاخلاق الفظة الكالحة الحاقدة المتشائمة هل يملكها ويتعامل بها ويحياها المؤمنون بالالهة والاديان الشاملة الكاملة الخالدة وحدهم ام يساويهم في ذلك واحيانا يتفوق عليهم جميع اصحاب المذاهب والنظم والقوميات والوطنيات والتعاليم والنظريات الزائفة لنفسها انها تملك كل التفوق ، وكل المستقبل والذكاء ، وكل اسباب

واحتمالات الانتصار والخلود والانتشار العالمي ؟ هل الجحيم في ضمائر وعيون الالهة والانبياء وحدهم ام في عيون وضمائر جميع المعلمين ؟

هل الذي يصنع ويصوغ تعصب الناس نوع ما يؤمنون به ام نـــوع ايمانهم ــ اخلاق آلهتهم ام اخلاق آبمانهم ــ اخلاق ايمانهم ام اخـــلاق حيانهم ؟

هل الوحشية في اخلاق التعاليم ام في جنسيات المعلمين ؟ .

هل التعصب مستوى وخلق عبيدة وايمان ام هو مستوى وخلـــق انسان او مجتمع ؟ هل العقائد والتعاليم والمذاهب هي التي تجعل النـــاس متعصبين ام الناس هم الذين يجعلونها متعصبـــة ــ ام الناس هـــم الذين يتعصبون ، هم الذين يجعلون متعصبين ؟

هل يموت كل ما في العالم من تعصب لو مات كل ما في العالم مـــن آلهة واديان ومذاهب؟ هل آله اي انسان او اي مجتمع بكل بداوته وقسوته أو بكل ابتسامه ورقته هو الصورة الناتجة عن ذلك الانسان او المجتمع ام ذلك الانسان أو المجتمع هو الصورة الناتجة عن ذلك الاله ؟ هل جاء الناس على مقاسات الالهة والاديان والمذاهب ام جاءت هذه على مقاسات الناس ؟ هل هي التي خططتهم ام هم الذين خططوها ؟ هل تخيلوها ام تخيلتهم ؟ ان كانوا قد جاءوا على مقاساتها فهي على اية مقاسات قد جاءت ؟

أليست هي التي قد جاءت على مقاساتهم دون ان يجبئوا هم على اية مقاسات سوى مقاسات أنفـــهم ؟

ما الذي يجعل الآلهة والمذاهب والاديان هذا او هذا ؟ هل يوجد كائن غير الانسان ، غير المبتدع الواضع لها المؤمن بها يستطيع او يريد أو يحاول ان يجعلها هذا أو هذا ؟

ان الانسان هو الذي يهب اربابه ومذاهبه واديانه وافكاره اخلاقهـا بقدر ما يهب بيوته وازياءه اشكالها ونماذجها والوانها وحدودها . ان الانسان هو البدء لجميع كينوناته الاعتقادية والمذهبية والفكرية والدينية . انه هـــو البدء لاربابه ولكل اخلاق ومستويات واحتياجات ذاته .

انه لو انزل آله واحد دينا واحدا في عصر واحد الى مجتمع واحد على نبيين احدهما مريض بالتوتر والحساسية الباهظة وبخشونة الاخلاق والنفس ، بينما النبي الاخر مصاب بخمود الطبع وبخمود التطلع والاحتجاج والرؤية والاحاسيس ، حتى انه من شدة خموده لا يستطيع ان يشعر باختلاف فصول السنة او بمجيئها او بوجودها ، ولا بتعاقب الليل والنهار ، ولا بان الشمس تجيء وتذهب كل يوم ، ولا بدمامة الذباب واقعا على وجه النبي ، او على آياته واناجيله المنحدثة عن نظافة الاله ، او واقعا على وجه الطبيب ، على عيني طبيب عيون .

ـ كما لا يدرك اي ذلك النبي من خمود طبعه وقاحة المنطق الذي يعاني ويدبر ويخطط لبطق الطفولة الجميلة المرحة ثم ليصيبها بالامراض التي لا علاج لها وبالتشوهات ، او ليصيبها اي الطفولة بالموت الناجز .

ـ بينما النبي الاخر لا يستطيع ان يحس او يدرك او ينكر شيئا من ذلك لشدة كماله الفكري والنفسي والاخلاقي والذاتي .

ـ نعم ، انه لو انزل واوحى مثل هذا الاله مثل هذا الدين ، في مثل هذه الظروف ، على مثل هذين النبيين لكان محتوما ان يجيء عن ذلك دينان والهان مختلفان اختلافا يساوي اختلاف النبيين في صفاتهما النفسية والفكرية والاخلاقية والذاتية والشعورية .

ان فلسفة وتعاليم اي معلم او مصلح او مفكر لن تكون دائما وبمنطق شامل تعبيرا عن ظروف مجتمعه وعصره وعن احتياجاتهما فقط ، دون ان تكون ايضا تعبيرا عن ذاته ، عن مستوياته النفسية والفكرية والاخلاقية والانفعالية ، معبرة عن مستوياته الذاتية . وان دين اي نبي لن يساوي الا نفس ذلك النبي ، ان دينه لن يساوي الهه ، بل ان اله اي نبي لن يكون الا مثل نفس ذلك النبي ، باسلوب ما .

ان كل انسان لا بد ان يكون تعبيرا عن ذاته مهما كان تاثير المجتمع والعصر والظروف عليه . انه يتاثر بالمجتمع وبالظروف وبالعصر الذي يعيش فيه ، ويستجيب لذلك ويستقبله بذاته ، اي بمواهب وخصائص وقدرات ذاته . انه لا يستجيب او يستقبل منفصلا عن ذاته او بعيدا عنها او غير متعامل بها .

انه لو كانت الاستجابة أو التلقي او الاستقبال يتساوى الظروف والمجتمع والعصر فقط دون الذات لكان محتوما ان يجيء جميع من يعيشون في ظروف واحدة وفي مجتمع واحد وفي عصر واحد متساوين في جميع كيوناتهم وافكارهم واخلاقهم واتجاهاتهم ؛ وفي مذاهبهم ، وفي قوتهم وضعفهم ، وفي عبقريتهم وتفاهتهم ، وفي مقاومتهم واستسلامهم ، بل وفي قدرتهم على الحب والسرور وعلى النوم وعلى مقاومة الامراض ؛ وعلى قراءة الحروف الصغيرة تحت الضوء القليل . بل لكان محتوما حينئذ ان يجيئوا متساوين في طول قاماتهم وضخامة هاماتهم وفي لون عيونهم وشعورهم .

انه لو كان محتوما ان يكون كل انسان تعبيرا عن مجتمعه او عن ظروفه او من عصره او عن شيء اخر او عن انسان أخر فقط دون ان يكون تعبيرا عن ذاته كذلك او عن ذاته اكثر ، لكان محتوما ان يقف امامنا هذا السؤال:

والان فمجتمعه وظروفه وعصره وذلك الشيء الاخر او الانسان الاخر تعبير عمن ؟ ان الذات ، اية ذات ، ان ذات اي شيء وكل شيء لا بد ان تكون منطلقه ومنطقه . انها لا بد ان تكون هي البدء له والبدء لنفسها . لا بد أن تكون تعبيراً عنها وان تكون هي تعبيرا عنه مهما كانت ايضا تعبيرا عن غيره وكان هو تعبيرا عن غيرها .

ان الذات هي منطق كل منطق وتعبير كل تعبير تعيشهما وتمارسهما وتتعامل بهما مع نفسها ومع الاشياء الاخرى .

ان لكل ذات انسانية عضلات نفسية واخلاقية وعقلية وشعورية ، متفاوتة المقاسات والقدرات ، تتعامل بها مع الاشياء التي حولها والتي تواجهها . وهذه العضلات لا بد ان تعبر عن ذاتها في تعاملها مع الاشياء. لا بد ان تعبر عن ذاتها بمستوى ذاتها لا بمستوى تلك الاشياء. اننا نتعامل مع الاشياء ونعمل فيها بما تساوي عضلاتنا البدنية، كذلك ايضا نفكر في الاشياء ونفهمها ونشعر بها ونريدها بما تساوي عضلاتنا العقلية والاخلاقية والشعورية .

ان اية عضلات لا تملك من القوة مثلما نواجه او مثل ما حولها . بل مثل ما تملك هي . وان اي عقل او اي انسان لا يملك من الذكاء او من الحماس ما يحتاج اليه الموقف الذي يعيشه او الذي تفرض عليه مواجهته،

بل لا يملك من ذلك الا ما تملكه مستوياته الذاتية .

ان اي مفكر او معلم او مصلح قد ينفصل عن مجتمعه وعن عصره ليكتب ذاته وعنها ، وليحولها الى تعاليم وافكار ، والى آلهة وأديان .

ان مرض المعلم او النبي المريض ليصبح معنى من معاني تعاليمه ونبواته ، وكذلك صحته ، وكذلك قوته وضعفه ، وكذلك ذكاؤه وغباؤه . ان آلام ذاته تتحول الى آلام في تعاليمه . ان آلام النبي الذاتية تتحول آلى آلام ونشوهات في اخلاق الهه .

اجل ، ان ذكاء اى نبي لا يساوي ذكاء الاله الذي ارسله ، بل يساوي ذكاء نفسه . نعم ، ان اي اله أو دين لا يساوي نفسه ، وانما يساوي النبي او المعلم الذي يتحدث عنه .

* *

اذن فهل الايمان بالاله الكامل الشامل المتوحش ، او بالدين الشامل الكامل المتوحش هو الذي يصوغ المؤمنين به صياغاتهم النفسية والفكرية والاخلاقية الرديئة ام الذي يصوغهم هذه الصياغات هي مستوياتهم الذاتية؟

هل ايماننا هو الذي يصوغنا ام نحن الذين نصوغ ايماننا ؟ اينا الاول نحن ام آيماننا ؟

هل من المستطاع او الصواب ان يكون هنا جواب محدد نهائي ؟

بل هل لاي شيء جواب محدد نهائي ؟ وهل من الافضل او الانفع ان تكون للاشياء وعنها اجوبة نهائية محددة ؟

* *

روى التاريخ في احدى اقاصيصه ان قائداً بربرياً هو وجنوده في بلاد ينوي غزوها قامر باحراق سفنه التي حملته الى تلك البلاد ، ثم قال مخاطبا جنوده :

« ايها الجنود الطيبون الاغبياء . ايها القتلة الانذال . يا اقسى واوقح

نماذج الهوان والجبن والعدوان والطاعة والعار .

هكذا علم ذلك القائد وكانه اول قائد او انسان يفهم بكل العمق وظيفة الجيوش تحت كل الظروف والتفاسير .

ثم قال وكانه يصوب اسلحته الى جنوده بل الى كل الجنود لا الى الاعداء فقط ـ قال متصاعدا في صدمه القتال :

« يا اقوى تعبير عن هزيمه الانسان وبلادته وضعفه . يا اغلى كلابي الطبيعة الذليلة المقربة .. أيتها الكلاب الجبانة المهانة . يا كلاب المذاهب والاديان والزعامات . يا انعمها . يا عار الانسان . يا مجد عار الانسان ، يا عار وانام المذاهب والاديان والنبوات والزعامات .

« ايتها الكلاب الطيبه المخلصة . ان البحر وراءكم وان العدو امامكم، وما حياتكم الا ان تتقدموا .. أيتها الكلاب المؤمنة المصلية المنتحبة .

« يا كلابا نباحها الشعارات والمذاهب والاديان والوطنيات والقوميات » ..

وفي نص اخر :

« ان العدو وراءكم ، وان البحر امامكم ، وليس لكم الا ان تخوضوا البحر . يا كلابا لا يقودها الا الالهة والانبياء والزعماء ومعلمو المذاهب » .

بكل هذا الصدق والعمق في الفهم لمعنى الجنود والجيوش كان يتكلم ذلك القائد الى جنوده وعنهم .

وفي رواية اخرى لهذه القصة من اقاصيص التاريخ :

« ان العدو والبحر وكل شيء امامكم ، وليس وراءكم شيء تريدونه او تجدونه او تبلغونه .. يا كلابا لا يعلمها ذنوبها سوى الاديان والمذاهب والزعامات » .

أيمكن ان قائدا قد تكلم هكذا ؟ اذن لعنه كل الاكاذيب وكل الاديان

والمذاهب وكل الشعارات المزورة .

ان الذين ليس لهم وراء لا بد أن يكون لهم امام فقط . وهؤلاء لن يستطيعوا او لن يريدوا الا ان يتقدموا . ان التقدم أو ارادة التقدم حينئذ حتم عليهم . اما الذين لهم وراء ، لهم وراء مملوء بالسحر والاساطير التي هي اكبر واعجب من كل الطبيعة ومن كل قواها وقوانينها وغوغائياتها .

ـ أما هؤلاء فلا بد ان يتراءى لهم الامام كريها مخيفا مجهولا شائكا قاسيا ضالا مشحونا وسكونا بالآلام والاخطار وبالوحوش والابالسة ، او لن يكون الامام مالكا كل الاغراء والشهي عليهم والدعوة تهمهم والهتاف بهم او التغرد باهوائهم وتطلعاتهم . أليس في جمال الوراء او في رؤيته جميلا عدوان على الامام ؟

أليس في ذلك عدوان على العيون وعلى التحديق وعلى الاشواق ؟ أليس محتوما ان هؤلاء لا بد حينئذ ان يحاولوا التراجع الى الوراء ، او لا بد أن يستبد بهم الحنين الى الوراء الذي لن يخشوه لانهم قد الفوه كثيرا في تصوراتهم وأحاديثهم أو في اساليب حياتهم ، ولانه لن يعود الى الوراء مهما دعوه وارادوه ؟

ان الوراء لن يخيف احدا مهما كان رديئا وشريرا ومتخلفا ومتعبا وتافها .

انه لا يستطيع أن يخيف او ان يهدد احدا لانه لن يعود ، وان جميع المنادين له الهاتفين باسمه يعلمون انه لن يعود . لهذا فكم هم اصدقاء له ومشتاقون اليه لانه لن يعود ولانهم يعلمون ذلك . وما اجمل واتقى الشيء الرديء الذي لن يعود والذي لن تخشى عودته .ما اكثر تهذيبه . وما اجمل او اسهل أو ارخص الهتاف له والدعوة اليه . وما أكثر الهاتفين المباركين له . ان اي شيء كان فيه لن يعود . ان احدا من آبائه او من اربابه اومن قديسيه أو من صانعيه او من المتسلطين باسمه ، لن يعود . اذن كم هو جميل ونبيل .

ان اكثر الناس فجورا وفسوقا وزندقة نفسية واخلاقية ليجرؤون على التحدث بأصدق واحر الاشواق واللهفات عن الوراء وعن كل ما كان ومن

كان فيه من الهة وانبياء وملائكة وشهداء ، ومن تقوى ونظافة وصدق وايمان لانهم يعلمون انه لن يعود ، وانهم لن يحكموا او يخضعوا او يلزموا بما كان فيه من تقوى ، او بما يحكى عما كان فيه من تقوى . انه لو كان يعود بالدعوة له او بالحنين اليه لكان مستحيلا ان يحن اليه او ان يدعوه هؤلاء الذين يدعونه ويحنون اليه .

ان الوراء هو اقبل الاشياء وأكثرها لهذيبا واباء ورفضا ونظافة وشهامة لانه لا يقبل العودة . انه يملك شيئا من الكرامة ، لهذا يرفض العودة تحت اي ظرف او سبب من الظروف او الاسباب . هؤلاء الذين يبكون ويرتجفون شوقا الى الوراء ، لو ان احد الانبياء عاد الوراء عاد ليحكمهم بتعاليمه واخلاقه ، الا يكونون هم اشرس من يقاتلونه ويرفضونه ؟

اننا يوم نستطيع ان نقتل ونغتال جميع حنيننا ولهفاتنا واشواقنا المتطلعة الى الوراء — الى الوراء الموفر بجميع الوان الالهة والعقائد والتعاليم وبالاباء والاسترخاء ، وبكل اساطير واساليب الاقراء — اننا حينئذ قد نجد انه لا طريق ولا مكان لنا الا ان نتقدم . وكم هو خسران لنا وسرقة او اخذ منا ان نهب شيئا من عيوننا او من عقولنا او من قلوبنا او من اصواتنا وفصاحتنا لاي وراء من الالهة او الاباء او المعلمين .

اننا حينئذ لن نستطيع ان نوزع اشواقنا ولهفاتنا واهتماماتنا وتحديقاتنا وآمالنا وخطواتنا بين امل يطاردنا ويجب ان نتخلى عنه وامل يختبىء منا ويجب ان نبلغه ، ان نطارده ونصطاده .

نعم ، اننا حين نقتل ونغتال كل ذلك فلن نستطيع ان نتوزع او ان نوزع هذا التوزيع او هذا التوزع .

* *

ان لكل انسان ومجتمع تاريخا او ماضيا يعيش فيه ، يعيش في افكاره وحماسه وفي مشاعره وفي امانيه ، وفي مخاوفه وشهواته — بل ويعيش في موهبته وذكائه ، وفي يديه ورجليه وعينيه ، وفي ضرباته وخطواته ، وفي كل فنونه واساليب حياته — بل ويعيش في لغته وزيه وهمومه ، وفي حبه وبغضه ، وفي قبوله ورفضه ، وفي اشمئزازه واعجابه .

ان كل انسان ومجتمع مسكون ومحتل باعداد هائلة من أصناف القراة والطغاة ومن اصناف الاغبياء والادعياء والمرضى .

ان ذلك الماضي او التاريخ للانسان او للمجتمع يعيش فيه ويضغط عليه ، ويناقضه ويقاتله ويضلله ويعاديه ويحاول أن يفسد ذكاءه ورؤيته واحاسيسه وكل معانيه واستجاباته الانسانية . انه يحاول كل ذلك مهما انتصر او انهزم .

انه ابشع واسفل عدوان يواجهه كل مجتمع وكل انسان في كل التاريخ ، في كل العالم .

ان هذا الماضي او التاريخ الذي يتجمع ويعيش بوحشية وعدوانية في كل انسان وفي كل مجتمع ، ليفتات بكل حياته ومواهبه واحتمالاته واحتياجاته هو تجمعات هائلة متوحشة معادية همجية من الالهة والانبياء والمعلمين ، ومن القادة والزعماء والحكماء والشعراء والوعاظ ، وايضا من الاديان والمذاهب والمعابد والصلوات ، ومن الايات والروايات والاناجيل الكتوبة بكل ما في عقول الالهة واخلاقها ومشاعرها من تجهم وغضب واستبداد وكبرياء وانانية ورجعية وبداوة ـ وأيضا من الاباء والذكريات والتجارب والاشواق المتراكمة الذاهبة بعيدا ، بعيدا الى الاعماق .

انه في كل ذات وفي كل مجتمع تعيش عوالم كثيرة غير مرئية من الاعداء والمناقضين والمغايرين والمتخلفين ، يتدخلون ويهاجمون ، ويأمرون وينهون ويهددون ويخوفون ويصرخون ويطالبون ويضللون ويكذبون ويفسدون ويقرؤون انفسهم ويفرضونها ويلقون بها دون شهامة او كرامة او حياء او ذكاء او محبة ، أنهم اسلوب من الغزو المتوحش .

ان كل انسان وكل مجتمع معتدى عليه ومحتل ومهاجم ، يعتدي عليه وتحتله وتهاجمه عوالم كثيرة غريبة غير مرئية وغير مهذبة وغير كريمة .

ان كل انسان وكل مجتمع مربوط بهذه الحشود والمواكب والعوالم غير المنظورة من الالهة والانبياء والمعلمين ، ومن القادة والزعماء والحكماء والشعراء والوعاظ ، وايضا من الاديان والمذاهب والمعابد والصلوات ، ومن الايات والروايات ومن الاناجيل كذلك . وكذلك من الاباء ومن الذكريات

والاشواق والقراءات التاريخية . ما اقوى الاشواق والذكريات والقراءات . وان هذه الحشود والمواكب والعوالم مربوطة بكل انسان وبكل مجتمع .

انها محمولة عليه ، ملفاة فوقه ، فوق ذكائه وافكاره وحريته ورؤيته وفوق احاسيسه واهتماماته وتحيفاته وضروراته ، وفوق جميع خطواته واتجاهاته ومواهبه .

ان اي انسان او اي مجتمع لا يستطيع ان يخطو اية خطوة الا وهو يجر وراءه ويحمل فوقه اضخم حمولة من العوالم الضخمة غير المرئية ، من الاوثان الشرسة المعادية البيضاء الوضاءة الجذابة المناقضة المخلفة المتناهية الامرة المهددة المستبدة . انظر . ان كل اربابك وانبيائك وآبائك واديانك وتقاليدك محمولون ومحمولة فوق قدميك ويديك وعقلك حينما تخطو او تضرب او تفكر بل وفوق عينيك حين ترى . انها اثقال كلية موضوعة فوق قوى حياة اي انسان ، كلما اراد ان يتحرك ، وكلما تحرك ، وكلما طلب منه او فرض عليه ان يتحرك ، وابنما تحرك، بل وكلما عجز عن الحركة او رفض الحركة او منع من الحركة . انها الاثقال التي يحملها كل انسان وكل مجتمع في كل عصر .

انه لا يوجد كائن يحمل اثقاله او يحمل اثقالا بالوحشية والعذاب اللذين يحمل بهما الانسان او المجتمع اثقاله حينما يتحرك في طريقه او حينما يعجز او يكف عن الحركة ، حاملا فوقه كل ما في تاريخه او ماضيه من الالهة والانبياء والمعلمين والاباء ، ومن الايات والروايات والاناجيل والمذاهب والتعاليم والتقاليد ، ومن الذكريات والتجارب والاشواق ، ومن العاهات والتشوهات والهزائم ، ومن الآلام والاحزان والمشاكل والمخاطر ، ومن الحب والبغض والخوف والتيهات . آه ، ما اثقلها واوقحها من اثقال .

هل يعلم الحاملون لهذه الاثقال انهم يحملونها ؟ هل يشعرون بفداحة او وقاحة معاناتهم ؟

هل توجد اثقال او احمال مثل هذه الاثقال والاحمال ؟ هل يوجد او وجد حمال مثل هذا الحمال ؟ ما اصعب ان تكون اثقالك من جثث الالهة والانبياء والمعلمين ، ومن جثث الشهداء والقديسين، ومن العقائد والمحاريب، ومن الايات والاناجيل .

هل تعرف ايها القارىء ماذا تحمل ؟ هل ترى او تتصور كل ما فوق ذاتك وحياتك من اثقال واحمال ؟ هل تراها ؟ هل تحسها ؟ هل تتألم بها ؟ هل تدري كم انت مظلوم مقهور مثقل محمول عليك؟هل انت راض باحمالك واثقالك او رافض عنها ؟

ايها الانسان . هل تدري كم انت حامل ،وماذا يساوي ما انت حامل، وكيف التزمت بحمل ما انت حامل ؟

ان جميع هذه وجميع هؤلاء قد اصبحت واصبحوا للانسان وللمجتمع وعليهما قيودا تريد ان تمنعهما الحركة ، واحمالا تريد ان ترهق وتحبس قدرتهما على الحركة ، ودعاة وخطباء ينهونهما عن الحركة ، ويخوفونهما بها ومنها ، وهزالا يريد ان يعجزهما او يضعفهما عن الحركة او عن رغبتهما في الحركة ، ودنوبا تريد ان تفسد وتذل ضميريهما ، وبلادات تريد ان تفسد ذكاءهما ، وغبارا وظلاما يريدان ان يضللا رؤيتهما ، وشراسة تريد ان تشوه نبلهما واخلاقهما وجمالهما .

اذن كيف يستطيع اي الانسان او المجتمع ان يرى او يفهم او يخطو او يفير او يبدع ويخلق بل او يحيا وهو يعاني كل هذا ؟ كيف استطاع او يستطيع ؟

كيف استطاع او يستطيع ان يرى شيئا وكل هذا يعيش داخل عينيه، او ان يحس بشيء وكل هذا يعيش داخل أحاسيسه ، او ان يشتاق الى شيء وكل هذا يستبد بأشواقه ؟

كل هذه الحدود والمواكب والعوالم غير المرئية تعيش فوق الانسان وداخل ذاته وحياته ، تهدده وتخيفه وتنهاه وتأمره وتطالبه وتناقضه وتقيده وتشتمه وتشوهه وتضلله وتضعفه وترهقه وتكذبه وتسرقه وتستبد به وتحاكمه .

اذن كم هم الطغاة الذين يحتلون ذات الانسان ، ينهونه ويأمرونه ويرهبونه ويحكمونه ويحاكمونه بل ويشتمونه ويحقرونه ؟

اذن كيف استطاع ان يحيا او يكون او يفعل شيئا كبيرا او ذكيا ؟كيف

يستطيع ان يبتسم او يحاول او يريد او يشتهي او يحب او يقاوم وهو يحمل في داخله او فوقه واحدا من هؤلاء الطفاة ، من هؤلاء الالهة والانبياء والمعلمين،او واحدا من هذه الاديان أو التهديدات او المخاوف،او التصورات؟ كيف وهو يحمل عوالم من هؤلاء الالهة والانبياء والمعلمين ، ومن هذه الاديان والتهديدات والتصورات والمخاوف وليس واحدا فقط ؟

هل في القضيبة غلطة ام الكدوية هائلة ، هائلة ، ام فيها معجزة كبيرة، كبيرة ؟ ام في القضيبة كل ذلك وأكبر من كل ذلك ؟ نعم ، كيف استطاع الانسان تحمل وحمل كل ذلك ؟ كيف لم يسقط الانسان تحت اثقاله هذه؟ كيف استطاع الوقوف او الحركة او الحياة ؟

لقد كان اقل ما يمكن توقعه ان من يحملون فوق ذواتهم وحياتهم وداخل ذواتهم وحياتهم كل هذه الحشود والمواكب والعوالم غير المرئية ان يسقطوا ويموتوا اعياء ورهبة واشمئزازا وحياء وغضبا وضلالا ورفضا للعار والهوان والتلوث والهزيمة ، ولكنهم لم يموتوا ولم يسقطوا ، لقد كان السقوط والموت حينئذ اسلوبا كريما وعظيما من اساليب الحياة والقوة . كيف ماتوا وسقطوا حتى عجزوا عن الموت والسقوط ؟

كيف حدث ذلك ؟ هل في القضيبة معجزة اكبر من كل معجزة ام فيها بلادة؟ هي اكبر من كل البلادات المعروفة ؟ ولكن كيف يكون الشيء اعظم معجزة او بلادة ؟ كيف امكن هذا الافتراض؟ نعم ، وهل في معجزات البشر أعظم او اشهر او اكثر من معجزات بلادتهم ؟

هل الانسان عظيم جدا او تافه جدا حين استطاع ان يحمل كل هذه الحشود والمواكب والعوالم غير المرئية وغير الصديقة وغير المهذبة وغير الملائمة او المسالمة دون ان يسقط من الاعياء او الرهبة او الغضب او من مشاعر الهزيمة والعار والاشمئزاز والتناقض والرفض ؟

كيف استطاع الانسان ان يعيش او ان يتلاءم مع نفسه ومع الاشياء ، او ان يحب ويتعامل تحت هذا العنوان والمعاناة ـ تحت هذه الحشود والمواكب والعوالم غير المنظورة من الالهة والانبياء والاديان الكاملة الشاملة المتوحشة المقاتلة بكل الاسلحة والاساليب والمستويات ، لكل ما في حياة الانسان من اشواق واحتياجات وجوع ومواهب ومن تجاوز ورفض وتحليق

وقدرة ورؤية ؟

انه لشيء فوق كل التوقعات والتفاسير التي يمكن فهمها ان تحمل في ذاتك الها او نبيا او دينا من هؤلاء الالهة والانبياء والاديان ثم تستطيع ان تحدق في اسراب الحشرات وهي تتلاقح داخل عيون اطفالك ، او تحدق في وجوه النجوم الصغيرة الهاربة من الرؤية وانت تتشاءب او تغني او تصلي او تبتسم من داخلك لمجد آبائك وانبيائك في التاريخ . انه لشيء فوق كل التوقعات والتفاسير ان تغضب لشيء او من شيء ، او ان تحب او تبغض شيئا او ان ترى شيئا او ان تعجب بشيء وانت تحمل في ذاتك احد هؤلاء الالهة او الانبياء او الاديان .

* *

انه كما يختلف الناس في قدرتهم على مقاومة الاعداء المحاربين ، وعلى مقاومة الطبيعة المناقضة او غير الملائمة ؛ وعلى مقاومة الحشرات المؤذية ؛ وفي ارادتهم لهذه المقاومة ؛ كذلك يختلفون في قدرتهم وفي ارادتهم لمقاومة التاريخ او الماضي او الوراء ، ولمقاومة ما فيه من آلهة وانبياء وزعماء ومعلمين وآباء ، ومن تعاليم واديان ومذاهب ؛ ومن اشواق وذكريات ، ومن علاقات وقراءات روحية . حتى قراءاتنا الروحية القادمة الينا من التاريخ تتحول الى تغيض والى مقاومة لنا . انها تتحول الى مناقضة وضارة ومعادية كالحشرة وكالطبيعة .

ان هؤلاء الالهة والانبياء والزعماء والخلفاء والاباء والمعلمين والشهداء ، وهذه التعاليم والاديان والمذاهب والاشواق والذكريات والعلاقات والقراءات الروحية القادمة الينا من التاريخ او من الماضي او من الوراء .

ـ نعم ، ان هؤلاء وهذه قد اصبحوا وأصبحت متناقضين ومقاتلين ومقاومين وضارين مؤذين لنا كالطبيعة المناقضة ، وكالحشرات المؤذية والضارة ، وكالاعداء المحاربين . ان مناقضة آلهتنا وانبيائنا وآبائنا لنا وعدوانهم علينا اسوأ من اساليب الطبيعة في مناقضتها لنا ومن عدوانها علينا .

ان الضرورة والمنطق اللذين يفرضان علينا مقاومة الطبيعة والحشرات

والاعداء يفرضان علينا ايضا مقاومة التاريخ او الماضي أو الوراء بما تقـــل الينا من آرباب وانبياء وخلفاء وشهداء وزعماء وآباء ومن اديان وتعاليم ومن اشواق وذكريات وآلام وهموم ومحاربيه وقراءات قد اصبحت واصبحوا غير ملائمين لنا او معادين لنا مثل الطبيعة والحشرات والاعداء المحاربين . هل الطبيعة والحشرات تتحول في تفاسيرها الى مناقضة ومعادية لنا اكثر مما تتحول الالهة والانبياء في تفاسيرهم الى معادين ومناقضين لنا ؟

أن البشر ليختلفون في انواع واخلاق الاعداء والطبيعة والحشرات التي يواجهون ويقاومون كما يختلفون في انواع واخلاق التاريخ ، وفي انواع واخلاق ما فيه من آلهة وانبياء وخلفاء وشهداء وآباء ، ومن اديان وتعاليم ومذاهب ، ومن اشواق وذكريات وارتباطات روحية ونفسية وتصورية وفكرية ، وكذلك من هموم وآلام ومن عداوات ومخاوف واحقاد ومن هزائم وانتصارات ، ومن عار ومجد وهوان وكبرياء . ولكن اليس التاريخ او الماضي الذي له كل هذه الذنوب ، اليس له ما يمكن ان يصبح دفاعا او اعتذارا عنه ؟ اليس نهبنا كل خطواته وانتصاراته وتجاربه ومعارفه بقدر ما يفرض علينا كل بلاداته وجهالاته واكاذيبه وذنوبه وهمومه وآلامه وهاماته ، وكل آلهته وانبيائه وطغاته ومعلميه ومهرجيه ؟ اذن اليس لـــه ما يمجده مهما كان له ما يعيبه ؟

انا يشيء كثير من التدين ومن الغرور المذهبي والفكري نزعم اننا نرفض الايمان بالمذهب القائل بتناسخ الارواح .

ولكن السنا أكثر من كل البشر ايمانا بهذا التناسخ وتصديقا له ، بل ودعوة اليه ، بل وتجهيلا واتهاما وتكفيرا لمن لا يؤمنون به ؟

وهل يعني ايماننا او تدينا شيئا غير الاقتناع بهذا التناسخ وتحـــير الدعوة اليه والهجاء لمن ينكرونه ؟

ان ارواح القدماء ، جميع القدماء الذين علمنا الرضا عنهم والايمان والاعجاب بهم لتسكن فينا وتنتقل الينا ، أو يراد لها ومنها أن تفعل ذلك في مواكب طويلة تاريخية ضاجة تهتف وتبتسم لها كل عيون وقلوب وحمـاس الآلهة وجميع وحدات الطبيعة .

ان التناسخ الذي نؤمن به وندعو اليه ونتمناه تناسخ اخر ، اكثر نقاوة وشمولا من كل تناسخ قال به او آمن به اي قوم .

ان التناسخ الذي ندين به وندعو آليه هو افظع واردأ وافبى من كل تناسخ دان به اى انسان .

اننا نريد ان تنتقل روح كل نبي او شهيد او ولى أو خليفةبل او روح كل اله الىذات كلانسان مهماكان صغيرا او تافها او مشوها او رديئا لتعيش فيه بكل اخلاقها ونظافتها وشموخها ونباتها ومستوياتها ، وليعيشهما هو بكل تلوناته وتفاهاته وضعفه وهبوطه وبكل مستوياته العاجزة . اننا نريد ان تعيش الروح الواحدة ، روح النبي الواحد أو الخليفة الواحد او الشهيد الواحد او الامام الواحد بل او السلطان الواحد بكل فضائلها وتوآهاومعانيها في كل ذات ، بكل ضعفها ورذائلها ونقائصها . اننا لا نقول بأن الروح الواحدة تنتقل الى ذات واحدة كما يقول المؤمنون بالتناسخ ، بل نقول أن الروح الواحدة يجب ان تنتقل الى كل الذوات المتناقضة والمتفاوتة المستويات .

اننانقول آن كل حجم واكبر حجم يجب ان يوضع فى كل مكان وفى اصغر مكان . وان كل قمة ونظافة يجب أن توضع في كل حضيض وفي كل قذارة . وان كل سيف وكل سلاح يجب ان يوضع فى اي غمد وفي كل غمد ، فى كل يد وفي اية يد ..

اننا لا نقول ان الروح العظيمة القوية النظيفة تحل او يجب ان تحل فقط في الذات العظيمة القوية النظيفة ، او في ذات واحدة فقط من هذا الطراز . بل اننا نقول ان اعظم واقوى وانظف روح تحل او يجب ان تحل فى اتفه واضعف واردأ ذات ، بل فى كل ذآت من هذا المستوى .

اننا نقول ان اعظم وانبل عقل يجب ان يعيش او ان يركب في اصغر رأس واردأ راس .

اننا نقول ان روح اعظم الانبياء يجب ان تعيشها بكل مستوياتها ذآت اردا او اصغر انسان . ان روح او ذاتهذا الانسان الاردأ او الاصغر يجب ان تتعلم جميع مزايا وقوى واخلاق وذكاء وسمو روح ذلك النبي الاعظم

لتحيا كل ذلك وتتخلق به وتفهمه وتتقبله وتعبر عنه على المستوى الذي يفعله روح ذلك النبي الذي هو اعظم واكبر الانبياء . اننا اذن نقول اردأ شيء واغبى شيء .

اليس تحقيرا وتشويها للروح العظيمة اخلالها في ذات رديئة ؟ اليست مطالبة الذات الضعيفة بان تحيا وتفهم وتتقبل وتتعلم وتدعي جميع مستويات ونماذج الروح العظيمة اسلوبا قاسيا وبديئا من اساليب الهجاء للروح العظيمة ؟

اليس عدوانا على الانبياء والشهداء والخلفاء والملاطين الاتقياء العظماء ان نطالب الصغار والاغبياء والناقصين والعاجزين والمتوترين ان يقتدوا بهم او ان يكونوا مثلهم في اخلاقهم او في تفكيرهم او في نياتهم او في نظافتهم او في نموهم وقوتهم ومصيرهم ونضالهم وفي جميع معاناتهم والتزاماتهم النفسية والعقلية والسلوكية ـ ان يضعوهم معهم في بيوتهم ؟

اليس هذا تصغيرا لاولئك لا تكبيرا لهؤلاء ؟ اليس تحقيرا لمن يعلمون لا احتراما لمن يتعلمون ؟

ليست جميع تعاليمنا قائمة على ان الكبار جدا من الانبياء والخلفاء والشهداء انما يجيئون لكي ينقلوا ارواحهم بكل تفاسيرها الى ذوات جميع الصغار ؟ السنا نعترض ونعلم ان هؤلاء الكبار جدا انما جاءوا ويجيئون لكي يعيشوا بكل ارواحهم في ذوات وارواح جميع الصغار ، جميع الناس الصغار والكبار ؟ هل يمكن نقل اكبر عقل الى اصغر راس ، او هل يمكن نقل اكبر روح واعظم روح الى اصغر واردأ ذات ، هل يوجد مثل هذا التناسخ ؟

الا السنا نؤمن بنموذج من التناسخ او من تناسخ الارواح لا مثيل له في البشاعة والتشويه والتحقير والعدوان والشمول ؟ السنا نحقر ونشوه انبياءنا وخلفاءنا وشهداءنا وعظماءنا وقديسينا حينما نحاول نقلهم الى كل ذات وعقل وضمير وخلق ومستوى والى كل بيت ؟ السنا نبالغ جدا في هجائهم حينما نظن اننا نبالغ جداً في تكريمهم وفي الايمان بهم ؟

السنا حينئذ نضعهم ونعرضهم في كل الصور وفي كل المواقف وفي كل المستويات والمقاسات والاماكن ؟

ان التوطين لارواح انبيائنا وشهدائنا وخلفائنا وصالحينا في اروآحنا قد يعني اسلوبا من اساليب المنافسة او المزاحمة او المقاومة او المطاردة للارواح الجديدة التي تحوم حولنا وفوقنا والتي تخيفنا وتهزمنا وتهددنا وتتفوق علينا .

قد ترفض الارواح البدوية والهمجية ان تتخلى عن مكانها للارواح الحضارية . قد يرفض الاله ان يتنازل للانسان . ان الارواح تتنافس وتتزاحم ، ويقاوم ويطارد ويرفض ويخاف بعضها بعضا كما يحدث في الاجسام وفي الوحدات المادية . ان الارواح يحسد بعضها بعضا ويبغض بعضها بعضا ، ويغار بعضها من بعض ، ويخجل بعضها من بعض .

وهل يقاسي من هذه الآفات سوى الارواح ؟ هل يوجد مثل الارواح تدنيا وهبوطا وتقاتلا وخوفا ومعاناة ؟

ان لارواح انبيائنا ومعلمينا وقديسينا وارواح ابائنا التي تحتلنا قد تخاف وتبغض وتحسد ارواح ابنائنا وارواح عصرنا وارواحنا التي تريد ان تعيش كل حياتنا وان تطرد كل ما سواها ، كما انها قد تغار منها . وان ارواح عصرنا وارواحنا وارواح ابنائنا التي تصوغها الحياة الحاضرة والحياة المقبلة ، والتي تواجه الظروف الجديدة والظروف التي سوف تصبح هي الظروف الجديدة قد تخجل وتشمئز من تلك الارواح البدوية التي تحتلنا، التي تحتل عقولنا ولغاتنا ومشاعرنا واماينا والتي تصوغ جميع تعبيراتنا وتعاليمنا ونماذج حياتنا .

انها لهذا قد تهرب متباعدة عنا ، وقد يضعفها او يمرضها الخجل والاشمئزاز .

ان هذا التناسخ الفكري والاخلاقي والنفسي واللغوي قد يكون له معنى ما او تفسير ما في جعلنا دائما مصابين بالعجز عن التغيير وعن التقبل وعن الانفتاح وعن الانطلاق في المسارات الحضارية والانسانية الجديدة ، وفي جعلنا دائما بدوا لا نستطيع ان نتحضر في تعبيراتنا اللغوية والفكرية والنفسية والاخلاقية وفي جميع تعبيراتنا ومواقفنا .

ان جميع اتفاقنا النفسية والانسانية مغلقة دائما بتلك الارواح البدوية التاريخية المستبدة المتوحشة في انانيتها وفي بداوتها وفي استبدادها .

ان جميع معانينا واحتمالاتنا مشحونة ومكونة بتلك الكائنات المجهمة المتعصبة الرافضة لكل المنافسين والانداد .

ان جميع الانهار الجديدة ان تجد لها مجرى في حياتنا ليس مسدودا بالكثف واصلب التجمعات الرديئة .

ان جميع طاقات الذاتية مغلقة امام احتمالاتها وامام نفسها ، وعن احتمالاتها وعن نفسها ، او يراد لها ومنها ان تكون كذلك .

نعم ، انه يراد منها ولها ان تكون ذلك مهما عصت او عجزت ان تكونه .

وانه لمحتوم ان تكون عاصية . انها لا تستطيع ان تكون الا عاصية مهما تعاظمت الطاعة وارادتها .

* *

كل الرثاء لك ايها الانسان ، يا حاملا اقسى الاوزار .. يا حاملا كل الماضي والحاضر ، وحاملا ايضا في قدرك وقسي نياتك وامانيك وطموحك ، وفي خطواتك ، كل المستقبل .

.. يا حاملا كل هؤلاء الآلهة والانبياء والمعلمين والشهداء والقديسين، وايضا كل هذه الاديان والتعاليم والمذاهب والمعتقدات ، وايضا كل هذه المحاريب والمنابر والصلوات وكل هذه الايمان والروايات والاناجيل ، وايضا كل هذه الاشواق والذكريات الروحية ، وايضا كل هذه الهموم والآلام والورطات والعاهات والهزائم التاريخية . يا حاملا كل ما كان وكل ما هو كائن وكل ما سوف يكون ، وكل ما لا يمكن ان يكون .

لك كل الرثاء ايها الانسان . يا من لا يحمل كائن مثل اثقالك ولا شيئا من اوزارك ، يا من لا يؤمن اي كائن مثل ايمانك بمثل اوثانك . يا من لا يهون كائن بعقله وايمانه مثلما تهون بعقلك وايمانك .

يا من لا يعيش اي كائن مثل دموعه ولا مثل ذنوبه ولا مثل ورطاته ولا مثل اكاذيبه وتناقضاته وهزائمه . يا من لا يقاسي اي كائن مثل اشواقه او شيئا من اشواقه . ما اقسى اشواقك ايها الانسان .. ما

افسي وادوم واشعل اشواقك ، من الملو الوحش الذي صنع فيك اشواقك ؟

... يا من يريد ويتمنى ويحاول ان يعيش كل الموت والموتى ، بينما يواجه ظروفا تفرض عليه ان يعيش ، بالارادة والتمني والمحاولة والالزام كل الحياة وكل معاني الاحياء . يا من يريد الشيء ونقيضه ويتمنى الشيء ونقيضه ويفعل الشيء ونقيضه ويؤمن بالشيء ونقيضه . يا من لا شبيه له في تصادم آراداته ومواجهاته وتحديقاته .

يا من يريد ان يعيش كل وحشية الالهة وبداوتها ، وكل انسانية الانسان وحضارته . يا من يريد ان يكون كل العقل وكل الجنون ، كل الحق وكل الباطل ، كل الخطأ وكل الصواب . يا من يريد ان يكون كل الرؤية وكل العمى ، كل شيء ونقيضه .

.. يا من يريد أن يضع أرواح جميع ارباب والبشر وخلقه وشهداته واتقياته في ذات اصغر واضعف آحاده . يا من يريد ان يضع كل سعواته في كل حضيضه .

نعم ، لك كل الرثاء يا ايها الانسان . يا من لا مثيل له في ذكائه ولا ايضا في غبائه ، في احزانه ولا ايضا في مسراته ، في انتصاراته ولا ايضا في هزائمه ، في نبله ولا ايضا في نذالته ، في ايمانه ولا ايضا في كفراته ، في طاعته ولا ايضا في عصيانه ، في طهارته ولا ايضا في قذارته ..

.. يا من لا مثيل له في عظمته ولا ايضا في تفاهته ، في كبريائه ولا ايضا في هوانه . يا من لا مثيل لجحيمه ولا مثيل لجبرانه . يا من لا مثيل لاوهامه واكاذيبه ، ولا مثيل لحقائقه ورؤاه .

* *

اجل ، ان الانسان بلا نموذج في طاعته وفي تجمع الالهة والانبياء والمعلمين والقضاة والمهرجين والادعياء والاغبياء والخبثاء ، وفي تجمع الاكاذيب والبلادات والروايات والاشباح والارواح والمحاريب والمقابر والاشياء والطبيعة والتاريخ والماضي ، وفي تجمع كل ما كان وما سوف يكون وما لن يكون ، في ذاته .

انه لا مكان في هذا الكون يتسع لما تتسع له نفس الانسان او يتجمع

فيه ما يتجمع فيها دون ان تضيق او تزدحم او تمتلىء .

اجل ، ان الانسان بلا نموذج في تجمع كل شيء في ذاته .. في عقله وفي جسمه ، في احاسيسه وحواسه ، وفي اخلاقه وفضائله ، وفي حبه واشواقه ، وفي مجاربه ومتاعبه وصلواته ، وفي ايمانه ، وفي كتبه وتعاليمه .

ولكنه ايضا بلا نموذج في عصيانه ولا في كفرانه .

بل انه هو وحده العاصي في هذا العالم . انه وحده العاصي الكافر ..

لهذا فانه هو وحده الصانع لتحضيرات في هذا العالم ايضا ..

ان كل الفرق بين الانسان وبين اي كائن او شيء في هذا العالم او في هذا الكون ان الانسان هو وحده الذي يريد ان يعصي ، ويفكر في ان يعصي ، ويستطيع ان يعصي ، وانه هو وحده الذي يعصي ، اي الذي يتقن العصيان .

انه يعصي كل شيء بكل شيء .. بفكره ومنطقه ، وبارادته وشهوته ، وباخلاقه ، وبكينونته ، بل وبمذاهبه واديانه وتقواه ، وبايمانه ايضا .

انه يحول العصيان الى ايمان ، بل يحول الكفر الى ايمان . انه لا يكفر عصيانا فقط بل ويكفر ايمانا .

ولكن العصي لن يكون الا شيئا واحدا . ان العصي هو دائما الطبيعة . نعم ، ان العصيين كثيرون جدا ومتنوعون جدا في صيغهم وجنسياتهم وذواتهم ... ولكنهم جميعا ليسوا سوى الطبيعة في عديد اشكالها وثيابها ووجداتها والغائها . انها اي الطبيعة تتنكر في صور وصيغ آلهة وانبياء وزعماء ومذاهب واديان واخلاق واشياء اخرى .

انها هي كل من يطاع ايضا كما انها هي كل من يعصى . ان اي اله او نبي او زعيم او دين او مذهب او تعليم نطيعه او نعصيه لن يكون الا احدى صيغ او صور الطبيعة المتنكرة والمتنكر عنها ومنها .

شعبي شجاع جدا

« ... ان شعبي لا يمتع الزنادقة ولا الملحدين ولا الغاضبين ولا الرافضين ولا المحتجين ولا الخوارج لانه اي شعبي لا يمنع المعصاة .. انه قد يغضب غضبا ذاتيا تحت الاسباب الذاتية الصغيرة التي تغضب لها الكائنات الصغيرة جدا . ولكنه اي شعبي لا يغضب غضبا عقليا او اخلاقيا او حضاريا اي لا يغضب غضبا انسانيا ...

« ... اواه يا شعبي متى تسعد الى ان تكون مصابا اصابات خطيرة بهذا النوع من الغضب !! .. ان شخصيات شعبي لا تصاب بالتصادم او بالانشقاق الذاتي او الداخلي . ان شيئا فيه لا يعارض او يناقض او يرفض او ينكر شيئا فيه . ان شيئا ما من افكاره او اقتناعاته او اخلاقه او مواقفه لا يخاصم او يقاوم اي شيء من ذلك فيه بل ولا يحتج عليه ..

انه بلا مقاومة او خصومة لا بين اية ذات ونفسها ولا بين اية ذات وذات اخرى . انه متوحد في مستوى كبرياء الانسان فيه مهما كان منشقسا في احتياجات وفي معاني البراغيث فيه .. »

* *

نعم ، اني هنا اريد ان اتحدث عن اسلوب واحد من اساليب شعبي في شجاعته ... ولكني لا بد ان اقاسي من الحرج ومن عتاب الضمير ومن ثائمه ومن شعوره بالذنب وبالعدوان على الاخرين . على الشعوب الاخرى حينما اروي لها اسلوبا واحدا من اساليب شعبي في ممارساته لشجاعاته ولمواقفه الشجاعة التي لا بد ان تتحول الى تصغير وادلال وهزيمة لجميع شجاعات الشعوب الاخرى ..

... ان هذه الشعوب الاخرى حينما احدثها عن شجاعة شعبي سيقتلها او يذلها الخوف من شعبي ، وستمزقها الغيرة والحسد منه وله . وستوجعها جدا محاولة المنافسة او الخوف من المنافسة .. وستعذبها حينئذ مشاعر الضآلة والمهانة محاسبة شجاعتها وكبرياءها بشجاعة شعبي وكبريائه ..

.. لقد ترددت وتعذبت هنا كثيرا ، كثيرا بين امتلاء رغبتي وتأثم ضميري ..

هل أكون شبيها الى اقصى مستويات الوحشية بان اتحدث امام الشعوب الاخرى عن شجاعة شعبي فأصيب كبرياءها وشجاعتها واعجابها بنفسها واعتزازها بكل ما في تاريخها من ابطال وبطولات وامجاد ، بكل معاني الاذلال والتعجيز والقهر ، ام اختار ان اكون غدارا وخائنا وجبانا امام ضميري وعواطفي فاذهب اتمدد اخفاء شجاعة شعبي رفقا ورحمة بالشعوب التي لن تستطيع أن تطاول او تجاري شعبي في ذلك او ان تحاول مطاولته او مجاراته كما لن تستطيع ان تغفر لنفسها هوانها وجبنهاوعجزهاوخوفها، محاكمة ومحاسبة نفسها بما تسمعهعن شعبي؟اني اخاف ان تحاسب نفسها بما سوف أروي لها عن شجاعة شعبي ... ماذا اكون ، او ماذا اختار ؟ هل اكون هذا ام هذا ؟ هل أكون غدارا وخائنا ومقدرا ام اكون وحدها عدوانيا ؟ هل اكون انسانا اي انسانيا ام اكون حقيقة اي واقعا بكل وحشية الواقع والحقيقة ؟.. هل استجيب للواجب والضمير ام استجيب للرحمة والرفق وللضعف الانساني ؟ ما اقسى الخيار أحيانا بل ما اقساه دائما . ان اقسى ما في الخيار الشعور بقسوته ..

اجل ، ان شعبي شجاع جدا .. شجاع افرادا وشجاع مجتمعا ..

اني لن اجرؤ ان احدثك الا عن اسلوب واحد من اساليب شجاعته بل عن اصغر اساليبه الشجاعة .. اني اهاب واجبن ان أروي لك الا اقل واصغر اساليبه هذه . ومع هذا فكم انا متضائل وساذج بل وغر جدا حينما اطمع في ان تصدقني بل في الا تتهمني بنهمة اكبر من التفاؤل والسذاجة والغرارة ..

لافترضك مواطنا من مواطني شعبي ، بل لافترضك اي مواطن في اي شعب . ولكن افتراضك مواطنا في شعبي يتحول الى تدليل اكبر جدا على شجاعة شعبي ..

نعم ، انت الآن مواطن في شعبي او مفترض كذلك ...

.. اذن ، احذر جدا ان تكون صادقا او مفكرا او مضللا او ذكيا او نظيفا بل او نقيا او متدينا بضميرك او باقناعك او من داخلك او بعقلك او ان تكون محدقا اي تحديق في اي شيء او الى اي شيء : او ان تكون مصليا في غير مسجد السلطان او مستمعا الى غير خطبة السلطان او راويا او مفسرا غير خطبة السلطان ، بغير لغة السلطان وتفاسير السلطان

وحركات السلطان ، بل او ان تكون في يدك مسبحة غير مسبحة السلطان او نسخة من الكتاب المقدس مطبوعة طبعة غير الطبعة التي في يد السلطان او ان يكون مفسرها غير المفسر للنسخة التي في يد السلطان او ان تكون مطبوعة في غير مطبعة السلطان ، او ان يكون اي معنى من معانيك ليس احد معاني السلطان .. نعم ، اني احذرك ان تكون مؤمنا او متدينا بصدق ووفاء والتزام . انه لا شيء يخشى ويعاقب في بلاد الايمان والتدين مثل الايمان والتدين حينما يكونان صادقين منفذين او لو كانا كذلك وهل يمكن ان يكونا كذلك ؟ .. نعم .. نعم .. واحذر ان تكون نسخة انسانيه مخالفة او مغايرة لاية صيغة او لاي تعبير من صيغ او من مقاييس جنث اسلافك وآبائك وسلاطينك وخلفائك وانبيائك وكهانك الذين ترويهم لك رواياتك القديمة ، القديمة جدا ، رواية وارثة لها من قبورك القديمة ، القديمة ، وعمن قبورك القديمة ، القديمة .. ان كل حياتك يجب ان تكون ابدا رواية عن القبور .. ان كل مجدك ان تكون رواية قديمة عن اقدم القبور ، ان كل امجادك امجاد تسكن القبور وتصنعها القبور .. نعم ، انه يجب عليك دائما ان تنقل قبرا قديما ، قديما مهما بدوت في صورة انسان ، او مهما حييت انسانا ... أجل ، وهل اكثر الناس الا قبور مهما جاءوا في صور وملابس البشر !

اجل ، ثم احذر جدا ان تكون رامضا او محنجا او ناقدا او غاضبا عضبا عقليا او اخلاقيا او مذهبيا او فكريا او نفسانيا ، او ان تكون شجاعا .. اجل ، ان هذه هي الزندقة الكبرى ، ان اكبر الزندقات ان تكون شجاعا .. ان اكبر الزندقات في حسابات شعبي الشجاع جدا ، ان تكون شجاعا في اي معنى من معانيك ...

نعم ، حذار ان تكون شجاعا حتى ولا في عينيك او في نظرتك ، حتى ولا في انفك او في اصغاءاتك او انصاتاتك ، حتى ولا في صوتك هاتفا او مصليا او صادحا ، حتى ولا في اي تعبير من تعبيرات ارتجافك وامانك ومبتهلك .. حتى ولا في اية لغة من لغات اعصابك او عضلاتك او احشائك او اناتك ... حتى اناتك وآهاتك وضراعاتك ، حذار ان يكون فيها اي تعبير من تعبيرات الشجاعة .. حذار ان تكون محاسبا او محاكما او مسائلا او طالبا الفهم او التفسير ..

نعم ، انت مواطن من مواطني شعبي الشجاع جدا .. انت لا يمكن ان في شعبي او انت مفترض كذلك ، ولا بد ان يسرك جدا هذا الافتراض ، اليس كذلك ؟ اذن احذر .. احذر جدا ان تكون شيئا من ذلك .. ان يكون فيك

شيء من الخطايا والخيانات والزندقات التي سمعت الان الحديث عنها .. بل احذر جدا ان تكون متهما بها أو محتملا ان تكون متهما بها او مرويا عنك انك متهم بها أو انك قد اتهم بها ..

ان اتهامك بذلك ، مجرد اتهامك ، يصبح واقعا ، يصبح آلشك فيه خيانة . بل ان مجرد اتهامك بذلك يصبح تبوة ، يصبح له قوة النبوة ، يصبح الشك فيه يساوي بل يعني الشك في النبوة وفي صدق النبي ! ...

اجل ، انت مواطن من مواطني شعبي الشجاع جدا او مفترض انك كذلك ... اذن فالمطلوب منك ان تتحدث دائما في مجالسك الخاصة والعامة، في جميع مجالسك ، ان تتحدث عن الجنس بكل معانيه ومعانيه ، وان تغتاب وتسب وتذم وتحتقر وتشتم وتفيح وتشوه وتهون وتهوي وتصغر ، تصغر حتى لا يبقى لك اي حجم .. وان تغوص ، تغوص في جميع التفاهات والحقارات والاوحال والمذلات مع احتقارك وأنهامك وسبك لكل شيء جيد ونكل انسان متفوق ولكل حضاره وكل تقدم وكل علم وكل فلسفة وعبقرية وموهبة بل وتقوى وتدين .. لان التحدث في ذلك قد يحميك ويصرفك عن التحدث في الشؤون والقضايا الانسانيه الكبرى .. في التفكير او في الحرية او في الحضارة او في المذاهب او في السياسة او في العلوم او في الفنون او في الاخلاق .. وهنا قد يجعلك متكلم او تفسر او تفهم بغير لغة السلطان او بغير تفاسيره او بغير عقله وفهمه أو بغير لغة او تفاسير أو عقول او افهام الجثث القديمة ، القديمة .. الكائنة في المقابر القديمة القديمة .. جثث الانبياء والاباء القدماء العظماء كثيرا كثيرا .. الذين اتفق معهم السلطان القائم بيننا بل وكل سلطان قد كان او سوف يكون على ان يكونوا مستشاريه واعوانه وجنوده وانبياءه الطيبين .. الطيبين جدا ، ودائما ، دائما بلا اي خلاف على اي نص و على اي تفسير او على اي موقف او قضية .... ما اروع واتبل واتقى الاتفاق الدائم الموفى بين جميع السلاطين وبين جميع الانبياء وجميع تعاليمهم وكتبهم المقدسة المتلوة في جميع المحاريب ، في جميع العصور والمجتمعات ، من فوق جميع المنابر ..

هل وجد اتفاق ملتزم في جميع العصور مثل الاتفاق الموقع الملتزم دائما بين اهواء السلاطين وتعاليم الانبياء ؟ ما اجمل واتقى الصداقة الدائمة بين كل سلطان قائم ونبي قد مات .. بين كل سلطان مهما كان عصره

وبين كل كتاب مقدس تتلوه وتحفظه المحاريب ؛ .. هل وهبه او يهب السلاطين الخارجون على تعاليم الانبياء صداقتهم وولاءهم مثلما وهبوهما او يهبونهما للانبياء ؟ وهل قاتل وظلم وعادى باسم الانبياء مثل الخارجين عليهم بنياتهم وسلوكهم ؟.. هل خرج على تعاليم الانبياء مثل من يحكمون ويخطبون ويعادون ويبطشون باسم الانبياء ؟

نعم ؛ انت احد مواطني شعبي الشجاع جدا .. انت الان كذلك او مفترض كذلك .. اذن عليك الا تعارف اية خطيئة او زندقة من هذه الخطايا والزندقات التي سمعت الحديث عنها والا فهذا هو بعض عقابك بل اصغر واسهل اساليب عقابك الذي لا بد ان يوقعه بك شعبي الشجاع جدا ..

.. لا بد حينئذ ان يخافك كل الخوف وان يرفضك كل الرفض بكل ايمانه وبغواده ؛ وبكل ولائه لسلاطينه وكهانه وقبوره وتاريخه . بل بكل ولائه لهزائمه أمام كل اعدائه . انه لا بد ان يخافك وان يرفضك افرادا ومجتمعا لانه لا نموذج لشجاعته .. انه حينئذ لا بد ان يهاب لقاءك ورؤيتك او اتهامه بذلك باسلوب لا بد ان تخجل منه الحشرات . انه حينئذ سيختنق خوفا من ان تلقاه او يلقاك .. من ان تراه او يراك ؛ من أن تزوره او يزورك ؛ من ان تتطق باسمه او ينطق باسمك ولو غلطا او تشابها بالاسماء .. من ان تمرا في طريق واحد او ان تجتمعا في مكان واحد ولو لم ير احدكما الاخر او يكلمه او يعلم به او يصافحه او يبتسم له بل او يعبس له ... من ان يذكر اسمك امامه ؛ من ان يسأل عنك .. هل مات .. هل مات شنقا او تعذيبا او باطلاق الرصاص عليه ؛ او خنقا او ضربا ... بالحاكمة ام بالاغتيال ... هل دفن ام احرق . هل دفن في الصحراء ام في المدينة ؛ في بلده ام في بلاد اخرى .. في مقابر اهل دينه ام في مقابر اصحاب الاديان الاخرى .. ان رؤيتك حينئذ او لقاءك او معرفتك او ذكر اسمك او الحديث عنك باي اسلوب حتى ولو بالسب والاهانة لك والبراءة منك ستصبح مشكلة بل عقدة بل تعذيبا بل موتا واذلالا وارهابا لكل شعبك افرادا ومجتمعا .. بل ان اتهامهم بذلك ؛ افرادا او مجتمعا ؛ او احتمال اتهامهم او الخوف من هذا الاتهام او التهديد بهذا الاتهام سيصبح احدى مشاكلهم ومخاوفهم واحزانهم وذنوبهم ومقاتلهم .. ان احتمال اتهامهم افرادا او مجتمعا بذلك سوف يتحول الى سلاح رهيب رهيب يرهبهم ويخيفهم ويذلهم به اي انسان ؛ بل اضعف واجبن انسان .. انهم حينئذ محتاجون جميعا حتى الكبار منهم جدا الى ان يركعوا لهذا المهدد المخيف الذل لهم بهذا السلاح ؛ ضارعين متوسلين اليه ان يكون يوما رفيقا رحيما واعدين له بكل الثمن وباغلى الثمن وبكل الهوان والطاعة والاستسلام

لضغوطه وإملاءاته وشروطه وتحت أقدامه لئلا يروي عنهم انهم يعرفونك او يعرفون اسمك او يعرفون قراءة اسمك لو وجدوه مكتوبا باقلامهم .. ان محاولة البراءة حينئذ من هذا الاتهام او من هذه الزندقة ستصبح حينئذ احد الفنون الصعبة او احدى القضايا الكبرى الاليمة الكئيبة .. ولعل محاولتهم البراءة من هذا الاتهام هو فتهم المثير او قضيتهم المتفردة التي تصنع فيهم ولهم الحماس والارتجاف اي حماس وارتجاف الخوف والتوبة والاعتذار والاستغفار .. انهم خامدون ، خامدون الا حينما يخافون او يتوبون أو يستغفرون او ينافقون ، او حينما يذكرون انهم يعرفونك اي ان كنت متهما بالصدق او بالذكاء او بالنظافة او بالتفكر أو بالتحديق في الاشياء والاشتراط عليها .. حتى كتابة اسمك حينئذ حتى ولو في حساب المونى ، انها مغامرة كبرى ... هل يمكن ان نصدق ان احدا منهم قد يملك من جنون الشجاعة ما يجعله يجرؤ على ان يكتب اسمك بقلمه او على اوراقه التي يكتب عليها كل انواع واسماء وجنسيات واوصاف واخلاط الحشرات واماكنها وقبائلها وعاداتها وتقاليدها وشهواتها وكل ذنوبها وصغائرها واهتماماتها بل وهمومها وغراماتها .. ما اشجع شعبي على التحليق والتحديق في حضيض الحشرات .

... ان شجاعة شعبي لتجد لك كل الغفران لو انك اغتصبت عفة الشمس بالاكراه او بالخداع دون ان تجد لك اي غفران او احتمال غفران لو انك عرفت او صادفت انسانا قد بقي في جبهته بقيه لم تاكلها الحشرات التي كل عملها ان تاكل كل الجباه من كل الوجوه .

نعم ، ان شعبي لشجاع جدا .. ان من اساليب شجاعته ان يبكي وان يركع ويموت ، خوفا من ان تلقاه او يلقاك او ان تعرفه او يعرفك او ان يعرف قراءة اسمك او كتابته و النطق به او ان يعترف او يقتنع بانك موجود .. اي ان كنت منهما او لو كنت منهما باي مستوى من الصدق او الفكر او الذكاء او الشجاعة او المساءلة او الرؤية او التحديق او الاشتراط الاخلاقي او العقلي او الانساني بل او من الدين الصادق والايمان الذكي ... او ان كنت عاجزا عن ان تتحول الى مقبرة كئيبة ينجح فيها كل ما في التاريخ الكئيب من اوثان وغباوات ومهانات واكاذيب ومن تحطيم واذلال لكل ما في الانسان من احتمالات الطموح والشموخ والكبرياء الفكرية والاخلاقية والحضارية .. اواه .. كم يعادون الكبرياء الفكرية والاخلاقية والانسانية .. كم يقاومون ويرهبون ويدمرون كبرياء الضمير والرفض والاحتجاج فكيف العصيان .. او ان كنت لا تملك جبهة جيدة واسعة تستطيع ان تكون معرا او

مكانا جيدا لتمر عليها او تقيم فيها جميع احذية السلطان الموجود والسلاطين الذين كانوا موجودين والسلاطين الذين لا بد ان يجيئوا ليصبحوا موجودين وتصبح لهم احذية تحتاج الى جباه جيدة واسعة لتقيم فيها وتمر فوقها .. ولكن هل يقبلون ان تكون لك او ان تبقى لك جبهة حتى ولو لتكون مكانا وممرا لكل الاحذية ؟ هل يقبلون اي وجه كان فيه يوما ما جبهة ؟ هل يتركون الوجوه تشت الجباه او تعيش فيها الجباه ؟

... ان وجوه شعبي مناخ لا تنبت فيه الجباه ولا العيون ولا الكبرياء ولا الغضب . ان وجوه شعبي صحراء ابدية لا ينبت فيها الانسان . ان وجوهه ليست وجوها . نعم ، ان شعبي لشجاع جدا وان من اعنى اساليب شجاعته جرائه التي حدود ولا مثيل لها على ان يحطم ويميت في نفسه وفي حياته وفي طموحه وامانيه وفي اشواقه ونياته كل احتمالات ان يكون سابقا او شجاعا او حرا او مفكرا او ناقدا او مبصرا او رافضا او غاضبا او ابيا او ذكيا او صاحب ضمير بل ويكون متدينا او نقيا او مؤمنا باقتناع او برؤية او بمنطق او باخلاص او باحترام لما يؤمن به او لمن يؤمن به . ان شعبي المؤمن جدا لا يحارب او يخاف شيئا مثلما يحارب ويخاف الايمان الشجاع ، انه لا يعادي الزندقة التي يزعم انه لا يعادي سواها مثلما يعادي الايمان الشجاع ..

... اذن اين توجد شجاعة مثل شجاعة شعبي ؟ وهل يمكن ان توجد ؟ .. ان شعبي الشجاع جدا ليحطم ويميت في نفسه وفي حياته وفي طموحه واشواقه وامانيه ونياته وتعبيراته كل هذه الاحتمالات بجرأة وبسالة لا حدود ولا نموذج لهما لانه يطيع ويخضع باسلوب وتقوى لا مثيل ولا نموذج لهما . رهبة وضآلة وتقليدا لجبروت سلاطينه ولجبروت كهانه وتاريخه وقبوره ولجبروت تقاليده ونصوصه وآبائه وشعاره ولقوة اخلاقه وخصائصه العقلية والنفسية والتاريخية والعرقية والنفسية والحضارية بل والدينية والانسانية .. اواه .. ما اشجع واقدر شعبي على ان يقتل كل معاني وتفاسير الانسان فيه .. اذن هل يوجد شعب شجاع جدا مثل شعبي؟ اتركع اذن كل شجاعات كل الشعوب تحت اقدام شجاعة شعبي .. وهل سوف تضع شجاعة شعبي لتقتل ان تركع تحت اقدامها كل شجاعات العالم وكل ما في العالم من عادات وقناعات ؟ اذن هل يوجد انسان واحد لا يتمنى ان يكون مواطنا من مواطني شعبي ؟! هل جربت او الا تجرب ان تكون هذا المواطن المحظوظ السعيد مثلي لكي تجرب هذا الذي جربت من شعبي ؟.. لكي تجرب هذه الشجاعة التي جربتها في شعبي .. جربتها في شعبي

افرادا ومجتمعا ، وانا الان اجربها في اقسى واعلى واصدق مستوياتها . هل اتمنى لك ذلك ؟ ، حتما انت تريد هذا التمني لك ، وهل يحلق بك طموحك الى التأميل في ان يستجاب لك هذا التمنـــي ؟

... ولكن هل انا بكل هذه القداسة والتقوى لكي اذهب اتمنى لك ان تكون مواطنا لي لتعيش الشجاعة التي يعيشها ويعيش فيها شعبي ، ولتعيش في مزاياها وحمايتها وفي كبريائها ؟ نعم وهل توجد كبرياء مثل كبرياء شجاعة شعبي ؟ وهل توجد كبرياء مثل كبرياء شعبي ؟ او هل توجد شجاعة لها كل الكبرياء مثل شجاعة شعبي ؟ ...

* *

مسكينة هي اسرائيل لو انها علمت بشجاعة شعبي ... انها الان تعيش وتبقى وتطمئن الى انها سوف تظل تعيش وتبقى بل وتتحدى وتنتصر لانهـا لم تعلم بشجاعة شعبي ، بل لانها لم تعلم بوجود شعبي او تسمع عن وجوده.

... اذن كم هي مسكينة حينما تعلم ان شعبي موجود نعم ، حينما تعلم ان شعبي كائن موجود ، وحينما تعلم ان ما رويت عن شجاعته هو اقـل اساليب ومستويات شجاعته ، واني كنت عاجزا جدا في وصفي لشجاعة شعبي ... اجل ، وكان شعبي الشجاع جدا لم يعلم ان اسرائيل موجودة وانها موجودة بالاساليب التي هي بها موجودة ، بكل انتصاراتها وبكل تفاسير ودلالات انتصاراتها التي لا بد انها قد جعلت التاريخ يفكر في ان يذكر بسوء مخلوقات كانت تسمى العرب هي حدى رعاياه او احدى مخلوقاته .. ولكن هل يغضب او يشمئز التاريخ من شيء ؟ هل يغضب او يشمئز من ان يكـون لـه رعايا او اتباع او اناء ليم شجاعة مثل شجاعة شعبي ؟ وهل يملك التاريخ شيئا من الغضب او الاشمئزاز ؟ ... والا لو ان شعبي الشجاع جـدا علـم بوجود اسرائيل فكيف يمكن ان نفسر او نفهم وجود اسرائيل وبقاءها ؟

كيف اذن حدثت هذه المعجزة ؟ كيف حدث ان اسرائيل لم تعلم بوجـود شعبي وحدث ان شعبي لم يعلم بوجود اسرائيل ؟ كيف حدث هذا ؟

اذن كم هي مسكينة اسرائيل لان هذه المعجزة لن تدوم .. لن يـدوم ان تظل اسرائيل تجهل وجود شعبي وان يظل شعبي يجهل وجود اسرائيل . اي قدر شرير او طيب قد جعل شعبي وجعل اسرائيل لا يعلم احدهما بوجود الاخر حتى اليوم ؟ ولكن ايهما افضل او اعظم او اتقى : ان يعلم شعبـي اولا بوجود اسرائيل ، ام ان تعلم اسرائيل اولا بوجود شعبي ؟

اذا علمت اسرائيل اولا بوجود شعبي الذي رويت اسلوبا واحداً من اساليب شجاعته فان اسرائيل لا بد ان تتخلص من وجودها باي اسلوب تراه اقل واخف تعذيبا واذلالا وتحقيرا لها . اما لو علم شعبي اولا اي بوجود اسرائيل فان اسلوب ازلتها سيكون اكثر قسوة وقهرا وتنكيلا بها ولهما وعليها . ولكنه لا بد ان يكون اعظم واشهر تمجيدا لشعبي واعلانا عالميا وتاريخيا منه . . .

فاي الاسلوبين اذن افضل ؟ او ايهما يجب ان نختار ؟

هل نختار الانسانية والرحمة مع التواضع ام نختار المجد والدوي مع الكبرياء والقسوة ؟

لعل قسوة الخيار والاختيار بين هذا وهذا هي التي قد اعتقلت تصرفات شعبي وقبضت على يديه حتى اليوم بهذا الاسلوب الحزين الذليل . . . الذي اذن لاسرائيل بان توجد وتبقى وتتحول الى جبروت رهيب . .

وكم نرجو الا يكون هذا القبض والاعتقال لتصرفات ويدي شعبي ابديين . . كم نرجو الا تكون انسانية شعبي او رحمته ابدية . .

* *

ان شعبي معجزة في الشعوب ؛ معجزة في الطبيعة ، معجزة في جميع المقاييس والنفاسير واللغات . . . . ان من معجزات شعبي انه لا يتفاوت في تفاسيره او معانيه او في ابعاده وابعاده . .

انه ابدا انسان واحد او شيء واحد او خليقة واحدة او سلطان واحد . . انه طول واحد وحجم واحد وذكاء واحد ورأي واحد ورؤية واحدة وعقيدة واحدة وجبهة واحدة وصلاة واحدة ومعبد واحد . . انه لا يتفاوت في كبريائه الا بقدر ما يتفاوت في عظمته . . انه لا يتعدد في مواقفه ولا في مستوياته او انفعالاته او نظراته او في عظمته او في رؤاه . . انه لا يتعدد حتى ولا في آلهته او آلته بل ولا في عاهاته . . حتى عاهاته . . انهما اسلوب واحد وحجم واحد وعدالة واحدة .

لهذا كان شعبي شجاعا جدا . لهذا لا يكاد ان يوجد فيه انسان واحد قد بقي في انفعالاته او في عقله او في عينيه ، او في ضميره او في لغته بقية من غضب او من تفكير او من رؤية او من شرف او من تحير او من احتجاج .

تصويبـــات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠١	٧	التحدث	انحدث
١٠١	٧	انه حينما	انه حتما
١٠١	٩	عما في نفسه	عما في نفسك
١٠٦	١١	النقائض	النقائص
١٠٨	٥	سطيه	معطيه
١١٢	٣	انه مهما بدت	انه مهما عبدت
١٤٠		سطر اربعةوخمسة	زائدان
١٨٣	٢٨	يعطي	يعطى
١٨٤	١	يعطى	يعطى
١٨٤	٢	يعطى	يعطى
١٨٥	٢٣	التحير	التحقير
١٩٢	٢٠	لينقذوهم	لينقدوهم
١٩٣	٢١	لينقدوهم	لينقدوهم
١٩٣	٢٣	لانها	لانهم
١٩٩	١٢	يجب	بحب
٢١٥	٦	ليتشاركوا	أيتشاكوا
٢٢٣	١٩	ما يريد	أو يريد
٢٧٢	٢٣	سيؤدي فيه	سيؤذي فيه
٢٩١	٧	وزينة ألم	وزينه الم
٢٩٤	٢٠	مشاهدة الفاجعة	مشاهده الفاجعة
٢٩٦	٧	وما بعقبه وما يشتتها	وما يعذبها ويشتتها
٢٩٧	٥	لقد تحولت	لو تحولت
٣٠٣	١١	على اخلاقها	عن اخلاقها
٣٤٢	١٨	مشروع للكذب	مشرع للكذب
٣٥٢	٢١	شمولها	شموسها
٣٥٩	٢٥	اولا	لولا
٣٧٢	٢٠	المهنية	المهينة
٣٧٣	١٠	من التفكير	من التكفير
٣٨٧	١٧	ويتفكير منطقهم	ويتكفير منطقهم
٣٩٠	٢٠	الى المؤمنين	أي المؤمنين
٤٠١	٢٢	التشائمة	المتشائمة
٤٠٤	٢٣	البدينة	البدنية
٤٠٧	١٤	الى الوراء	أي الوراء

فصـــول الكتـــاب

٥ اذا انتصر النبي هزمت نبـوته .

٢٥ ايها الاله .. انت ايشع جلاد .

٧٥ يكذبون لكي يروا الاله جميـــلا .

١٠٧ كل هذا السلاح لقتل الشيطان .

١٦٩ الانسان .. هل خدع خيال الآلهـــة .

٢٠٧ كيف رانه كل المعقـــول .

٢٢٣ رأسك اكثر اعضائك انخفـــاضا .

٢٤٧ السيف واهبـــا الاله صفـــاته .

٢٧٧ الانسان يعصي لهذا يصنع الحضارات .

٤٢١ شعبي شجـــاع جـــدا .